المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مركز البحوث



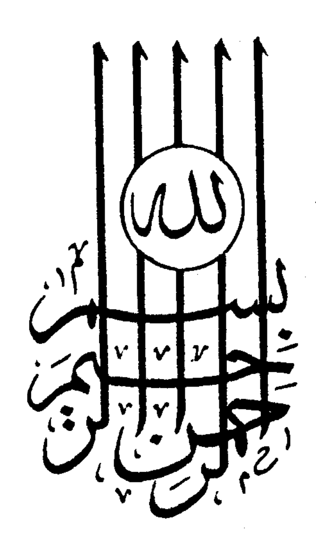
بحوث أسبوع الشيخ

# محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

الجزء الثاني

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

## (المحتويــات)

الموضـــوع الصفحـة

| الموضــوع | الصفحـة |
| --- | --- |

الموضـــوع الصفحـة

الموضـــوع | الصفحـة

| الموضــوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضـوع | الصفحـة

الموضـوع | الصفحـة

الموضـوع | الصفحة

# الشبهات التى أثيرت حول
# دعوة الشيخ الإمام
# محمد بن عبد الوهاب

# الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ الإمام

# محمد بن عبد الوهاب

للدكتور عبد الرحمن عميرة

الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

قال تعالى:

«قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

(آل عمران : ٦٤)

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

« إن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها »

حديث شريف

( ما من مرة هوجم الإسلام سياسيا أو عسكريا إلا اتجه نحو المذهب الحنبلى الذى ينادى فى قوة وحماس بالرجوع الى السنة ).

المستشرق لاوست

بسم الله الرحمن الرحيم

# تمهيد

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واقتدى بسنته، وعمل عملا خالصا لله رب العالمين.. وبعد:

فهذه كلمات حول الشبهات التى أثيرت حول الدعوة السلفية، دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله.

أردنا بها وجه الله سبحانه وتعالى ـ والحق أقول ـ لقد عشت فترة طويلة من الزمن أبتعد عن هذه الشبهات،وأحاذر التعرف عليها أو قراءة أفكارها حتى أعاننى الله سبحانه وتعالى بالاقتراب منها ومعايشتها.

فلم تكن فى الحقيقة إلا بناء من ورق. وزينة جوفاء، وسرابا خادعا لا ماء فيه ولا رى، وإكليلا من الخزى والعار وضعه الشيطان كبير المضلين على رءوس هؤلاء العتاة الذين وقفوا للدعوة ينالون منها بالكلمة مرة، ويصدون عنها الأتباع والأنصار مرات.

ولكن إرادة الله غالبة وجنده هم المنصورون، فارتقت فى جنبات أرض نجد كلمة التوحيد الخالصة لله تعالى، وكان هذا إيذانا بتدمير دولة الطاغوت التى تمثلها قباب الموتى وأضرحة الأولياء، وما يغرى به الشيطان أتباعه من الاستعانة والاستغاثة بالشجر والحجر والأصنام.

ولقد وقفت أمام هذه الدعوة كل قوى الشر مجتمعة ممثلة تارة فى رجال لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، وعاشوا حياتهم سدنة للأصنام وعبادا للبهتان، وأوصياء على بعض الأفراد. يزينون لهم المنكر ويغرقونهم فى مباءة الشرك إغراقا.

وتارة أخرى فى الاستعمار ورجاله، والطامعين وأذنابهم، والتبشير وأعوانه وقوى أخرى تكره الإسلام وأبناءه. وتعمل جاهدة فى كل ميدان حتى لا يقام لأتباع هذا الدين قائمة.

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ » (التوبة ٣٢).

لقد نجحت هذه الدعوة نجاحا منقطع النظير. نجحت فى رد المسلمين إلى ربهم وخالقهم.

ونجحت فى جعل العبادة خالصة لوجه الله.

ونجحت فى إبطال فرية الأدعياء والمبطلين القائلين بأن الإسلام استنفذ أغراضه ولم تقم له بعد قائمة.

فإذا بجيوش الدعوة السلفية، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تزلزل العروش وتقوض التيجان، وتزيل الممالك ـ وترهب أعداء الله وأعداء دينه ـ وتنداح جيوشها فى الجزيرة العربية كل الجزيرة العربية وتتخطى مبادؤها ـ التى هى مبادئ الإسلام ـ الحدود والسدود وتصبح كالبؤرة المشعة من قرص الشمس.

فتقام دعوة الإمام السنوسى فى المغرب.

ودعوة الإمام محمد عبده فى مصر.

ودعوة الإمام المهدى فى السودان.

ودعوة السيد أحمد حج السيد فى الهند.

ودعوة الإمام الشوكانى والصنعانى فى اليمن.

فأين أتباع هذه الدعوة ليقودوا العالم مرة أخرى إلى النور والهداية إلى كلمة التوحيد، إلى الدين الخالص..؟

يقول أحد المفكرين: لقد سبق للعرب أن قادوا العالم فى مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم طوال ألفى سنة قبل أيام اليونان ثم فى العصور الوسطى مدة أربعة قرون، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم فى المستقبل القريب.

« رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ». (آل عمران : ٨)

# العصر الذى عاش فيه محمد بن عبدالوهاب

## من الناحية الدينية

أى صورة من الصور كان عليها هذا العصر..؟

أهى الصورة المشرقة النيرة بتعاليم الإسلام وهدى النبوة..؟

حيث تقام الحدود، وترتفع البنود، البنود الخفاقة لنشر دين الله، والعمل على تحكيم كتابه.

أم أنها الصورة الأخرى القاتمة، حيث الضلال والبهتان وعبادة الطاغوت، والعودة بالحياة إلى دنيا الجاهلية الأولى..؟

إن مصادر التاريخ، وكتاب السير على تباين تفكيرهم، يقدمون بين يدى القارئ صورة قاتمة، مؤلمة لما كان عليه هذا العصر..؟!

فصاحب كتاب الضياء الشارق يصور لنا ذلك بقوله:

«قد خلع (الناس) ربقة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا فى الاستغاثة والتعلق بغير الله تعالى من الأولياء والصالحين والأصنام والأوثان والشياطين».

«وكثير منهم يعتقد النفع فى الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار ويرجون منها القبول فى جميع الأوقات»[1].

وصدق الله فى قوله:

« نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ »[2]

(١) الضياء الشارق: للشيخ سليمان بن سحمان ص ٧٠

(٢) سورة الحشر ـ آية رقم ١٩.

وهذه الصورة التى يقدمها لنا الشيخ سليمان بن سحمان لم تكن قاصرة على مصر دون مصر، أو على سهل دون نجد، وكلها تكاد تكون شاملة عامة فى كثير من بلاد المسلمين إلا من عصم ربى.

ففى مصر (بلد الأزهر) رفع الناس لواء العبادات الوثنية، والدعاوى الفرعونية، وقامت دولة الأدعياء والدراويش.

والقارىء لكتاب الطبقات الكبرى للشعرانى وغيره من الكتب التى كانت متداولة فى ذلك العصر، يرى عجبا من العجب، وكفرا بواحا. من ذلك ما يقوله الشعرانى:

«إن الله تعالى وكل بقبر كل ولى ملكا يقضى حاجة من سأل ذلك الولى».

ويروى الشعرانى - أيضا - عن شمس الدين الحنفى عند الكلام على ترجمته أنه قال فى مرض موته:

«من كانت له حاجة فليأت قبرى، ويطلب أن أقضيها له، فإنما بينى وبينه ذراع من تراب».

ثم يتابع قوله: «كل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل (٣)

وعلى احتمال صدق هذه الرواية من هذا الرجل.

فلنا أن نتساءل كيف يسأل الحى الميت..؟

كيف يسأل القوى الضعيف..؟ ألأنه ولى وقريب من ربه؟

ومن قال إن أى فرد من الأفراد هو بعيد عن ربه..؟

أم لأن هذا الولى قريب والله بعيد..؟

إن من يتصور هذا أو يتخيله فهو الآبق الملحد الخارج عن رحاب الإسلام والمسلمين..

---

(٣) الطبقات الكبرى للشعرانى.

وصدق الله العظيم فى قوله:

«..كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا »(٤).

فالله سبحانه وتعالى أقرب إلى العبد من نفسه التى بين جنبيه .

قال تعالى:

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ »(٥).

وهو كريم يغدق على عباده، ونعمه عليهم لا تعد ولا تحصى.

قال تعالى:

« وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ »(٦).

وقال أيضا:

« وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ »(٧)

لكن لا عجب ولا عجاب، لأن القوم فى هذا العصر أصابهم ما أصاب الأمم من قبلهم، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلواالشياطين، ونتساءل أين العلماء فى ذلك العصر..؟

(٤) سورة الكهف ـ آية رقم ٥.

(٥) سورة البقرة ـ آية رقم ١٨٦.

(٦) سورة النحل ـ آية رقم ١٨.

(٧) سورة إبراهيم ـ آية رقم ٣٤.

أين الذين تفقهوا فى دين الله، ممن قال الله فيهم:

« وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ »[٨].

أين الذين أناط الله بهم أمر القيام بالمعروف والنهى عن المنكر..؟ هل كان لهم صوت إنكار، أو بادرة احتجاج لتغيير المنكر..؟ وعودة الناس إلى كلمة التوحيد..؟

وهل طالبوهم بالابتعاد عما هم فيه من الجاهلية الأولى..؟

لاشك أنه وجد بعض هؤلاء العلماء ممن كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، مصداقا لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: « لاتزال طائفة من أمتى على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك »[٩].

والمؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى يقدم لنا صورة من صور العلماء العاملين الذين ثاروا على الضلال، وهاجموا البهتان فى داره، وكشفوا الشرك وأهله.

يقول: إن واعظا تركيا وفد من بلاد الروم إلى مصر، جلس يعظ فى جامع المؤيد، وكثر عليه الناس، وازدحم بهم المسجد، ثم انتقل من الوعظ، فذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء، وإيقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء وتقبيل أعتابهم، وأن فعل ذلك كفر يجب على الناس تركه، وعلى ولاة الأمور السعى فى إبطال ذلك، وقد ذكر قول الشعرانى فى كتابه السابق:

« ان بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ »..!

قال: إنه لا يجوز ذلك، ولا تطلع عليه الأنبياء، فضلا عن الأولياء، وكان فيما قال: «إنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء».

كما لا يجوز بناء التكايا ويجب هدم ذلك جميعه.

---

(٨) سورة التوبة ـ آية رقم ١٢٢.

(٩) الحديث رواه البخارى فى الاعتصام ١، والمناقب ٣٨، ورواه مسلم فى الامارة ١٧١ـ١٧٤، والدارمي فى الجهاد ٣٨، وأحمد بن حنبل جـ٤ ٩٩ـ١٠١.

وتقبل جمهور المسلمين ما قاله الرجل بقبول حسن، وأخذت الوفود تأتى اليه وطلاب الحق يفدون إلى مكانه.

فماذا كان موقف الأدعياء وسدنة القبور..؟

هل تقبلوا قولة الحق بقبول حسن..؟

هل استجابوا لنور الايمان عندما وفد لديارهم..؟

يقول الجبرتى: «فقامت لهذا قيامة أدعياء العلم،فدسوا عليه من يشوش عليه ويخفت صوته.

ولكن الواعظ مضى فى طريقه، وانتقل هو وأتباعه من القول إلى العمل، وبدأ الصدام بأن خرج الواعظ وأتباعه بعد صلاة التراويح، ووقفوا بالنبابيت والأسلحة على باب « زويلة » فهرب الذين يقفون به، ثم قطعوا ما علق عليه من جوخ وأكر »[١٠]

وأوشكت دعوة الحق أن تعم البلاد، وكلمة التوحيد، التوحيد الخالص لله وحده تستقر فى قلوب العباد.

وهنا خشيت دولة الدراويش على صولجانها.

وخاف الأدعياء على نفوذهم وتقلص كلمتهم، فسعوا إلى والي البلاد وحذروه الفتنة، وخوفوه ضياع ملكه وعرشه.

لأن كلمة التوحيد صادقة. وثورة الايمان عارمة.

ومازالوا به حتى أمر بنفى الواعظ إلى خارج مصر، فأخرج منها بليل. وعاد السدنة مرة أخرى إلى إضلال الناس، وإبعادهم عن جوهر دينهم، بغية استمرار صولجانهم وسيطرتهم، وسلب أقوات العباد وأرزاقهم، والتدخل فى شئون دينهم ودنياهم.

---

(١٠) تاريخ الجبرتى، وباب زويلة، وشجرة الحنفى، ونعل الكلشنى من الأشياء التى كان الناس يتوجهون إليها لتفريج الكروب وشفاء المرضى .

وإذا كان فى مصر ضريح أحمد البدوى، وأحمد الرفاعى، وابراهيم الدسوقى، وأبى العلاء. والذين كانوا يطلق عليهم الأقطاب الأربعة، ويشيع أتباعهم عنهم أن هؤلاء يحق لهم التصرف فى الكون..!

فإن فى العراق المشهد الحسينى الذى اتخذه الرافضة وثنا يطاف به، بل ربا مدبرا، وخالقا ميسرا، وأعادوا به المجوسية الأولى، وأحيوا به معاهد اللات والعزى وما كان عليه أهل الجاهلية الأولى.

وكذلك مشهد العباس، ومشهد الإمام علي، ومشهد الإمام أبى حنيفة، ومعروف الكرخي، والشيخ عبدالقادر الجيلانى، وغير ذلك كثير، مما يصيب الرءوس بالدوار، ويدعو إلى الحيرة وبلبلة الأفكار بسبب ما آل إليه أمر هؤلاء الناس.

أما فى أرض نجد، فيحدثنا ابن غنام حديثا مستفيضا، ويصور لنا الحالة التى وصلت إليها من الشرك والإغراق فى الوثنية، فيقول:

« فقد كان فى بلدان نجد من ذلك أمر عظيم وهول مقيم، كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب فى الجبيلة يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وقضاء الحاجات، وكانوا يزعمون أن فى قرية فى الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم فى صدورهم من الله خوفا ورهبة، فتقربوا إليهم، وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله، فكأنما عناهم الله تعالى بقوله:

« أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ »(١١).

وكأنما كان جوابهم دائما: « إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ »(١٢)

وكانوا يأتون فى شعيب غبيرا من المنكر ما لا يعهد مثله: يزعمون أن فيه قبر ضرار

(١١) سورة الصافات ـ آية رقم ٨٦.
(١٢) سورة الزخرف ـ آية رقم ٢٢

ابن الأزور، وذلك كذب محض وبهتان مثله لهم إبليس وصوره ودلهم عليه من غير أن يشعروا.

وكان النساء والرجال يأتون بليدة الفدا، حيث يكثر ذكر النخل المعروف بالفحال، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به ويعتقدون فيه، فكانت تأتيه المرأة اذا تأخرت عن الزواج فتضمه بيديها ترجو أن يفرج عنها كربها وتقول:

يافحل الفحول أريد زوجا قبل الحول..!

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية فيتبركون بها ويعلقون الخرق عليها - إذا ولدت المرأة ذكرا لعله يسلم من الموت..!

وفى أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه فى الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت، ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلى الكبير، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون الى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا، وقد نسوا قوله تعالى:

« أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ »[١٣]

لأجل هذا دعاها الناس لتفرج عنهم الكرب، ونسوا أن يدعوا الله تعالى الذى فرج عنها وأنه هو الذى أجرى لها هذه الكرامة - اذا صح الحادث - ولكن الحادثة مختلقة اخترعها دجال تضليلا للعقول وابتزازا للمال عن طريق السحت والشعوذة..!

ويقول ابن غنام أيضا:

« وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (تاج) سلكوا فيه سبيل الطواغيت. فصرفوا اليه النذور وتوجهوا اليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر. وكانوا يأتونه لقضاء شئونهم أفواجا، وكان هو يأتى اليهم من بلده الخرج الى الدرعية لتحصيل ما تجمع من

(١٣) سورة الصافات - آية رقم ٩٥.

النذور والخراج، وكان أهل البلاد المجاورة جميعهم يعتقدون فيه اعتقادا عظيما، فخافه الحكام وهاب الناس أعوانه وحاشيته، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدعون فيهم دعاوى فظيعة، وينسبون اليهم حكايات قبيحة، وكانوا لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها يصدقون ما فيها من مين وزور، فزعموا أنه أعمى وأنه يأتى من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التى ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم »(١٤).

ونتساءل لماذا كل هذا..؟

ويأتى الجواب من القبوريين، لأنه ولى من الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ونقول: وهل ولايته تبيح لكم أن تعكفوا على قبره وتطلبوا منه الضر والنفع وتستغيثوا به فى النكبات والملمات..؟

ويأتى الجواب من عبدة الأوثان: لولا كرامته وولايته وصلاحه وتقواه لما استطاع أن يضرب فى الصحراء من غير أن يضل أو يناله أذى أو ضرر..!

واذا كان ما يتقولونه على هذا الرجل حقا وصدقا فمن منحه الولاية..؟ ومن أجرى على يديه الكرامة..؟

هل صنع من نفسه وليا..؟

معاذ الله أن يكون كذلك.. ولكن الله سبحانه وتعالى هو المعطى وهو المانح، والمتفضل على عباده.

وكل ما أمر الله سبحانه وتعالى عباده به: هو إخلاص العبادة له:

---

(١٤) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ١١، ١٢ بتصرف.

« فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ »[١٥]

وإخلاص العبادة لله حقا وصدقا هو الطريق الى الولاية قال تعالى:

« أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ »[١٦].

فكل من أخلص العبادة لله تعالى، ولم يشرك بعبادته أحدا، وآمن بكل ما جاء به رسوله، وما تنزل به قرآنه، واتقى الله وخافه فى كل ما يأتى وما يدع، فهو من أولياء الله. يستطيع أن يقترب من ربه بلا وسيط أو شفيع.

قال تعالى:

« وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ »[١٧].

وهكذا رأينا كيف أن صور الشرك والضلال، والعودة بالحياة الى الجاهلية الأولى، كانت شاملة وعامة فى كثير من بلاد المسلمين فى ذلك العصر، حتى أن بلاد الحرمين الشريفين لم تسلم من ذلك.

يقول صاحب كتاب (الضياء الشارق): « من ذلك ما يفعل عند قبر محجوب وقبة أبى طالب. فيأتون قبره للاستغاثة عند نزول المصائب وحلول النواكب،وكانوا له فى غاية التعظيم، فلو دخل سارق أو غاصب أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون من وجوب التعظيم والاحترام »[١٨].

ونقول: إن هذا الذى حدث هو ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم: فقد روى

(١٥) سورة الزمر ـ آية رقم ٢، ٣.

(١٦) سورة يونس ـ آية رقم ٦٢ ، ٦٣.

(١٧) سورة الحديد ـ آية رقم ٤.

(١٨) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ١٣. أو الضياء الشارق.

الشيخان وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. فقلنا: يارسول الله اليهود والنصارى..؟ قال: فمن..؟

وجاء نحوه عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ وفيه زيادة «وباعا بباع . وفيه:حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه، وحتى لو أن أحدهم جامع أمه فى الطريق لفعلتموه »[19].

يقول الشيخ عبداللطيف فى كتاب «منهاج التأسيس»: «فصار هذا الأمر طبق ما أخبر به هذه الأمة نبيها وظهر وجه الشبه بينهم وبينها، وانتهى الحال الى أن قيل بالإتحاد والحلول،وكثرت فى ذلك إشارات القوم والنقول،وصار هو مذهب الخاصة والخلاصة عند الأكثرين، ومن أنكره فهو عندهم ليس على شئ من العلم والدين، وعبدت الكواكب والنجوم، وصنف فى ذلك مثل أبى معشر، وصاحب السر المكتوم،وعظمت القبور، وبنيت عليها المساجد، وعبدت تلك الضرائح والمشاهد، وجعلت لها الأعياد الزمانية والمكانية، وصرفت لها العبادات المالية والبدنية، ونحرت لها النحائر والقرابين، وطاف بها الفوج بعد الفوج من الزائرين والسائلين،وحلقت لأربابها رءوس الوافدين، واستبيح فيها ما اتفقت على تحريمه جميع الشرائع والنبوات، وكثر المكاء والتصدية بتلك الفجاج والعرصات، وبارزوا بتلك القبائح العظام الأرض والسموات، وصنف فى استحبابه بعض شيوخهم كابن المفيد، وظنه الأكثر من دين الإسلام والتوحيد»[20]. وهكذا وصل العالم الإسلامى الى دركه الأخير فى الانحطاط والاسفاف فى الدين والاعتقاد، عندما طرحوا كتاب ربهم، وأغرقوا فى ضلالهم وبهتانهم.

يقول الكاتب الأمريكى استودارد: «أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فألبسوا

---

(١٩) الحديث: رواه البخارى فى الاعتصام ١٤ والأنبياء ٥٠ ورواه مسلم فى العلم وابن ماجة فى الفتن ١٧ وأحمد بن حنبل ٣ـ٣٢٧ـ٤٥٠.

(٢٠) منهج التأسيس للشيخ عبداللطيف نقلا عن غاية الأمانى.

الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة سجفا من الخرافات، وقشورا من الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان الى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل،ويرغبونهم فى الحج الى قبور الأولياء،ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور.

وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر والأفيون فى كل مكان، وانتشرت الرذائل وهنك ستر المحرمات على غير خشية ولا استحياء. إلى أن قال: فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر، ورأى ما كان يدعى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يعلن المرتدون عبدة الأوثان»[٢١].

ثم ماذا..؟

فى وسط هذا الظلام الشامل، والضلال الكامل الذى عم الكون وملأ أرجاء المعمورة، إذا بصوت قوى فيه صدق الايمان وفصاحة الإسلام ونور النبوة يدوى من قلب الصحراء.

من أرض نجد.. تلك البقعة التى شهدت صراعا مريرا وقتالا شديدا بين جند الرحمن وأتباع الشيطان.. هذا الصوت فيه دعوة الى الإصلاح واتباع الصراط المستقيم والعودة الى كتاب الله تعالى.

فمن صاحب الصوت القوى..؟ الذى استضاء قلبه بنور الايمان فرفع معوله لهدم البهتان والطغيان وإخلاص العبادة للواحد الديان..؟

إنه الداعية الملهم، الإمام المؤمن محمد بن عبدالوهاب.

واذا كان ذلك كذلك. فمن محمد بن عبدالوهاب..؟

للإجابة على هذا علينا أن نقطع شوطا آخر فى البحث..

---

(٢١) حاضر العالم الإسلامى: ترجمة عجاج نويهض ص ٣٤ .

# الشيخ محمد بن عبدالوهاب

## نسبه ـ وحياته

في الصحراء الممتدة امتداد المحيط ، وتحت أديم السماء الصافية صفاء الإيمان، وفي بلدة العيينة من إقليم العارض على وجه التحديد ولد محمد بن عبدالوهاب عام ١١١٥هـ ـ ١٧٠٣م.

والده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان «قاضى العيينة» فى ذلك الوقت ، وكان واليها عبدالله بن حمد بن عبدالله.

وفى بيت هذا القاضي الذى عرف بالعلم والفضل، والاهتمام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم فتح عينيه وعاش طفولته؛ وعلى يد والده الشيخ الفاضل تلقى علومه الأولية في دراسة الفقه والمطالعة في كتب التفسير والحديث.

يقرر معاصرو الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنه كان حاد الفهم،وقاد الذهن، سريع الحفظ، فصيحا فطنا. استظهر القرآن الكريم قبل بلوغه العاشرة من عمره.

الأمر الذى لفت أنظار الناس إلى هذا الطفل النجيب وأولهم والده الذى نوه بشأن ابنه وأثنى عليه ، وعلى جودة حفظه، وسرعة فهمه وسلامة إتقانه. ولقد أخذ بحظ وافر من العلم على يدى والده. ثم أخذ فى التنقل والترحال لطلب العلم والتزود من المعرفة.

وله في هذا التنقل أسوة بالعلماء من السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ فلقد قام بأمثال هذه الرحلة شيخ الحنابلة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وتقى الدين ابن تيمية، ومن قبله الشيخ الإمام محمد بن اسماعيل البخارى والإمام الشافعى ـ رحمهم الله جميعا ـ وقل أن نجد عالما من علماء السلف إلا كانت له مثل هذه الرحلات.

وكانت رحلة الشيخ الأولى الى مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفيها التقى بعالمها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف النجدى،فغرف من بحر علمه الزاخر الشيء الكثير.

وكان الشيخ عبدالله ذا حظ وافر من العلم وعلى خلق ودين، ومن أبنائه ابراهيم بن عبدالله مصنف كتاب «العذب الفائض فى علم الفرائض»، وكذلك أخذ عن الشيخ محمد حياة السندى المدني صاحب كتابي: «نحفة الأنام فى العمل بحديث النبى - عليه أفضل الصلاة والسلام، و « تحفة المحبين في شرح الأربعين».

كم بقى الشيخ فى المدينة ...؟
وهل هناك كتب معينة درسها على أيدى هؤلاء العلماء؟

إن كتاب سيرة الشيخ لا يذكرون شيئا من ذلك؛ وإنما يرصدون خروجه من المدينة الى نجد لينطلق منها مرة ثانية ميمما وجهه شطر البصرة. والبصرة في ذلك الوقت كانت تموج بالعلم والمعرفة؛ فهي كعبة القصاد وموئل طلاب العلم والمعرفة. وفي نفس الوقت ينتشر فيها الكثير من البدع، وترتفع فيها القباب والأضرحة وتقام فيها سوق رائجة للشعوذة والدجل.

وألقى الإمام فيها عصا التسيار، ولم تطل إقامته في تلك البلدة، حتى رأى فى أروقتها وجنباتها اختلاط الحق بالباطل، والنور بالظلمة والهدى بالضلال.

ومع ذلك استمع لدروس الحديث والفقه من علماء أجلاء، وقرأ على مشايخها علوم النحو والصرف، وكتبا فيها الكثير من علوم التفسير. وكان في أثناء مقامه ترى عيناه المنكر، وتسمع أذناه مالا يود سماعه من أنواع الشرك والبدع. فأخذ يأمر أصحاب المنكرات بالابتعاد عنها؛ ويطالبهم بالانصراف عن القباب والأضرحة حرصا على عقيدتهم؛ لأنهم بهذا العمل ينقلون من رحاب الإسلام إلى ساحة الكفر والطغيان، ولكن الكثير منهم صموا آذانهم عن سماع الحق.

ولم يكتفوا بذلك؛ بل اعتبروا أن ما يقوله محمد بن عبدالوهاب تدخل فى شئونهم الخاصة، وحجر على حريتهم العامة، وهم لا يقبلون ذلك ولا يوافقونه عليه.

وتكررت الحادثة التي تتكرر فى كل عصر ومصر بين أتباع الشيطان وجند الرحمن. ووقف أتباع الطاغوت يكررون قولة أسلافهم التي قالوها لنبي الله شعيب عليه السلام.

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾[٢٢].

ومن أجل ذلك أخرج محمد بن عبدالوهاب من البصرة في وقت الظهيرة، حيث لا ماء ولا غذاء ولا راحلة. وأراد أن يتجه الى الشام، ثم آثر العودة الى نجد تحت ظروف قاسية وملابسات خاصة.

وهكذا عاد المهاجر إلى نجد مرة أخرى، وفي بلدة (حريملاء) التي انتقل اليها والده سنة ١١٣٩هـ عاش محمد بن عبدالوهاب يقرأ على والده ويستمع منه. وفي هذه المرحلة أخذ يسلك طريق الدعوة آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة. واستمر على ذلك حتى توفي والده عام ١١٥٣.

فأخذ يسلك بالدعوة طريقها الايجابي، واشتد إنكاره على تظاهر الشرك والبدع مبينا شرائع الإسلام وموضحا سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم. فذاع ذكره وانتشر أمره وأخذت الوفود تأتى اليه،وطلاب الحق والمعرفة يقصدون بابه،فكان يقرأ عليهم كتب الحديث والفقه والتفسير، وصنف فى تلك الفترة كتاب (التوحيد).

ولم يقبل طلاب الشهوات المبتذلة والمنافع الرخيصة ما يقوله الشيخ: لأنه يفسد عليهم خططهم ، ويعطل كل أعمالهم،فبيتوا قتله وتسوروا عليه منزله،ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه منهم، وخاب قصدهم،ورد كيدهم في نحورهم.

---

(٢٢) سورة هود ـ آية رقم ٩١.

ورأى أن حريملاء لم تصبح بذات مقام فانتقل الى العيينة: وكان أميرها في ذلك الوقت عثمان بن حمد بن معمر. فرحب به وأكرمه، وتزوج فى العيينه من الجوهرة بنت عبدالله بن معمر. وفيها قام بقطع الأشجار التي يقدسها الناس، وهدم القباب التى يعظمونها، فقامت قائمة سدنة القبور، وهاج وماج أصحاب المنافع الرخيصة،وأغروا به قائد الأحساء سليمان بن محمد،فكتب الى عثمان بن معمر يهدده بقطع خراجه الذى يرسله له إن لم يتخلص من الشيخ محمد بن عبدالوهاب استعظم الأمر على عثمان فآثر الدنيا على الدين، وأمر الشيخ بالخروج من العيينة قائلا له: «إن سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره. لأنه لا طاقة لنا بحربه وليس من الشيم أن نقتلك في بلادنا.

فسار الشيخ الى الدرعية وقصد بيت محمد بن سويلم العريني فخاف على نفسه من حاكمها محمد بن سعود،فسكنه الشيخ وهدأ روعه وقال له: «سيجعل الله لنا ولك فرجا ومخرجا».

وعلم الناس بوجود الشيخ فتقدموا إليه،ولكنهم هابوا أن يذكروا ذلك لمحمد بن سعود، فذهبوا إلى زوجته موضي بنت وطيان، وكانت عاقلة ذكية فأخبروها بمكان الشيخ وما يقرره فتعلقت بالتوحيد، وقذف الله فى قلبها محبة دعوة الشيخ ، فأخبرت زوجها بذلك وقالت له:

«إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته».

واستجاب محمد بن سعود لنصيحة زوجته فذهب إلى الشيخ محمد في بيت ابن سويلم ورحب به وقال له:

«أبشر ببلاد خير من بلادك، فأبشر بالعز والمنعة».

فشرح له الشيخ دعوة التوحيد وقال له: وأنا أبشرك بالعز والتمكين. وتعاهد محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب على نصرة الدين وجهاد من خالف التوحيد. واشترط محمد بن سعود عليه شرطين:ـ

الأول : أن لا يرتحل عنه اذا ما فتحت لهم البلدان ، وأن لا يستبدل به غيره.

الثاني: أن لايمانع الشيخ فى أن يأخذ الحاكم وقت الثمار ما اعتاد على أخذه من أهل الدرعية.

فعاهده الشيخ على الشرط الأول. أما الثاني فقال: «لعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها». وحقق الله سبحانه وتعالى ما تمناه الشيخ الإمام.

لقد انتصرت الدعوة على خصوم الإسلام ، وأزيلت القباب وقطعت الأشجار، وخلصت العبادة لله تعالى، وأخذ الناس يعودون الى ربهم وخالقهم، واتسعت رقعة الإسلام وأمنت السبل والمسالك،وانقاد لدعوة التوحيد كل صعب من باد وحاضر.

عندها اعتزل الشيخ الأمر وجعله بيد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وفوض أمر المسلمين وبيت المال اليه. وانسلخ منها، ولزم العبادة وتعليم العلم؛ ولكن عبدالعزيز لم يكن يقطع أمرا دونه، ولا ينفذه إلا بإذنه.

يقول ابن غنام:[٢٣] ومع ما أفاض الله على بيت المال من الأموال التى كانت تجبى، فقد كان رحمه الله زاهدا متعففا لا يأكل من ذلك المال الا بالمعروف.

وقد اختاره الله الى جواره فى يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ست بعد المائتين والألف. وله من العمر نحو اثنين وتسعين عاما. رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

............

(٢٣) رجعنا في هذه الترجمة الى كتاب روضة الأفكار لابن غنام، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر.

# دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب
# أصولها وأهدافها

الى أى شيء قام الشيخ الإمام يدعو الناس.. ؟
أكانت دعوته دعوة للإصلاح والتجديد ..؟
**أكانت دعوة لظهور مذهب جديد فى الإسلام.. ؟**
أم أنها كانت دعوة سياسية فى معترك السياسة الدولية.. ؟

واذا لم تكن هذا ولا ذاك ، أتكون دعوة «خارجية» كما قال عنها بعض أعدائها ممن يطلقون القول على عواهنه، ولا يخافون فى الله لومة لائم.. ؟[٢٤].

إننا والحق يقال لا نستطيع أن نطلق حكما عاما على هذه الدعوة، قبل أن نستقرئ سويا أفكار رجالها، ونستوضح مبدئيا قواعدها، ونتعرف من خلال ذلك على منهجها الذى قامت تدعو الناس إليه.

ومن قبل هذا نحب أن نقرر أن هذه الدعوة في إبان قيامها تعرضت ـ ككل الدعوات ـ لسيل جارف من الاتهامات الباطلة، ورمي صاحبها وأتباعه بأشياء كثيرة مسفة يعف القلم عن تسطيرها، أو الخوض فيها، لأنها من الضلال المبين.

ومن أجل ذلك انبرى الامام لهؤلاء الأدعياء يرد كيدهم في نحورهم، ويبين للأمة الإسلامية حقيقة مايدعو اليه.

ومن استقرائنا لرسائله وكتبه، وماسطره أتباعه يتضح الاتى:ـ
أنه ليس صاحب مذهب جديد يتمذهب به ويدعو الناس اليه.

(٢٤) قال هذه القولة: عبدالله بن حسن بن فضل في كتابه «صدق الخبر في خوارج القرن الثانى عشر».

يقول صاحب كتاب «قلب الجزيرة العربية»

«وقد أطلق على أهل نجد خطأ في القرن الماضي اسم الوهابيين ونسب اليهم أنهم أهل مذهب جديد في الإسلام الا أن الحقيقة الآن أصبحت معروفة للناس».

«فأهل نجد سلفيون يقلدون في المسائل الاجتهادية الإمام أحمد بن حنبل ، وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في القرن الماضي دعوة إصلاحية خالصة لوجه الله، سداها ولحمتها الدعوة الى الرجوع الى الإسلام الصحيح، وترك البدع، وهدم معالم الشرك والخرافات والأوهام.

«وأما نسبة المذهب الجديد اليهم فقد حدث بسبب اختلاط الدعاية التى بثت ضدهم بعناصر سياسية ، بقصد تنفير الناس منهم، وعدهم خارجين على الإسلام، إلا أنهم مسملون ، سنيون ، موحدون، سلفيو العقيدة، خالصو الإيمان[٢٥].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب:
«إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا، وما كان من المشركين . ولست ولله الحمد ـ أدعو الى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم ، أو امام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل: ابن القيم، والذهبى، وابن كثير وغيرهم: بل أدعو الى الله وحده لا شريك له، وأدعو الى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ».[٢٦]

واذا لم يكن صاحب مذهب جديد في الإسلام، أكان يريد بدعوته أن يكون له باع طويل هو وأتباعه ـ في معترك السياسة والأطماع، بمعنى أنه يريد ملكا أو يتطلع إلى سلطان ؟.

إن السائح الأسبانى المستشرق «أرمانو» والذى عاش فترة طويلة فى أرض نجد ينفي هذا الأمر بشدة بقوله:

(٢٥) قلب الجزيرة العربية ـ للاستاذ فؤاد حمزة ص ٩٧.

(٢٦) انظر كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ١ ص ١٧ ـ ٢٨ وتاريخ نجد للشيخ حسين غنام ص ٢١٥.

«إن كل ما ألصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الإطلاق.

فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالاسلام الى عصر صحابة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وانما ينقصهم للوصول إلى أهدافهم المقدسة رجال متنورون مثقفون، وهم ويا للأسف قلائل في هذه الديار».[27]

وما دام الأمر كذلك فلن تكون هذه الدعوة امتدادا لدعوة الخوارج، الذين خلعوا طاعة الإمام الحق، وأعلنوا عصيانهم ، واستباحوا الحرمات. وعلماء الشريعة يسمونهم «البغاة».

واذا انتفى عن الدعوة كل ذلك، فلم يبق الا أنها دعوة صادقة للعودة الى دين الله، كما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

إنها دعوة تريد للناس، كل الناس في الأرض قاطبة،أن يعودوا الى التوحيد الخالص ، ونبذ صنوف الشرك وأعمال الجاهلية.

فليست هي دعوة محلية تختص بفئة دون فئة.

وليست دعوة وطنية تعمل لصالح وطن معين على حساب بقية الأوطان الأخرى، وإنما هي دعوة الإسلام،الدعوة العالمية ، الدعوة الشاملة العامة.

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب:

«مذهبنا فى أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف، التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم، خلافا لمن قال: طريقة الخلف أعلم.

«وهي أنا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى مع اعتقاد حقائقها، فإن مالكا،وهو من أجل علماء السلف ـ لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى:

---

(27) بين الديانات والحضارات ـ للأستاذ طه المدور ص ١٤٢.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[٢٨].

قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ونعتقد أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى، ولا يكون في ملكه الا ما أراد، فإن العبد لا يقدر على خلق أفعاله؛ بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا والعقاب عدلا.

ونحن في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم، لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة ونحوهم، لا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة: بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة.

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد يدعيه: الا أنا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة،أخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والأخوة، فإنا نقدم الجد بالارث وان خالفه مذهب الحنابلة.

ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه الا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة. ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق. وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة الاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه»[٢٩].

هذه خلاصة وافية مركزة للدعوة التي قامت على أرض نجد في القرن الثاني عشر الهجرى، ويتضح من هذا النص الذى طال بعض الشيء ، والذى تعمدنا أن يأتى على هذه الصورة. أن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وأتباعه كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين. فما مذهب أهل السنة والجماعة في اصول الدين.. ؟

---

(٢٨) سورة طه ـ آية رقم ٥.

(٢٩) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية : جمع الشيخ سليمان بن سحمان ص ٣٨.

إن مذهبهم هو التوحيد، التوحيد الذى هو إخلاص العبادة لله تعالى فى محبته وخوفه. فى رجائه ودعائه. فى الاستغاثة به والتوكل عليه.

وإخلاص العبادة لله: أن يكون الدعاء له تعالى كما في قوله:

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.(٣٠)

وقال تعالى:

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾.(٣١)

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾.(٣٢)

وقال تعالى

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ

(٣٠) سورة يونس ـ آية رقم ١٠٦.

(٣١) سورة الجن ـ آية رقم ١٨.

(٣٢) سورة الأحقاف ـ آية ٥ ، ٦.

أيهم أقرب ويرجون رحمته، ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴿٥٧﴾)(٣٣).

عن عبدالله بن مسعود قال: نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت هذه الآية.

والآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا، وذلك المدعو يبتغي الى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية.

وأن تكون الصلاة والنسك والمحيا والممات لله تعالى، قال تعالى:

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴿١٦٢﴾ لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿١٦٣﴾)(٣٤).

وأن تكون الشفاعة لله، وبإذنه، ومنه تطلب قال تعالى:

(قل لله الشفاعة جميعا)(٣٥).

وقال تعالى:

«ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴿٩٤﴾)(٣٦)

(٣٣) سورة الاسراء - آية رقم ٥٦، ٥٧

(٣٤) سورة الأنعام - اية رقم ١٦٢، ١٦٣.

(٣٥) سورة الزمر - آية رقم ٤٤

(٣٦) سورة الأنعام - آية رقم ٩٤

وطلب الشفاعة من غير الله تعالى في هذه الدار زعم بعدم تعلقها بالإذن من الله والرضا عن المشفوع له.

وقال تعالى :

﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾(٣٧).

وقال تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(٣٨).

وأنذر به هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم، حالة أن ليس من دونه ولي ينصرهم، ولا شفيع يخلصهم. ذلك أنه ما من شفيع يشفع عند الله الا باذنه وهو لا يشفع يومئذ ـ بعد الإذن ـ الا لمن ارتضى الله أن يتشفع عند الله فيهم.

فهؤلاء الذين تستشعر قلوبهم خوف ذلك اليوم الذى ليس فيه من دون الله ـ ولي ولا شفيع، أحق بالإنذار، وأسمع له، وأكثر انتفاعا به، لعلهم أن يتوقوا في حياتهم الدنيا ما يعرضهم لعذاب الله فى الآخرة. وأن يكون النذر لله تعالى لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه» رواه البخارى.

وأن يكون الحلف بالله تعالى لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذى فى النذور والنسائى فى الأيمان وابن ماجه في الكفارات .

ومذهب أهل السنة في الصفات:«أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه

---

(٣٧) سورة السجدة ـ آية رقم ٤

(٣٨) سورة الأنعام ـ آية رقم ٥١.

رسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم ـ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ومذهب السلف هذا، ليس مذهب الحنابلة فقط، أو الإمام ابن تيمية أو الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ؛ بل هو مذهب أئمة الإسلام قاطبة : الإمساك عن التأويل مطلقا مع نفي التشبيه.

فالأئمة: أبوحنيفة ، ومالك ، والشافعي، وأحمد بن حنبل ، ومحمد بن الحسن، وابراهيم ابن اسحاق الحربي، وعبدالله بن المبارك ، وسفيان الثوري ، ومحمد بن اسماعيل البخاري، والترمذي، وأبو داود السجستاني، وغيرهم كلهم كانوا على هذا المسلك.(٣٩)

ويقول الإمام عبدالعزيز الأول ابن الامام محمد بن سعود ـ رحمه الله: .. فنحن انما ندعو الى العمل بالقرآن العظيم والذكر الحكيم الذى فيه الكفاية لمن اعتبر وتدبر، وبعين بصيرته نظر وفكر.

فإنه حجة الله وعهده، ووعده ووعيده، وأمانه وقدره، ومن اتبعه عاملا بما فيه جد جده، وعلا مجده، وأنار رشده، وبان سعده، والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد فلا تقليد فيه ولا عناد.

ولا نكفر الا من أنكر أمرنا هذا ونهينا، فلم يحكم بما أنزل الله من التوحيد بل حكم بضده الذى هو الشرك الأكبر الذى لا يغفر.(٤٠)

إذن هذه الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب هى دعوة إلى القرآن.

هى دعوة إلى العمل بالقرآن العظيم. القرآن الذى يهدى للتي هى أقوم.

---

(٣٩) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للشيخ / نعمان خير الدين الألوسي ص ٢١٢.

(٤٠) الهدية السنية ص ١٢.

يهدى للتى هى أقوم بالعقيدة الواضحة البسيطة التى لا تعقيد فيها ولا غموض، والتى تحرر الروح من أثقال الوهم والخرافة.

يهدى للتي هى أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

فدعوة الإمام هي دعوة القرآن، القرآن الذى قال الله فيه.

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[41]

وقال تعالى:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[42]

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

وروى مالك في الموطأ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله».

وعن أبى الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك».[43]

---

(٤١) سورة النحل ـ آية رقم ٨٩.

(٤٢) سورة طه ـ آية رقم ١٢٣، ١٢٤.

(٤٣) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمة ١ ـ ٦، ورواه أحمد بن حنبل ٤ ـ ١٢٦.

ونستطيع بعد هذا العرض السريع أن نلخص أغراض الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب.

أولا : الدعوة إلى القرآن الكريم .
ثانيا : التزام السنة النبوية في كل ما تأتى وما تدع.
ثالثا : اتباع مذهب أهل السنة والجماعة.
رابعا: محاربة البدع وأنواع الشرك الذي يتمثل فى عبادة القبور والاستغاثة بغير الله تعالى، وإنقاذ الناس من أساليب الجاهلية الأولى التى أخذت تتفشى فى المجتمع الإسلامى من بداية القرن الثامن الهجرى، وشجب أنواع التصوف الفلسفى وترهات الدراويش، والمشعوذين، وسدنة القبور .

يقول لوثروب ستودارد: والدعوة الوهابية انما هي دعوة اصلاحية خالصة غرضها إصلاح الخرق، ونسخ الشبهات ، وإبطال الأوهام، وتقصي التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى، ودحض البدع وعبادة الأولياء». (٤٤)

أليس هذا هو الاسلام فى حقيقته كما جاء به الوحي المقدس كتابا وسنة..؟
واذا كان ذلك كذلك. فماذا يأخذ عليه المبطلون..؟
أيقولون : بأنه صاحب بدعة.. ؟

إن صاحب الدعوة ـ رحمه الله ـ لم يبتدع شيئا. لأنه خصم لدود للبدعة. ولم يضف جديدا لما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يستطيع ذلك اذا أراده ، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يترك الدنيا حتى كمل الدين ، وتمت النعمة.

---

(٤٤) كتاب حاضر العالم الاسلامى جـ ١ ص ٢٦٤.

قال تعالى :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤٥].

يقول أحد المفكرين: «إن ما جاء به محمد بن عبدالوهاب هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصا لله وحده، ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس، هو إحياء للإسلام وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط»[٤٦].

ويقول المستشرق البلجيكى «دوزى»:

ان «لوثر» المصلح «البروتستانتى» ثار على السفاسف التي أدخلت على دينه، والوهابى محمد بن عبدالوهاب ثار ايضا نفس الثورة على البدع التى أدخلت على دينه»[٤٧]

وقال العالم الأزهرى الكبير الشيخ «أبوالهدى الصعيدى» عام ١٨١٥م بعد أن انتهى من مناظرة قامت بينه وبين بعض علماء الوهابين بأمر محمد علي والي مصر فى ذلك الحين:

«اذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن ايضا وهابيون»[٤٨].

نطق هذا العالم بكلمة الحق. ولم يخش بطش الوالي المتسلط الذى كسم الأفواه وسلط على أتباع هذه الدعوة جنوده وفتكه وناره: لأن قوة هذا الوالى مبتوتة الصلة عن القوة العليا قوة الله سبحانه وتعالى، فهى لا تخيف ولا ترهب.

---

(٤٥) سورة المائدة ـ آية رقم ٢.

(٤٦) من محاضرة عن جزيرة العرب للدكتور طه حسين.

(٤٧) بين الديانات والحضارات للأستاذ طه المدور ص ١٤٢.

(٤٨) المصدر السابق.

وأيضا فان هذا العالم تأدب بأدب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وتربى في رحاب سنته التي ترى:

«أن أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر»[٤٩].

وكأن الوجود كله قد أخذ يردد في تلك اللحظة كلمة هذا الشيخ المؤمن لصادق الإيمان.

اذا كانت الوهابية ـ كما سمعنا . دعوة للإسلام، دعوة للتوحيد الخالص. ثورة على الشرك والوثنية، وإعصاراعلى الضلال والبهتان ، فكلنا مسلمون،كلنا مؤمنون، كلنا خلف دعوة محمد بن عبدالوهاب . التي هي دعوة الإسلام ، دعوة محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم.

ونقول: اذا كان ذلك كذلك.. فلماذا قامت الدنيا ولم تقعد ؟ ولماذا تقولوا على الدعوة الأقاويل ؟ ورموا صاحبها بالمروق عن الإسلام.. ؟ وأعلنت الحرب الضروس التي لا تبقي ولا تذر.. ؟

للإجابة على ذلك: علينا أن نقطع شوطا اخر فى البحث.

(٤٩) الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم ١٧ والترمذى في الفتن ١٣، والنسائى في البيعة ٣٧، وابن ماجة في الفتن ٢٠، وأحمد بن حنبل ٣: ١٩.

# الشبهات والافتراءات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

قل أن نجد عالما ممن سبق الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو ممن لحقوا به، كانت له مقالة في أصول الدين، اتفق الناس على رأى واحد فيه، بل قل أن نجد عالما كان ذا مكانة في عصره تقاربت آراء الناس في علمه وفضله وعقيدته.

وكثيرا ما نجد القائلين في هؤلاء الأعلام علي طرفي نقيض: فبينما يعد بعضهم العالم في أولياء الله المقربين. يصفه آخرون بأنه من أعداء الله المبعدين عن رحمته.

ولا شك أن الخلاف بين الفرق في الرأى، وبين الطوائف في السياسة،وبين اصحاب المذاهب الفقهية في الفروع، كان له آثار بعيدة المدى في الحكم على الموافق والمخالف، إلا من عصم الله من الشرود مع الهوى، والخضوع للعصبية المقيتة.

ومن هنا وجدنا الأحكام على علمائنا مختلفة أشد الاختلاف: بل متباينة أشد التباين، ومؤسفة أشد الأسف.

فابن جرير الطبرى مثلا: يقال فيه. من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل فليسمع هذا الكتاب ـ يعني كتابه في التفسير.

ويقال: كان أبوجعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة... ولكن بعض الطوائف في بغداد لما حضروا مجلسه، وسمعوا منه بعض ما حدث به وثبوا ورموه بمحابرهم، وكانت ألوفا،فقام ودخل داره، فرموا داره بالحجارة، حتى صار على بابه كالتل العظيم.

ويقال: إنه دفن بليل خوفا من العامة ، لأنه كان يتهم بالتشيع[٥٠]

وأبوبكر الباقلاني صاحب كتاب «إعجاز القرآن» في رأى ابن خلكان «أوحد زمانه، وانتهت اليه الرياسة في مذهبه، فكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب».

وفيه يقول الخطيب البغدادي:كان الباقلاني ثقة، وأما الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطرا، وأجودهم لسانا، وأصحهم عبارة.

ويقول ابن تيمية في حقه:
«هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعرى، ليس فيهم مثله، لا قبله ولا بعده».

ويصفه أبوحاتم الطبرى فيقول: إن ما كان يضمره من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يظهره.

ولكن هذا الإمام الزاهد الورع عند ابن حزم الظاهرى مظلم الجهالة من أهل الضلالة ، كافر ، أصلع الكفر، مشرك يقدح في النبوات، ملحد خبيث ملعون فاسق، أحمق، يكيد للإسلام ويستخف به.

وكل ذنبه عند ابن حزم أنه قال في داود الظاهرى :
«أنه خالف الاجماع في قوله بابطال القياس.

والباقلاني: عند أبى حيان التوحيدى: على مذهب الخرمية، وطرائق الملحدة. وعند أبى حامد الإسفراييني: مبتدع يدعو الناس الى الضلالة.

وابن تيمية عند جماعة المسلمين شيخ الإسلام وإمام المسلمين في عصره،قامع الكفر والردة، وهازم التتار والصليبية، وكاشف فضائح الباطنية وكل المذاهب الهدامة، والمدافع عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم.

---

(٥٠) الفخر الرازى د. على العمارى .

وعند النبهاني وأتباعه: مجسم، مشبه، شق العصا، وشوش عقائد المسلمين بسبب ما اختاره من عدم جواز دعاء غير الله والالتجاء الى ما سواه، وأن الله لم يبارك في كتبه فلم ينتفع بها أحد من المسلمين، وأن العلماء اتفقوا على حبسه الحبس الطويل.

وهكذا قال ايضا ابن حجر في الجوهر المنتظم وفي فتاواه، وقاله السبكى في بعض كتبه.[٥١]

والفخر الرازى يقول عنه موفق الدين، أبوالعباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى، الخزرجى المشهور بابن أبى أصيبعة في كتابه عيون الأنباء بأخبار الأطباء:

«أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المحدثين قد شاعت سيادته، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته. كان الناس يقصدونه من البلاد، ويهاجرون من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون به، فكان كل منهم يجد عنده النهاية القصوى فيما يرومه منه. قوى النظر فى صناعة الطب، وله شعر بالفارسي والعربي».

وابن خلكان من المعجبين بالرازى،ومن قوله فيه:
«فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، وعلوم الأوائل،وتصانيفه مفيدة في فنون عديدة، منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة».

والإمام الذهبي يقول عنه في ميزان الاعتدال:
«له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة. نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا».[٥٢].

(٥١) غاية الأماني في الرد على النبهاني : محمود شكرى الألوسي ص ٤١.
(٥٢) ميزان الاعتدال : للامام الذهبي.

والامام الذهبي محق فيا ذهب اليه ؛ لأن الإمام أحمد بن حنبل أنكر على المحاسبى أن يورد شبه المبتدعة.

فقال له الحارث المحاسبي: الرد على المبتدعة فرض.

فقال أحمد: نعم. ولكنك حكيت شبهتهم أولا ثم أجبت عنها، فلم يؤمن أن يطالع الشبهة من تعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب، أو ينظر الى الجواب ولا يفهم حقيقته.

فابن حنبل ينكر على المحاسبى مجرد حكايته للشبهة، فما بالنا بمن يقررها ويبالغ فى تقريرها..؟[٥٣].

لا غرو أن جرت على الإمام محمد بن عبدالوهاب هذه السنة التي عرفها الناس منذ نشأ الجدل والمناظرة والاختلاف فى المذاهب والعقائد.

واذا كان ذلك كذلك فإنه يطيب لنا أن نقدم بين يدى القارئ مجموعة الشبهات والادعاءات التي أثارها الأعداء والحاقدون على دعوة الشيخ،لنبين ما في هذه الشبهات من تهافت وانحراف عن الطريق السليم الذى سلكه هؤلاء الأدعياء.

١ ـ شبهة ادعاء النبوة:

يقول الزهاوى العراقي: وكان محمد هذا بادئ بدأته كما ذكره بعض المؤلفين ، مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا، كمسيلمة الكذاب، وسجاح، والأسود العنسى ، وطليحة الأسدى وأضرابهم ، فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة الا أنه لم يتمكن من إظهارها[٥٤].

(٥٣) الفخر الرازى : للدكتور علي محمد حسن العماری.

(٥٤) الضياء الشارق ص ٢٥ ـ ونحب أن نقول إن أخبار مسيلمة وسجاح وغيرهم وما حل بهم من غضب الله لا يشجع أحدا على الاقتداء بهم أو التمثل بأباطيلهم وكل ذلك كذب وادعاء على الشيخ.

ويردد غير الزهاوى قولته بقوله:

«لقد كان الرجل في الحقيقة يريد أن يدعي النبوة الا أنه تستر»

ويأخذ الشيخ «أحمد زينى دحلان» هذا الاتهام نفسه ويضعه في كتاب له بقوله:

«والظاهر من حال محمد بن عبدالوهاب أنه يدعي النبوة الا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك»[٥٥].

ويقول علوى بن أحمد الحداد في كتابه (مصباح الأنام وجلاء الظلام) «من ذلك أنه يدعي باطنا أنه أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله، ولذلك لم يقبل من دين نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا القرآن، فإنه قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره،فينكشفوا عنه بدليل أنه هو وأتباعه انما يؤولون بحسب ما يوافق هواهم لا بحسب مافسره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير؛ فانه لا يقول بذلك كما أنه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم... الخ»[٥٦].

والمتفحص لهذه الادعاءات والمفتريات يرى اتفاقها جميعا،على أن ادعاء النبوة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان إضماراً في داخله، ولم يصرح به لأحد مطلقا.

هذا هو المفهوم من كلامهم. ولا يمكن أن يفهم غير ذلك.

ونقول: اذا كان ذلك كذلك وأن الشيخ أضمر النبوة في نفسه ، ولم يتمكن ـ كما يقول الأدعياء ـ من اظهارها. فمن أطلعهم على هذا الشئ المضمر... ؟ هل أوحى الله اليهم بما في سرائر العباد..؟ فإن قالوا نعم، فهم الأدعياء حقا. وتكون قولتهم هذه امتدادا لما قاله مسيلمة وسجاح وكل المردة أتباع الشياطين.

---

(٥٥) الدرر السنية ص ٤٦.

(٥٦) الأسنة الحداد في رد شبهات علوى الحداد ص ٢٠.

وإذا لم تكن هذه. أتراهم اطلعوا على الغيب وقرأوا ما فى اللوح المحفوظ كما كان يدعي بعضهم، فإن كان هذا هو حالهم. خرجوا عن ملة الإسلام وألحقوا بإخوانهم فى الجاهلية من الكهان وأدعياء البهتان لأن الغيب لا يعلمه إلا الله .

قال تعالى.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾(٥٧).

فلم يبق إلا الاحتمال الثالث. وهو أن هؤلاء الأدعياء من أصحاب الهوى والغرض، ومن أتباع الضلال والمنكر. يعشقون الظلام الذى يستر سوآتهم ـ ظلام الكفر والفسوق والعصيان، وينفرون من النور ـ نور الإيمان والإحسان ـ الذى يكشف مباذلهم، ويظهر إسفافهم وصدق ربى فى قوله:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾(٥٨)

والقارئ لرسائل الشيخ ومصنفاته وما عرف واشتهر من أمر دعوته يعلم أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله، وتعرف جلاله، والإلزام بكل ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته الى السويدى، عالم من أهل العراق، وكان قد أرسل له كتابا وسأله عما يقول الناس فيه:

«أخبرك أني ولله الحمد ـ متبع ولست بمبتدع عقيدتى ودينى الذى أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة، الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى

---

(٥٧) سورة الجن ـ آية رقم ٢٦.

(٥٨) سورة الصف ـ آية رقم ٨ .

يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذى لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل،وهو الذى دعت اليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذى عليه أهل السنة والجماعة»(٥٩).

واذا كان ذلك كذلك. فلماذا هذه الادعاءات... ؟

ونقول: إنه الحسد، نعم الحسد الذى يملأ قلوب هؤلاء الأدعياء، فهو كامن في نفوسهم، ومستقر بين أفئدتهم وإذا تمكن من إنسان أعماه، وأصم أذنيه عن سماع الحق.

وهل منع ابليسْ من السجود لآدم إلا داء الحسد .. ؟! وهو أيضا الداء الذى منع اليهود من الإيمان بعيسى عليه السلام. ومنع أبا جهل من الاستجابة لدعاء الإسلام...

وملأ قلب عبدالله بن أبى سلول بالغيظ والحقد على محمد ـ صلى الله عليه وسلم وأتباعه، ولقد كشف القرآن الكريم نفاقه ومن كان معه بقوله:

(إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾)(٦٠).

وكأن التاريخ يعيد نفسه، فلقد كشف الله أعداء الدعوة ورد كيدهم فى نحورهم.

## ٢ ـ شبهة ادعاء الاجتهاد المطلق:

يتضح من استقراء الحوادث في عصر الشيخ أن أحدا لم يستمع للأدعياء عندما قالوا: إن محمد بن عبدالوهاب يدعى النبوة أو جاء بدين جديد فانصرفوا عن ذلك وقالوا: بأن محمد بن عبدالوهاب يدعى الاجتهاد المطلق.

(٥٩) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٥٩.

(٦٠) سورة المنافقين ـ آية رقم ١.

ويقول النبهاني في رسالته التي سماها (السهام الصائبة) لأصحاب الدعاوى الكاذبة: «إن دعوى الاجتهاد في هذا الزمان ـ منهم ومن غيرهم مهما كان عالماـهي دعوى كاذبة لا يلتفت اليها ولا يعول عليها وقال: «لقد ذكرت في كتابى (حجة الله على العالمين) الرد على من يدعى الاجتهاد في هذا الزمان[٦١]».

ونقول: اختلف الاصوليون:هل يجوز خلو الزمان من مجتهد أم لا..؟ فمنهم من قال: يجوز بل يقع..

ومنهم من قال: لا يجوز استدلالا بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله».[٦٢].

يقول ابن القيم[٦٣] رحمه الله:

«إن المقلدين حكموا على الله قدرا وشرعا بالحكم الباطل جهارا، المخالف لما أخبر به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، فأخلوا الأرض من القائمين لله بحججه.

وقالوا: لم يبق في الأرض عالم منذ الأعصار المتقدمة، وعند هؤلاء أن الأرض لم يبق فيها من يتكلم بالعلم ، ولم يحل لأحد بعد أن ينظر في كتاب الله، ولا سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأخذ الأحكام منها ، ولا يقضي ولا يفتي بما فيها، حتى يعرضه على قول مقلده، ومتبوعه، فإن وافقه حكم به وأفتى به، وإلا رده ولم يقبله.

ويقال لهم: هب أنكم لم تصلوا الى هذا العنقود فلم تنكرونْ على من وصل اليه مذاق حلاوته.. ؟

وكيف تحجرتم الواسع من فضل الله الذى ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم.. ؟

---

(٦١) غاية الأماني ص ٥٩ .

(٦٢) سبق تخريج هذا الحديث ص ٢٦.

(٦٣) أعلام الموقعين لابن القيم.

وهم وان كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء من عباده، وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة: بأن الله صرفها عن عظماء القرى وعن رؤسائها وأعطاها لمن ليس كذلك بقوله:

« أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ »(٦٤).

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم:

«مثل أمتى كالمطر، لا يدرى أوله خير أم آخره».(٦٥).

وقد أخبر سبحانه أنه: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ».(٦٦)

وقال : «وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ »(٦٧).

ثم أخبر أن ( ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ )(٦٨).

واذا كان ذلك كذلك فهل ادعى الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاجتهاد المطلق كما يقول هؤلاء الأدعياء ؟

---

(٦٤) سورة الزخرف - آية رقم ٣٢.

(٦٥) الحديث رواه الترمذى فى الأدب رقم ٩١ بزيادة مثل المطر.

(٦٦) الجمعة - آية رقم ٢

(٦٧) الجمعة - آية رقم ٣

(٦٨) الجمعة - آية رقم ٤.

يقول أبوالمعالي محمود شكرى الألوسى:

«إن نسبة دعوى الاجتهاد إلى الوهابية ـ وهم على زعمه من كان موافقا للشيخ محمد ابن عبدالوهاب فى الاعتقاد ـ افتراء وكذب وبهتان عليهم. فإن أهل نجد كلهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ مقلدون له في فروع الأحكام، وموافقون له في أصول الدين وعقائده»[٦٩].

ويقول الإمام محمد بن عبدالوهاب:

«ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها ، الا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به، وتركنا المذهب،كإرث الجد والأخوة فإنا نقدم الجد بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة»[٧٠]

أعتقد أن قول الإمام قد قطع الطريق أمام كل مكابر بالباطل لهوى في نفسه أو مرض فى قلبه..

واذا كان اختلاق الدعاوى الكاذبة لا يجدى هؤلاء الأدعياء فتيلا. فلماذا تقولون لقد قالوا: بأنه يدعي النبوة،وعرف القاصي والداني في كل مصر أنها دعوى باطلة ولدت ميتة ، ولم تجد آذانا صاغية تستمع اليها أو تصدق بها. وقالوا : بأن هذه الجماعة وصاحبها يدعون الاجتهاد المطلق، فرد الله كيدهم في نحورهم، ولم يكن نصيب هذه الدعوى من الحياة والانتشار بأكثر من نصيب الأولى التي قبرت فى مهدها.

فماذا يفعل الأدعياء: إنه لا زال فى جعبتهم الكثير وقائدهم إبليس يزور لهم القول ويحسن لهم الإفك.. ويدفعهم دفعا الى سوق الضلال. فماذا تراهم قائلون.. ؟ لقد قالوا إنهم من الخوارج..

---

(٦٩) غاية الأمانى ص ٦٠.

(٧٠) الهدية السنية ص ٣٩.

## ٣ ـ شبهة ادعاء أنهم من الخوارج:

يقول الزهاوى: قد أخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هؤلاء الخـوارج في أحاديث كثيرة، فكانت من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام، لأن فيها إخبارا بالغيب. فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: «الفتنة من هنا وأشار الى المشرق». وقوله صلى الله عليه وسلم: «يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه» يعنى موضع الوتر« سيماهم التحليق» وفي رواية زيادة على ذلك. «هم شر الخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شئ».

وقوله عليه السلام: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا،قالوا يا رسول الله وفي نجدنا.. ؟ قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان».

وقوله صلى الله عليه وسلم «سيماهم التحليق» تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبدالوهاب فيما ابتدعه».(٧١).

ويقول ابن دحلان في كتابه «فتنة الوهابية»:

«وكثير من أحاديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها التصريح بهذه الفتنة. كقوله صلى الله عليه وسلم: «يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق».

وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها في صحيح البخارى، وبعضها في غيره، ولا حاجة لنا إلى الإطالة بنقل الروايات.

ففي قوله سيماهم التحليق تصريح بهذه الطائفة ، لأنهم كانوا يأمـرون كل من اتبعهم أن يحلق رأسه، ولم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء.

(٧١) راجع الضياء الشارق ص ٤٨ .

وكان السيد عبدالرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول: لا حاجة الى التأليف في الرد على الوهابية: بل يكفي في الرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم: «سيماهم التحليق». فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم، واتفق مرة أن امرأة أقامت الحجة على ابن عبدالوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت.

[عندها] أمرها أن تحلق رأسها.

فقالت له: «حيث أنك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغى لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته، لأن شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته.

فلم يجد لها جوابا».(٧٢).

ونقول : إن الأدعياء كادت جعبتهم تفرغ من الافتراءات والأكاذيب الباطلة، وإلا لما أقدموا على هذه الأكذوبة الباردة التي لا تستحق ثمن المداد الذى سطرت به.

وهي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على أن شياطينهم أخذوا في التخلي عنهم ، فلفهم ظلام شامل طمس على قلوبهم ، وأعمى أبصارهم وتركهم فى داجية لا بصيص فيها من نور.

ونحب أن نوضح أن ما ورد من الأحاديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذكر الخوارج وكونهم من نجد ومن المشرق،كله حق وصدق لا مراء في ذلك ولا ينكره إلا خارج عن رحاب الإسلام.

وهناك اتفاق يكاد يكون شاملا بين كثير من العلماء العاملين أن المراد بنجد: هو العراق كما قاله الحافظ في الفتح.

وفي الحديث إشارة إلى شدة كفر المجوس، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب

(٧٢) فتنة الوهابية . تأليف : أحمد بن زينى دحلان مفتي مكة ص ٧٦.

كانت من جهة الشرق بالنسبة إلى المدينة، ولقد كانوا في غاية القوة والتكبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد استمرت الفتن من قبل المشرق فترة طويلة من تاريخ المسلمين . ولقد قال الرسول عليه السلام: هل ترون ما أرى.. ؟ قالوا: لا. قال: فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر الواقع».

وإنما اختصت المدينة بذلك، لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك.

فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان.

والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين.

وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شي تولد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم.

وأول ما نشأ ذلك من العراق، وهي من جهة المشرق.

وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها.

وأصل النجد: ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور، فإنه ما الخفض منها، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة.

وقال الحافظ ـ أيضا ـ في الفتح في أخر كتاب التوحيد تحت قوله ـ صلى الله عليه وسلم : «يخرج ناس من قبل المشرق».

تقدم في كتاب الفتن: أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم، وكان ابتداء خروجهم في العراق، وهي من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة المشرفة.

وأخرج البخارى عن بشر بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في الخوارج شيئا..؟ قال: سمعته يقول: - وأهوى بيده قبل العراق - يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية». فتبين أن المراد بنجد العراق.

وأما قول الأهدل: يكفي في التصنيف والرد على النجدى الحديث الصحيح في البخارى قرن العلامتين سيماهم التخليق وأنهم من المشرق... الخ.

فنقول: إن التحليق من علامات الخوارج . وكانت هذه صفة الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي - رضي الله عنه - من العراق ونواحيه.

يقول صاحب كتاب (الأسنة الحداد): «وأما أهل اليامة فليس التحليق واقعا على جميعهم : بل الغالب عليهم تسريح شعورهم كما كان ذلك واقعا من الصحابة - رضوان الله عليهم - في المدينة المنورة وغيرها، منهم من يحلق ومنهم مَن يسرح شعره.

قال ابن عبدالبر: قد أجمع العلماء في جميع الأمصار على إباحة الحلق فلم تجتمع فيهم الخصلتان المذكورتان فتبين جهل الأهدل».(٧٣)

أما عن قصة المرأة التي طلب منها أن تقص شعرها فهي قصة موضوعة ليس لها من الصدق أدنى نصيب، ووقائع الأحداث تنفى ذلك نفيا تاما، لأنه من غير المعقول أن يصدر مثل هذا الهراء عن الشيخ الإمام، وصدق ربي في قوله:

«كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾»(٧٤).

إن المرأة الوحيدة التي تذكرها الأحداث في حياة الإمام هي تلك المرأة التى جاءته من

(٧٣) الأسنة الحداد ص ٨٥.

(٧٤) سورة الكهف - آية رقم ٥ .

أهل العيينة وأقرت على نفسها بالزنا، وتكرر ذلك منها أربعا،فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت الى الاقرار مرارا.

فسأل الامام عن عقلها فأخبر بتمامه وصحته،فأمهلها أياما رجاء أن ترجع عن الاقرار الى الانكار فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك ، فأقرت أربع مرات فى أيام متواليات فأمر الشيخ ـ رحمه الله ـ الوالي برجمها لأنها محصنه بأن تشد عليها ثيابها، وترجم بالحجارة على الوجه المشروع ، فخرج الوالى عثمان بن معمر وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان نفسه، فلما ماتت أمر الشيخ أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها».[٧٥].

واذا كان ذلك كذلك فلماذا يتقول الأدعياء الزور والبهتان.. ؟
أيريدون طمس الحقائق وإطفاء نور الشمس..؟
وهل ذلك في مقدورهم إن أرادوه.. ؟
أم يريدون إبطال الحق والقضاء على الدعوة.. ؟

معاذ الله أن يتم ذلك استنادا الى وعد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله:
( وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ).[٧٦].

وقوله تعالى :
( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ )[٧٧]

إن محاولة الأعداء تأويل النصوص وتفسير أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالهوى والغرض هو فسوق عن الإسلام يردى صاحبه الى النار.

(٧٥) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ٧٩، ٨٠.
(٧٦) سورة الحج ـ أية رقم ٤٠ .
(٧٧) سورة الأنبياء ـ أية رقم ١٠٥

وادعاء مشايخ السوء أن أحاديث الخوارج التي أدلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ تنطبق على جماعة الإمام محمد بن عبدالوهاب، هو نوع من التضليل الرخيص.

وأفانين من الإفك الكبير. وجهل مركب بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وبحقائق التاريخ.

## ٤ ـ شبهة اتهام الشيخ أنه يكفر الناس :

ومن الاتهامات التي يتهم بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه أنهم يكفرون جميع أهل القبلة، ويستبيحون قتل المسلمين، وقد ردد هذا الاتهام في أوقات مختلفة.

قال ابن عابدين الشامي في حاشيته (رد المختار).

«كما وقع في زماننا في أتباع عبدالوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة،لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم .. الخ[٧٨]

ويقول ابن دحلان: «وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها وقاتلها على ذلك جملة الا من وافقه على قوله.

ويقول: وكانت شوكتهم وقوتهم في بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق مالا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم».[٧٩]

ويقول محمد بن على الشوكاني: «ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلا تحت دولة صاحب نجد وممتثلا لأوامره خارج عن الإسلام. وتبلغ عنهم أشياء الله أعلم بصحتها».[٨٠]

---

(٧٨) رد المختار جـ ٣ ص ٣٠٩.

(٧٩) فتنة الوهابية ص ٦٦.

(٨٠) البدر الطالع جـ ٢ ص ٥. قال ذلك الشوكاني قبل أن يتضح له حقيقة الدعوة ولكن بعد.. صار من أنصارها والمدافعين عنها.

إن هذا الادعاء لا يقل تهافتا وبعدا عن الحق ممن سبقه من الادعاءات الكثيرة الباطلة.. فهل يتصور أن محمد بن عبدالوهاب صاحب كتاب التوحيد يكفر من يؤمن بتوحيد الألوهية والربوبية.. ؟ ويكفر من يخلص العبادة لله.. ؟

محال أن يكون ذلك كذلك.. وهو نفسه يعلن ذلك وينفي هذه التهمة الباطلة التي يروجها عنه الأعداء بغية تنفير الناس عنه. حتى تبقى لهم مكانتهم وقوتهم باعتبارهم سدنة للقبور. وحجاب الأقطاب الذين يتصرفون في الكون من دون الله،قاتلهم الله أنى يؤفكون.

يقول الشيخ: «واذا كنا لا نكفر من عبدالصنم على قبة عبدالقادر والصنم على قبر أحمد البدوى وأمثالها لأجل جهلهم وعدم من ينبههم،فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر الينا ولم يكفر.. ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم..»[٨١].

إن الشيخ كان يكفر من أهل اليمامة هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في النخلة القائمة عندهم أن لها قدرة عجيبة من قصدها من العرائس تزوجت لعامها.

ويكفر هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في الغار القائم في الدرعية، ويحجون اليه للتبرك كما يحج المسلمون للكعبة المكرمة.

ويكفر من أهل مصر هؤلاء الذين كانوا يعتقدون فى شجرة الحنفي، ونعل الكلشني، وبوابة المتولي. ويكفر كل من اعتقد في شجر أو حجر ، وتوجه اليه بنوع من أنواع العبادة.

وأمثال هؤلاء الذين كفرهم الشيخ كفرهم القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه

(٨١) روضة الأفكار للشيخ حسين بن غنام.

وسلم.ونقول: من ينكر أن هؤلاء بالتجائهم لغير الله تعالى خرجوا عن الاسلام ؟ وانسلخوا من الدين باتباعهم الجبت والطاغوت وسؤالهما النفع والضر.. ؟

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وهي كلمة التوحيد، وحق الله على العبيد، فمن أشرك مخلوقا فيها من ملك مقرب، أو نبي مرسل أو ولي، أو صحابي، وغيره أو صاحب قبر أو جني أو غيره، أو استغاث به أو استعان به فيما لا يطلب الا من الله، أو نذر له، أو ذبح له، أو توكل عليه، أو رجاه، أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة، أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته، أو لجلب نفع أو كشف ضر ـ فقد كفر كفر عباد الأصنام القائلين:

( مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ )(٨٢) القائلين: ( هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ )(٨٣).

كما ذكر الله عنهم في كتابه وهم مخلدون في النار وان صلوا وصاموا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار كما قال تعالى:

( إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ )(٨٤).

## ٥ ـ شبهة كراهة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

ان الحاقدين والضالين عن طريق الحق، يعلمون مدى حب الأمة الإسلامية لرسولها ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأرادوا بتلك الفرية الجديدة أن يوغروا قلوب المسلمين، وأن ينفروا الأتباع من السير في دعوة التوحيد،فاختلقوا هذا الضلال المبين الذى لا يقدم عليه الا من كان أسود القلب ضال البصيرة. يبغى محاربة الله ورسوله والصد عن دينه.

يقول صاحب كتاب «مصباح الأنام وجلاء الظلام» المدعو علوى الحداد: «من

(٨٢) سورة الزمر ـ آية رقم ٣ .

(٨٣) سورة يونس ـ آية رقم ١٨

(٨٤) سورة البينة ـ آية رقم ٦

ذلك ـ يعني محمد بن عبدالوهاب ـ أنه كان ينتقص النبي ـ صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة، منها قوله:

«أنه طارش» بمعنى أن غاية أمره أنه كالطارش الذى يرسل إلى أناس في أمر فيبلغهم إياه ثم ينصرف.

ومنها قوله: إني نظرت في قصة الحدُيبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا. على أن أتباعه يفعلون ذلك أيضا ويعلم بذلك ويظهر عليه الرضا به،وكان بعضهم يقول:

«عصاى خير من محمد لأنها ينتفع بها بقتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا».(٨٥) قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ويتابع هذا الدعي كلامه بقوله: «وبهذا يكفر عند المذاهب الأربعة»

ويقول ابن دحلان في كتابه فتنة الوهابية: «وكانوا ـ يقصد أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ يمنعون من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على المنابر بعد الآذان حتى أن رجلا صالحا كان أعمى وكان مؤذنا وصلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد الآذان بعد أن كان المنع،فأتوا به إلى ابن عبدالوهاب فأمر به أن يقتل فقتل»(٨٦).

ونقول: إن مما تتأسى به النفس ويتصبر به القلب أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب له أسوة وقدوة بكل من سبقه من الدعاة إلى الله ـ فلابد أن يصيبه ما أصابهم،ونحن نعلم ما حدث للإمام مالك من أذى ومن تعذيب.

وما تحمله الإمام أبوحنيفة من جلد وسجن وتغريب

وكيف صب العذاب صبا على أحمد بن حنبل وقضى في السجن بضع سنين،ووقفت الدولة له بالمرصاد،فوقف لها وما خضع أو تهاون.

---

(٨٥) راجع الأسنة الحداد فى رد شبهات علوى الحداد ص ١٦ .

(٨٦) فتنة الوهابية: لابن دحلان ص ٧٦.

ومن قبل هؤلاء سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب، وكثير غيرهم تقولـوا عليهـم الأقاويل، وافتروا عليهم بالزور والبهتان. حتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يسلموا من التقول عليهم.

فيوسف عليه السلام يتهم بأبشع التهم ويلقى به في السجن.
وعيسى عليه السلام قالوا عليه وعلى أمه الإفك والبهتان.
وموسى عليه السلام اتهموه بالسحر والشعوذة.
وسليمان عليه السلام قالوا عنه: أنه غـرر بقائد جيشه ليظفر بزوجته.

وداود ولوط وبقية الأنبياء والمرسلين . حتى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان لديهم الصادق الأمين الوفى المخلص قبل بعثته.. حتى اذا جاءهم بالحق وصدح به.

قالوا : بأنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه ، وبين المرء وأخيه.
وقالوا: بأنه مجنون.

حتى الله سبحانه وتعالى: قالوا: بأنه اثنان مرة، وثلاثة أخرى، واتهموه بالصاحبة والولد. وغير ذلك من الضلال والبهتان».[٨٧]

حتى كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

الرجل الذى جاء يدعو المسلمين بالعودة الى القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تقولوا عليه: بأنه يكره الصلاة على الرسول الكريم. إنه الإفك بعينه والادعاء الذى لا يقف على قدمين.

الرجل الذى يلتزم بكل جزئية من جزئيات القرآن الكريم وبكل حرف وبكل كلمة يقولون عليه : يكره الصلاة على النبي.. !

أنسي هؤلاء أن الصلاة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي أمر من الله تعالى لنا قبل أن تكون من الرسول.. !

---

(٨٧) نحب أن نقول : ان أكثر الاتهامات التي اتهم بها الأنبياء زورا وبهتانا هي أقوال اسرائيلية وكذب واباطيل،ولقد ذكر ابن حزم في كتابه الفصل الكثير من هذه الأشياء وأبطلها.

إن الله سبحانه وتعالى يقول:

«إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾»[٨٨].

ولا يستطيع مسلم أن ينكر ما جاء به القرآن أو وردت به السنة.

وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة العلى وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم.

إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم الى تسليمه، أما الذى كرهه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونهى عنه، فهو الجهر بالصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد الآذان، وعلى المنابر يوم الجمعة،فهو بدعة محدثة.

فقد ذكر السيوطى في كتاب: الرسائل إلى معرفة الأوائل:

«إن أول ما أحدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد الستمائة في زمن الناصر بن قلاوون».

فهذه بدعة محدثة، وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الأحاديث الصحيحة فإن ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعين. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وفي لفظ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٨٩].

يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الرد على ذلك :

«جوابنا في كل مسألة من ذلك».

---

(٨٨) سورة الأحزاب ـ آية رقم ٥٦.

(٨٩) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة والبخارى ومسلم.

﴿ سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾[٩٠]

فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى، ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين، تنفيرا للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذى نص عليه بأن الله لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

ثم يقول:

«والذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء للنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه وتسن زيارته، إلا انه لايشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه، واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس. ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه الصلاة والسلام الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين ، وكفى همه وغمه كما جاء فى الحديث عنه»[٩١].

ماذا يقول الأدعياء في هذه النصوص الجلية الواضحة التي لا تحتاج الى بيان .. ؟

إن الشيخ يطالب المسلمين أن يدخروا نفيس أوقاتهم في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم،ويعتبر أن ذلك العمل من خير ما يقدمه المسلم في حياته،واذا ما داوم عليه فاز بحسن العمل في الدنيا، وبثواب كبير في الآخرة،وهي الجنان التي أعدت للمتقين.

ويقرر الشيخ أن الصلاة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفرج كربه وتزيل همه وتبعد غمه. وكيف لا يكون كذلك والله سبحانه وتعالى يبادل عبده الصلاة على

(٩٠) سورة النور ـ آية رقم ١٦.

(٩١) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٤١.

رسوله الواحدة بعشر. كما جاء في حديث الرسول ـ صلى الله عليه الذى رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا»[٩٢]

هذا أولا وأما قولهم: بأنه قال: وجدت فى صلح الحديبية كذا كذبة.. فهـذا قول مفترى لا يقوله مسلم فضلا عن داعية عرف ربه فآمن به وصدق بكل ما جاء به رسوله وأخذ يدعو الناس على بصيرة وأصبح مُنهجه وسلوكه فى حياته قول الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[٩٣].

إن صلح الحديبية احدى العلامات المشرقة في تاريخ المسلمين،وبرهان صادق لنبوة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم. صلح باركه الله تعالى من فوق عرشه. وكانت يده فوق أيدى هؤلاء المؤمنين الذين استجابوا لأمر الله تعالى وأمر رسوله.

وكانت فتحا للمسلمين. دخل الناس بعده في دين الله أفواجا.

قال تعالى مصورا حال المؤمنين من حول رسوله في تلك البيعة:

« لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ »[٩٤]

---

(٩٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم رقم ٧٠.

(٩٣) سورة الأنعام ـ آية رقم ١٦٢ ، ١٦٣

(٩٤) سورة الفتح ـ آية رقم ١٨ ـ ٢٠.

آية للمؤمنين: يرون فيها عواقب تدبير الله لهم وجزاء طاعتهم لرسول الله واستسلامهم. مما يثبت أنها شيء عظيم وخير جزيل. وألقى السكينة في قلوبهم والاطمئنان والرضى في نفوسهم.

## ٦ ـ شبهة إنكار شفاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم.

هل أنكر الشيخ شفاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم.. ؟
وهل تحدث بذلك إلى أحد من أتباعه.. ؟

وإذا كان الجواب بالنفي، وأن الشيخ ـ رحمه الله ـ لم ينكر شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ولا أقر أحدا من أتباعه على إنكارها.

وهذا هو الحق الذى سطره الشيخ في رسائله وكتبه التي لا زالت بين أيدينا صحفا ناصعة البياض، سليمة المعنى، قوية الإيمان.

واذا كان ذلك كذلك فما أهداف الأدعياء من وراء ذلك.. ؟
وما هى المآرب التي يجنونها من وراء صد الناس عن الدعوة ، وصرفهم عن حقيقة التوحيد.. ؟
ونقول: إنها نفس المآرب التي كان يريدها أبوجهل، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط،وبقية أتباع الشيطان.

لقد كان هؤلاء يعرفون أن ما جاء به محمد هو الحق والصدق، ولكنهم كانوا ينكرونه بألسنتهم وإن آمنوا أنه الحق بقلوبهم.

يقول الله تعالى مواسيا لنبيه صلى الله عليه وسلم:
«فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾»[٩٥].

(٩٥) سورة الأنعام ـ آية رقم ٣٣.

وقال تعالى:

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٩٦].

وهذا ما حدث من أعداء الشيخ محمد بن عبدالوهاب . لقد أقروا أمامه بأن ما يقوله هو الحق والصدق. حتى اذا انفضوا من عنده أنكروا ذلك أمام الناس.

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب لسليمان بن سحيم: «إني أرسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين، الذى يذكر فيها: أن من دعا نبيا أو صحابيا أو وليا مثل أن يقول: يا سيدى فلان انصرني وأغثني ـ إنه كافر بالإجماع فلما أتتك استحسنتها وشهدت أنها حق. وأنت تشهد به الآن . فما الواجب لهذه العداوة.. ؟

ثانيا : أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررت أن هذا دين الله وأنه الحق وقلته على رءوس الأشهاد، واذا خلوت مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر.

ثالثا : أن عبدالرحمن الشنيفي ومن معه، لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق، وشهدت أن الطواغيت كفار وتبرأت من طالب الحمضى، وعبدالكريم، وموسى بن نوح. فأى شئ بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذى تبرأت منهم وعاديتهم أنهم على حق... ؟»[٩٧].

ونقول إن الذى بان لنا هو الحقد الذى يملأ قلوب الادعياء، والحسد الذى يسيطر على كل جارحة من جوارحهم. والخوف على ضياع المكاسب والمغانم التي يأخذونها من البسطاء والعوام باعتبارهم سدنة القبور ووكلاء الأولياء الأموات في الدنيا..

ونختم هذه الشبهة بما يقوله الشيخ عبدالله عن الشفاعة:

«ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم القيامة حسب ما ورد ،

---

(٩٦) سورة النمل ـ آية رقم ١٤ .

(٩٧) روضة الأفكار للشيخ حسين بن غنام ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأدعياء والأطفال. حسب ما ورد أيضا،ولا نسألها الا من الله تعالى المالك لها، والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد. بأن يقول أحدنا متضرعا الى الله: شفع نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة»،[٩٨].

## ٧ ـ شبهة تسميتهم بالوهابية..

متى أطلقت هذه التسمية على جماعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب... ؟
أأطلقت عليهم فى حياة الشيخ .. ؟
أم أنها لم تعرف الا بعد وفاته.. ؟
وهل أطلق هذه التسمية أنصار الشيخ أم أعداؤه.. ؟

إن وقائع التاريخ تضطرب في ذلك أشد الاضطراب وتتباين كل التباين..

ونقول: اذا كان الأنصار هم الذين نادوا بتلك التسمية. فلماذا لم تنسب الى صاحبها فيقال: المحمدون. نسبة إلى الشيخ محمد الذى دعا اليها وقام بكلى أعبائها.

إن أحد أنصار الدعوة والمتحمسين لها. وهو الشيخ ملا عمران بن رضوان يرد على الخصوم بقوله:

ان كان تابع أحمد متوهبا .. فأنا المقر بأنني وهابي
أنفي الشريك عن الإله فليس لي .. رب سوى المتفرد الوهاب[٩٩]

وأيضا فإن المؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتي ـ وهو ممن كانوا يتحمسون لهذه الدعوة حتى أن محمد علي ـ حاكم مصر ـ والذى حارب هو وأبناؤه الدعوة قتل ابن الجبرتى انتقاما من أبيه لتعاطفه مع هؤلاء الجماعة.

---

(٩٨) الهدية السنية ص ٤٢ .
(٩٩) المصدر السابق ص ١٢٠ .

نراه يقول في حوادث ١٢١٧هـ :

«حضرت مكاتبات من الديار الحجازية يخبرون فيها عن الوهابيين أنهم حضروا الى جهة الطائف فخرج اليهم شريف مكة الشريف غالب. فحاربهم فهزموه فرجع الى الطائف،وأحرق داره التي بها وخرج هاربا الى مكة فحضر الوهابيون». (١٠٠)

ولكن كل هذا لا يبرر أن أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هم الذين أطلقوا هذه التسمية.

والحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر أن الأعداء هم الذين أطلقوا اسم الوهابية على جماعة الشيخ، جماعة التوحيد. حتى يصوروها بأنها مذهب جديد بعيد عن الإسلام ومبادئه.

قال زويمر: (المبشر المسيحى) متخبطا في أفكاره وآرائه التي تكشف جهله وتدل على أن بضاعته في العلم والمعرفة قليلة.

«الإمام ابن القيم سنة ٧٥١ هـ تشبه أفكاره وآراؤه آراء الوهابيين،فهو وهابي ولكن يسمى نفسه حنبليا».

ونسي هذا الجاهل أن اصطلاح «الوهابية» ما عرف الا بعد ابن القيم بأربعة قرون أو أكثر.

وكذلك المستشرق (برك هارت) ألف مذكرة في أخبار الوهابيين ، وقد نشرت هذه المذكرة فيما بعد باسم «مذكرات في البدو والوهابيين».

ونحب أن نقول: «ان مجرد ذكر التسمية لا حرج فيه، ولكن الحرج كل الحرج أن هذه التسمية قد أشيعت وكأنها مذهب خارج عن الإسلام. وما دامت كذلك، فهي دعوة خارجة يجب أن تحارب بكل سلاح. تحارب ممن يدينون بدينها ، وتحارب من غير هؤلاء من أتباع الديانات الأخرى.

(١٠٠) تاريخ الجبرتي حوادث ١٢١٧هـ

اذن فلن تحارب الدعوة في شخص صاحبها فقط،ولن يحارب أتباعها والملتزمون بتعاليمها فحسب. ولكن أيضا تحارب كل الدعوات في العالم الاسلامى،الدعوات التي تعمل على إيقاظ المسلمين وردهم الى دينهم.

تحارب هذه الدعوات حتى لا يظهر (محمد) جديد في تلك البقعة . محمد جديد يجمع الشتيت ويوحد المتفرق ، ويعلي كلمة التوحيد في أركان الأرض الأربعة كما حدث سابقا في عهد المسلمين الأول.

فالحركة السنوسية في المغرب. رأى فيها الاستعمار الصليبى خطرا على مصالحه. فأطلق عليها بأنها امتداد للدعوة الوهابية.

وحركة التجديد في الهند ألحقت بالحركة الوهابية إلحاقا تاما. ولاشك أن المأخذ الأصلى الكتاب والسنة واحد، ولكن توجد فروق واضحة فى أساليب الدعوات وطرقها مع توافقها في الأصول.

ونقول :

هل هذه كل المفتريات والشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ.. ؟

الحقيقة أنها شيء لا يحصى ولا يعد .. إلا إذا تصورنا أن للكذب نهاية، وللضلال حدود يمكن أن يقف عندها.

ويقال إن أول من بدأ نسبة الأكاذيب والافتراءات الى شيخ الإسلام في حياته هو سليمان بن محمد بن سحيم.

وقد جمعت هذه الاتهامات في رسالة: نحرص على أن نذكرها كما هي، والدافع الذى دفعنا الى ذلك.

أن الشيخ ـ رحمه الله ـ رد عليها وفند ما فيها من إفك وضلال.. لهذا حرصنا على أن يكون آخر ما نسطره في هذا المبحث هو كلمات صاحب الدعوة،لأنها كلمات صادقة عامرة بالإيمان أخرصت الخصوم، وأبطلت سحرهم وكيدهم، وأدارت الدائرة عليهم.
نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة.

هذه الرسالة[١٠١] كتبها سليمان بن محمد بن سحيم، مطوع أهل الرياض، وأرسلها إلى أهل البصرة والأحساء يشنع فيها على الشيخ ويفترى عليه أشياء لم تحدث.

وهذا نص الرسالة:

من الفقير الى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم الى من يصل اليه من علماء المسلمين، وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد:

فالذى يحيط به علمكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل، مضل ضال،من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فظيعة، وأحوال شنيعة منها: شيء شاع وذاع، وملأ الأسماع، وشيء لم يتعد أماكننا بعد ، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين، وورثة سيد المرسلين،ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته.

والقصد من ذلك: القيام لله ورسوله، ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالته أنه عمد الى شهداء أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم الكائنين في الجبيلة: زيد بن الخطاب وأصحابه،وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم في

(١٠١) الرسالة السابعة راجع روضة الأفكار ص ٢٩٣ وما بعدها .

حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم ، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعمد أيضا الى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.

ومنها : أنه أحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا،وحرق أيضا «روض الرياحين» وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها : أنه صح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه ، وجعلت بدله ميزاب خشب.

أما سمع قوله تعالى :

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢﴾[١٠٢].

ومنها : أنه ثبت أنه يقول : الناس من ستمائة سنة ليسوا،على شيء،وتصديق ذلك أنه بعث الي كتابا يقول فيه : أقروا أنكم قبلي جهال ضلال.

ومن أعظمها: أن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ، قال: أنت موحد، ولو كان فاسقا محضا، أو مكاسا، وبهذا ظهر أنه يدعو الى توحيد نفسه لا الى توحيد الله.

ومنها : أنه بعث الى بلداننا كتابا مع بعض دعاته بخط يده، وحلف فيه بالله: أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب الى أخذ العلم منهم - في زعمه، وإلا فليس له مشايخ - ولا عرفه أبوه، ولا أهل «العارض».

فيا عجبا اذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا أهل قطره، فمن أين علمه.. ؟ وعن من أخذه.؟

(١٠٢) سورة الحج - آية رقم ٣٢ .

هل أوحى اليه.. ؟

أو رآه مناما.. ؟ أو أعلمه به الشيطان.. ؟

وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض.

ومنها : أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي.

ومنها : أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول ، لأجل أنهم يأخذون النذور،ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر.

ومنها : أنه ثبت عنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة، قال: اختلافهم نقمة.

ومنها : أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذب المروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا.

ومنها : إبطال الحج.

ومنها : أنه ترك تمجيد السلطان في الخطابة، وقال: السلطان فاسق لا يجوز تمجيده.

ومنها : أنه قال: الصلاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الجمعة وليلتها هي بدعة وضلالة، تهوى بصاحبها الى النار.

ومنها : أنه يقول: الذى يأخذه القضاة قديما وحديثا ـ اذا قضوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ـ إن ذلك رشوة ـ هذا القول بخلاف النصوص عن جميع الأمة: أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين: لا أقضي بينكما إلا بجعل . ومنها: أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى. ويدخل مع ذلك دفن شر الجن، ويقول : ذلك كفر. واللحم حرام ، فالذى ذكره العلماء بذلك أنه منهي عنه فقط وذكره في حاشية (المنتهى)(١٠٣).

...............

وهذا جواب الشيخ :

من محمد بن عبدالوهاب الى عبدالله بن سحيم.

وبعـــد :

ألفينا مكتوبك وماذكرت فيه من ذكرك مابلغك. ولايخفاك أن المسائل التي ذكرت

(١٠٣) روضة الأفكار ص ٢٩٥.

أنها بلغتكم في كتاب من العارض جملتها أربع وعشرون مسألة بعضها حق. وبعضها بهتان وكذب.

وقبل الكلام فيها . لابد من تقديم أصل ، وذلك أن أهل العلم اذا اختلفوا والجهال اذا تنازعوا ، ومثلي ومثلكم اذا اختلفنا في مسألة ـ هي الواجب اتباع أمر الله ورسوله ، وأهل العلم أو الواجب اتباع عادة الزمان التي أدركنا الناس عليها، ولو خالفت ماذكره العلماء في جميع كتبهم..

وانما ذكرت هذا ـ ولو كان واضحا ـ لأن بعض المسائل التي ذكرت أنا قلتها لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم : الحنابلة وغيرهم.

ولكن هى مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها، فأنكرها علي من أنكرها لأجل مخالفة العادة، والا فقد رأوا تلك في كتبهم عيانا، وأقروا بها وشهدوا أن كلامي هو الحق، لكن أصابهم ماأصاب الذين قال الله فيهم.

( فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ).(١٠٤)

وهذا هو ما نحن فيه بعينه، فإن الذى راسلكم هو عدو الله ابن سحيم،وقد بينت ذلك له فأقر به، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة : أن هذا هو الحق. وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغي:

( أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ )(١٠٥).

وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: اذا كان هذا هو الحق ، فلأى شئ لم تنهونا عن عبادة «شمسان» وأمثاله فتعذروا: أنكم سألتمونا.. ؟

---

(١٠٤) سورة البقرة ـ آية رقم ٨٩ .

(١٠٥) سورة البقرة ـ آية رقم ٩٠ .

قالوا: وان لم نسألكم ، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا .. ؟ وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة ، وأن فيه شرفا لغيره.

وأيضا : لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا الى غير ذلك من الأمور فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان.

والله ناصر دينه ولو كره المشركون.

وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء ، فضلا عن العوام، وأنا أضرب لك مثلا بمسألة واحدة ، وهى مسألة الاستجمار ثلاثا فصاعدا من غير عظم ولا روث وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، وهو إجماع الأمة ، لا خلاف في ذلك ـ ومع هذا ـ لو يفعله أحد ـ لصار هذا عند الناس أمرا عظيما ، ولنهوا عن الصلاة خلفه، ويدعوه مع إقرارهم بذلك ولكن لأجل العادة.

اذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها ـ منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله : إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله: إني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء.

وقوله : إني أدعي الاجتهاد.
وقوله : إني خارج عن التقليد.
وقوله : إني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة.
وقوله : إني أكفر من توسل بالصالحين.
وقوله : إني أكفر البوصيرى لقوله : يا أكرم الخلق.
وقوله : إنى أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسـول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب.
وقوله : إني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.
وقوله : إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإنى أكفر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة: جوابي فيها أقول:

﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾

ولكن قبله من بهت النبي محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يسب عيسى ابن مريم، ويسب الصالحين:

«تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» (١٠٦)

وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله في ذلك:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(١٠٧)

وأما المسائل الأخر وهي أني أقول: لا يتم إسلام الانسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله».

ومنها : أني أعرف من يأتيني بمعناها.

ومنها : أني أقول : الإله هو الذى فيه السر.

ومنها : تكفير الناذر اذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك.

ومنها : أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمي الله عليها إذا ذبحها للجن.

فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها

ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل ، وقبل ذلك أذكر معنى «لا إله إلا الله» فنقول : التوحيد نوعان :

توحيد الربوبية : وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم. وهذا حق لابد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام، لأن أكثر الناس مقرون به.

---

(١٠٦) سورة البقرة ـ آية رقم ١١٨.

(١٠٧) سورة الأنبياء ـ آية رقم ١٠١.

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

...إلى قوله : أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(١٠٨)

وأن الذى يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية، وهو: أن لا يعبد الا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله: فمنهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة، فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد من دونه، لا الملائكة ، ولا الأنبياء، فمن تبعه ووحد الله فهو الذى شهد أن لا إلٰه إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ اليهم فهو الذى جحد لا إلٰه إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله، وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء

.. ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»(١٠٩).

وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(١١٠)

فصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين في الشدة والرخاء ، مثل: عبدالقادر الجيلاني، وأحمد البدوى، وعدى بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح. فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك ، وحذروهم غاية التحذير والإنذار ـ من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار، فلم يحصل منهم انزجار؛

---

(١٠٨) سورة يونس ـ آية رقم ٣١ .

(١٠٩) سبق تخريج هذا الحديث.

(١١٠) سورة التوبة ـ آية رقم ٣١ .

بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار. وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك.

وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر ، وأنت ذكرت في كتابك تقول: يا أخي ما لنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم.

وأنا أقول : كلام أهل العلم رضى وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه،فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظرا ومناظرا مع نفسك ومع غيرك، فإن عرفت أن الصواب معى وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء ـ أعني دين الإسلام الصرف الذى لا يمزج بالشرك والبدع.

ثم يقول: قال الشيخ تقي الدين، وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة، حتى قلبوا حقيقته، فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفى الصفات، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية. ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد.

قال تعالى:

(قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾) (المؤمنون : ٨٤)

وهذا حق، لكن لا يخلص به عن الإشراك بالله الذى لا يغفره الله؛ بل لابد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا الله، فيكون دينه لله، والإله هو المألوه الذى تألهه القلوب وأطال رحمه الله الكلام.

وقال ـ أيضا ـ في الرسالة «السنية» التي أرسلها الى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ، ويغلون فيه، فذكر حديث الخوارج ثم قال: فإذا كان في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة ـ فليعلم أن المنتسب الى الاسلام قد يمرق من الدين وذلك بأمور.

منها : الغلو الذى ذمه الله تعالى مثل : الغلو في عدى بن مسافر أو غيره : بل الغلو في علي بن أبى طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه ، فكل من غلا فى نبي أو صحابى أو رجل صالح، وجعل فيه نوعا من الألوهية مثل أن يقول : ياسيدى فلان أغثنى أو أنا فى حسبك، ونحو هذا ـ فهذا كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه اله آخر. والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل : الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم ـ لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات، وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله».

فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة.

وقال أيضا في أثناء الباب: ومن اعتقد أن لأحد طريقا الى الله غير متابعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم، أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجا عن اتباعه أو قال:

«أنا محتاج اليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال : إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ـ كفر في هذا كله.

وقال ايضا ـ في الباب : ومن سب الصحابة ، واقترن بسبه دعوى أن عليا إله أو نبي أو أن جبريل غلط ـ فلاشك في كفر من توقف في تكفيره. فتأمل هذا اذا كان كلامه هذا في علي . فكيف بمن ادعى أن ابن عربي أو عبدالقادر إله.. ؟

وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذى تألهه القلوب، واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات،(والكفار

زمن النبي) مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم: وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله،فهم لا يدعونهم الا في الرخاء، فإذا جائتهم الشدائد أخلصوا لله.

(وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ).(١١١).

وقال ـ أيضا ـ في «الإقناع»: .ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله، وهو: عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، ومنه ما يقتل ومنه مايمرض، ومنه مايأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه مايبغض أحدهما للآخر، ويحبب بين اثنين ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو اباحته.

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح درر البحار: النذر الذى يقع من أكثر العوام وهو أن يأتى الى قبر بعض الصلحاء قائلا: يا سيدى فلان إن رد غائبى، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك كذا وكذا ـ باطل إجماعا لوجوه منها :ـ

أن النذر للمخلوق لا يجوز.

ومنها: ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر. الى أن قال : إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، وينقل الى ضرائح الأولياء ـ فحرام بإجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذه لاسيا في مولد أحمد البدوى.

فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء ، كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه ! ! فتأمل قوله (من أكثر العوام) أتظن أن الزمان صلح بعده.. ؟

وأما المالكية، فقال الطرطوشى في كتاب «الحوادث والبدع» روى البخارى عن أبى

(١١١) سورة الاسراء ـ اية رقم ٦٧.

واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها. وينوطون بها أسلحتهم يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا : يارسول الله اجعل لنا «ذات أنواط» كما لهم «ذات أنواط» فقال : الله أكبر هذا لتركبن سنن من كان قبلكم».

فانظر رحمكم الله أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس، وينوطون بها الخرق فهى ذات أنواط ، فاقطعوها.

وقال صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ."

ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل.... اذا أسلم في قبيلته غريبا مستخفيا بإسلامه، قد جفاه العشيرة فهو بينهم ذليل خائف، ثم يعود غريبا لكثرة الأهواء المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم.

وروى البخارى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا».

وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره.
انتهى كلام الطرطوشى.

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث ، وفي أى زمان قيلت، وفي أى مكان، وهل أنكرها أحد من أهل العلم والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادى منها ما وقع من الصحابة، وقول الصادق الصدوق، إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم: اجعل لنا إلٰها:

يا عجبا اذا جرى هذا من أولئك السادة كيف ينكر علينا أن رجلا من المتأخرين غلط في قوله: يا أكرم الخلق كيف تعجبون من كلامي فيه، وتظنونه خيرا وأعلم منهم.

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها وتظنون أن من وصف شركا أو كفرا أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة ، ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذى أرسلت الى قبل أن يغريك الله بصاحب الشام وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار.. ؟

ومرادى أن أبين لك كلام الطرطوشي، وما وقع في زمانه من الشرك بالشجر، مع كونه في زمن القاضى أبي يعلى، أتظن الزمان صلح بعده.. ؟.. وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبوشامة في كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث ، وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام ، المنتمين الى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان، ومن اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله».

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها،ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وإسراج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون أنهم يتقربون الى الله،ثم يجاوزون ذلك الى أن يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم ويرجون الشفاعة لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهى بين عيون وشجر، وحائط وحجر ، وفي دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى،والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط ، ثم ذكر كلاما طويلا الى أن قال:

«أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه».

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نبذ لشريعة الإسلام، وأنه خروج عن الإيمان ثم ذكر أنه عم الابتلاء به فى الشام.

فأنت قل لصاحبكم هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبا فهو بين اثنتين:

إما أن يقول: كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مضلون خارجون.
وإما أن يدعي أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك.. ؟؟

إذا تقرر هذا فخمس المسائل التي قدمت جوابها في كلام العلماء ، وأضيف اليها مسألة سادسة، وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت، وذلك أنهم يدعون الناس الى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى يعبدونها في الرخاء، ويخلصون لله في الشدة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم اياه في شدائد البر والبحر. فإن كان الله أوقع في قلبك معرفة الحق والانقياد له والكفر بالطاغوت والتبرى ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك ـ فاكتب لي وبشرني، لأن هذا ليس مثل الخطأ فى الفروع، بل ليس الجهل بهذا ـ فضلا عن إنكاره ـ مثل : الزنا والسرقة، بل والله ثم والله أن الأمر أعظم.. وإن وقع فى قلبك إشكال فاضرع الى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه.

وأما بقية المسائل : فالجواب عنها ممكن اذا خلصنا من شهادة أن لا اله إلا الله، وبيننا وبينكم فيها كلام أهل العلم. لكن العجب من قولك:أنا هادم قبور الصحابة. وعبارة «الإقناع» في الجنائز: يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول. والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صح عنه أنه بعث عليا لهدم القبور».(١١٢).

هذه مقتطفات من رسالة الشيخ في الرد على الشبهات والادعاءات التي أثارها سليمان بن محمد بن سحيم.

وحرصنا على أن ننقل هذا الجزء الكبير من الرسالة ـ لأنها والحق يقال تعتبر احدى الروائع في تاريخ الإسلام ضد الكفر وأهله. والبدع ومن يسعى الى ترويجها.

---

(١١٢) روضة الأفكار ص ٢١٠ .

إنها كلمات صادقة خرجت من قلب تشرب روح الإيمان وعمل به.
قالها رجل عرف ربه فهاجر اليه.
هجرة من نوع فريد وبأسلوب جديد.
هجرة لكل أنواع البدع، وأساليب الشرك والكفر.. وأعلن الحرب عليها.. الحرب التي بذلت فيها المهج والأرواح.

حتى عاد للإسلام صفاؤه.
وللإيمان نقاؤه .. وهزم الضلال والبهتان،وخسأ الطاغوت والطغيان.

# خاتمـــة

يطيب لي أن أختم هذا البحث بقصة عجيبة في الهند تتصـل بالشيخ محمـد بن عبدالوهاب ودعوته . وملخص القصة كالآتى:ـ

كان أحد العلماء الفضلاء في الهند يستقبل أبناءه الطلاب ويلقى عليهـم دروس التفسير والحديث.

وكان هذا الشيخ يبدأ درسه بعد الحمد لله والصلاة والتسليم على رسوله بالدعاء على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجماعته،يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يطهر الأرض من شرورهم وآثامهم ـ في رأيه ـ وأن يخلص الحرمين الشريفين من تلك العصابة.. !!

وكان أحد أبناء نجد تلميذا لهذا الشيخ،وكان من المستحيل عليه أن يرد الشيخ الى الصواب ، وسط هذه الأجواء من الادعاءات والافتراءات التي يشنها الأعداء وتحرص دولة كبرى كدولة الخلافة العثمانية، ومن ورائها الاستعمار وأذنابـه، وكل أصحـاب المذاهب والنحل الباطلة على النيل من هذه الجماعة وصاحبها.

وفي يوم من الأيام.. فكر الطالب فى أمر يرد به الشيخ الى جادة الصواب،ويعرفه بحقيقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية. فما أن كان منه إلا أن نزع غلاف كتاب «التوحيد» للشيخ وقدمه لأستاذه طالبا منه قراءته وإبداء حكمه عليه.

واستجاب الأستاذ لأمر الطالب وقرأ الكتاب فأثنى عليه ثناء منقطع النظير،بل وأضاف أنه من أحسن الكتب التي قرأها في هذا الباب ومن أكثرها فائدة . وهنا كشف الطالب لأستاذه عن مؤلفه الذى يتقرب الشيخ الى ربه بالنيل منه كل صباح.

فاستغفر الشيخ عما بدر منه في حق هذه الجماعة وصاحبها ـ وصار من أكثر المدافعين عنها الداعين لها. وبقيت الدعوة عملاقة ترشد المسلمين الى الخير وتبصرهم بأمور دينهم. وأخذ الله أعداءها أخذ عزيز مقتدر فلم تبق لهم باقية.

راحوا فما بكت الدنيا لفرقتهم . . . ولا تعطلت الأعياد والجمع

# ثبت بالمراجع:


١ - القرآن الكريم.

٢ - صحيح البخارى - محمد بن اسماعيل البخارى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - دار احياء التراث العربى - بيروت.

٤ - صحيح الترمذى - محمد بن عيسى بن سورة الترمذى - محمد بن المحسن الكتبي - المكتبة السلفية - المدينة المنورة.

٥ - سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث - دار إحياء السنة النبوية.

٦ - سنن النسائى - شرح جلال الدين السيوطى - دار احياء التراث العربى بيروت.

٧ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير الجزرى - دار البيان. بيروت.

٨ - تاريخ نجد «روضة الأفكار» للشيخ حسين بن غنام - تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد مطبعة المدني . مصر.

٩ - عنوان المجد في تاريخ نجد - الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر النجدى الحنبلى. وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.

١٠ - فتح المجيد: شرح كتاب التوحيد - الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - تحقيق: حامد الفقي - دار الكتب العلمية . بيروت.

١١ - مسائل الجاهلية - محمد بن عبدالوهاب - مؤسسة مكة للطباعة والاعلام.

١٢ - كتاب كشف الشبهات - محمد بن عبدالوهاب - ضمن كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

١٣ - تفسير سورة الفاتحة - محمد بن عبدالوهاب - ضمن كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

١٤ - محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه - تأليف: الأستاذ مسعود الندوى - ترجمة: عبدالعليم عبدالعظيم البستوى.

١٥ ـ هذا هو كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ تأليف: أمين سعيد. الناشر : دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٥.

١٦ ـ غاية الأماني في الرد على النبهاني ـ محمود شكرى الألوسى ـ مطابع نجد التجارية ـ الرياض.

١٧ ـ صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ـ محمد بشير السهسواني الهندى. مطابع نجد التجارية. الرياض.

١٨ ـ عهد سعود الكبير ـ تأليف : الدكتور منير العجلاني.

١٩ ـ كتاب الضياء الشارق ـ للشيخ سليمان بن سحمان ـ مطبعة المنار بمصر. سنة ١٣٤٤هـ.

٢٠ ـ الأسنة الحداد في رد شبهات علوى الحداد ـ سليمان بن سحمان ـ مطابع الرياض ١٣٧٦هـ.

٢١ ـ الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ـ سليمان بن سحمان النجدى ـ مطبعة المنار بمصر ١٣٤٤هـ.

٢٢ ـ الصواعق الالهية في الرد على الوهابية ـ سليمان بن عبدالرحمن النجدى ـ مكتبة ايشيق استانبول تركية ١٣٩٥هـ.

٢٣ ـ فتنة الوهابية ـ أحمد بن زيني دحلان ـ مكتبة ايشيق استنابول ـ تركيا ١٣٩٥هـ.

٢٤ ـ المنحة الوهبية فى رد الوهابية ـ حسين حلمى ايشيق بن سعيد ـ ايشيق استنبول. تركية ١٣٩٤هـ.

٢٥ ـ التوسل بالنبي ـ أبى حامد بن مرزوق ـ استنابول . تركيا.

٢٦ ـ آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ تأليف: الدكتور /أحمد محمد الضبيب. الرياض ـ المطابع الأهلية للأوفست ١٣٩٧هـ.

٢٧ ـ فهارس كتاب عنوان المجد لابن بشر ـ أحمد مرسى عباس ـ دارة الملك عبد العزيز.

٢٨ ـ فخر الدين الرازى حياته وآثاره ـ تأليف الدكتور/ على محمد حسن العمارى ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ مصر ١٣٨٨هـ.

٢٩ ـ محمد بن عبدالوهاب، العقل الحر والقلب السليم ـ تأليف: عبدالكريم الخطيب. دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٩هـ.
٣٠ ـ محمد بن عبدالوهاب شيخ الاسلام ـ د. محمد جميل غازى ـ مطبعة المدنى المؤسسة السعودية مصر.
٣١ ـ الامام محمد بن عبدالوهاب انتصار المنهج السلفي ـ عبدالحليم الجندى. دار المعارف ـ مصر.
٣٢ ـ الحركة الوهابية رد على فعالية للدكتور / محمد البهي في نقد الوهابية ـ الدكتور / محمد خليل هراس ـ توزيع الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة.
٣٣ ـ محمد بن عبدالوهاب ـ أحمد عبدالغفور عطار ـ طبعة ١٣٩٧هـ.
٣٤ ـ كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ـ تحقيق وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ ـ مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز.

# الشبهات التي أثيرت حول دعوة الإمام
# محمد بن عبد الوهاب
## والرد عليها

للأستاذ / عبد الكريم الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تأسّى بسيرته، واهتدى بهديه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين...

### أما بعد:

فإن الجهاد فى سبيل الله، والذياد عن شريعته، والغيرة على حرماته، أمانة فى عنق كل من آمن بالله، ودخل فى جماعة المؤمنين، فأبصر مكانه بينهم، وعرف وظيفته فيهم، وعد نفسه عضوا فى الجسد العام الجامع لهم، يسعد لسعادتهم ويشقى لشقائهم، كما يقول الرسول الكريم، صلوات الله وسلامه عليه: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم، عن النعمان بن بشير) وفى رواية:

«المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

هكذا يفعل الإيمان الحق فى نفوس المؤمنين بالله، حيث تفيض مشاعر المؤمن بالولاء للمؤمنين من كل جنس ولون، مهما تباعدت الديار، واختلفت الأجناس والألوان،وذلك بهذا النسب الجامع بينه وبين المؤمنين جميعا، أحياء وأمواتا.. والله تعالى يقول:

« إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (الحجرات : ١٠)

ويقول جل شأنه :

«يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ»

(التوبة: ٢٣)

ومن هذا الايمان الوثيق بالله تنبعث فى قلب المؤمن مشاعر الولاء والحب للمؤمنين،فلا يبيت المؤمن على جناح أمن وطمأنينة وفى المؤمنين من يتهددهم عدو من خارج أوطانهم، أو من داخلها...

فإذا كان هناك عدو من خارج أوطان الإسلام، كان الجهاد فريضة على المسلم فيجاهد بنفسه وماله، وبكل قوة تصل إليها يده.. ثم لا تسقط عنه هذه الفريضة، حتى يذهب خطر العدو، أو يقتل هو شهيدا فى ميدان الجهاد..

أما إذا كان العدو من داخل أوطان المسلمين ، مثل دعوة الى فتنة، أو إثارة لفرقة، أو نشر لبدعة ـ فإن هذا يحتاج إلى جهاد أكبر، وعزم أشد، وارادة أقوى مع بصيرة نافذة، تكشف عن هذا الخطر الذى يتدسس إلى عقول الناس وقلوبهم ويخالط مشاعرهم ووجداناتهم، بحيث لا ينتبه له ولا يقدر آثاره المدمرة إلا ذوو البصائر المشرقة بنور الله الساهرة على حرمات الله، والحافظة لحدوده الناصحة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وأكثر ما يتمثل هذا الخطر الذى يغزو المسلمين من داخل أوطانهم، هو فيما يشيع فيهم من بدع تدخل عليهم باسم الدين، وما يتولد من هذه البدع من منكرات وضلالات تشيع فى المسلمين، فتشوه معالم الدين فى عقولهم وقلوبهم، وتغير حقائقه فى أقوالهم وأفعالهم، وإذا هم مسلمون ولا إسلام، وذلك هو الخطر أعظم الخطر حيث يخيل إليهم أنهم على دين، وانهم على الصحة والسلامة من هذا الدين، فى حين أن المرض يفتك بهم، والعلة تغتال كل صالحة فيهم !!

ولو كان هؤلاء المسلمون، ولا إسلام معهم ـ لو كانوا على غير دين أصلا، لكانت بليتهم أخف ومصيبتهم أهون، لأن من كان على غير دين، يرجى منه أن يصبح يوما وهو

على دين صحيح سليم، أما من كان على دين قد اختلط فيه الحق بالباطل، والهدى بالضلال، فعسير جدا أن يلتقى بالدين الصحيح.. انه أشبه بالمنافق الذى يلبس من الدين أكثر من ثوب، فهو مؤمن، وكافر وملحد، ومشرك فى كل وقت وفى كل حال.. ولهذا جعل الله تعالى المنافقين فى الدرك الأسفل من النار تطأ رءوسهم أقدام الكافرين، وأهل النار جميعا، كما يقول تعالى:

«إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا » (النساء: ١٤٥)

****

وكما أن لآفات الأبدان، وعلل الأجسام أساة دفعت بهم سنن الله الكونية لمعالجة هذه الآفات والاستشفاء من هذه العلل، فكذلك كان من السنن الكونية أن يقوم فى الناس الهداة والمصلحون، الذين يعالجون ما فسد من النفوس، ويعمرون ما خرب من القلوب، وهم الذين أشار إليهم الحق سبحانه فى قوله:

«وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ » (البقرة: ٢٥١)

وفى قوله تعالى:

«ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » (الحج: ٤١)

ويقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه: «الدين النصيحة.. الدين النصيحة.. الدين النصيحة» قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» (رواه البخارى ومسلم).

فالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، معلم من معالم الأمة الإسلامية، وسمة من سماتها، فلا يخلو زمان، أو مكان فى مجتمع المسلمين من آمرين بالمعروف، وناهين عن المنكر، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

«كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (آل عمران: ١١٠)

ويلاحظ فى الآية الكريمة، أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قد تقدما على الايمان بالله، وفى ذلك إشارة إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فطرة مستقرة فى الإنسان، إذا نزعت إليها النفس استقام طريقها إلى الايمان بالله والتقت به من قريب.. فكانت أشبه بالأرض الطيبة المتعطشة إلى الماء فإذا أصابها الماء.. اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج كريم، وإذا هى تلك الأرض الخاشعة أى الضارعة إلى الله، الطالبة لحياتها من الماء - كما يقول تعالى:

«وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» (فصلت: ٣٩)..

فإذا كان هذا الجماد يخشع ضارعا لله، يلتمس رحمته، إذا حل به ما يعطل وظيفته أفلا يتجه الإنسان إلى ربه خاشعا ضارعا، إذا تعطلت معطيات انسانيته، وانحرفت عن سواء السبيل؟.

ولكن ما أكثر الناس الذين تذهب معالم إنسانيتهم، وتتعطل معطيات الخير فيهم ثم لا يشعرون مع هذا إلى ما أصابهم، فأصبحوا دون عالم الجماد إحساسا وشعورا.. وفى هؤلاء يقول الله تعالى:

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا

لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ » (البقرة: ٧٤)

وأهل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، هم الماء الذى يمسك الحياة على الأحياء من الناس، ويبعث الحياة فيمن أوشكوا أن تزايلهم الحياة!

ومن هنا كانت رسالة أهل الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، مجددة لرسالات الأنبياء، وذلك بالتذكير بها، والحفاظ عليها، والوقوف فى وجه المنحرفين عنها والمعتدين على حرماتها، ثم كان لهؤلاء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر نصيبهم من تحمل ما حمل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على طريق دعوتهم إلى الله من سفه السفهاء، وحمق الحمقى، والصبر على ما يصيبهم فى أنفسهم وأموالهم.. فذلك هو قدر المجاهدين فى سبيل الله، والداعين إلى الحق والخير.. والله تعالى يقول:

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ »

(محمد: ٣١)

ويقول سبحانه :

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ» (آل عمران: ١٤٢)

ويقول جل شأنه:

«أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ »

(العنكبوت: ٢ ـ ٣).

ويقول تبارك اسمه:

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ » (البقرة: ٢١٤)...

انه ابتلاء ، وامتحان .. وبهذا الابتلاء وبذلك الامتحان تنكشف معادن الناس ويعرف مكان الإيمان منهم، وإلا لكانوا على حال سواء .

لولا المشقة ساد الناس كلهم     الجود يفقر، والإقدام قتال

وفى هذا المقام من الابتلاء ، تختلف بأهل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المواقف، وتتمايز المنازل والدرجات حسب ما فى قلوبهم من إيمان بما يدعون إليه، وبما عندهم من رصيد العزم والصبر على المكاره.

فهم ـ وإن كانوا جميعا على طريق الجهاد ، وفى مواقع الابتلاء ـ ليسوا على سواء فى الصبر على الشدائد، وتحمل البلاء.. بل

«هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ » (آل عمران: ١٦٣).

فأكثر دعاة الخير بلاء وأوفرهم نصيبا من الضر والأذى فى سبيل دعوته، هو من كان أوثقهم بالله إيمانا، وأقربهم إلى الله منزلة..

فعن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: قلت يا رسول الله.. أى الناس أشد بلاء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.. يبتلى الرجل حسب دينه، فإن كان فى دينه صلبا، اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة هون عليه.. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض، وما عليه خطيئة» (أخرجه الترمذى، وقال حديث حسن)

وإذا كان الصدر الأول للإسلام، قد سجل صحفا خالدة رائعة للبطولة العزيزة النادرة، فى مختلف ميادين الجهاد، من داخل النفس وخارجها، وما احتمل هؤلاء الأبطال المجاهدون من شدائد، وما ركبوا من أهوال فى سبيل الحق الذى آمنوا به وارتضوه رفيق حياتهم، فبذلوا النفوس بذل السماح فى غبطة ورضى، وفى هؤلاء الأبطال المجاهدين الصادقين يقول الله تعالى:

«مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ »

(الأحزاب: ٢٣ ـ ٢٤)..

وهم الذين أشار إليهم وإلى من أخذ الطريق معهم، سبحانه وتعالى فى قوله الكريم:

« إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ »

(التوبة: ١١١)

وفى قوله تعالى:

« وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ »

(آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨)

* نقول: إذا كان الصدر الأول للإسلام، قد قدم تلك النماذج الإنسانية العظيمة الخالدة فى الثبات على الحق، والاستمساك به، والذياد عن حرماته، والتفدية له بالنفس، والأهل والمال - فإن مسيرة الأمة الإسلامية، من مطلع الدعوة إلى اليوم لم يخل ميدانها ابدا من الأبطال المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله، العاملين على التمكين لدين الله فى الأرض، الذائدين عن حرماته، مستعذبين فى ذلك العذاب الدنيوى من أجل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه، والقضاء على الآفات التى تتدسس إلى كيان الأمة الإسلامية، من الأهواء والبدع التى يسوقها إليها المضللون والمبتدعون، لتطمس معالم الطريق إلى الله ولتطفىء جذوة الايمان المتقدة فى صدور المؤمنين، بما يهب عليها من أعاصير البدع، وعواصف الفتن، وإذا المؤمنون فى ليل بهيم، لا يعرفون إلى أى متجه يتجهون!

ولكن الله تعالى ذو فضل على المؤمنين، حيث يهيىء لهم من بينهم من يقوم لكشف هذه الغواشي عنهم، ويستنقذ سفينتهم من أن تغرق، ويغرقوا معها فى متلاطم هذه الأمواج العاتية، وإذ هم على مرفأ الأمن والسلامة..

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ » (التوبة: ٣٢ - ٣٣)..

* * * *

وها هى ذى صحف التاريخ الإسلامى، حتى تلك الصحف التى غلب عليها سواد الفتن التى تلاطمت أمواجها فى محيط العالم الإسلامى - هذه الصحف لم تخل أية صفحة منها من سطر أو سطور، مشرقة لداعية أو دعاة من أبطال الإسلام، قاموا فى الناس مقام الأنبياء فى أقوامهم الذين تغشتهم غواشى الضلال، وانعقدت فوقهم ظلمات الليل الطويل، حتى كادوا يغرقون فى أوحال الرجس والرذيلة - فدعوا فيهم بدعوة الله ورفعوا لهم منارات الطريق إلى الله..

« لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ » (الأنفال ٤٢)

وقد أقام الله الحجة على عباده بهؤلاء الدعاة إلى الله مؤكدا بها الحجة بما بعث من رسول، وبما أنزل معه من كتاب:

«لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ» (النساء: ١٦٥)

* * * *

ونذكر هنا فى هذا المقام ـ بعد عصر الصحابة والتابعين ـ الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وموقفه الرائع المجيد،وجهاده الصادق المبرور، من فتنة القول بخلق القرآن.

وقد ظهرت هذه الفتنة فى خلافة المأمون، الخليفة العباسى فى أوائل القرن الثالث الهجرى، حيث دعا المأمون بتلك البدعة، بأن القرآن مخلوق، ودعا العلماء إلى القول بها وحمل المسلمين عليها.. فكانت فتنة عمياء، دخل فيها كثير من علماء الدولة، الذين ناصروا الخليفة فى القول بها، على حين أنكرها وتصدى لدفعها كثير من العلماء أول الأمر، ثم رجعوا عن موقفهم هذا واحدا واحدا، تحت سطوة الخليفة.. وبقى احمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ وحده فى مواجهة الخليفة المأمون، ومن جاء بعده من الخلفاء حتى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ حيث ماتت تلك الفتنة..

ولقد لقى احمد بن حنبل فى سبيل موقفه هذا ألوانا من البلاء فى السجن، والضرب بالسياط على الملأ، وهو صامد صمود الجبل، حتى مات متأثرا بلهيب السياط التى مزقت جسده،مضافا إلى سجل الشهداء المجاهدين فى سبيل الله، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه.

وأنه لولا موقف هذا المجاهد العظيم وصبره على البلاء لظلت هذه الفتنة تدور فى تلك الأمة الإسلامية إلى اليوم، وإلى ما بعد اليوم، وليعلم الله ما كان يتولد منها من فتن، وما يتهدد الأمة الإسلامية منها من بلاء!

كما نذكر هنا أيضا الإمام الليث بن سعد،والعز بن عبدالسلام، وابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وما كان لهم، وللمجاهدين من مواقف رائعة فى وجه الفتن المتدفقة على المسلمين، من السلاطين والأمراء، ومن انضوى تحت لوائهم من علماء السوء الذين

اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة حيث زينوا للحكام المنكرات، وأحلوا لهم الحرام، فباءوا بأخسر صفقة، وكانوا من الذين قال الله تعالى فيهم:

«أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» (البقرة: ١٦).

ولا ننسى فى هذا المقام، مقام الجهاد فى سبيل الله، والنصح لله، ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين - ما كان للأئمة الأربعة، أبى حنيفة، والشافعى، واحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، وتلاميذهم، من جهاد مبرور فى حفظ الشريعة وحمايتها من كل دخيل يدخل عليها من البدع، والأهواء والتأويلات المفسدة لكتاب الله وسنة رسوله.. فعلى طريق هؤلاء الأئمة سار عامة المسلمين على هدى وبصيرة من دين الله. وأحكام شريعته، كما لا ننسى فى هذا المقام أيضا مقام هذا الجهاد لحماية دين الله، ما قام به أئمة الحديث من تدوين السنة النبوية الشريفة، وتحقيق الصحيح منها، وعزل الموضوعات عنها، فرضوان الله عليهم أجمعين.

* * * *

فإذا نحن انتقلنا إلى عصرنا الحاضر، وما لأئمة الجهاد فيه من بلاء عظيم، وجهاد صادق فى الذود عن دين الله والنصح لله ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين - وجدنا لهذا العصر مقدمات مباركة، من جهاد المجاهدين الصادقين الذين لا تزال أنفاسهم الطاهرة المباركة تعطر أجواء الحياة من حولنا، وتمد الأجيال المعاصرة بأمداد طيبة من الزاد الذى يقوى عزائم المؤمنين المجاهدين، ذوى الغيرة على دين الله من أن يتصدع بنيانه، أو تتداعى أركانه.. وهكذا تتصل حلقات المجاهدين بسلسلة طويلة متينة من أئمة الجهاد الذين يضمهم هذا الركب المبارك من مطلع الدعوة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ولاشك أن على رأس عصرنا هذا من أئمة المجاهدين الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذى طلع على الأمة الإسلامية بعد نوم طويل ثقيل، وفى وطأة كابوس كئيب، تعوى فيه ذئاب البدع والضلالات، فصرخ من أعماقه تلك الصرخة المدوية

التى أيقظت كل نائم ونبهت كل غافل، وأزعجت المتسلطين على الناس بسلطان الدنيا، أو من جهة الدين، فكان مما حملت صرخته تلك: (أيها المسلمون، استيقظوا فإن الهلاك لكم بمرصد، إن لم تعودوا إلى دينكم الذى هجرتموه فهجركم، وإنكم إن لم تسرعوا،وتمسكوا به،وتشدوا أيديكم عليه، أفلت منكم، وذهب إلى غيركم:

«وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم» (محمد: ٣٨)..

وقد كان لهذه الصرخة الصادقة المدوية بليل آثارها العظيمة المباركة، فهب لها النيام، واستيقظ الغافلون وسرعان ما امتلأ ميدان الجهاد بالمجاهدين، فى كل قطر من أقطار الإسلام.

فها هو ذا جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وتلاميذهما، وأشياعهما فى مصر.. والسنوسى فى أقطار المغرب، والشوكانى باليمن،والسيد احمد خان بالهند،والمهدى بالسودان وعبدالرحمن الكواكبى بالشام..

فهؤلاء ، وتلاميذهم، وأشياعهم، كانوا ثورات إصلاحية لدنيا المسلمين ودينهم جميعا، وذلك بإصلاح ماديات المسلمين ومعنوياتهم، حتى يأخذوا مكانهم عاليا شامخا مضيئا بين الأمم.. فاذا أصلح المسلمون موقفهم من دينهم، واستظلوا بظل مبادئه وأحكامه، صلحت دنياهم، وعز مكانهم بين الناس.. ولن يكون إصلاح دين المسلمين إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومجانبة كل ما دخل على دين الله من بدع غطت وجه الدين وحجبت خيره عن أولئك الذين لم يعزلوا تلك البدع عنه.

* * * *

وإذا كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رضى الله عنه - هو باعث تلك الحركة الإصلاحية المعاصرة،والداعية إلى الاستمساك بدين الله،واتخاذ كتابه وسنة رسوله دستورا قائما عليهم، وسلطانا حكما بينهم فى أفرادهم وجماعاتهم وشعوبهم - إذا كان ذلك كذلك-وهو الحق المشهود - فإن من حق هذا المصلح العظيم أن يحتفى به، وان تعرض صفحات من جهاده تكشف عن بلائه وصدق عزيمته، وصبره على المكاره، احتسابا لله،

وابتغاء لمثوبته ورضوانه، بالنصح للمسلمين، وردهم من متاهات الطرق التى شردوا فيها عن دين الله، حتى ضعف شأنهم ووقعوا فريسة ليد أعداء الله وأعداء دين الله وأعداء المؤمنين بالله.

فحق الشيخ محمد بن عبدالوهاب معقود فى عنق كل مسلم حريص على الخير لنفسه وللمسلمين، أن يدرس سيرة هذا البطل المجاهد، وأن يتعرف إلى أسلوب دعوته، ومضامينها، وأن يشهد صورا من جهاده وبلائه وصبره، وأن يرى كيد الشيطان وأولياء الشيطان لدعوة الحق، وللداعين بها، ثم ليعرف آخر الأمر أن النصر للحق وأن العاقبة للمتقين، ثم ليكون هذا أسوة للمتأسين وطريقا للمجاهدين:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ج وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ» (الممتحنة: ٦)

وإذا كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى العصر الذى سبق عصرنا هذا ـ فإننا إذ نخصه بهذا الاحتفاء، فما ذلك إلا لأنه لم يجئ من بعده من يرتفع إلى منزلته أو يقف إلى جواره وإن كان هناك كثير من المصلحين قد جاءوا من بعد إلا انهم كانوا تلاميذ له، أو متأثرين بدعوته، سائرين على مواقع أقدامه، دون أن يلحقوا به!

* * * *

وبحثنا هذا الذى نديره حول سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب إنما يتناول جانبا واحدا من جوانب سيرته الرحبة العظيمة، وجهاده المتسع الميادين، وذلك الجانب هو: «الشبهات التى أثيرت حول دعوته»..

تلك الشبهات التى قامت بواعثها على مدعيات باطلة ومنازع فاسدة، لأسباب سياسية أو لدوافع شخصية، من علماء الدنيا، المتجرين بالدين، أو عن جهل غلب عليه الحمق والحسد الأعمى دون نظر أو تثبت. إلى كثير من بواعث الهوى، التى فضحها الإمام فى حياته برسائله وكتبه ثم فضحتها الأيام بعد

مماته، لأن الحق وإن شوش عليه الباطل يوما، فإن سلطان الحق المستمد من سلطان الله تعالى لا يلبث حتى يزهق الباطل، ويخمد أنفاسه:

« بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ »

(الأنبياء: ١٨)

نسأل الله العون والتوفيـــق ..

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.!

* * * *

# مدخـــل الـى البحـث

عرفت الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، معرفة صحبة ملازمة، منذ نحو عشرين عاما، وكان ذلك فى شهر فبراير سنة ١٩٥٩م حيث كنت قد انتزعت من بين أهلى فى منتصف ليل التاسع من هذا الشهر، ثم ألقى بى فى السجن الحربى نحو ثمانية أشهر بين زبانية هذا السجن الجهنمى، وما معهم من كلاب، وحيات يطلقونها على ضيوف هذا السجن الرهيب.

وكانت محنة قاسية ضاقت بها نفسى، وخاننى فيها صبرى، وتغشتنى فيها غواشى الوحشة المرة، والألم الأليم الممض.. وليس من عزاء إلا الرجاء فى رحمة الله والطمع فى فواضل رحمته وإحسانه..

ذلك أنى وقعت ليد باغية متسلطة، أعادت فى مصر سيرة فرعون وجبروته الذى سجل عليه القرآن الكريم قولته الضالة الآثمة يهتف بها فى قومه، من كرسى عرشه:

« فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ » (النازعات: ٢٤)

ثم يتبعها قولته الفاجرة:

« يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي » (القصص: ٣٨).

نعم لقد وقعت ليد فرعونية، إن لم يجهر صاحبها بادعاء الألوهية، فإن هذا الادعاء كان يعيش فى ضميره ويتسلط على عقله، ويتحكم فى أقواله، وأفعاله.. فكلمته حكم، وأمره قضاء، ومشيئته قدر.. فكان نصيبى من هذه المحنة، هو نصيب كل مصرى عاش

تحت حكم هذا الفرعون، وإن اختلفت حظوظهم من تلك المحن الواقعة بهم.. فهم جميعا عند قول الشاعر:

من لم يمت بالسيف مات بغيره :: تنوعت الأسباب والموت واحد

وأنه لا يأس من روح الله !

ففى زحمة هذه الخواطر السوداء التى كانت تتعاوى فى مشاعرى كقطيع من ذئاب مسعورة تطلب صيدا، وتتربص بفريسة، رأيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يدخل على فى مزدحم هذه الخواطر، من غير معرفة سابقة به، ولا استدعاء له، إذ لم يكن له عندى إلا صورة باهتة من سيرته، عفى عليها النسيان وعلاها كثير من الغبار، الذى أثاره فى وجه دعوته كثير من أعداء الحق، وطلاب المناصب والجاه من علماء السوء.. نعم، دخل على خواطرى فى تلك الحال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رضى الله عنه ـ جليسا مؤنسا، وإذا كل هذه الخواطر السوداء تتبدد، وتفر هاربة، وإذا الشيخ ـ رضوان الله عليه ـ يملأ فراغ نفسى، ويأخذ مكانا متمكنا من قلبى،واذا برد السكينة والأمن يثلج صدرى المهموم المحموم!!

وأسأل نفسى: مالهذا الشيخ بى؟ ولم يكن هو الطارق لباب وحدتى وهمومى،إن فى الأمر سرا، لابد أن تكشف عنه الأيام..

ثم لقد غلبنى النوم، فنمت بعد ليال لم أذق فيها للنوم طعما، وهل ينام من تعضه الكلاب وتنهشه الحيات، وتصك أذنيه صرخات المعذبين، وأنين الجرحى؟

وكان مساء ، وكان صباح !!

وما كدت استيقظ صباح ليلتى تلك، حتى وجدتنى أعود إلى ترديد هذا السؤال ما لهذا الشيخ بى؟ وما شأنه معى؟ ومن لى فى هذا السجن المطبق على بأن أجد كتابا أو كتبا لأعرف شيئا أكثر وأصدق عن هذا الشيخ الذى لم أكن أعرف عنه إلا أخلاطا من الآراء المتضاربة المتناقضة، التى لم أقف عندها، ولم أعمل على تحقيقها وتمحيصها؟

وهكذا عشت فترة اعتقالى فى السجن الحربى، وأنا مشغول بهذا الشيخ، الذى لم تكد تفارقنى أنفاسه ليلة واحدة خلال تلك الفترة.

ثم خرجت من هذا السجن أو القبر الى عالم متجهم لى، أنكرنى فيه القريب وتجافانى الصديق، خوفا من أن تلحظه عين من تلك العيون المسلطة على، تتبع خطواتى، وتتسمع همسى، وتختطف كل من تحدثه نفسه ببسمة للقائى، أو بهمسة عزاء فى أذنى.

ومن أول يوم من خروجى الى عالم ما وراء السجن الحربى، وأنا فى لهفة الى لقاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما كتب الكاتبون عن دعوته من أولياء وأعداء..

وكان من هذا أن أخرجت للناس أول كتاب من سلسلة مؤلفاتى التى جاوزت الستين مؤلفا الى يومى هذا.. وكان هذا الكتاب، أو الكتيب تحت عنوان: الدعوة الوهابية[1] محمد بن عبدالوهاب، العقل الحر، والقلب السليم..

وكان هذا الكتاب فاتحة خير لى، وبركة على، إذ فتح الله على بعده بهذه المؤلفات العديدة، التى كانت ذكرى الشيخ تلازمنى دائما أثناء إعدادها.

وقد نشر هذا الكتيب عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى رجب سنة ١٣٧٩ هـ ، الموافق يناير سنة ١٩٦٠م أى بعد أربعة أشهر من خروجى من السجن!

فرحم الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة واسعة، وأجزى له المثوبة، بما هدى من ضلال، وما أزال من شبهات، وكشف من ظلمات، وبما مهد من طرق لدعاة الخير ومريدى الإصلاح.

---

(١) نسبة الدعوة الى الوهابية نسبة خطأ، لم أنتبه اليها فى حينه، فما هى إلا دعوة إسلامية، مجددة لما اندثر أو كاد من معالم الإسلام، بما دخل عليه من بدع، ومنكرات، لبس بها المسلمون أثواب الشرك.

هذا وقد أعيد طبع هذا الكتيب فى ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ الموافق ابريل ١٩٧٤م،بعد أن التقيت فى الرياض بالأستاذ الجليل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ، حفيد الإمام صاحب الدعوة، الذى صحح لى بعض المفاهيم عن دعوة الشيخ الإمام، وكان قد اختلط علىّ بعضها، فى مزدحم المقولات التى قيلت فى الدعوة مما ينقض بعضها بعضا، فتقبلت هذه التصحيحات راضيا شاكرا، وأثبتها فى صلب الكتاب - فى طبعته الثانية تلك - وعلقت على بعضها بما رأيت من فهم لى.

وها أنذا، أشرع فى الكتابة عن الشيخ الإمام ودعوته، متناولا جانبا واحدا من جوانب دعوته، وهو جانب المتصدين لدعوته، المحاربين لها بالمفتريات والأباطيل، دفاعا عن سلطانهم القائم على العامة بهذه المفتريات وتلك الأباطيل..

وإذا كان الحق قد انتصر، وكشف الزمن عن صدق الدعوة، وإخلاص الداعية وسقوط ادعاءات المدعين، وضلالات المضللين، الأمر الذى يغنى عن النظر إلى هذه الترهات وتلك المفتريات - فإن من الخير - مع ذلك - أن نعيد عرض هذه المواقف التى وقفها علماء السوء من دعوة الحق، ليكون فيها الدرس النافع والعبرة الزاجرة لمن يقفون من دعوات الاصلاح هذا الموقف الذى تباع فيه الضمائر وتسترخص فيه القيم لقاء شئ من حطام هذه الدنيا من مال، أو جاه، أو سلطان!!

واذن فعلى بركة الله نمضى ، وبعونه نستعين ..

لاهم هب لى بيانا أستعين به
على قضاء حقوق نام قاضيها

** وصلى الله على سيدنا محمد، إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه والتابعين..

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. ))

# الفصـــل الأول

## الحياة .. وهذا الصراع بين الأحياء

ـ ١ ـ

الحركة هى مبعث القوة العاملة فى هذا الوجود، وهى المولد (الديناميكى) لكل الطاقات العاملة فى مسرح الحياة، وهى سر هذا التفاعل المتصل بين الكائنات جميعها، من الذرة إلى الجبل، ومن قطرة الماء إلى المحيط ، ومن الجنة إلى الشجرة.

فهذه التى تخلع على الحياة فى كل لحظة حللا مختلفة الأشكال والأصباغ، إنما هى من نسيج الحركة، ومن صنع يديها، وانه لولا هذه الحركة الدائبة الشاملة فى هذا الكون الرحيب، لجمدت الموجودات ولأكلها الصدأ كما يأكل الحديد، ولتحللت كما يتحلل الجسد ويتهرأ، حين تزايله الحياة، ويستولى عليه الخمود والسكون.

والحركة فى مظهرها صراع عنيف متصل بين الموجودات،كل موجود يريد أن يحقق ذاته، ويبرز شخصيته على نحو ما.. فبعض الموجودات يكون تحقيق ذاتها بإفناء غيرها فيها، حين يأكل الحى غيره، ويغتذى به.. وبعضها يكون تحقيق ذاتها بإفناء وجودها لإحياء غيرها، كما يرى ذلك فى مواقف التضحية والفداء والاستشهاد من أجل الجماعة، أو الانتصار لمبدأ كريم.. وبعض ثالث من الموجودات يكون تحقيق ذاتها بالاجتماع مع أشباهها، والانتظام معها فى حركة واحدة تنتج خيرا يتقاسمه الجميع بينهم.

وهكذا تتعدد صور الصراع بين الموجودات إلى أعداد لا حصر لها، حتـى يكون الصراع بين الإنسان ونفسه حين تهجم عليه بأهوائها وشهواتها، تريد مسخ إنسانيته، واغتيال فطرته، فيلقاها مغالبا لها، فيغلب حسب ما عنده من رصيد الايمان، وقوة العزيمة أو ضعفها..

- ٢ -

والصراع الذى يدخل فيه المؤمن، هو صراع الخير الذى ينشده، ويسخر له قواه، لخيره وخير الجماعة معه، وبين الشر الذى يزحمه فى طريق حياته، وفى ميادين عمله، يريد أن يصرفه عن وجهته، وأن يسخره للشر، وموالات الأشرار..

والإسلام فى نظرته للخير والشر لا ينكر واقع الحياة، ولا يجاوز الحدود التى تجرى عليها سننها.. فالإسلام يعترف بما فى الحياة من خير وشر، كما يعترف بأن الإنسان فى معرض الخير والشر، وأنهما يتنازعانه دائما كل منهما يريده إلى جانبه.. كما يعترف الإسلام بأن فى كيان الإنسان من القوى المدركة العاقلة ما يفرق به بين الخير والشر ويميز به الطيب من الخبيث، كما يفرق بحواسه بين النور والظلام، والحلو والمر، والجميل والقبيح.. كذلك يعترف الإسلام بأن فى كيان الإنسان نفسا أمارة بالسوء، وشيطانا يوسوس له بالمنكر، ويزينه له، ويعرض له الشر فى صورة الخير.

والخير فى نظر الإسلام حق ثابت، والشر زيف عارض، أو بمعنى آخر، أن الخير يقوم على دعائم قوية ثابتة من الحق، ويستند على أسس وطيدة منه، وأن الشر ينبت من حبات الباطل، ويغتذى من سراب الزور والبهتان..

- ٣ -

وبما أنه لا يمكن أن يأتلف الخير والشر، ويتآخى الحق والباطل، فقد كان لكل موقعه، ولكل أهله ومريدوه من الناس.. ومن هذا كان ذلك الصراع المحتدم بين الناس - أفرادا وجماعات - كل يناصر الموقع الذى أخذه من هذين الموقعين المتضادين، المتنازعين..

ودعوات الرسل والأنبياء والمصلحين الراشدين من الناس، إنما هى وقوف إلى جانب الحق والخير وانتصار لهما، واستنفار لمن يستجيبون لدعوتهم، أن يكونوا تحت راية الحق والخير، وأن يعملوا بكل قواهم لهزيمة الشر والباطل، ولو وقعوا شهداء فى ميدان المعركة،

حتى يطيب للناس المقام فى هذه الحياة وتظلهم الطمأنينة والأمن والسلام.. وفى هذا يقول الله تعالى:

«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العلمين» (البقرة: ٢٥١) ..

ذلك أن من فضل الله على الناس، ورحمته بهم، وإحسانه عليهم، أن ندب فيهم للحق رجالا يحمون حماه، ويدفعون أهل الباطل أن يستعلوا على أهل الحق، حتى لا تفسد حياة الناس، وتتغشاها غواشى الظلم، والبغى، والعدوان..

ولأن أهل الخير ينتصرون للحق، ولأن الحق اسم من أسماء الله الحسنى، فإن الله تعالى ينتصر لمن يلوذ بحمى الحق، ويكون وليا لله مستعينا به فيجد من الله العون والنصر.. وفى هذا يقول الحق سبحانه:

«إن الله يدفع عن الذين ءامنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديرهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صومع وبيع وصلوت ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (٤٠) الذين إن مكنهم فى الأرض أقاموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عقبة الأمور» (الحج: ٣٨: ٤١)..

ـ ٤ ـ

ونصر الحق من أنصار الحق، إنما يكون بالقول والعمل..

فبالقول يكشف وجه الحق، وتشرق أنواره، وتتضح معالم الطريق اليه لمن غاب

عنهم، أو ضلوا عنه.. وبالعمل يدفع أهل الباطل الزاحفون على مواطن الحق، المحاربون لأهله..

وفى هذا المجال يمتحن إيمان المؤمنين، ويتبين صدق الصادقين، حيث يكون البلاء هو النار التى تكشف عن معادن الرجال، وفى هذا يقول الله تعالى:

« وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ »

(محمد: ٣١)

ويقول سبحانه:

« أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ »

(العنكبوت: ٢ ـ ٣)

ويقول جل شأنه:

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ »

(البقرة: ٢١٤)

والله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الحق وحده سلطانا قائما فى الحياة لا يتحكك به الباطل، ولا ينازعه سلطانه:

« وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ »

(هود: ١١٨ ـ ١١٩)

فهو سبحانه أراد أن يكون للناس ابتلاء وامتحان وأن يكون للمؤمنين بلاؤهم وجهادهم لإعزاز سلطان الحق والتمكين له، لينالوا بهذا رضوان الله، ولينزلوا منازل المكرمين عنده فى جنات النعيم:

«... ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» (محمد: ٤ ـ ٦) ..

فلابد إذن للحق من أنصار يجاهدون فى سبيلة، ويحتملون ما يلقاهم على طريق الجهاد من بلاء وعناء، فذلك هو الثمن الذى يقدمه المجاهدون لينالوا به رضوان الله، والذى ضن به أولياء الشيطان، فكانت عاقبتهم الخسران، والحسرة والندامة.

ـ ٥ ـ

هذا، وقد تعلو للباطل رايات، ورايات، وتقوم تحت راياته تلك دولة ودولة حتى يظن أن وجه الحق قد اختفى، وأن دولته قد دالت.. ولكن الواقع هنا هو أن الحق فى تلك الحال مضمر فى محيط الحياة الإنسانية، يستدعى أنصاره أن يقوموا له، وأن يزيلوا سحب الضلال المنعقدة فى سمائه، لتشرق شمسه من جديد وإن طال ليل الباطل وامتد، والله تعالى يقول:

«أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ» (الرعد: ١٧ ـ ١٨)

ومن هذا المثل الكريم، الذى ضربه الحق سبحانه، للحق والباطل، نرى أن الحق، قد يزاحمه الباطل، ويشوبه بغباره ودخانه، كما يشوب المعادن الكريمة ذرات من التراب أو

الصدأ، فإذا عرضت تلك المعادن على النار تخلصت من تلك الشوائب الغريبة التى دخلت عليها، وإذا هى نقية خالصة من كل شائبة!!

كذلك الحق، إذا شابه الباطل، فإنه لا يتخلص من هذا الغريب الذى دخل عليه إلا بجهاد المجاهدين الذين يحرقونه بنار جهادهم، ويخلصون الحق من شوائب الباطل:

« بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُـهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ » (الأنبياء: ١٨)

ففى قوله تعالى:

« نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ »

إشارة الى تلك القوة التى تقوم من وراء الحق من المجاهدين فى سبيله، والتى تقذف بالحق قذفا، وتدفع به دفعا لتصدم به الباطل صدمة قاتلة.. فإن الحق وحده بغير أنصار ينتصرون له، ويدافعون عنه، هو جوهر كريم فى باطن الأرض، لابد من البحث عنه والمعاناة فى سبيل الوصول إليه والانتفاع به.

إن من المبادىء المقررة فى علم الاجتماع «أن البقاء للأصلح» والأصلح لحياة الناس، وأمنهم واستقرارهم هو الحق، الذى يولد منه كل خير، كما أن الأصلح للانسان هو سلامة جسده وعقله، فإذا دخل عليه مرض فى جسده، أو افة فى عقله، فإنه لا يجد للحياة طعما، إلا إذا تخلص من هذا المرض، وعوفى من تلك الآفة.. يقول الفيلسوف الانجليزى (جون ستيوارت ميل) (١٨٠٦ - ١٨٧٣) م «من السخافة أن يتوهم المرء أن الحق - لا لشىء سوى أنه حق - يشتمل على قوة غريزية ليست موجودة فى الباطل، من شأنها أن تمكن الحق، من التغلب على ضروب العقاب، والتنكيل، والشرور التى تمتد بها يد الباطل..

«إذ الحقيقة الواقعة، أن مقدارا كافيا من العقوبات الغاشمة، أو الظلم الاجتماعى يحول دون انتشار الحق..

ولكن الفضيلة الصادقة التى يتميز بها الحق هى: أنه يمكن إخماده مرة ومرة ومرات، غير أنه لابد على الزمن من أن يظهر أناس يعاودون اكتشاف الحق، المرة بعد الأخرى، حتى يوافق ظهوره فى إحدى المرات ظروفا ملائمة، فينفلت من الاضطهاد، ويجمع من الأنصار ما يمكنه من التغلب على الباطل، وإجلائه من المواقع التى احتلها».

والظروف الملائمة للحق، التى يشير اليها هذا الفيلسوف، والتى تمكن لانتصار الحق، ودحر الباطل، إنما تكون بظهور رجال أشرقت فى قلوبهم أنوار الحق، فأبوا أن يروا الباطل يحوم حوله بظلامه، لأن الباطل كريه الريح، يخنق بريحه الخبيثة صدور أهل الصحة والسلامة، فلا يجمعهم وإياه مكان، بل يعملون جاهدين على طرده والقضاء عليه ولو ذهبت فى سبيل ذلك أرواحهم.

- ٦ -

والرسل والأنبياء، عليهم السلام - كما أشرنا من قبل - هم القائمون بدعوتهم السماوية المنزلة بالحق، فى وجه الباطل، والآخذون عليه السبيل أن يتسلط على الناس، ويفسد حياتهم.

ومن وراء الرسل والأنبياء، عليهم السلام، أتباع الرسل والأنبياء، الذين يقومون بما دعوا إليه من حق، وما حذروا منه من باطل، فيجاهدون بألسنتهم وبأيديهم وبأموالهم، دفاعا عن الحق، ودفعا للباطل أن يحوم حول حماه.

وفى ميدان هذا الجهاد المبرور، يتوارد المصلحون ودعاة الحق على مواقع الجهاد، مسترخصين النفوس والأموال، والأهل والأوطان، محققين بذلك ما عقدوه مع الله تعالى فى قوله سبحانه:

«إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١١) ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ
لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ »
(التوبة: ١١١ ـ ١١٢) ..

ويقول سبحانه فى وصف هذه الأمة:

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ »
(آل عمران: ١١٠)..

وانه لكى يتحقق للأمة الإسلامية هذا الوصف الكريم، الذى أضفاه الله تعالى عليها ـ وهو متحقق دائما إن شاء الله ـ كان لابد أن يقوم فيها دعاة الخير، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فلا تتعطل فيها هذه الدعوة أبدا، ولا يخفت صوتها فى أى زمان أو مكان، وإن كانت هى فى زمن أقوى فيها من زمن، وفى حال أكثر فيها ثمرا من حال!

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم» ـ أى اليهود ـ ثم تلا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

« لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ »
(المائدة: ٧٨ ـ ٧٩)

- ٧ -

وفى سبيل الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، كان البذل والتضحية.. والاستشهاد فى سبيل الله، من أولئك المؤمنين الذين كان لهم من وثاقة إيمانهم بالله، وغيرتهم على دين الله، ما دفع بهم إلى أخذ هذا الموقف واحتمال ما يصادفهم على طريقه، من شدائد وأهوال..

وفى سجل المجاهدين فى سبيل الله، والداعين إلى الله، والى شريعة الله، نرى صفحات خالدة مشرقة، لأبطال الإسلام فى كل جيل، وفى كل موطن من مواطن الإسلام، وفى كل موقع من مواقع الحق، صفحات تنطق بأبلغ بيان، وتدلى بأصدق شهادة، بأنهم قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فما ضعفوا وما استكانوا فى أى موقف يدعوهم الحق إلى نصرته، والى الجهاد والتضحية فى سبيله، وبهذا ظلت وستظل - إن شاء الله - هذه الأمة على هذا الوصف الذى وصفها الحق سبحانه وتعالى به فى قوله جل شأنه:

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ »..

- ٨ -

وأما ونحن مع سيرة بطل من أولئك الأبطال المجاهدين، الذين ضمهم التاريخ فى سجل الخالدين فى الناس بما خلفوا وراءهم من صدق الجهاد وعظيم التضحيات، ونعنى بهذا البطل العظيم، والمجاهد المصلح الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب - وانه بحسبنا من سيرته، أن نذكر صفحات من جهاده وصبره على المكاره فى هذا الجهاد، وما لقى من مفتريات المفترين، ومضلات الضالين وبخاصة علماء السوء، الذين يتجرون بالدين، تلك التجارة الخاسرة فى الدنيا والآخرة:

«أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
(١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ »

(البقرة: ١٦ ـ ١٨)

وسنرى فى هذا الجانب من سيرة هذا الإمام، كيف يواجه الحق جحافل الظلام، وكيف يبدد شمله بأسلحة الايمان والصبر والتضحية والفداء.. فإن الله بالغ أمره، وناصر أوليائه:

«أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (المجادلة: ٢٢)..

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ

(العنكبوت : ٦٩).

****

# الفصـل الثانـى

## الشيخ .. وراية الجهاد

- ١ -

### تعريف موجز بالشيخ :

هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن على.. ولد فى بلدة العيينة بنجد سنة ١١١٥ هـ وتوفى الى رحمة الله ورضوانه سنة ١٢٠٦ هـ ، أى أن حياته المباركة قد امتدت فى هذه الدنيا أكثر من تسعين عاما، كانت أعوامها كلها خيرا وبركة على الإسلام والمسلمين، حيث عمرت بالجهاد فى سبيل الله، والدعوة إلى الحق الذى كادت تذهب معالمه فى المجتمع الإسلامى كله.

وجده الشيخ سليمان بن على كان من كبار علماء نجد مشهورا بالعلم والفضل، والورع والتقوى، وقد تولى هذا الجد الكريم، وظيفة الافتاء فى نجد، وتتلمذ عليه أكثر علماء نجد، وكان يؤوى طلاب العلم، وفقراء التلاميذ، الذين يتلقون العلم عنه وينفق عليهم من خالص ماله.

ثم خلفه ابنه الشيخ عبدالوهاب .. وكان عالما.. وقد ولى القضاء فى العيينة فى إمرة عبدالله بن محمد بن معمر.

- ٢ -

وفى هذا البيت المتصل بالعلم، الناشر لألويته فى ربوع نجد، ولد محمد بن عبدالوهاب، ونشأ يتلقى العلم عن أبيه حيث ظهر نبوغه، وأشرقت بصيرته، فنفذ بهذه البصيرة إلى مواقع الحق من دين الله، وأخذ يرى تلك المفارقات البعيدة بين ما فى كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة، من دين خالص لله ووحدانية مطلقة لله، وبين ما كان يرى من قومه من شرك بالله يتمثل فى تعظيم المقبورين، والتمسح بجدران القباب، والأضرحة المقامة على أولئك الأموات والتعبد للأحجار والأشجار، وتقديم القربان لها، وطلب العون منها، والتماس قضاء الحاجات عندها.

ولقد كانت أكثر هذه المعتقدات الشركية، وافدة على نجد وعلى غير نجد فى الجزيرة العربية، وفى كثير من أقطار الإسلام - وافدة من بلاد العجم الداخلة فى الإسلام بموروثاتها الفاسدة التى لم تستطع أن تتخلص منها، فاختلطت تلك الموروثات بالتوحيد حتى حجبته بضبابها عن كثير من العيون، وأخلته من كثير من القلوب.. وأصبحت تلك المشاهد المنصوبة على أسماء لآل البيت - رضوان الله عليهم - فى مشهد، وفى قم، وفى مصر، وفى غيرها - مزارا وحجا لكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام وكأنها صورة من تلك الأصنام التى نصبها مشركو الجاهلية فى داخل الكعبة وخارجها حتى كان يوم فتح مكة، حيث طهر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيت الله من هذا الرجس، إذ جعل ينخس هذه الأصنام بمخصرته، وهو يتلو قوله تعالى:

« وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا »

(الاسراء: ٨١)

فتنقلب على وجوهها غارقة فى التراب .

- ٣ -

ولقد ثارت نفس الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وامتلأ صدره حسرة وألما، لما رأى ما عليه أكثر المسلمين من حوله، وهم غارقون فى هذا الضلال، وليس فى قلوبهم، ولا على

ألسنتهم، ولا فى أعمالهم شئ من الإسلام، وإن يكن فهو شعار زيف، أشبه بسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

من أجل هذا لم يطق الشيخ صبرا على ما يرى، فأخذ يطوف فى البلاد، لعله يصادف فى تطوافه وجها صحيحا للإسلام فى أى بلد من بلاد الله، فتنتعش نفسه وتبرق بوارق الأمل فى صدره، أو لعله يلتقى بمن يشاركه هذه الهموم التى تعتلج فى صدره، غيرة على الإسلام، وحرصا على المسلمين، فيخفف ذلك من بعض همومه ويجد بعض العزاء عند من يشاركه حملها.

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة
يواسيك ، أو ينسيك، أو يتوجع

- ٤ -

وكان أن رحل الشيخ من بلده العيينة الى البلد الحرام، ولما لم يجد هناك ما يشد أزره، ويقوى عزيمته على الدعوة الى إصلاح حال المسلمين، وتخليصهم من الشرك الذى اغتال مواقع الايمان منهم ـ شد رحاله الى المدينة المنورة.

وفى المدينة المنورة، التقى بكثير من العلماء، الذين حماهم الله من الارتكاس فى دنس الشرك، وبرأهم من الضلال الذى وقع فيه كثير من أدعياء العلماء وتجار الدين.

ومن هؤلاء العلماء ، الذين اتصل بهم الشيخ فى المدينة (الشيخ عبدالله بن ابراهيم ابن سيف)،وكان عالما مستنيرا، فاقها لدين الله.. وقد وجد عنده الشيخ محمد بن عبدالوهاب صدى لما كان يتردد فى صدره، ويعتلج فى خواطره،فأفاد كثيرا من علمه..

كذلك التقى الشيخ فى المدينة أيضا بالشيخ (محمد بن حياة السندى)،وكان محدثا عالما، مستنير البصيرة، فاقها لدين الله، سليم العقيدة، بعيدا عن التقليد الأعمى، فلا يقبل أمرا من أمور دينه، إلا رده إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، ثم نظر فيه بعد ذلك نظر متدبر، فإن غم عليه شئ سأل أهل الذكر من علماء السلف بالرجوع الى المعتمد من مؤلفاتهم وآثارهم.

وقد شهد الشيخ وفود الحجيج، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان يفعل المسلمون من منكرات، وما تنطق به ألسنتهم من شرك غليظ، حول قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ فشد ذلك من عزمه، وقوى من يقينه على التصدى لهذا الضلال، وإعلان الحرب على هذه المنكرات، بكل ما يقدر عليه من إنكار باللسان، وتغيير باليد لهذه المنكرات، إن استطاع!

ـ ٥ ـ

فلما أخذ الشيخ ما أمكنه أخذه من علماء المدينة، ووجد دفء الأمل فى صدره، أخذ طريقه الى نجد، معاودا تشديد النكير على تلك المنكرات المتفشية فى القوم هناك...

ثم ما كاد الشيخ يستقر فى نجد، ويتهيأ لخوض المعركة ضد الشرك هناك، حتى وقع فى خاطره أنه إذا قدر له أن ينتصر فى هذه المعركة فى وطنه، ويزيح غوائل الشرك عنه، فإن الداء لا يلبث حتى يدخل مرة أخرى على أولئك الذين استشفى لهم من دائهم، وذلك بما يزحف عليهم من الأوطان المجاورة، وبخاصة فى موسم الحج، وما يحمل وفود الحجيج من آفات الشرك التى تسرى سمومها من حامليها الى الذين تخلصوا منها، كما تسرى عدوى الوباء من المريض إلى السليم..

لهذا رأى الشيخ ـ رضى الله عنه ـ أن يأخذ بالحكمة القائلة: «الوقاية خير من العلاج»!

فرأى أن تكون له رحلات الى العالم الإسلامى، وذلك ليحقق أمرين:
أولهما : أن يتعرف على أحوال المسلمين فى غير نجد، وأن يتصل بعلماء المسلمين فى أى قطر يحل به، ليجد ما عليه الناس هناك، فإن كانوا على الصحة والسلامة فى

دينهم، تبين الأسباب التى حفظت عليهم دينهم من أن تدنس حماه آفات الشرك.. وإن كانوا على الحال التى عليها أهل نجد وما حولهم، من هذا الشرك المتمكن منهم، حاول أن يتعرف على مداخل هذه الآفة، وموقف العلماء منها..

وثانيهما : أنه لا يعدم فى هذه السياحة فى أوطان المسلمين أن يلتقى ببعض العلماء الراشدين، فيفيد منهم ويفيدوا منه، ثم لا يعدم أن يجد منهم الداعية فى وطنه، الى ما يدعو إليه هو فى نجد، وفى الجزيرة العربية، وهذا مما يشد أزر الدعاة، إذا تجاوبت دعواتهم، وترددت أصداء هذه الدعوات من كل ناحية.

فقلت ادعو وأدعو إن أندى
لصوت أن ينادى داعيان

هكذا قدر الشيخ، فكان أن وجه وجهه نحو العراق!!

- ٦ -

الرحلة الى العراق :

رحل الشيخ الى العراق، وفى تقديره أن فيها صورا من الشرك تزيد عما رآه فى نجد، حيث المشاهد والقباب المموهة بالذهب، والمكسوة بالديباج والحرير، وكانت البصرة محط رحال الشيخ.

وهناك رأى أكثر مما كان يتصور، من البدع والمنكرات.. ومع هذا فقد صادف فى العراق عالما جليلا هو (الشيخ محمد المجموعى) الذى كان أشبه بومضة من النور فى وسط ليل حالك كئيب.

وفى مجلس الشيخ المجموعى، كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يواجه ما يرى أو يسمع من الأقوال والأفعال الشركية، بكلمة الحق، الواضحة الصريحة، التى كانت تنزل على رءوس علماء السوء والعامة المتعلقين بأذيالهم، نزول الصواعق، فتتجهم وجوههم، وتتحرك ألسنتهم بالإنكار على الشيخ ورميه بالمروق من الدين...

ومن هذا الضلال الذى كان عليه أهل البصرة، قامت حملة شيطانية عاتية على الشيخ حيث تداعى عليه السفهاء، والمشعوذون المتجرون بالدين، يشوشون عليه ويرجمونه بأقبح الكلمات.. ثم مازالوا به حتى أخرجوه من البصرة مشيعا بالسب والقذف بالألسنة والأيدى..

أخذ الشيخ طريقه عائدا الى نجد.. وفى الطريق الى بلدة الزبير[٢]، كاد يموت عطشا ورهقا، لولا أن سخر الله تعالى له رجلا[٣]، رآه على تلك الحال مع ما عليه من جلال ووقار، فأخذته الشفقة به، فأسعفه بالماء، وحمله على حماره، حتى أوصله إلى بلدة الزبير.

ومن بلدة الزبير سار الشيخ الى الاحساء، فلم يمكث بها إلا قليلا، ثم سار منها الى «حريملاء» التى كان والده قد استقر بها.

- ٧ -

## هذه الهجرات وحصادها :

ولاشك أن هذه الهجرات التى هاجر بها الشيخ الى ربه، نحو مكة والمدينة ثم العراق، وما صادف فى هذه الرحلات من ضروب الشدائد وما طلع عليه من وجوه الخير والشر فى البلاد والعباد ـ لاشك أن ذلك كان إعدادا طيبا له ـ للدخول فى هذه الغزوات التى غزاها فى سبيل الله، داعيا الى الله، هاديا الى دينه القويم، صابرا ومصابرا على كل ما يلقى المجاهدون فى سبيل الله من بلاء، هو الطريق الى رضوان الله، والى الفوز بجنات النعيم، كما يقول الرسول الكريم، صلوات الله وسلامه عليه: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

---

(٢) بلدة الزبير لواء من ألوية البصرة، وفيها قبور طلحه، والزبير بن العوام.. وابن سيرين، والحسن البصرى..

(٣) هذا الرجل من بلدة الزبير، ويقال له: أبو حمدان.

ثم كان الى جانب هذه الغزوات بكلمة الحق، تلك السيوف الماضية التى قامت بين يديها ومن خلفها من آل سعود، الذين باعوا أنفسهم لله، ذيادا عن دينه ودفاعا عن حرماته.

وبهذا اجتمع للدعوة العنصران اللذان يكفلان لها النجاح، ويبلغان بها الغاية المرجوة منها، وهما: الداعية الذى ينطق بالحق، ويفصح عن دين الله، خالصا من كل شائبة، مبرأ من كل زيف.. ثم مع هذا الداعية السيف الذى يضرب فى وجوه الباطل، ويردع المبطلين.. والله تعالى يقول:

«وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ» (البقرة: ٢٥١)

وهكذا عرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كيف يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته، وفى هجرته، وفى بيعة الأنصار لنصرته، وفى مواجهة السيف بالسيف، حتى كان النصر والفتح، ودخول الناس فى دين الله أفواجا.

ولهذا كان نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب محسوبا على الناس بمنهج دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ واقتفاء آثارها.. فكانت الكلمة أولا.. ثم كان السيف ثانيا لمن وقف فى وجه كلمة الحق، وصد الناس عنها..

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا، وإن نلقه بالسيف ينحسم

* * * *

# الفصـــل الثـــالث

## فى ميدان الجهاد

- ١ -

لقد كان هناك أكثر من ميدان للجهاد، دخل فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره من آل سعود.. وانه إذا كان آل سعود قد حملوا عبء معارك القتال فى نجد، وفى الجزيرة العربية، ثم فى مواجهة الدولة العثمانية، والأوطان التى تحت يدها ـ فإن الشيخ ـ رضى الله عنه ـ واجه بدعوته أكثر من عدو..

فهناك الشرك الذى غطى الجزيرة العربية كلها، حتى أصبح دينا يدين به الناس بدلا من دين الله.. فكان على الشيخ فى هذا الميدان أن يكشف وجوه الشرك، ويفضحها على ضوء الإسلام، وحقائقه.. ثم هناك أهل الضلال من العلماء الجهلاء ومن وراءهم من العامة المنقادين لهم حيث وقفوا جميعا فى وجه الدعوة وشغبوا عليها ـ وكان على الشيخ أن يتصدى للرد على أهل الباطل، وأن يهزمهم بكلمة الحق بما ألف من كتب وبما وجه من رسائل، وما أدار من محاورات.

ثم كان هناك المجاهدون، وما يقع لهم من نصر أو هزيمة فى ميادين القتال.. وكان على الشيخ أن يضبط بحكمته تلك الأحداث، وأن يقيمها على ميزان الحق والعدل والإحسان، فلا زهو بالنصر يكون منه البغى والعدوان، ولا تخاذل مع الهزيمة يكون منه الاستسلام، واليأس.

وهكذا قضى الشيخ حياته مجاهدا فى كل موقع محاربا فى كل ميدان، مؤمنا بربه واثقا

فى تأييده ونصره حتى لحق ربه، تاركا وراءه رصيدا عظيما من قوى الحق وأسلحة النصر، وبهذا الرصيد كتب الله لدعوة التوحيد أن تنتصر، وأن تخفق أعلامهـا على الجـزيرة العربية كلها ثم تمتد آثارها الى العالم الإسلامى كله..

- ٢ -

ولا نتحدث هنا عن الثمن الذى أداه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والأمير محمد بن سعود، وخلفاؤهما من آل الشيخ وآل سعود، حتى كان هذا النصر العظيم والفتح المجيد للدعوة، التى أعادت الإسلام من غربته الى الوطن الذى أشرقت منه شمس الإسلام على العالمين.

لا نتحدث هنا عن هذا الثمن العظيم الذى بذل لتحقيق هذه الرسالة العظيمة من احتمال الشدائد ومكابدة البلاء والتضحية بالأنفس والأموال، فهذا على كثرته العظيمة فى كل وجه من وجوه التضحية والفداء، هو قليل الى ما تحقق من مكاسب جليلة للإسلام، وخير وفير للمسلمين.

ويكفى أن نشير هنا اشارة عابرة الى ما وقع لآل سعود، وآل الشيخ على يد محمد على والى مصر بتحريض من السلطان العثمانى، فقد وجه محمد على جيشا كثيفا بقيادة ابنه ابراهيم الى الجزيرة العربية حيث وصل الى نجد، ودخل الدرعية، وسلط المدافع عليها، فحصد أهلها، وخرب دورها، وهدم حصونها، وقتل كثيرا من آل سعود، وآل الشيخ، ثم أخذ بقية الأمراء من آل سعود، وآل الشيخ أسرى الى مصر، ثم أرسل الأمير عبدالله بن سعود من مصر الى الآستانة، بعد أخذ الأمان له من السلطان، ولكنه قتل هناك غدرا، ولحق بشهداء الحق..

- ٣ -

أما ما لقى الإمام محمد بن عبدالوهاب فى حياته، وبعد مماته، من تشويه لدعوة التوحيد، ومن مفتريات عليه وعلى دعوته، المشرقة بنور الحق الناطقة بلسان التوحيد فإن

الأمر هنا يقتضينا أن نبسط القول فيه، ليكون درسا نافعا لدعاة الخير، وعظة بالغة لمن يحملون أمانة الدعوة الى الله، وطريقا مستقيما واضحا لأنصار الحق المجاهدين فى سبيل الله، وما يلقون من سفاهة السفهاء وجهالة الجاهلين وحسد الحاسدين، حتى يوطن الداعى الى الله نفسه من أول الأمر على مواجهة العواصف العاتية المزمجرة، وأنه فى مواجهة امتحان قاس مرير، امتحن به أنبياء الله ورسله ودعاة الحق من بعدهم.

فإن وجد الداعى من نفسه القدرة على الوفاء بحق الدعوة واحتمال الآلام فى سبيلها، أخذ طريقه الى الله غير عابئ بما يلقاه من شدائد وأهوال، ولو كان الاستشهاد فى موقف الجهاد.. وإلا صرف نفسه عن هذا الموقف، ليقفه رجل أو رجال ممن هم أهل لهذا الموقف العظيم الكريم، ولن يخلو مجتمع المسلمين أبدا ممن يدعوا الى دين الله، ويجدد للأمة الإسلامية دينها، إذا عرضت له العوارض، وتداعت عليه البدع والضلالات.

أما من يدخل هذا الميدان ـ ميدان الدعوة الى الله ، ومواجهة أعداء الله وأعداء دينه، دون أن يستوثق من نفسه، ويمتحن بلاءه وقوة صبره واحتماله، فإنه يضر ولا ينفع، حين يكون ممسكا براية الحق ثم يدعها تسقط من يده لأول صدمة يصدم بها أو يفر من الميدان عند أول مواجهة، فإن ذلك مما يقيم به شهادة باطلة على فرار الحق أمام الباطل، والذى فرّ فى الحقيقة ليس هو الحق، وإنما ذلك الذى حمل راية الحق، وهو ليس أهلا لحملها.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾
وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ » (الأنفال: ١٥ ـ ١٦)..

إن هذا الذى ولى دبره فارا من المعركة، جبنا وخوفا، هو راية هزيمة تستدعى اليها غيره ممن كانوا فى ميدان المعركة، حيث يرون فى هذا الفار ما يخيل اليهم منه أنه رأى الدائرة تدور على المسلمين، فكان منه هذا الموقف الذى قد يؤدى الى هزيمة المسلمين فعلا، ولهذا توعده الله تعالى بغضبه فى الدنيا وبالنار مأواه فى الآخرة!

- ٤ -

فماذا لقى الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى سبيل دعوته من شدائد ومحن فى حياته؟ وماذا لقيت دعوته الى توحيد الله، واخلاص العبودية له وحده سبحانه، من افتراءات عليها، وكيد لها، وتزييف لحقائقها فى حياته وبعد مماته؟

ذلك ما نتحدث عنه فى الفصل التالى - ان شاء الله - ومن الله العون وبالله التوفيق.

****

# الفصـــل الرابـــع

## صراع بين الحق والباطل

هذا الصراع بين الحق والباطل، هو المحور الذى تدور عليه قصـة الإنسانية على هذه الأرض، منذ خلق آدم الى يوم الناس هذا، والى ما بعد هذا اليوم حتى ينتهى دور الناس فى هذه الحياة الدنيا.. حيث لا تخلو أحداث هذه القصة فى أى فصل من فصولها من صورة من صور هذا الصراع، بين شد وجذب، وانتصار وهزيمة.. ثم يكون النصر والغلب للحق فى آخر كل فصل، ثم فى نهاية القصة..

والحق هو الخير والنور والهدى والفلاح لكل من تمسك به وأخذ الطريق معه.. لأنه طريق الله، وهو سبيل المؤمنين الذين رضى الله عنهم، وكتب لهم الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة، كما يشير الى ذلك قوله تعالى:

«وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ »

(يونس: ٢٥ ـ ٢٦)

وقوله سبحانه :

« وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ »

(النور: ٥٢)

والباطل هو الشر والظلام والضلال فى جميع صوره وأشكاله، وفى مختلف مواقعه وأحواله، لا يلبس من أمسك به إلا البلاء والشقاء وسوء المصير فى الدنيا والآخرة جميعا..

كما يشير الى ذلك قوله تعالى:

«فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ» (غافر: ٧٨)

وقوله سبحانه وتعالى:

«وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ»

(الجاثية: ٢٧)..

والباطل هو المنكر، الذى يجب على المؤمن إنكاره، والعمل على القضاء عليه كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه،وذلك أضعف الايمان».

والتعبير بالقلب، الذى أشار إليه الرسول الكريم لإنكار المنكر، وعدم الوقوف عنده ضعفا فى إيمان المؤمن هو أول درجات الإنكار للمنكر، حيث لا يكون إنكارا باللسان أو باليد، إلا بعد الإنكار بالقلب فإذا رأى المؤمن الصادق الايمان منكرا أنكره أولا بقلبه حين يراه خارجا عن طريق الحق والخير، ثم ينكره باللسان، فإن غاب وجه المنكر بهذا الإنكار باللسان، وإلا كان الإنكار باليد الضاربة للمنكر وأهله الصارعة لهم فى ميدان الجهاد.

وفى هذا الميدان لإنكار المنكر يمتحن إيمان المؤمنين، وفى هذا الامتحان ينكشف معدن المؤمن ويرى جوهر إيمانه، وصدق يقينه، كما يقول تعالى:

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ»

(محمد: ٣١)

ويقول صلى الله عليه وسلم: «يبتلى الرجل حسب دينه، فإن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة هون عليه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض، وما عليه خطيئة» (رواه الترمذى، عن سعد بن أبى وقاص).

ـ ٢ ـ

### من الظلمات الى النور :

وانه لكى يخرج النور من أحشاء الظلام، ولكى يتخلص الحق من شوائب الباطل، كان لابد من آلام ومعاناة أشبه بآلام المخاض ومعاناته، لتستقبل الحياة مولـودا من مواليدها، الذى يزداد به نبت الحياة ويكثر عطاؤها.

ولهذا فإنه ما كاد الإمام محمد بن عبدالوهـاب يؤذن فى قومـه بكلمـة التـوحيد ويدعوهم الى الخروج مما هم فيه من ضلال وتيه عن الله وبعد عن دينه ـ ما كاد الشيخ يهتف بقومه: أن عودوا الى الله واهجروا ما أنتم فيه من شرك به، حتى تداعى عليه الناس من العوام، وأشباه العوام من جهلة العلماء، يرمونه بالمروق من الـدين، ويرجمونه بالمنكر من القول، ويتنادون بالتآمر عليه، ونصب الشباك له، والوقوف فى وجه دعوته ولو بالسيف!!

وكان الشيخ ـ ومعه آل سعود ـ كلما تخطى عقبة فى سبيل دعوته، واجهته عقبات، وكلما حرر منطقة من أسر الشرك، تألبت عليه المناطق التى حولها، واشتد حنقها وسعارها، وتعاقدت على الهجوم عليه قبل أن يهجم هو ومن معه عليها.. وهكذا أخـذت دائـرة الصراع تتسع وتتسع، حتى كادت تشمل العالم الإسلامى كله من السلاطين والأمراء، والحكام، والعلماء، والعامة.. من لم يدخل المعركة ضده بالسيف، دخل بالرأى المخادع، وبالكلمة الباطلة، إثارة للغبار والدخان فى وجه الدعوة وداعيتها، ومن يناصره.

ـ ٣ ـ

والذى يعنينا من هذا الصراع المحتدم بين دعوة التوحيد وأنصارها من جهة وبين أعدائها والشانئين لها من جهة أخرى ـ الذى يعنينا من هذا فى هذا المقـام ليس هو الصراع الذى كان مجاله ميادين القتال، وما ضحى الأنصـار فى سبيلهـا من أنفس

وأموال، فذلك له مكانه من صحف التاريخ التى سجلت لهؤلاء المجاهدين أمجد صفحات البطولة، وأعظم مشاهد التضحية والفداء من أجل نصرة الحق، وإعزاز دين الله.

وإنما الذى يعنينا هنا أن نعرض للشبهات الباطلة والمفتريات المضللة، التى رميت بها دعوة التوحيد وداعيتها من علماء السوء لنكشف بذلك عن تلك الوجوه المنكرة، التى لم ترع أمانة العلم، ولم تخش الله فيما تقول من زور وبهتان، ابتغاء الاحتفاظ بسلطان لها على العامة، أو تزلفا لأمير أو سلطان، لقاء منصب يعود على صاحبه بجاه أو مال.

وإذا كان هؤلاء العلماء الذين خانوا أمانة العلم، وخانوا الله ورسوله، فقالوا غير الحق فى دعوة التوحيد وكتموا ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله، أو تأولوه على غير وجهه بما يستجيب لأهوائهم، ويحقق مآربهم، إذا كان هؤلاء العلماء قد رحلوا عن هذه الدنيا بما اكتسبوا من عدوان على الحق، ومناصرة للباطل، فإنه قد كان بحسبنا أن ندعهم، وندع حسابهم لله سبحانه - ولكنا قد آثرنا أن نستعرض مقولاتهم ونفضح مفترياتهم، ليكون فى ذلك عبرة لمن يأتى بعدهم، حتى يكون له من ذلك رادع يردعه عن أن يخون أمانة العلم، وما أوجبه الله تعالى على العلماء من أن يبلغوا عن الله وأن يبينوا للناس مواقع الخير، ويدعوهم إليه، وأن يريهم وجوه الباطل، ويحذروهم منه.. كما يقول الله تعالى:

«وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ»

(آل عمران: ١٨٧)..

نعم لقد نبذ هؤلاء العلماء الذين وقفوا من دعوة التوحيد هذا الموقف المنكر الضال - نبذوا عهد الله وبدلا من أن يكونوا من دعاتها، وأنصارها، والمجاهدين فى سبيل الله لنصرتها، والتمكين لها، راحوا يرجمونها بالزور، ويقذفونها بالبهتان.

نعم لقد نبذ هؤلاء العلماء الميثاق الذى أخذه الله عليهم، من أن يقوموا فى الناس مقام الأنبياء فى الدعوة الى الحق والجهاد فى سبيل الله، وطرحوه وراء ظهورهم واشتروا بهذا ثمنا قليلا، فبئس ما يشترون.

- ٤ -

وقبل أن نحاكم هؤلاء العلماء الذين خانوا الأمانة، ونقضوا ميثاق الله الذى أخذه عليهم ـ نود أن نشير إشارة سريعة الى دعوة التوحيد، التى دعا إليها الإمام محمد بن عبدالوهاب، ونضعها على ميزان الحق من دين الله، وما نطق به الكتاب الكريم، وما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا عرفنا الحق الذى جاءت به تلك الدعوة، ثم نظرنا إلى ما قال هؤلاء العلماء فيهما تبين الحق من الباطل وانكشف وجه المبطلين على ضوء الحق:

«فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ» (غافر: ٧٨)

- ٥ -

## ماذا فى دعوة الشيخ ؟

فى المؤلفات والرسائل التى تركها الشيخ وأتباعه وتلاميذه من بعده ـ لسان ناطق بدعوته، وشاهد حق عليها، وعلى ما تحمل من حق وخير، وهدى للناس.

كما أن المؤلفات، والمحاورات، والمناظرات، التى خلفها خصوم الدعوة ـ لسان ناطق عليهم بما قالوا غير الحق، وبما افتروا، وكذبوا على الله ورسوله، بما تأولوا من كتاب الله، وما افتروه على رسول الله.

ونأخذ دعوة الشيخ من بعض كتبه ورسائله، ثم نعرضها على كتاب الله وسنة رسوله، ثم يكون بعد ذلك الحكم، لها أو عليها..

فماذا يقول الشيخ ـ رضى الله عنه ـ فى كتبه ورسائله ؟

فهذا كتاب «كشف الشبهات» من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو كتيب صغير الحجم، كتبه الشيخ رحمه الله ـ ردا على تلك الشبه التى أثارها المضللون فى وجه

دعوته، وجروا فيها على تملق العامة، واسترضاء أهوائهم بما ألفوه وربوا عليه من ضلالات الشرك، وإشعارهم بأنهم على الحق، وأن ما كانوا عليه هو دين الله، وهو شرعه القويم.. وهذا من شأنه أن يغرى العامة بالتمسك بما هم فيه، وفى خروجهم عنه ضياع لماضيهم، ولكل ما عملوا فيه.. والانسان حريص على تزكية أعماله التى صدرت عنه، وهذا ما جعل المشركين يمسكون بشركهم وبإنكارهم للبعث الذى لم يعملوا له حسابا بل كان حسابهم مضافا الى الحياة الدنيا، كما قال الله تعالى على لسانهم:

«وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ » (الأنعام: ٢٩)..

«وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ » (سبأ: ٧ ـ ٨)..

ومن هنا كان لدعوة التوحيد التى قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لهدم قواعد الشرك التى تحصن فيها المشركون ـ كان لهذه الدعوة وقع الصاعقة على هؤلاء المشركين، وكان على الشيخ أن يصمد لتلك الحرب الضاربة التى تواجه بها دعوته..

وذلك هو موقف كل داعية الى الله، من أنبياء الله ورسله، والهداة المصلحين من أتباع الأنبياء والرسل.. حيث يواجه الداعية الى الله، والتحول بالناس من الضلال الى الهدى، ومن الشرك الى التوحيد، ومن الظلام الى النور ـ حربين فى وقت واحد ـ

<u>الحرب الأولى:</u> وميدانها هذا الداء الخبيث من الشرك، الذى سكن فى كيان المشركين، ينفث سمومه فى عقولهم وقلوبهم، حتى سكنوا إليه وألفوه بحيث إذا سكن عنهم هذا الداء أصابهم الأرق، فلا يغمض لهم جفن حتى يعاودهم الداء وتسرى سمومه المخدرة فى كيانهم.. شأنهم فى هذا شأن مدمن الخمر ومتعاطى المخدرات.. انها سموم تسرى فى بدنه، وتغتال كل صالحة فيه، ولكنه مع ذلك إذا انقطع عنه هذا المخدر، أصابه سعار كسعار الكلب، فلا يسكن سعاره إلا بهذا الداء الذى فيه دواؤه.. ولسان حاله قول

أبى نواس، الشاعر الماجن الذى كان لا يفيق من خماره، والذى يقول:

دع عنـــك لومـــى، فإن اللـــوم إغراء
وداونـــى بالتـــى كـــانـــت هى الداء

وأما الحرب الثانية التى يدخلها الداعى الى التوحيد مع مدمن البدع والضلالات فهى ما يقوم به دعاة السوء الذين يتجرون بهذه السموم من الدعاية لها والإغراء بها، وإلا فان تجارتهم تلك بهذه السموم تبور، وتنقطع مواردهم الحرام منها.

## عـــود على بـــدء :

ونعود الى دعوة التوحيد التى قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وما واجه به هاتين الحربين من أسلحة كانت قوة فى يد الحق الذى يدعو اليه..

وهذا كتابه: «كشف الشبهات» وهو كتيب صغير الحجم، عظيم القدر، أشبه برسالة من تلك الرسائل الكثيرة التى كان يبعث بها الى الأفراد والجماعات، كشفا لشبهة وردت عليهم من دعاة الضلال المتربصين بدعوة التوحيد، أو بلاغا لمن لم تبلغهم الدعوة..

وأكثر ما شغل أعداء الدعوة، هو ما دعا اليه الشيخ ـ رضى الله عنه ـ من ترك تلك البدع الشركية التى كان عليها الناس فى أيامه، من المعتقدات الفاسدة التى تفسد على المسلم دينه، وتغتال عقيدته، وذلك من بناء الأضرحة والقباب على المقبورين من الصالحين، أو ممن يدعى لهم الصلاح والولاية، ثم التوسل بأصحاب هذه الأضرحة وتلك القباب، وسؤالهم قضاء الحاجات، وكشف الضر، مع تقديم النذور لهم..

وفى هذا يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى كتابه: «كشف الشبهات»: «اذا جاز هذا ـ أى الاستعانة بالغير ـ فى حق الأحياء، فإنه لا يجوز فى حق الأموات.. لأن الموتى قد انقطع ما بينهم وبين الحياة والأحياء.

«وليس ثمة فرق ـ فى هذا الضلال ـ بين من يرجو البركة عند قبر ولى، وبين من

يعبد وثنا.. كلاهما قد جعل بينه وبين الله شفيعا يرجى.. وما كان كفار قريش الذين حاربوا دعوة التوحيد إلا على تلك الصورة.. كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق العظيم، ولكن هناك آلهة دون الله يتصرفون، وينفعون ويضرون «إن هؤلاء الآلهة هى الطريق الى الله بزعمهم، ويقولون ما ذكره الله تعالى على لسانهم:

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » (الزمر: ٣)..

ثم يمضى الشيخ - رضى الله عنه فيكشف عن موقف أهل الضلال من هذه الدعوة الى التوحيد الخالص لله، وما تواجه به من مدعيات باطلة، وتأويلات فاسدة لكتاب الله، وسنة رسوله..

يقول - رضى الله عنه وأرضاه :

«اذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق الى الله لابد له من أعداء قاعدين على هذا الطريق ، أهل فصاحة، وعلم وحجج[٤]..!

«فالواجب عليك - أيها المؤمن الموحد - أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا، تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم، ومقدمهم - إبليس لعنة الله عليه -

« قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ » (الأعراف: ١٦، ١٧)

---

(٤) ان هذه الفصاحة، وذلك العلم، وتلك الحجج، هى أسلحة شيطانية، يضعها الشيطان على ألسنة أوليائه، كما يقول تعالى:

« وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ »

(الأنعام: ١٢١)

ولكن اذا أقبلت على الله، وأصغيت الى حججه وبيناته، فلا تخف:

«....إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا » (النساء: ٧٦) ..

«ان العامى من الموحدين، يغلب ألفا من علماء المشركين، قال الله تعالى:

« وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ» (الصافات: ١٧٣)

فجند الله هم الغالبون بالحجة والبرهان، كما هم الغالبون بالسيف والسنان..

«وانما يكون الخوف على الموحد حين يسلك الطريق وليس معه سلاح..!!
«وقد من الله علينا بكتابه الذى جعله:

«تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ » (النحل ٨٩) ..

«فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفى القرآن ما ينقضها، ويبين بطلانها، كما قال تعالى:

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » (الفرقان: ٣٣)(٥)

ثم يعرض الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ هذه الشبهة من تلك الشبه التى يثيرها المبتدعون فى وجه دعوة التوحيد، وهى ما دعا اليه الشيخ من إبطال الالتجاء الى الموتى، والتوسل بهم.. فيقول الشيخ: «فإن قال لك ـ أى ذلك الذى يتوسل بالمقبورين: «أنا لا أشرك بالله شيئا، حاش وكلا.. ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك!!

(٥) من كتاب : «كشف الشبهات» ص ١١ ـ مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ .

(فقل له أيها المؤمن الموحد: ـ «اذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما الأمر الذى عظمه الله، وذكر أنه لا يغفره «فإن قال ـ أى هذا المتوسل: لا أدرى!!

«فقل له ـ أيها الموحد ـ : «كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه، ولا تعرفه؟
أتظن ان الله يحرمه ولا يبينه لنا؟
«فان قال ـ أى المتوسل ـ الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام!!
فقل له: «وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أن عابديها كانوا يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن..»
«ثم يقال له: أى لهذا المتوسل: قولك: «الشرك عبادة الأصنام» هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا؟ وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل فى هذا؟ فهذا يرد ما ذكره الله تعالى فى كتابه، من كفر من تعلق بالملائكة، وعشق الصالحين..

«فلابد أن يقر المتوسل أن من أشرك بعبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور فى القرآن، وهذا هو المطلوب»

ثم يأتى الشيخ ـ رضى الله عنه ـ بعد هذا بما يفحم بهتان هذا المشرك الذى يدعى التوحيد ـ فيقول: «وسر المسألة أنه اذا قال ـ أى المشرك ـ : «أنا لا أشرك بالله».
«فقل له : ما الشرك بالله ؟ فسره لى ..
«فإن قال : هو عبادة الأصنام.. فقل له: وما معنى عبادة الأصنام؟
«فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده!
«فقل له: وما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لى.. فان فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب، وان لم يعرفه، فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه؟ وان فسر ذلك بغير معناه بينت له ـ أيها الموحد ـ الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وأنه هو الذي يفعلونه فى هذا الزمان بعينه.. وأن عبادة الله وحده لا شريك له، هى التى ينكرونها علينا، ويصيحون علينا، كما كان اخوانهم من قبل: حيث قالوا:

«أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ» (ص: ٥)

«فاذا عرفت - أيها الموحد - أن هذا الذى يسميه المشركون فى وقتنا هذا «الاعتقاد» - أنه هو الشرك الذى أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس عليه - فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

«أحدهما: أن الأولين - أى مشركى الجاهلية - لا يشركون، ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثانا مع الله الا فى الرخاء.. أما فى الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى:

« وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا » (الاسراء: ٦٧)

وقوله سبحانه:

« قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ » (الأنعام: ٤٠ - ٤١)

وقوله:

«وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ » (الزمر: ٨)

وقوله:

«وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ » (لقمان: ٣٢)

فمن فهم هذه المسألة التى وضحها الله تعالى فى كتابه، وهى أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يدعون الله، ويدعون غيره فى الرخاء.. وأما فى الضر والشدة فلا يدعون الا الله وحده لا شريك له، وينسون آلهتهم ـ من فهم هذا تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.. ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا ؟ والله المستعان.

والأمر الثانى: أن الأولين ـ اى مشركى الجاهلية ـ يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله، إما نبيا أو وليا، وإما ملائكة، ويدعون أحجارا وأشجارا مطيعة لله ليست عاصية..[٦]

«وأهل زماننا يدعون مع الله ـ أناسا أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور، من الزنا والسرقة وترك الصلاة، وغير ذلك[٧].

«والذى يعتقد فى الصالح، والذى لا يعصى، مثل الملائكة والخشب والحجر وهو ما كان عليه مشركو الجاهلية، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد بنفسه فسقه وفساده ويشهد به!

ثم يمضى الشيخ ـ رضى الله عنه ـ قائلا:
«اذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليهم وسلم، أصح عقولا، وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء ـ أى مشركى زماننا ـ شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهى من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها:

---

(٦) لانها خاضعة لسنن الله الكونية، لا تخرج عن طبيعتها التى خلقها الله تعالى عليها.

(٧) فى كتاب «الطبقات» للشعرانى كثير ممن درجهم فى سلك الأولياء من يحكى عنهم الزنا، والشرب للخمر، والسرقة وغير ذلك من الكبائر، على اعتبار انهم من الواصلين الذين رفع عنهم التكليف، وأنه لا حرج عليهم فيما يفعلون.

«انهم يقولون: ان الذين نزل فيهم القرآن ـ أى مشركى الجاهلية ـ لا يشهدون: أن لا اله إلا الله» ويكذبون الرسل وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ونحن نشهد أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، ونصدق بالقرآن، ونصلى ونصوم، فكيف يجعلوننا مثل أولئك؟»

ويضرب الشيخ ـ رضى الله عنه ـ بهذه الشبهة فى وجوه أصحابها، ويقول:
«فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى شئ وكذبه فى شئ، هو كافر، لم يدخل فى الإسلام!! وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد ببعضه كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة أو أقر بهذا كله، وجحد الحج، هو كافر!!

«وأنه لما لم ينقد أناس فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم للحج، أنزل الله تعالى فى حقهم:

«وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ» (آل عمران[٩٧])

«ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا»

(النساء: ١٥٠ ـ ١٥١)

«فإذا كان الله تعالى قد صرح فى كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض فهو الكافر حقا، واستحق ما ذكر من العذاب المهين، واذا عرف ذلك فقد زالت الشبهة[٨]

هذا ما دعا اليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من توحيد لله تعالى، ودحض شبه الضالين وما يدعونه من التوحيد المغطى عليه بالشرك الغليظ ، من عبادة المقبورين، والاستغاثة بهم، وتقديم القرابين لهم، والذبح على أعتاب أضرحتهم.فهل بعد هذا البيان المبين، يكون لمسلم شبهة فى دينه، ان كان يريد السلامة لنفسه، والنجاة من الشرك والكفر والإلحاد والله تعالى يقول لنبيه الكريم: مواسيا له فيما يلقى من عناد المعاندين، وضلال المكابرين:

«قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ » (الانعام: ٣٣)

ثم يقول له سبحانه بعد هذا:

«وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ »

(الأنعام : ٣٤)

## رسالة الى شيخ الركب المغربى :

وهذه رسالة من الشيخ ـ رضى الله عنه ـ بعث بها الى شيخ الركب المغربى فى موسم الحج.. يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.. الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ

---

(٨) من كتاب : «كشف الشبهات» للامام محمد بن عبدالوهاب ص: ١٨ وما بعدها طبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢ هـ .

بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله..

ثم يقول فى تلك الرسالة:

«والرسول، صلى الله عليه وسلم، أخبرنا بأن أمته ستأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر، وذراعا بذراع.. وثبت فى الصحيحين وغيرهما، عنه صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة[٩]، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.. الحديث».

«إذا عرف هذا، فمعلوم ما قد عمت به البلوى من محدثات الأمور، التى أعظمها الشرك بالله، والتوجه الى الموتى، وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التى لا يقدر عليها إلا الله، رب السموات والأرض وكذلك التقرب اليهم بالنذور، وذبح القربان، والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد وجلب الفوائد، الى غير ذلك من أنواع العبادة التى لا تصلح إلا لله.

ثم يقول الشيخ ـ رضى الله عنه ـ فى رسالته تلك، الى شيخ الركب المغربى «وصرف شئ من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها، لأنه سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك[١٠] ولا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، وأخبر أن.. المشركين، يدعون الملائكة، والأنبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم، وأخبر أنه لا يهدى من هو كاذب.[١١]

---

(٩) القذة : الأذن .

(١٠) فى صحيح البخارى يقول الله تعالى فى الحديث القدسى: «أنا أغنى الشركاء من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى فهو لمن عمله»

(١١) يشير بهذا الى قوله تعالى:

« فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ » (الزمر: ٢ ـ ٣)

ثم يقول الشيخ فى رسالته تلك:

«وهذا الذى ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح، من الأصحاب والتابعين، والأئمة الأربعة، وغيرهم ممن سلك سبيلهم ونهج منهجهم..

«أما ما حدث من سؤال الأنبياء ، والأولياء ، من الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم، ببناء القباب عليها وإسراجها، والصلاة عندها، واتخاذها أعيادا[١٢] وجعل السدنة والنذور لها ـ فكل ذلك من حوادث الأمور، التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم أمته، وحذر منها كما فى الحديث عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتى الأصنام»

«وهو صلى الله عليه وسلم، حمى جناب الدين أعظم حماية، وسد كل طريق يؤدى الى الشرك، فنهى عن أن يجصص القبر، وأن يبنى، كما ثبت فى الصحيح عن جابر، وثبت فى الصحيح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وأمره ألا يدع قبرا مشرفا ـ أى يعلو وجه الأرض ـ إلا سواه، ولا تمثالا إلا طمسه».

ثم يشرح الشيخ بعد ذلك ، فى رسالته ، ما أثار الناس عليه من دعوته الى توحيد الله، وما ينكره من البدع والمحدثات من الأمور، التى جرت المسلمين الى الشرك وأدخلتهم فيه من أوسع أبوابه، والشيطان يقودهم، وعلماء السوء وسدنة الأضرحة يزينون لهم هذا الضلال، ويلوحون لهم بالسراب الخادع منها ـ يقول الشيخ ـ رضى الله عنه ـ «فهذا هو الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم، وأظفرنا بهم.. وهذا هو الذى

(١٢) وذلك بما يقام كل عام عند مولد كل صاحب ضريح من احتفالات تمتد اسبوعا أو أكثر، يجتمع لها الناس، وتنصب الأصونة، وتعد الموائد وتدق الطبول وتقام الأذكار الراقصة على نغمات الناى والمزمار، ويجتمع الرجال والنساء والغلمان على المنكرات.

ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد أن نقيم الحجة عليهم، من كتاب الله، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف الصالح من الأمة ممتثلين قوله تعالى:

«وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ» (الأنفال: ٣٩)..

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال الله تعالى:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ»

(الحديد: ٢٥)...

«وندعو الناس إلى إقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت الحرام.. ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر،كما قال تعالى:

«ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ» (الحج: ٤١)

«فهذا الذى نعتقده، وندين به، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا..» ونعتقد أيضا، أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة، وأنه لا يزال طائفة من أمته على الحق، منصورة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله»[١٣].

****

(١٣) هذه الرسالة نقلناها من كتاب «القديم والحديث» لمحمد كرد على ص ١٥٧ وما بعدها.

هذا ما قرره الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكتبه بخط يده الى شيخ الركب المغربى مبينا فيه دعوته التى يدعو بها الى دين الله، آخذا بما جاء فى كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، متأسيا بصحابته والتابعين، رضوان الله عليهم، قائما على منهجهم، ومنهج الأئمة الأعلام من بعدهم، ناظرا الى وجه الإسلام المشرق بنور الحق، وقد غشيته تلك البدع التى زاحمت حقائق الدين، وأخذت مكانه من عقول طوائف كثيرة من المسلمين وقلوبهم، حتى أصبح الدين غريبا، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الشريف: «بدأ الدين غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قالوا: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس» ... وفى رواية: «ما أنا عليه اليوم وأصحابى»(١٤).

فكيف يكاد لتلك الدعوة الداعية الى توحيد الله، والى الرجوع بالمسلمين الى عهد الصحابة والتابعين ـ كيف يكاد لها هذا الكيد العظيم؟ وممن؟ من علماء تزيوا بزى الدين، وأخذوا مكان الصدارة فى مجتمع المسلمين!!

إن وزر هذه الحروب التى قامت فى وجه الدعوة، والبلاء الذى احتمله الداعى وأنصاره، وما أريق من دماء، وما أزهق من أرواح ـ كل هذا يحمل وزره أولئك العلماء الذين لم يقولوا كلمة الحق، ولم يقفوا فى وجه السلطان وأتباع السلطان.. ولكنهم بدلا من هذا أعلنوا الحرب على الدعوة، وكفروا الداعى ومن يتبع دعوته.. فكان هذا سلاحا فى يد الشيطان، فعل به ما فعل:

«أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ» (محمد: ٢٣).

****

(١٤) رواه مسلم عن أبى هريرة، والنسائى عن ابن مسعود.

والذين استجابوا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقاموا معه لمحاربة البدع وكشف الشبهات عن وجه الدين الحنيف، الذين استجابوا لدعوة الشيخ من آل سعود وجاهدوا معه فى سبيلها بأموالهم وأنفسهم، إنما قاموا بذلك عن إيمان وثيق بصدق تلك الدعوة القائمة على حراسة دين الله، والواصلة ما انقطع بين الخلف والسلف من جامعة الإسلام بينهم.

فبهذا الايمان الحق، وبهذا اليقين الثابت، صبروا على ما كذبوا وأوذوا، وقام الخلف منهم بعد السلف يجاهدون فى سبيل الله، فيغلبون ويغلبون ويقتلون ويقتلون، وما دخل عليهم يأس، ولا خار منهم عزم، بل مضوا فى طريق الجهاد لنصرة الحق، غير مبالين بما يصيبهم فى أنفسهم وأموالهم مستمسكين بقوله تعالى:

«قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ»

(التوبة: ٥٢).

ولهذا استمرت الدعوة فى نماء وقوة،واستمر الخلف بعد السلف قائما على الذود عنها ونشر رايتها بالحجة المفحمة من كتاب الله، وسنة رسوله.. فكان أبناء الشيخ وأحفاده، وأبناء سعود وأحفاده، أهل علم بدين الله، يكتبون الرسائل ويؤلفون الكتب نشرا للدعوة، وكشفا لما أثاره علماء السوء حولها من شبهات..

وها هو ذا عبدالعزيز بن سعود، يبعث برسالة الى الشريف حمود يقول له فيها:

«أما بعد فالموجب لهذه الرسالة، أن الشريف أحمد بن حسين الفلقى، قدم إلينا فرأى ما نحن فيه، وتحقق من صحة ذلك لديه، فبعد ذلك التمس منا أن نكتب لكم، ما يزول به الاشتباه، فتعرفون دين الله الذى لا يقبل من أحد سواه.

«فاعلموا ـ رحمكم الله تعالى ـ أن الله سبحانه أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل فهدى به الى الدين الكامل والشرع التام.

«وأعظم ذلك وأكبره وزبدته، إخلاص العبادة لله، لا شريك له، والنهى عن الشرك، وذلك هو الذى خلق الله تعالى الخلق لأجله، ودل الكتاب على فضله كما قال تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات: ٥٦)

وقال تعالى :

«وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ » (البينة: ٥)

«وإخلاص الدين هو صرف جميع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، وذلك ألا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله، ولا يذبح إلا لله، ولا يخشى ولا يرجى سواه، ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه، ولا يتوكل فى جميع الأمور إلا عليه، وأن كل ما هناك لله تعالى، لا يصلح شئ منه لملك مقرب، ولا نبى مرسل... وهذا هو بعينه توحيد الألوهية، الذى أسس الإسلام عليه، وانفرد به المسلم عن الكافر،وهو معنى شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ثم يقول له عبدالعزيز رحمه الله تعالى :

«فلما من الله علينا بمعرفة ذلك، وعلمنا أنه دين الرسل ـ اتبعناه، ودعونا الناس إليه، وإلا فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله تعالى من عبادة أهل القبور، والاستغاثة بهم، والاستعانة منهم، مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب الأمور والمحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الإسلام، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه، على يد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، أحسن الله تعالى إليه فى آخرته، والمآب»[١٥].

ذلك هو الإسلام فى صميمه، كما دعا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وأتباعه وهو الإقرار بوحدانية الله تعالى، فمن خرج عن هذا المعتقد من دين الله، فوجه وجهه الى غير الله، وجعل بينه وبين الله وسطاء ، أو شركاء فليس على دين الله.

---

(١٥) من كتاب القديم والحديث، لمحمد كرد على ص ١٦٥ .

فالله تعالى يقول في هؤلاء الشفعاء الذين يتعبد لهم المشركون:

« لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ » (الرعد: ١٤)

ويقول سبحانه:

« وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » (فاطر: ١٣ - ١٤)

الى كثير من آيات الله التى تفضح الضالين الذين يدعون غير الله.

فإذا كان هذا هو سبيل دعوة التوحيد التى دعا إليها الإمام محمد بن عبدالوهاب وأنصاره - فلماذا قام كثير من العلماء فى وجه هذه الدعوة وتحريض الحكام على التصدى لها ومحاربة القائمين بها، ذلك ما سوف نكشف عنه فى المبحث التالى والله المستعان.

* * * *

# الفصل الخامس

## الدعوة والثائرون عليها

لا نتحدث فى هذا المقام عن موقف السلطان التركى من دعوة التوحيد التى دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وناصره عليها آل سعود، ومن استجاب لها..

كما لا نتحدث عن الموقف العدائى الذى اتخذه من هذه الدعوة الأمراء والحكام والرؤساء وزعماء القبائل والعشائر وغيرهم..

فهؤلاء وأولئك جميعا كانوا يدافعون عن دنياهم وما يحوزون من متاعها، ويخشون أن تمتد آثار الدعوة الى ما تحت أيديهم من هذه الدنيا، فى حين أنهم فى شغل بدنياهم عن دينهم، الذى يتولاه عنهم أصحاب المناصب من علماء الدين!!

وإذن فالذى يعنينا هنا هو موقف علماء الدين من دعوة التوحيد التى وقف فى وجهها هؤلاء العلماء الذين خانوا أمانة العلم، وقالوا غير الحق، وكانوا فيمن قال الله تعالى فيهم:

«وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ»

(ال عمران: ١٨٧)

فلقد انبرى هؤلاء الذين كان يرجى منهم إصلاح ما فسد من أمر الناس فى دينهم، وأن يقيموا الناس على صراط الله المستقيم، ودينه القويم - انبرى هؤلاء المتجرون بالدين لإغراق الناس فى الضلال، وإغرائهم بما هم فيه، وأنه هو الحق فكان أن انقاد

الناس لهم، وصرفوا وجوههم عن الذين يمدون أيديهم إليهم لاستنقاذهم من النار التى يندفعون إليها، كما يندفع الفراش الى وقود النار!

نعم ، لقد انبرى هؤلاء العلماء المتجرون بالدين، يرمون دعوة التوحيد والداعى اليها، والمجتمعيين على الدعوة والداعى بالإفك والبهتان وبالمروق من الدين، وابتداع دين جديد، يحل محل الإسلام، وأنهم يتهجمون على مقام النبى صلى الله عليه وسلم، وينالون من أولياء الله، أصحاب الأضرحة والقباب ويكفرون من يزورونهم، وينذرون لهم، ويطلبون العون والمدد منهم.. الى غير ذلك مما استخرجه هؤلاء العلماء من عقولهم الضالة، وقلوبهم المريضة، من إفك وبهتان يرمون به فى وجه الدعوة ويثيرون العامة عليها، ويحرضون الحكام على القضاء عليها وعلى كل من يستجيب لها.

وإنه ما أشبه الليلة بالبارحة !

فإن الذى ينظر فى موقف أدعياء العلم من هذه الدعوة، ليرى وجوها كتلك الوجوه الشيطانية المنكرة التى وقف أصحابها فى وجه الدعوة الإسلامية، فى الدور المكى.. فيرى وجه أبى لهب، وأبى جهل، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة وغيرهم، وغيرهم ممن انقادوا للشيطان، وحاربوا دعوة الحق، حتى هلكوا وهم على الكفر، والى النار وبئس المصير.

## الذيـن ضلـوا وأضلـوا :

وقد بلغ أمر هذا الضلال، الذى أعمى قلوب هؤلاء العلماء، أن صوروا هذا الإفك وذلك البهتان فى كتب أخرجوها للناس دون حياء وقد تركوها من بعدهم شهادة ناطقة عليهم بهذا الزور، وأنهم قد باعوا دينهم بدنيا فانية وحطام زائل!!

ولو أن هؤلاء الذين ألفوا هذه الكتب فى الطعن على دعـوة التـوحيد، وداعيتهـا وأنصارها ـ لو أنهم كان لهم شئ من التوفيق، لما سجلوا هذا الخزى بأيديهم ولما تركوه ميراث شؤم من بعدهم، يعرضهم للناس، وسواتهم مكشوفة، مفضوحة على الملأ، ولكان

يكفيهم من هذا الباطل ألا يوثقوه فى صحف التاريخ، ولكن الله تعالى أخذهم بهذا الخزى فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، لو كانوا يعلمون..

وبهذا يصدق على هؤلاء العلماء الذين فضحوا أنفسهم بما كتبت أيديهم - يصدق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملا ثم يصبح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا، وكذا.. فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» (رواه مسلم، عن أبى هريرة)..

فما أكثر الذين قالوا فى دعوة التوحيد التى دعا إليها الشيخ من إفك وبهتان من أمثال هؤلاء العلماء ، ثم ذهبت أقوالهم أدراج الرياح، لم يمسك بها الزمن، ولم ير لأصحابها وجه بين الناس.. أما هؤلاء العلماء الذين كتبوا بأيديهم هذا الافك فهم أشبه بهؤلاء المجاهرين بالمعاصى الذين أشار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووسمهم بالبلاء الذى لا شفاء لهم منه.. انهم فى وجه فضيحة أعلنوها عن أنفسهم.. وقد شاءت إرادة الحكيم العليم أن يكون هؤلاء العلماء عبرة لمن يعتبر، ودرسا يتلقاه أولو الألباب، فيمسك العاقل الحريص على دينه عن الخوض فى الباطل، وقول الزور، ابتغاء حظ عاجل من حظوظ الدنيا، فإن لم يستطع أن يمسك عن ذلك بلسانه فلا أقل من أن يمسك عن تسجيل ذلك بخطه، ونشره فى كتاب على الملأ!! فيكون شره أخف، وبلاؤه أقل، ولا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم:

« فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ »

(البقرة: ٧٩)

## هذه الكتب الناطقة بالبهتان :

وبين أيدينا اليوم، من مخلفات علماء السوء هؤلاء ، من هذه الكتب المشئومة التى

تسوق الشؤم والبلاء الى مؤلفيها، وهم اليوم فى عالم الحق - مجموعة منها نكتفى بعرض ثلاثة منها، ومحاكمة كاتبيها بما يقضى به كتاب الله وسنة رسوله، ليكون ذلك درسا واعظا، وعبرة ماثلة لغيرهم من الأحياء من بعدهم.. أما هؤلاء العلماء فهم بين يدى الله، يقضى فيهم بما يشاء فى عباده.

وهذه الكتيب الثلاثة هى :

أولا : رسالة للحاج مختار بن الحاج احمد باشا، المؤيد العظمى، وقد سماها «جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام».

وثانيا : كتيب للسيد أحمد بن زينى دحلان، وسماه: «الدرر السنية فى الرد على الوهابية».

وثالثا: كتيب للشيخ مصطفى الكريمى بن الشيخ ابراهيم السيامى، تحت عنوان: «رسالة السنيين فى الرد على المبتدعين الوهابيين»

وها نحن أولا . نعرض لمقولات هؤلاء الذين شغبوا على الدعوة وجاءوا اليها بالمفتريات والأباطيل:

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ » (التوبة: ٣٢)

## أولا : رسالة المؤيد العظمى

هذا الرجل يخلع على نفسه ألقاب التعظيم، يكتبها بخط يده، ويجعلها عنوانا لرسالته، مثل المؤيد، كما يرد نسبه الى أب يحمل لقب الباشوية من السلطان العثمانى، وكأن ذلك مما يفسح له مكانا بين العلماء، وإن كان من أهل الجهالة والجهل،فكما كانت الباشوية تشترى بالمال، وبالملق، والرياء، فكذلك يمكن أن يشترى لقب العالم!! هذا ما قدره هذا الداعى، وصوره له جهله وغروره..

ثم ان هذا الذى يحشر نفسه فى زمرة علماء الدين، لا يحفظ كتاب الله، ولا يقيم على لسانه أو قلمه آية من القرآن الكريم، ولا يفقه شيئا من معانى ما يقرأ من كتاب الله، وهو بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد جهلا، وأسوأ فهما..

والكتاب - كما يقولون - يقرأ من عنوانه!

وانه ليستفتح رسالته تلك - وهو أشبه بعنوان الرسالة - بالتخريف فى كتاب الله جهلا، وسوء أدب معا، حيث يستشهد بآية من كتاب الله، دون أن يكون حافظا لها، أو مسترشدا بمصحف قرآنى لضبطها.. فهو يقول فى مفتتح هذه الرسالة :

«الحمد لله ، الذى رضى الإسلام لنا دينا، وأكمله لنا، وأتم نعمته علينا، وأقامنا على سنة رسوله النقية السمحاء، حمدا تستنير به القلوب وتستضئ منه البصائر، وأشهد أن لا إله إلا الله الهادى إلى الصراط المستقيم، القائل: من استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم»!!

وقد وقع هذا الداعى المتعالم فى هذه الكلمات القليلة فى جملة أخطاء لا تكون من تلميذ مبتدئ من طلاب العلم، فضلا عن عالم، يتصدى فى زعمه لهداية الناس، ويقف موقف المناظرة لمن يدعو الى الله وهو على بينة من ربه!

فأولا : هذا الخطأ اللغوى فى قوله: «وأقامنا على سنة رسوله النقية السمحاء» والصواب أن يقال «السمحة» إذ ليس فى اللغة السمحاء.. ولو كان على شئ من الاطلاع على سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما وقع فى هذا الخطأ، إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تركتكم على الحنيفة السمحة، لا يزيغ عنها إلا هالك».

وثانيا: قوله فى مفتتح رسالته: «الحمد لله الذى رضى الإسلام لنا دينا» ولو كان على صلة بكتاب الله، لجرى على لسانه وقلمه ما جاء فى القرآن الكريم.

« وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ» (المائدة : ٣)

فقال : الذى رضى لنا الإسلام دينا، بدلا من قوله ورضى الاسلام لنا دينا..

وثالثا: هذا الخطأ الشنيع فى الاستشهاد بالقرآن الكريم، فقد حرف كلام الله تعالى عن مواضعه، إذ يقول عن الله تعالى: القائل «من استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم، والله تعالى يقول:

«لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

(البقرة ٢٥٦)

فأين قوله هذا الذى يدعيه على الله تعالى، من قوله سبحانه؟

وأكثر من هذا، فان هذا المجهول الداعى، لم يأت بجواب الشرط لما حرفه من كتاب الله تعالى، فإن قول هذا الداعى: «من استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» هو شرط، فأين جوابه؟ فاذا كان هذا الذى وقع فيه هذا المدعى من أخطاء لغوية ودينية فى مفتتح رسالته وفى أربعة أسطر منها - فهل يمكن أن يأخذ هذا المجهول مكانا بين أهل العلم؟ وهل يكون من أهل المناظرة والمحاجة فى الدفاع عن دين الله، كما يدعو؟ انه - والحال كذلك - لا يكون إلا راية فتنة، وإضلال للناس، يصدق فيه قول الله تعالى:

«وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ»،

(الحج: ٣ - ٤)..

«وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ»

(الحج: ٨ - ١٠)...

هذا، وقد كان يكفينا من الرد على هذا المدعى للعلم، ما انكشف لنا من جهل بدين الله فى مطلع رسالته، فلا يطول وقوفنا معه أكثر من هذا، لما يطلع علينا من كلام من هذا العفن، الذى يزكم الأنوف، ويخنق الصدور، مما يسيل من مزراب قلمه ـ كان يكفينا هذا، كما يقول المثل: «حسبك من شر سماعه»

ولكننا ـ احتسابا لله، وإمعانا فى خزى أهل الضلال وفضحهم ـ نمر على بعض المخازى التى عرضها صاحب هذه الرسالة، ليشهد الناس كيف تكون الجرأة على الله، وعلى دين الله من المتهوسين، وأدعياء العلم طلبا للشهرة، على حساب دينهم ومروءتهم.

«أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ»

(البقرة: ١٦)..

فصبرا صبرا، أيها المسلم على هذا البلاء ، مهما تقرأ من هذا الهراء ...

واقرأ ما يقوله هذا الأحمق المجهول فى رسالته الشيطانية تلك، وما يرمى به فى وجه الإسلام من زور وبهتان، غير متحرج ولا متأثم، ولا عابئ بمشاعر المسلمين وغيرتهم على دينهم..

يقول هذا الملحد فى ص : ٤٨ من رسالته :

«إن أحكام الدين لا يمكن أخذها من الكتاب والسنة، لأن فيها الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد!!

«وان كتب الحديث لا يوجد فيها بيان، ولا إشارة تهدى الى الصواب!! وان من رجح حكما على حكم مستندا فيه الى كتب الحديث، فإن ذلك ظن لا يفيد اليقين، بل يعد الأخذ به زندقة لا إسلامية!!»

يا سبحان الله !

أهذا قول يصدر من مسلم، يشهد أن لا إله الا الله، وأن محمدا رسول الله،؟ إن أعدى أعداء الإسلام، من اليهود والمستشرقين وغيرهم، قديما وحديثا لم يجرؤ أحد منهم أن يقول مثل هذا القول الآثم، الذى لا يجرؤ الشيطان نفسه أن يصرح به، فإذا لم يكن القرآن الكريم، وسنة الرسول المطهرة، دستورا قائما على المسلمين ونورا هاديا لهم الى دين الله الحنيف وشريعته السمحة ـ فمن أين يتلقون دينهم؟ ومن أين يعرفون أحكام هذا الدين، وما أحل الله تعالى لهم وما حرم عليهم؟

أهناك مرجع آخر، يرجع اليه المسلمون ليعرفوا شريعة الإسلام؟

قد يقول هذا المدعى الفاجر: ها أنذا الذى أبين لكم دينكم أيها المسلمون..

لقد جئت بنسخ الدين الذى أنتم عليه، فخذوا عنى دينكم، واتركوا هذا القرآن الذى فى أيديكم، وفى قلوبكم وعقولكم، ودعوا سنة نبيكم، وتعالوا إلىّ، فأنا رسول من الله إليكم!!

وفى المأثور : «إذا لم تستح فاصنع ماشئت»

فإذا كان فى القرآن الكريم الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، مما عرفته اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم، وجرى على أساليبها ـ أفكان ذلك مما يلغى كتاب الله، ويبطل العمل به؟

فلم إذن كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ولم كان نزول القرآن الكريم؟ ولم كان ما أمر الله تعالى من التعبد بتلاوته والتدبر لآياته؟ وما معنى قول الله تعالى:

«إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ» (الاسراء: ٩)

وقوله سبحانه :

«الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ » (ابراهيم: ١)

وقوله تبارك اسمه

«أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ » (محمد: ٢٤)

ما معنى هذه الآيات وكثير غيرها، الداعية الى تلاوة كلمات الله، وتدبر آياته إذا لم تكن نورا يهدى الى الحق، والى صراط مستقيم؟ واذا كان الأمر على غير ذلك، أفلا يكون نزول القرآن عبثا يتنزه الله تعالى عنه؟ وانه لا يرفع هذا العبث، إلا بالقول بأن الله تعالى لم يبعث محمدا، ولم ينزل قرآنا، كما يقول ذلك الملحدون قديما وحديثا!!.

أما السنة النبوية، فإن هذا الملحد ينكر أن تكون مصدرا للتشريع الإسلامى إذ يقول: «ان كتب الحديث لا يوجد فيها بيان، ولا إشارة تهدى الى الصواب وأن من رجع حكما على حكم مستندا فيه الى كتب الحديث، فإن ذلك ظن لا يفيد اليقين، بل يعد الأخذ به زندقة لا إسلامية»!!

وكتب الحديث التى أشار اليها هذا الملحد، هى كتب الصحاح الجامعة لسنة رسول الله القولية، والفعلية، والتقريرية، وفى هذه السنة بيان لما أجمله القرآن الكريم ورد متشابهه الى محكمه.. كما يقول تعالى لرسوله الكريم:

« وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ »

(النحل: ٤٤)

ويقول سبحانه

«وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

ٱلْعِقَابِ» (الحشر: ٧)

ولكن هذا الملحد يدعو بدعوته الشيطانية تلك الى إهدار السنة بدعوى أن كتب الحديث لا يوجد فيها بيان ولا إشارة تهدى الى الصواب!!» ولا عجب، فإنه بعد أن أبطل العمل بالقرآن، كان من المنطق أن يلغى العمل بالسنة.. ولا ندرى إن كان هذا الملحد يقيم الصلاة، أم لا؟، فإن كان يؤدى الصلاة فكيف يؤديها، وعلى أى وجه يقيمها؟ أليس ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، واتباعا له فى صلاته بالمؤمنين، وعملا بقوله: «صلوا كما رأيتمونى أصلى».. وكيف يحج هذا الداعى، إذا كان على الإسلام؟ أليس الحج متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجه الذى حجه بالمسلمين، وقوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عنى مناسككم»؟ ثم الزكاة وتقاديرها، وأنصبتها.. من أين عرفها المسلمون؟ أليس ذلك مما بينه الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟ وأليس ذلك مما حفظته كتب الحديث عن الرسول الكريم؟.

ثم إذا اختلف المجتهدون من أئمة المسلمين فى فهم نص من كتاب الله أو سنة رسوله،وكان ذلك الاختلاف مما يحتمله النص، أفيكون ذلك الاختلاف مما يلغى النص الشرعى؟

لقد اختلف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فهم كثير من الأحكام الشرعية،ومع هذا الاختلاف فلم يلغوا أى نص، لأن ذلك كفر بالله، وبكتاب الله وبرسول الله،ولكنهم عرضوا عقولهم على هذا النص، ثم أخذوا بما رجح عندهم من رأى هو أقرب ما يكون الى مقاصد الشريعة، من هداية الإنسانية وخيرها ولهذا كانت المشورة أمراً قائماً بين المسلمين فيما يعرض لهم، مما ليس فى كتاب الله، ولا فى سنة رسوله نص قاطع فيه.. وفى هذا يقول الله تعالى:

«وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ» (الشورى: ٣٨)

ويقول سبحانه :

«وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء: ٨٣)

وندع هذا الهراء وذلك السخف الذى تفيض به هذه الرسالة الشيطانية عن الإسلام، وشريعة الإسلام وعن القرآن والسنة، وأنهما لا يحملان أحكام الشريعة، ولا يصحان أن يكونا مصدرا لدين.

ندع هذا الإلحاد، لننظر فيما يقوله هذا الملحد عن دعوة التوحيد التى دعا اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد كان يكفينا فى ما تقوله هذا الملحد على كتاب الله، وعلى السنة المطهرة، وما دعا اليه من إبطال العمل بهما ـ قد كان يكفينا هذا القول الآثم من هذا الملحد، فلا ننظر بعد هذا فيما يقوله فى دعوة التوحيد، لأن مستندها هو كتاب الله، وسنة رسوله...، ولا مستند لها غيرهما... فاذا قال هذا الملحد فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة هذا القول الآثم، فلا ينتظر منه أن يقول فى دعوة التوحيد إلا زورا وبهتانا، وإلا إفكا وضلالا.. ومع ذلك فإننا سنعرض لبعض ما يقوله هذا الملحد الدّعى عن دعوة التوحيد، إذ كان ما قاله عن كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مدخلا إلى ما أراد أن يقول فى تلك الدعوة، ليصد الناس عنها، وليمسك بهم على ما هم فيه من شرك، وكفر وضلال، إمعانا فى كيده للإسلام، وهو يبدو فى مظهر المدافعين عن الإسلام، الغيورين على دين الله وعلى من يدينون بدين الله...

## ماذا يقول عن دعوة التوحيد ؟

يقول هذا الملحد الذى ينتسب إلى الإسلام زورا وبهتانا، يقول موجها القول الى أهل التوحيد والداعين الى التوحيد :

«زين لهم الشيطان أعمالهم، فزين لهم أنهم من المهتدين..»

نحن وأنتم ـ مخاطبا أهل التوحيد ـ متفقون بالشهادتين مقرون بالأركان، لا نختلف بأصول الايمان، ولا ننكر أركان الإسلام.. غير أننا نقول بالمحكم ونرجع اليه، وأنتم تتبعون المتشابه وتعولون عليه.. نحن نحتاط بما لا نرتاب، وأنتم لا تتحرجون مما يريب، نحن نعتمد الإجماع، وأنتم تترخصون بالانفراد والتأويل بالرأى»

فهذا الملحد، يدخل نفسه فى عداد المسلمين، ويضيف نفسه الى الإسلام، وأنه متفق مع أهل التوحيد فى الإقرار بالشهادتين، وبالأركان وبأصول الايمان.

وكيف يكون من المسلمين وهو ينكر حجية القران الكريم، والسنة المطهرة؟ ومن أين عرف الأركان وأصول الايمان، إذا لم يكن المرجع فى هذا الى الكتاب والسنة؟

إن ذلك هو أسلوب أهل النفاق الذين يكيدون لدين الله... فهم لا يعتقدون بعقيدة، ولا يتقيدون بشرع.. إنهم مؤمنون وكافرون، وإنهم لا مؤمنون ولا كافرون.. وانما هم يلبسون ثوبا مستعارا لكل من الايمان والكفر، يلبسون لكل حالة الثوب المناسب لها، كما يلبس الممثل ثوب الشخصية التى يمثلها على المسرح فى رواية هزلية.. ثم إذا خلا بنفسه نزع هذا الثوب عنه..

وهذا كيد عظيم كادِ به المنافقون للإسلام، حيث دخل كثير من أعداء الله، وأعداء دينه فى الإسلام، كذبا وادعاء، ودرس كثير منهم علوم الشريعة، واكتسب ثقة كثير من المسلمين، حتى إذا بلغ هذا الحد، كان سيفا يضرب فى وجه الإسلام، ومعولا يعمل على هدم حقائقه..

وهكذا ، فعل (العظمى) هذا فى ادعائه الإسلام، والغيرة عليه، والدفاع عنه،وهو يعمل جاهدا على هدم الإسلام، والكيد له ولأهله.. ولكن هيهات هيهات..

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها، وأوهى قرنه الوعل

ثم كيف يصح قول هذا الدعى: «غير أنا نقول بالمحكم ونرجع اليه» كيف يقول هذا، وأى محكم يقول به، ويرجع اليه من كتاب الله، وهو الذى يقول:

«إن أحكام الدين لا يمكن أخذها من الكتاب والسنة، لأن فيها الناسخ والمنسوخ والخاص والعام، والمطلق والمقيد.. الى آخر هذا الإلحاد والكفر؟

ولكن لا عجب.. فالمنافق كالحرباء يتلون بكل لون، ولا يكون على لون واحد أبدا ثم يقول هذا المنافق، مخاطبا أهل التوحيد :

«قمتم بعد أن ذهب الله بزعماء تلك المذاهب والنحل، وانتشرتم بعد أن طوى دعاة تلك البدع، تدعون الناس بما لا ينفعهم فى الدنيا، ولا ينجيهم فى الآخرة،تخلطون لهم الحق بالباطل، والظن باليقين تحرفون الكلم عن مواضعه.. تقولون هذا من عند الله، وما هو من عند الله.. تنادونهم أن ارجعوا الى الدين وأنتم عنه أبعد،تأمرون بالبر وتنسون أنفسكم.. تقولون بأفواهكم ما ليس فى قلوبكم.. ترسلون دعاة بأجسام انسانية وأرواح شيطانية، يوسوسون لأناس عاشوا فى الجهل، وأقاموا حديثا فى مهد.. ما عرفوا من الدين إلا الاسم، وما نظروا من العلم إلا الرسم فيزينون لهم غرورا ويغوونهم مشرورا، والله لا يصلح عمل المفسدين»

وهذا كلام فيه سباب وفحش، وليس فيه موقف يقف به محاجا أهل التوحيد فيما يدعون اليه من دين الله، وما يهدمون به من أوثان الشرك.

ثم بأى لغة أعجمية ركيكة يتكلم هذا الدعى الذى ينصب نفسه للذود عن دين الله، والنصح للمسلمين وهو لا يعرف أساليب العربية التى نزل بها القرآن؟

فليس فى لغة العرب ما يجيز له أن يقول: «لا نختلف بأصول الدين» وانما الصواب أن يقول: «لا نختلف فى أصول الدين.. فما جاء فى لغة العرب ولا فى كتاب الله أن

يتعدى الفعل «اختلف» بالباء، وانما هو يتعدى بحرف الجر «فى» كما يقول الله تعالى:

«وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ» (الشورى: ١٠)

وكما يقول تعالى :

«فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (البقرة: ١١٣)

وأكبر الظن عندى، أن هذا الرجل من أولئك الأعاجم الذين دخلوا فى جماعة المسلمين وتحككوا بالإسلام وفى قلوبهم مرض، يريدون الكيد له، والإضلال لأهله.

## هذا الدعى والاجتهاد :

ومن متناقضات هذا الدعى الأحمق، أنه إذ يبطل العمل بكتاب الله وسنة رسوله كما نقلنا ذلك من رسالته ـ فإنه ينكر الاجتهاد.. إذ يقول فى أول صفحة من تلك الرسالة الشيطانية.

«إن الاجتهاد بدعة فى الدين» هكذا على سبيل القطع والجزم.

ثم يقول فى ص ١٠ من هذه الرسالة :

«انه لا يجوز تقليد الصحابة ولا التابعين»

فإذا كان لا قرآن ولا سنة كما يقول هذا الملحد.. فلابد أن يكون هناك اجتهاد شخصى يتعرف به الإنسان الى الدين الذى يقوم على اجتهاد شخصى منه..

فإذا بطل الاجتهاد، ثم لا يكون هناك مرجع الى القرآن الكريم والسنة المطهرة فمن أين يعرف الإنسان الدين الذى يدين به؟ ان معنى ذلك ألا يكون هناك دين أبدا، ويكون معنى ذلك أيضا إبطال الدين على نحو ما تقول به الشيوعية من أن: «الدين أفيون الشعوب»

ثم إذا كان لا يجوز تقليد الصحابة ولا التابعين ، كما يقول هذا الدعى.. ثم لا كتاب ولا سنة، ثم ولا اجتهاد ـ فما هى الوسيلة أو الوسائل التى يتعرف بها الإنسان الى دين، أى دين؟

وأعود فأكرر القول بأنى لا أعرف هوية هذا الرجل، ولكن يغلب على ظنى أنه من غلاة الشيعة الذين يذهبون الى تأليه علىّ رضى الله عنه، والى عصمة الأئمة من الشيعة حيث تكون أقوالهم أحكاما شرعية ملزمة لأتباعهم، وفى هذا المفهوم لا يكون نظر الى قرآن أو سنة، ولا التفات لمقولات الصحابة والتابعين، ثم لا محل للاجتهاد مع الإمام المعصوم!!

فاذا كان هذا هو واقع هذا الرجل فبأى وجه يدخل فى الاعتراض على أى مسلم من المسلمين، سواء أكان عالما أو غير عالم، وهو على طريق غير طريق الإسلام؟

ولكن الرجل وجد فتنة ثائرة فى وجه دعوة التوحيد التى دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فدخل مع الداخلين فى الحرب المعلنة على تلك الدعوة، من علماء السوء، ومن السلاطين والحكام، دفاعا عن سلطانهم القائم على عامة المسلمين.. وهكذا يتدسس اللصوص فى الظلام، وسط دخان الحريق المشبوب، ليسرقوا ما تصل أيديهم الى سرقته، من مال أو متاع!!

## الاجتهاد فى الدين :

ومما ينكره هذا المدعى على دعوة التوحيد، أنها تفتح باب الاجتهاد الذى أغلقه الجهل، وفساد الأحوال منذ القرن الرابع الهجرى، فيقول هذا الجهول، موجها الكلام الى أتباع الدعوة الداعية الى فتح باب الاجتهاد ـ يقول:

«إنى أراكم تدعون الناس لبدعة الاجتهاد فى الدين وغيرها من البدع»

ونقول لهذا الجهول، كيف يكون الاجتهاد فى الدين بدعة؟ ان البدعة هى أمر حادث لم يكن فى الدين، وهى ما أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:«كل بدعة ضلالة» وذلك من معنى قوله تعالى:

«أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ» (الشورى: ٢١)

ثم ألم يجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن الكريم فى أكثر من حال بتصحيح اجتهاده صلوات الله وسلامه عليه، كما فى قوله تعالى فى أسرى بدر حين قبل النبى صلى الله عليه وسلم الفدية منهم، وذلك بعد مشورة أصحابه...

يقول سبحانه فى هذا الأمر:

« مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨)..

وكقوله تعالى فى إذنه صلى الله عليه وسلم لمن أرادوا أن يتخلفوا عن الجهاد، معتذرين بأعذار كاذبة:

« عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ » (التوبة: ٤٣) ..

الى كثير من مثل هذه الأحوال التى كانت عن اجتهاد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء القرآن بتصحيح هذا الاجتهاد!!

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يبعث معاذ بن جبل الى اليمن، ليعلم الناس أمور دينهم، وليقضى فيما يعرض لهم من شئون، فيقول له صلى الله عليه وسلم «كيف تقضى إذا عرض لك القضاء؟» فيقول معاذ: أقضى بكتاب الله، فيقول له الرسول

الكريم: «فإن لم تجد فى كتاب الله» قال أقضى بسنة رسول الله..».

قال: «فإن لم تجد فى سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأيى ولا آلو. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرب على صدر معاذ، وقال: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله..»!

أفليس هذا إذنا بل وتزكية من رسول الله صلى الله عليه وسلم للاجتهاد؟

ثم ألم يجتهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده فى الأمور التى كانت تعرض لهم؟ ثم ألم يختلف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى اجتهاداتهم، ولم يكن فى هذا حرج عليهم، إذ كانت غايتهم هى النصح للمسلمين فى الأمور التى ليس فيها نص صريح من كتاب الله، أو سنة رسوله؟

ثم أصحاب المذاهب الأربعة.. ألم يكونوا مجتهدين فى فروع الدين؟ ثم ألم يكن بينهم هذا الخلاف فى اجتهادهم، فكانوا أربعة مذاهب، وإلا لكانوا مذهبا واحدا.

وما كانت الشورى التى أمر الله تعالى بها المسلمين فى قوله تعالى:

«وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ» (الشورى: ٣٨)

ما كانت هذه الشورى إلا دعوة من الله تعالى للمسلمين الى النظر فيا يعرض لهم من أمور حادثة، لم يكن للشريعة حكم قاطع فيها.

ثم ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران، وإن حكم واجتهد وأخطأ فله أجر»؟ أليس هذا القول الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقريرا لمبدأ الاجتهاد: وأن من اجتهد فأصاب موقع الحق فله أجران، أجر لاجتهاده، وأجر لإصابته موقع الحق، وأن من أخطأ فله أجر هو أجر اجتهاده، وإن أخطأ موقع الحق!!

وإنه ما انتكس أمر المسلمين، وما ذهبت ريحهم إلا بعد أن سد باب الاجتهاد، الأمر الذى أدى الى قطع الصلة بين المسلم وبين كتاب الله وسنة رسوله ليتلقى منهما ـ بعد التدبر والبحث ـ الحكم فيما يعرض له من أمور حادثة من مواليد العصر الذى يعيش فيه،تلك المواليد التى لا تنقطع أبدا..

وقد أدى سد باب الاجتهاد الى أمرين خطيرين، كان لهما هذا الأثر السئ فيما صار اليه أمر المسلمين من ضعف وتخلف فى مسيرة الحياة، ومن تراكم زحوف البدع، والخرافات التى غيرت معالم الدين وأوقعتهم فى ضلالات الشرك.

وأول هذين الأمرين، هو وقوف المسلمين حيث هم، لا يخطون خطوة إلى الأمام فى حين أن الحياة تسير سيرا حثيثا الى الأمام، لا تتوقف لحظة أبدا، بل تنطلق بالناس فى سرعة الصواريخ.

والأمر الثانى: هو أن يتحلل المسلمون مما كان سائدا فى عصر تدوين المذاهب الأربعة، وأن يأخذوا بما جد فى عصرهم، المؤثر بلا شك فى أمور دينهم، متابعين ومقلدين أهل الغرب، غير ناظرين أو راجعين فى هذا الى الكتاب والسنة، لأن باب الاجتهاد قد سد فى وجوههم..!!

فاذا دعا الشيخ محمد بن عبدالوهاب المسلمين الى فتح باب الاجتهاد، ليخرجوا من هذا السجن المطبق عليهم وليلتقوا بكتاب الله وسنة رسوله، ليجدوا منهما النور الهادى الى طريق الحق فيما يأخذون، أو يدعون من كل ما يجد من أمور ـ إذادعا الشيخ الى هذا، عده أعداء الإسلام فتنة.. يريدون بهذا أن يأخذ المسلمون بما يرون من حياة الأوربيين، وأن يقطعوا صلتهم بالإسلام، وبما تقرره شريعة الإسلام..

## التوســل بالأنبيــاء والأوليــاء :

ثم يقول (المؤيد العظمى) فى رسالته، التى يؤيده فيها الشيطان فى التوسل بالأنبياء

والأولياء: «إن علماءنا ـ أى علماء هذا المذهب الضال ـ ما قالوا بالتوسل بالأنبياء والأولياء، وندبوا اليه من تلقاء أنفسهم، حاشاهم من ذلك، وهم أمناء الدين وخلفاء الرسل، بل أخذوه من كلام الله، وكلام رسوله، أمرا وفعلا» (ص ١٠، ١١)

هذا ما ينطق به هذا الأحمق الجهول فى رسالته من أحكام عامة جازمة، وما رجع فى هذا الى كتاب الله أو سنة رسوله، بل قال ذلك باعتبار أنه مشرع يقول ما يقول وعلى الناس السمع والطاعة!! أليس هو من الأئمة المعصومين الذين يقومون فى الناس مقام الرسل والأنبياء ؟

ثم نقول لهذا الملحد المضلل: كيف يدعو الله تعالى الى إخلاص العبادة والدعاء له وحده، فى قوله تعالى:

« وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ » (البينة: ٥)

وفى قوله سبحانه :

« وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » (غافر: ٦٠)..

فالدعاء عبادة من أخلص العبادات لله من المؤمنين بالله، حيث تتجه إليه وجوههم خالصة.. وأن الذين لا يتجهون الى الله فيما يندبهم هم مستكبرون عن عبادة الله، وهم من أصحاب النار هم فيها خالدون.

ويقول تبارك اسمه :

« وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ » (يونس: ١٠٦)

ويقول جل شأنه:

«وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ»

(الأعراف: ١٩٧)

ويقول سبحانه:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ»

(الأعراف: ١٩٤)

فكيف يدعو الله تعالى الى إخلاص العبادة له وحده، والاتجاه بالدعاء له دون غيره، ثم يدعو بعد ذلك الى التوسل بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين؟
أهذا التناقض يجوز فى حق الله تعالى؟ إن من يقول بهذا هو كافر بالله، ملحد فى آياته!!

وروى أبو داود، عن عبدالله بن الشخير، قال: انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: أنت سيدنا.. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» فقلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا[١٦].. فقال صلى الله عليه وسلم: «قولوا بقولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[١٧].

وروى الطبرانى عن عبادة بن الصامت، رضى الله عنه، أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «إنه لا يستغاث بى، وإنما يستغاث بالله..)

(١٦) الطول : الجاه، والقدر، وهو بكسر الطاء المشددة، وفتح الواو.
(١٧) أى يذهب بكم الشيطان بعيدا فى الغلو.

وروى الترمذى ، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: «لم يكن شخص أحب إليهم ـ أى الصحابة ـ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك».

فاذا كان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكرم خلق الله على الله لا يستشفع به، ولا يستغاث به، ولا يقوم أصحابه له بأجسادهم، وإن فاضت قلوبهم ومشاعرهم إجلالا له وتوقيرا، ولا يقبلون يده، وإن كان يسعدهم ان يقبلوا التراب الذى تمشى عليه قدماه الشريفتان ـ إذا كان ذلك مما نهى الرسول الكريم عنه حفظا لكرامة المؤمن، وحماية له من الخضوع والخشوع لغير الله، وسدا لذرائع الملق والتزلف لذوى الجاه والسلطان ـ إذا كان هذا ما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، وحذر المسلمين منه وأراهم من شخصه الكريم، هذا الذى رأوه من توجيههم بالتعظيم والإجلال لله تعالى وحده ـ فكيف يقوم فى المسلمين من يدعوهم إلى الاستشفاع والاستغاثة بالموتى، الذين انقطع ما بينهم وبين هذه الدنيا؟

وكيف يكون إيمان بالله مع التمسح بالقبور، والطواف بالقباب، ومناجاة من تحت القبور، ومناداتهم بطلب المطالب وقضاء الحاجات.؟

ان ذلك ـ فضلا عن إفساده للعقيدة ، ومسخه للإيمان ـ هو امتهان للعقل وإهدار لآدمية الإنسان واستعباد له لعالم الموتى: ذلك الاستعباد الذى هو أشنع شناعة، وأشد بلاء من الاستعباد للأحياء؟

وبعد : فإن رسالة هذا الغبى المجهول الملحد، الذى يسمى الحاج مختار بن الحاج أحمد باشا المؤيد الأعظمى التى سماها: «جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام» ـ ان هذه الرسالة دعوة الى عبادة الأئمة العظام عنده، وتلقى أحكام الشريعة منهم والتعبد بأقوالهم.. وهؤلاء الأئمة العظام عند هذا الملحد هم أئمة الشيعة الذين يقومون على أتباعهم مقام رسل الله عند المؤمنين بالله فهم عند أتباعهم معصومون عصمة مطلقة فوق عصمة الرسل!!

واذن فهذا الملحد إذ يحاج أهل التوحيد، فإنما يدعو الى دين غير دين الإسلام،ويعمل على نشر مذهب ضال يخرج المسلم الذى يتبعه عن دينه حيث لا التفات الى القرآن أو السنة، وحيث لا اجتهاد، ولا اعتبار لاجتهادات أصحاب المذاهب الأربعة، وإنما الشرع ما قال به الأئمة المعصومون، والدين ما رسمه هؤلاء الأئمة..

« كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ». (يونس ١٢)

ومن أراد الاطلاع على كفر هذا الملحد وضلاله، فليطلع على كتاب: «البيان والإشهار، لكشف زيغ الملحد الحاج مختار» للشيخ فوزان السابق، أثابه الله تعالى وأكرمه.. فقد كشف عن ضلال هذا الضال، وتلبيساته على المسلمين، وألبسه ثوب الخزى، ليكون عبرة لأهل الزيغ والضلال، ودعوة للمؤمنين أن يأخذوا حذرهم من المتدسسين إليهم بتلك الشعارات المضللة الزائفة:

«هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (المنافقون ٤)

صدق الله العظيم.

****

# ثانيا : الدرر السنية في الرد على الوهابية
# لابن دحلان

وهو احمد بن زيني بن دحلان .

كان مقيما بالبلد الحرام، مضيفا نفسه الى علماء المسجد الحرام، باسطا نفوذه على كثير من طلبة العلم الوافدين الى هذا البلد الأمين من شتى آفاق الإسلام، ملتمسين النور من مطلع الرسالة الإسلامية، حيث أقام هذا الرجل مصيدة يوقع فى شباكها باسم العلم هؤلاء الوافدين لطلب العلم، ويقتنص ما يقع ليده مما معهم من مال ومتاع.

وانها لتجارة خاسرة، قامر فيها هذا الشيخ بدينه، وباعه بهذا الثمن البخس من فتنة الناس وإضلالهم.. فكان من الذين قال الله تعالى فيهم:

« أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ » (البقرة : ١٦ : ١٨)

ومن هنا كان موقف هذا المتجر بالدين من دعوة التوحيد التى قام بها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وكشف بها عن وجه الشرك الكئيب الذى غير وجه الإسلام الوضئ، الحنيف، وألبس الناس هذا اللباس المشئوم.

لقد رأى ابن دحلان أن سلطانه الذى أقامه على الناس بالجهل والشعوذة مهدد بالزوال من دعوة التوحيد، إذا قدر لها أن تدخل الى قلوب الناس، وأن تبدد بأنوارها هذا

الظلام المخيم عليهم، فقام فى وجه هذه الدعوة، ينبحها نباح الكلب المسعور، ويرميها بكل ما لديه من وسائل الشعوذة، والتغرير، غير مقيد بضابط من خلق أو دين.. فكانت منه هذه الصرخات المحمومة المجنونة فى وجه الدعوة الى التوحيد، كما كان يفعل المشركون فى وجه الدعوة الإسلامية عند مطلعها، وإرسال أضوائها على مواقع الشرك وأهله، حتى لقد بلغ الأمر بهذا الأحمق الجهول أن يؤلف الرسالة، وأن ينشرها فى الناس، والتى أسماها: «الدرر السنية فى الرد على الوهابية» وما هى فى حقيقة أمرها إلا نباح كلب فى وجه القمر، وإلا الحصا يرمى به صبى أو مجنون فى محيط البحر الزخار، وهو يحسب أن ينال من هذا البحر منالا..

ما يضير البحر أمس زاخرا
أن رمى فيه غلام بحجر؟

## من هذيان ابن دحلان

والرسالة كلها خلط مجنون، وهذيان محموم، وترهات من هنا وهناك، نقلها من كتب المتصوفة والحشونة والرافضة، وغيرهم، ثم جاء بهذا الخليط من اللغو يحاج به دعوة التوحيد فى غير حياء أو خجل، وكأنه يوحى اليه من عالم الغيب وما يوحى إليه إلا من شيطان مريد:

« كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ »
(الحج: ٤)

## الاحتجاج للتوسل والاستشفاع :

فهذا الداعى يحتج للتوسل والاستشفاع بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالصحابة وبأصحاب الأضرحة والقباب ـ يحتج لهذا بتلك النقول المريضة الفاسدة من مؤلفات سدنة الأضرحة وعبادها، والمتجرين بالشعوذة لها، ولما يناله قصادها المطيفون بها ـ والناذرون لها من خير كثير فى دنياهم وآخرتهم!!

يريد بهذه الشعوذة أن يرد دعوة التوحيد التى يدعو اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن اتبعه على دين الله من المسلمين، بعد أن خلعوا أسمال الشرك البالية التى ألبسها إياهم الجهل، ووسوسة شياطين الجن والإنس لهم - تحقيقا لمعنى: «لا إله إلا الله».. تلك الكلمة الجليلة العظيمة التى لا يدخل الإنسان الى الإسلام إلاّ بها قولا وفهما واعتقادا وعملا.. كما يقول الحق سبحانه:

«... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ » (الحج: ٣٠ - ٣١)

وكما يقول جل شانه:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ». (النساء: ١١٦)

ويقول سبحانه:

« إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » (المائدة: ٧٢).

ومع هذا الحكم الصريح القاطع من الله تعالى على الشرك والمشركين، فإن من البلية أن يكون فى المسلمين بل وفى أدعياء العلم من المسلمين من يزكى الشرك ويستسيغ طعمه، ويغرى الناس به!!

## دعاوى ابن دحلان فى التوسل :

يقول ابن دحلان فى الاحتجاج بالتوسل الذى يدعو المسلمين اليه ما يأتى فى ص ٦

من رسالته: «وأما التوسل، فقد صح صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم، وأصحابه وسلف الأمة»

هذا ما يقطع ابن دحلان به فى حكمه على التوسل بغير الله، وكأنه يتلقى هذا من كتاب الله، أو سنة رسوله،وما هو إلا من وسوسة شيطانه المريد..

ثم يقول ابن دحلان ، مؤيدا دعواه فى جواز التوسل بهذه المرويات وما يتأولها عليه - يقول:

«أما صدوره - أى التوسل - من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد صح فى أحاديث كثيرة.. منها: أنه صلى الله عليه وسلم، كان من دعائه:
«اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك».. وهذا توسل لاشك فيه!!

ولم يذكر ابن دحلان المصدر الذى تلقى منه هذا الحديث، ولعله وجده فى بعض كتب المتصوفة أو تلك الرسائل التى تغزو المسلمين بتلك الطلاسم من الأدعية والأوراد!!

ومع ذلك فإن هذا الحديث المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه توسل بأحد بذاته من الناس، ولا استشفاع به، بل هو دعاء موجه الى الله تعالى لا بالسائلين بل بحق السائلين على الله.. وحق السائلين على الله هو استجابة دعائهم المتوجهين به اليه سبحانه، فضلا وإحسانا منه تعالى.. فإن الدعاء عبادة لله وقربة له سبحانه، والله تعالى يقول:

« وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ » (غافر: ٦٠)

وقال سبحانه :

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة: ١٨٦)

فالدعاء هنا خالص لله ، يتوسل به الداعون الى الله، ويوجهون اليه وجوههم خالصة له سبحانه.. فإذا توسل متوسل بحق الداعين على الله فإنما يتوسل بالله بهذا الحق الذى أوجبه الله تعالى على نفسه فضلا منه وكرما لمن دعاه..

فالتوسل هنا الى الله هو توسل منه اليه ، وليس توسلا بأحد من خلقه ، كما يدعى ابن دحلان جهلا أو مكرا.

ثم يقول ابن دحلان في رسالته الشيطانية تلك (فى ص: ٦) معلقا على هذا الحديث المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«فانظر قوله صلى الله عليه وسلم: «بحق السائلين عليك» فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن!!

وهذا ـ كما قلنا ـ فهم فاسد ، وتأويل باطل، وتحريف للكلم عن مواضعه،لا يقول به إلا من ختم الله على قلبه وسمعه، وجعل على بصره غشاوة.

إذ كيف يتوسل الرسول صلى الله عليه وسلم بكل عبد مؤمن، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المؤمنين وداعيهم الى الإيمان؟

وإذ جاز التوسل من مؤمن بمؤمن ـ وهو غير جائز قطعا ـ فهل يجوز التوسل من الأعلى بالأدنى؟

وقد أشرنا من قبل الى أن هذا التوسل المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق السائلين على الله بأنه توسل الى الله تعالى بصفة من صفاته الجليلة، وهى

الإحسان الى المتوجهين بالدعاء اليه سبحانه باستجابة دعائهم الذى يرفعونه الى الله خالصا له وحده، جل شأنه، كما قال الرسول الكريم فى دعائه: «اللهم انى أسألك بنور وجهك، الذى أضاءت به الظلمات» وذلك فى دعائه صلى الله عليه وسلم وهو عائد من الطائف، بعد أن أعرض عنه أهلها، وسلطوا عليه الغلمان والصبيان يرمونه بالحصا، ويرجمونه بالسباب.. فأنت بأبى وأمى يا رسول الله!..

فالرسول صلى الله عليه وسلم إذ دعا بنور وجهه، فهو يدعو فى هذا الحديث المنسوب إليه بفضل الله وإحسانه، ثم يمضى ابن دحلان فى هذا الخلط فيقول فى ص: (٩ - ١٠)

«وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم، قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها».

ويستدل ابن دحلان على هذه الأسطورة بحديث رواه الحاكم والطبرانى، وهو:
«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يارب، أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى.. فقال الله تعالى: يا آدم، كيف عرفت محمداولم أخلقه؟ قال يارب، إنك لما خلقتنى رفعت رأسى، فوجدت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف الى اسمك إلا أحب الخلق إليك.. فقال الله تعالى:

صدقت يا آدم.. إنه لأحب الخلق إلىّ، وإذ سألتنى بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك !!

وهذا لاشك حديث مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، افتراه الصوفية والحلولية الذين يقولون بوحدة الوجود، ويقولون بما يسمونه الحقيقة المحمدية «التى نسجوا منها هذه الاسطورة التى تجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلها مع الله، قائما على هذا الوجود خلقا وأمرا..

وانه ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينطق بشئ من هذا، وحاشاه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يفتن أصحابه وأتباعه فيه، وهو الذى يقول:

«لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، ولكن قولوا عبدالله ورسوله»!!
فكيف ينهى عن إطرائه ، ثم يفتح للمسلمين هذا الباب العريض الذى يرفعه الى مقام الألوهية؟

فهذه الأسطورة المعروفة عند المتصوفة والحلولية بالحقيقة المحمدية، تدعى هذه المدعيات الباطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ يقول هؤلاء المشعوذون:إن أول ما خلق الله محمدا من نوره، ثم من هذا النور خلق العرش والكرسى، وخلق اللوح والقلم، ثم سائر المخلوقات فى السموات والأرض!!

فيا سبحان الله ، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك، هذا بهتان عظيم.. فلا إلٰه إلا أنت، تنزهت عن الشريك، وعن الصاحبة والولد..

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو ابن آدم، وإن كان أفضل أبنائه.. وأبوه عبدالله، وأمه آمنة، وهو الذى يقول: «أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد» ويقول: «أنا عبدالله آكل كما يأكل العبد..»

فماذا يقول صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا، وأوضح بيانا، كى يرد هذه الفتن العمياء عن القول فيه، بأنه ليس إلا عبدا من عبيد الله، ورسولا من رسله؟ ولكنه الشيطان يوحى الى أوليائه بهذا الضلال!!

«...... وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ » (المائدة: ٤١) !!

ثم ان الله تعالى يقول فى توبة آدم:

« فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ »

(البقرة: ٣٧)

وهــذا معنــاه:

أولا : أن أدم تلقى من ربه كلمات ألهمها الله تعالى إياها، فتوجه بها الى ربه تائبا، مستغفرا، فقبل الله توبته، وغفر له خطيئته .

واذن فلم يكن آدم هو الذى عرف طريق التوبة بالنظر الى العرش، ورؤيته اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش، كما يفترى المفترون على الله ورسوله.

وثانيا : أن هذه الكلمات التى تلقاها آدم من ربه إلهاما منه سبحانه، وهى تلك الكلمات التى أشار إليها قوله تعالى:

«... وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (الأعراف: ٢٢ ـ ٢٣)

فهذه الكلمات التى تلقاها آدم من ربه، وتوجه بها هو وزوجه تائبين الى الله، هى قولهما:

« قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (الأعراف : ٢٣)

فأى قول يقال بعد هذا الذى نطق به القرآن الكريم، هو باطل الأباطيل، يرمى به فى وجه قائله، ملعونا مدحورا،ثم هذا الحوار الذى يجريه الملحدون بين الله تعالى وبين آدم، هو من واردات الكفر والإلحاد، لا يخرج إلا من رءوس فارغة، لا يقيم بها إلا الشيطان.. إذ كيف يطلع آدم على العرش وعلى ملكوت الله؟ ثم كيف يقرأ ما كتب على العرش؟ وهل كان آدم يعرف القراءة والكتابة؟ وبأى لغة كان يقرأ ويكتب؟ وبأى لغة كان هذا المكتوب على العرش؟

هذا كلام له خبىء معناه ليس لنا عقول،إنه كذب مفضوح، أخرس الله ألسنة المتخرصين به...

ثم يمضى ابن دحلان فى هذا الهراء الذى يحتج للتوسل به فى ص ١٠ من رسالته المشئومة تلك، فيقول: «والى هذا التوسل أشار الإمام مالك للخليفة المنصور وذلك لما حج المنصور، وزار قبر النبى صلى الله عليه وسلم، سأل مالكا وهو بالمسجد النبوى، فقال له: يا أبا عبدالله، أأستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو؟ فقال له الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله فيك.. قال الله تعالى:

«... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » (النساء: ٦٤)

ثم يذكر ابن دحلان المصادر التى نقل عنها هذا الخبر المنسوب الى الإمام مالك فيقول: «ذكره.. أى هذا الخبر: القاضى عياض فى «الشفا» وساقه بإسناد صحيح، وذكره الإمام السبكى فى «شفاء السقام»، وذكره السمهودى فى «خلاصة الوفا» والعلامة القسطلانى فى «المواهب المدنية» الخ .. الخ ..

ونقول : انه لو كان لابن دحلان شئ من العلم بدين الله، لما استند الى هذا الخبر، ولما نقله مستدلا به على جواز الاستشفاع بغير الله تعالى..

فهذا الخبر مخالف للشرع والعقل، وتأويل فاسد لكلام الله، وذلك من وجوه:

فأولا : أن استقبال القبلة ركن من أركان الإسلام، فى صحة فريضة من أعظم الفرائض وهى الصلاة، فلا تصح الصلاة إلا باستقبال القبلة، والتوجه إليها، كما يقول تعالى:

« وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ » (البقرة: ١٥٠)

والصلاة دعاء والدعاء عبادة كالصلاة،وعلى الداعى أن تكون القبلة وجهته فى دعائه.. فكيف يعطى الداعى ظهره للقبلة، ويتوجه الى قبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم؟ أفليس ذلك مخالفا خلافا صريحا لشرع الله؟ ولن يكون من الإمام - رضى الله عنه - أن يفتى بغير ما شرع الله، فيعدل بالمنصور عن حكم الشرع، ولكن الذين كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا من الأحاديث المكذوبة ما أملته عليهم أهواؤهم، لا يتحرجون من أن يؤلفوا تلك الروايات الكاذبة على غير الرسول الكريم..

وثانيا: ما استشهد به ابن دحلان من قوله تعالى

«... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» (النساء: ٦٤)

من أن هذه الآية الكريمة تدل على المجيء الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولئك الذين ظلموا أنفسهم، طالبين أن يستغفر لهم، بعد أن يستغفروا الله - هذا الاستشهاد بتلك الآية الكريمة باطل، وتحريف للكلم عن مواضعه..

فالآية الكريمة فى معرض الرد على المنافقين الذين يعرضون عن الاحتكام الى الله ورسوله، ويتحاكمون الى الطاغوت، وهم الذين أشارت اليهم الآيات الكريمة:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا »

«النساء: ٦٠ ـ ٦٥».

فالآية الكريمة من سورة النساء وأردة بين آيات هن فى معرض الرد على المنافقين الذين يعرضون عن الاحتكام الى الله ورسوله، ويتحاكمون الى الطاغوت، وهم أهل الضلال من اليهود وغيرهم من الذين كانوا يحتكمون الى رسول الله فى أمر شدد عليهم فيه دينهم العقاب، ليجدوا عند رسول الله مخرجا مما هم فيه، فإذا وجدوا ذلك رضوا به، واتخذوه لهم حجة عند الله، وذلك هو النفاق حتى مع كتابهم، إذ كانوا لا يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يؤمنون بما نزل على رسول الله من عند الله، بل يؤمنون بما يحقق مصالحهم الدنيوية ويكفرون بما عداه، وفى هذا يقول الله تعالى عنهم:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا »

(النساء: ١٥٠ ـ ١٥١)

وفى هؤلاء الملحدين المنافقين، يقول الله سبحانه وتعالى:

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ

فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ » (المائدة: ٤١ ـ ٤٣)

فهذه الآيات ، ومنها الآية المستشهد بها ـ تواجه اليهود وتفضح نفاقهم وعبثهم بكتب الله، ومنها التوراة التى فى أيديهم، ومنها القرآن الكريم الذى فروا اليه من بعض أحكام التوراة التى تضيق صدورهم بها..

وفى الآيات بيان من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وما يكون منه من موقف مع هؤلاء اليهود:

«...فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ » (المائدة : ٤٢)

وفى الآية المستشهد بها ـ كذبا وافتراء ـ على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد موته، وذلك ما جاء فى قوله تعالى:

« ... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » (النساء: ٦٤)

فى هذه الآية الكريمة دعوة الى هؤلاء اليهود الذين ظلموا أنفسهم بهذا الموقف الخبيث اللئيم الذى يقفونه من كتب الله، وأنهم إذا أحسوا هذا الظلم الذى أوقعوه بأنفسهم، ثم أرادوا التخلص منه، فليس لهم من سبيل إلا الرجوع والإنابة الى الله وطلب المغفرة منه،

ثم الرجوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبين اليه الصفح عما كان منهم من كيد، سائلين أن يستغفر الله لهم، وإلا فهم وما ارتكبوا من ظلم ومكر بالله، وبرسول الله:

« ... وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ » (فاطر: ٤٣)

وواضح من هذا أن الآية الكريمة، ليس فيها أى دليل على الاستشفاع برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما تدل على طلب الصفح منه صلى الله عليه وسلم لأولئك الذين عبثوا بكتب الله، وأرادوا الرسول على أن يحكم بينهم بما فى كتابهم، ولم يقبلوه ثم طلبهم الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغفر الله لهم هذا الذى كان منهم .

فالاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو دعاء منه صلى الله عليه وسلم، يطلب به المغفرة من ربه لهؤلاء النادمين التائبين.

وكل مسلم يستغفر ربه، لنفسه ولغيره، فيقول: اللهم اغفر لى ولإخوانى المؤمنين كما علمنا الله تعالى أن ندعوه بقوله:

« ... رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (الحشر: ١٠)

وكما قال الله تعالى على لسان موسى

« قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ »

(القصص: ١٦)

وقد نهى الله تعالى النبى والمسلمين أن يستغفروا للمشركين، فقال تعالى:

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ » (التوبة ١١٣)

وقد كان فهم أولئك الذين ارتدوا عن الإسلام، ومنعوا الزكاة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كان فهم هؤلاء المرتدين ـ لكتاب الله أصح من فهم ابن دحلان ومن على شاكلته، فى تأويلهم للآية الكريمة، هذا التأويل المنحرف الضال.

فلقد كان من حجة ما نعى الزكاة ـ وهى حجة داحضة ـ أن الله تعالى يقول لنبيه الكريم:

« خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ » (التوبة ١٠٣)

وقد كان من حجتهم فى منع الزكاة أنه قد فقد شرط من شروط أدائها، وهو صلاة الرسول عليهم، بقوله لمخرج الزكاة ومقدمها له: اللهم صلى على فلان، أى اغفر له، وارحمه..

أما وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذن فلا صلاة منه على مخرج الزكاة وإذن فلا زكاة.. فقد فهم هؤلاء المانعون للزكاة أن لا صلاة عليهم من رسول الله بعد موته، وهذا فهم صحيح، ولكن الذى ترتب على هذا الفهم هو غير الصحيح. فالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، هى أركان الدين بعد شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهى مطهرة وزكاة لمخرجها، أما صلاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالدعاء وطلب المغفرة لمن يأتيه بها فهى فضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدب النبوة

العالية، حيث يشكر لمؤدى الزكاة فعله، ويطيب خاطره بما أخرج من ماله العزيز على النفس.. وفى الحديث «من لا يشكر الناس، لا يشكر الله».

ومع هذا، فإنه اذا جاز الاستشفاع برسول الله على الله فى حال حياته فإن الاستشفاع به على الله بعد موته هو مهواة الى الشرك، والعياذ بالله.

فما أعظمها فرية، وما أشنعها جريمة، أن ينساق الإنسان وراء هواه، فيحرف الكلم عن مواضعه، ويفترى الكذب على الله، وعلى رسول الله، فيهلك، ويهلك من ينخدع من الناس له!!

****

ولا يكتفى ابن دحلان بهذا الدجل، وتلك الشعوذة فيما ساق من أدلة باطلة على جواز الاستشفاع والتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالصالحين أحياء وأمواتا.

لا يكتفى ابن دحلان بهذه الشعوذات، بل يمضى فى غبائه وجهله، فيقول فى رسالته (ص ١١): «واستسقى عمر - رضى الله عنه - فى زمن خلافته بالعباس بن عبدالمطلب، رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم، لما اشتد القحط عام الرمادة، فسقوا، وذلك مذكور فى صحيح البخارى، من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه حيث قال عمر «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم، فاسقنا».

ونقول ان هذا الخبر صحيح، فإن عمر رضى الله عنه استسقى عام الرمادة حيث خرج الى ظاهر المدينة وقد ساق بين يديه الأنعام، ومن خلفها الشيوخ والنساء والصبيان، وجعل على مقدمة الجميع العباس بن عبدالمطلب، أشبه بالإمام فى الصلاة تكريما له، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ولو كان عمر يستشفع بالعباس لخرج به وحده، أو لجاءه فى بيته مستشفعا به..

وهذا الاستسقاء مستحب أن يقوم به المسلمون فى حال الجدب، وإمساك المطر، حيث يجتمع الناس صغارا وكبارا، وشيوخا وشبابا، فى صلاة للاستسقاء، يجأرون فيها بالدعاء والضراعة الى الله أن يرحمهم، ويرسل السماء عليهم مدرارا، مقدمين فى ذلك من يتوسمون فيه الصلاح والتقوى، ليكون إماما لهم فى هذه الصلاة.

ثم انه لو كان يجوز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته لما عدل عمر ابن الخطاب عن التوسل به ولما استسقى بالعباس عم النبى .

وهذا دليل قاطع على أنه لا يجوز التوسل بالأموات من الأنبياء، فضلا عن غيرهم، أما التوسل بالأحياء ممن يظن بهم الخير، فهذا جائز، إذ كان الأحياء ممن يستعان بهم فى كثير من الأمور الواقعة فى مقدورهم من مسائل الحياة الدنيا.. فجاز لهذا أن يطلب منهم الدعاء الى الله تعالى، وأن ترجى استجابة الله تعالى لما يدعون به لخير العباد.. وهذا مما لا يدخل منه شئ على عقيدة المؤمن، وإخلاص عبوديته لله وإفراده سبحانه بالخلق والأمر لا شريك له.

ومن مغالطات ابن دحلان المفضوحة، وضلالاته الشنيعة فى التوسل بالأموات، قوله فى (ص: ١٢): «وانما استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم، ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك لا حرج فيه.. وأما الاستسقاء بالنبى فكان معلوما لهم، فلربما بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبى، فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز..

«ولو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم، لربما فهم بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم.

ثم يمضى ابن دحلان فى هرائه هذا فيقول فى الصفحة ذاتها:

«وليس لقائل أن يقول: انما استسقى - أى عمر - بالعباس لأنه حى، والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات، وأن الاستسقاء بغير الحى لا يجوز.. لأنا نقول: إن هذا الوهم باطل ومردود بأدلة كثيرة منها: توسل الصحابة بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، كما تقدم فى القصة التى رواها عثمان بن حنيف فى الحاجة التى كانت للرجل الأعمى، وكما فى حديث بلال بن الحارث، وكما فى توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل وجوده.. فكيف لا يعتقد فى صحته - أى التوسل - بعد وفاته؟

أما القصةُ التى رواها عثمان بن حنيف، فهى - كما يقول ابن دحلان -: «ان رجلا ضريرا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله ان يعافينى، فقال «ان شئت دعوتُ، وان شئت صبرتَ، وهو خير» قال: فادعه.. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد، نبى الرحمة.. يا محمد، انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى «فدعا، فأبصر»

وفى هذا الخبر الذى يسوقه ابن دحلان، ليقيم منه شاهدا على التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم، فى هذا الخبر أكثر من تناقض، يدل على أنه مكذوب:
فأولا: أن الرجل عدل عما هو خير وأفضل، حين طلب الدعاء، ولم يرض بالصبر الذى قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم أشار به عليه، وهو قوله: إن شئت دعوت لك، وإن شئت صبرت وهو خير.. فلو أن الرجل كان على ايمان ويثق بالله وعلى صلاح وتقوى لرضى بالصبر الذى دعاه اليه صلى الله عليه وسلم.. فكيف يكون هذا الرجل أهلا لأن يتقبل الله دعاءه والله تعالى يقول:

«إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ» (المائدة: ٢٧)

وهذا دليل على أن الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثانيا: أنه لو صح هذا الحديث لكان العمل به دواء لكل أعمى من المسلمين، إذ ليس فيه ما يدل على أنه خاص بهذا الأعمى.. وهذا غير مقبول شرعا، وعقلا، وواقعا.

وثالثا: الشفاعة التى ثبتت للنبى صلى الله عليه وسلم، هى شفاعة فى الآخرة لعصاة المؤمنين بإذن من ربه سبحانه وتعالى، والله تعالى يقول:

«مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ» (البقرة : ٢٥٥)

ويقول سبحانه :

«وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ» (النجم: ٢٦)

وأما حديث بلال بن الحارث الذى أشار اليه ابن دحلان، فهو قوله: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا خرج الى الصلاة قال: «بسم الله، آمنت بالله، وتوكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك...»»

وقد بينا من قبل أن هذا ـ إن صح ـ فهو دعاء خالص لله تعالى، وليس توسلا بالسائلين، وانما بحق السائلين الذى هو لله تعالى وحده، بما أوجب على ذاته الكريمة من إجابة دعوة الداعين المتوجهين اليه سبحانه بالدعاء، كما يشير الى ذلك قوله تعالى:

«وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ». (غافر / ٦٠)

وأما توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم، بأن يقبل الله توبته، ويغسل خطيئته، فقد كشفنا عن بطلانه، وانه من تخريفات المتصوفة، ومفتريات الباطنية.

وأما ما يقول ابن دحلان عن توسل عمر بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وأنه لم يتوسل بالنبى، وأن ذلك كان لنكتة. أخرى زيادة على ما تقدم وهى شفقة عمر رضى الله عنه على ضعفاء المؤمنين، فانه لو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم، لربما تأخرت الإجابة، لأنها معلقة بارادة الله تعالى.. فلو تأخرت الإجابة ربما تقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الإجابة، بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم، فإنه لو تأخرت الإجابة لا تحصل تلك الوسوسة ولا ذلك الاضطراب»

ونقول إن هذه النكتة من ابن دحلان هى فتح لباب الفتنة على مصراعيه، وذلك بجواز التوسل بأى من الناس ولو كان هناك من هو أفضل منه خوفا من أن يساء الظن به إذا لم يتحقق ما توسل به.. وما كان لعمر رضى الله عنه أن يرى جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم يعدل عنه الى العباس خوفا من أن تقع اضطرابات فى إيمان بعض المؤمنين لو تأخرت الإجابة، والاجابة معلقة فى كل حال بإرادة الله سبحانه وتعالى.. فهذا تعليل فاسد من ابن دحلان، يريد به أن يلبس على المسلمين دينهم، وليكون مدخلا له الى ما يزعمه من جواز التوسل بالأحياء والأموات .

وهذا ما يقرره ابن دحلان فى قوله بعد هذا فى (ص: ١٣)
«والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد مماته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين.. فلا فرق فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين بين كونهم أحياء وأمواتا»

وهذا هو بيت القصيد - كما يقولون - من هذا التلبيس، وذلك الخلط من ابن دحلان.. فإنه لا يعنيه من التوسل إلا أن يقرر جواز التوسل بأصحاب القباب والأضرحة الذين يرى العامة وأشباه العامة من علماء السوء أن تحت كل قبة أو ضريح ولي من أولياء الله.

فابن دحلان لا يحتج بجواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وبإخوانه من الأنبياء والمرسلين، عليهم السلام، أحياء وأمواتا ـ لا يحتج ابن دحلان بجواز هذا إلا ليصل الى إنفاذ سهامه المسمومة الى قلوب المسلمين ليزرع فيها جراثيم الشرك التى اقتلعتها دعوة التوحيد التى دعا اليها الشيخ محمد بن بعدالوهاب، تلك الجراثيم التى كانت قد اغتالت مواقع الايمان من القلوب بالتبرك بأصحاب القبور والتعبد لهم بالنذور، وتقديم القرابين. إن ابن دحلان لا يعنيه من التوسل إلا التوسل بأصحاب القباب، والطواف بأضرحتهم، والتمسح بأركانها، والتضرع والبكاء للمقبورين تحتها.. وذلك ليقف فى وجه دعوة التوحيد التى تذهب بمكانته بين العوام.. وتقطع موارد كسبه الحرام.

## ضـــلال بعـد ضـــلال :

وإذ يحسب ابن دحلان أنه قد كسب المعركة التى يواجه بها دعوة التوحيد بهذا الدجل، وتلك الشعوذة وبما ساق من نقول فاسدة من كتب المتصوفة والرافضة.. وغيرهم ـ ان ابن دحلان إذ خيل اليه من شعوذته تلك أنه يثبت أركان دولته المنهارة ـ قد مضى فى الشعوذة الى أبعد غاية حتى غرق، كما غرق فرعون من قبله..

وها هو ذا يأتى بنقول من عالم الترهات والأباطيل، ويستملى من خرافات لا يقبلها عقل أىّ عاقل لم يبلغ حد الجنون، والهلوسة..

فها هو ذا يأتى بتلك المرويات التى لا تخرج إلا من عالم البله والمجانين..

ومن ذلك ما يرويه عن العتبى فيقول :

«قال العتبى، كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال: «السلام عليكم يا رسول الله.. سمعت الله يقول:

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » (النساء ٦٤)

وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى.. ثم بكى وأنشد:

يا خـير من دفنـت بالبقعـاء أعظمه
فطـاب من طيبهـن القـاع والأكم
نفسى الفـداء لقبـر أنـت ساكنه
فيه العفـاف، وفيه الجـود والكرم

«قال العتبى : ثم استغفر الأعرابى : وانصرف، فغلبتنى عيناى، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال: يا عتبى: الحق الأعرابى، فبشره أن الله غفر له فخرجت خلفه، فلم أجده»

ونحن لا نكذب ابن دحلان فيما نقل، ولكننا نستخف عقله أن ينقل مثل هذا السخف ويقبله شاهدا على جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته..

وانه كفى بهذا الخبر كذبا أن يقول العتبى: ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه فى النوم وهو فى المسجد، والأعرابى يدعو ثم ينصرف، فيقول له صلى الله عليه وسلم: يا عتبى: الحق الأعرابى فبشره أن الله غفر له، ثم يخرج العتبى، فلا يجد للرجل أثرا.. فكيف يقول النبى صلى الله عليه وسلم للعتبى هذا القول، ولا يعلم أن الأعرابى قد ذهب بعيدا، ولا يمكن أن يبلغه هذا الخبر؟

ونترك الحكم على هذا لمن كان له عقل أو دين.

وينقل ابن دحلان فيما ينقل من تلك الأساطير التى تفسد جوهر الإسلام، وتعرضه فى هذا المعرض الخرافى، الذى من شأنه أن ينفر الناس من هذا الدين الذى يحمل مثل هذه الخرافات..

يقول ابن دحلان :

«روى بعض الحفاظ ـ ولا يسميه ـ عن أبى سعيد السمعانى، أنه روى عن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وكرم وجهه، أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، جاءهم أعرابى، فرمى بنفسه على القبر الشريف، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام،

وحثا ترابه على رأسه، وقال يا رسول الله: قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك، قوله تعالى:

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » (النساء ٦٤)

وقد ظلمت نفسي، وجئتك مستغفرا الى ربي «فنودى من القبر الشريف: أنه قد غفر لك» !!

ونسأل ابن دحلان وقد رحل عن هذه الدنيا ـ هلاّ سأل نفسه: من نقل عن الأعرابى هذا الذى سمعه من القبر الشريف؟ وهل ذكر الأعرابى هذا لأحد؟ وهل سمع أحد ما سمعه هذا الأعرابى؟ إنها دعوى لا مستند لها ولكل دعيّ أن يدعى هذه الدعوى! فهل يصح أن تكون مثل هذه الدعوى شاهدا على جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد موته؟ وهل تكون الخرافات مما يدخل فى دين الله ويكون حجة من حججه على الناس؟

ثم ألم يسأل ابن دحلان نفسه: هل أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى قربته ـ جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم، يسأله فيما وقع لهم من أمور وما كان بينهم من اختلاف فى أمر الخلافة التى كانت مثار جدل بين المهاجرين والأنصار؟ وهل رجع أبو بكر رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ عنه الحكم فى حرب المرتدين، بعد وفاته صلى الله عليه وسلم؟ ثم هل كان قبر النبى صلى الله عليه وسلم مفزعا للمسلمين فى الأحداث المزلزلة الدامية فى عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم؟ ولا نريد جوابا، فلسان الحال أفصح من كل لسان!

أما الآية الكريمة التى يتخذ منها ابن دحلان ومن على شاكلته من دعاة الضلال شاهدا على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، والفزع اليه فى النائبات ـ فقد كشفنا عن وجه الحق منها، وأنها بيان من الله تعالى لرسوله الكريم عن الموقف الذى يقفه من المنافقين من اليهود.

ومن متقولات ابن دحلان الخرافية ما جاء فى ص ٢٦ من رسالته .

يقول ابن دحلان :
«وقف أعرابى - هكذا لا يكون الواقف إلا أعرابيا مجهولا - على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم، وقال: اللهم انك أمرت بعتق العبيد، وهذا حبيبك، وأنا عبدك فأعتقنى من النار على قبر حبيبك» فهتف به هاتف: يا هذا، تسأل العتق لك وحدك؟
هلا سألت العتق لجميع المؤمنين ؟ اذهب فقد أعتقتك!!

وهذا كذب صراح على الله.. لا يقول هذا مؤمن بالله، وبما له سبحانه من جلال وتقديس، فمن هو هذا الهاتف الذى هتف بهذا الأعرابى؟

واذا كان الهاتف هو الله تعالى، كما تقول هذه الخرافة - «اذهب فقد أعتقتك» فكيف ينكر الله تعالى على هذا الأعرابى أن يطلب العتق لنفسه، ولا يطلبه لجميع المؤمنين؟
وكان منطق هذا الإنكار أحد الأمرين:
إما أن يعتق الله جميع المؤمنين، وإما أن يحرم الأعرابى هذا العتق!!

ثم كيف يكلم الله تعالى هذا الإنسان؟ ان الله تعالى لم يكلم أحدا من أنبيائه ورسله، غير موسى عليه السلام كما يقول تعالى:

«وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ » (الشورى: ٥١)

فهذه ثلاث صور من صور اتصال الله تعالى بالبشر: الوحى، بمعنى الإلهام كما ألهم الله تعالى أم موسى، وذلك ما يشير اليه قوله تعالى:

«وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى

وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ »

(القصص: ٧) ..

والصورة الثانية، كلام الله تعالى لمن يكلمه، وذلك من وراء الحجاب، كما كلم الله تعالى موسى:

« وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا » (النساء : ١٦٤)

والصورة الثالثة ، أن يرسل الله تعالى رسولا، أى ملكا، وهو جبريل عليه السلام، فيوحى الى الرسل بما يأذن الله تعالى به.

وهذا الأعرابى ـ كما تقول الأسطورة التى يرويها ابن دحلان ـ ليس نبيا، ولا رسولا، فكيف يخاطبه الله تعالى ويهتف به، اذهب فقد أعتقتك؟!

ولو قيل: «اذهب فقد اعتقت»: لكان لهذا الكلام محملا من محامل التأويل،أما أن يقال له: اذهب فقد أعتقتك، فهذا صريح بأن هذا خطاب من الله لهذا الأعرابى!!

إن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر إلا من عالم المتصوفة القائلين بوحدة الوجود فلا رب ولا مربوب، ولا معبود، ولا عبيد.. بل الكل عبد، والكل رب، كما يقول شيخهم ابن عربى:

فأنت عبد وأنت رب :: لمن له أنت فيه عبد؟

وأنت رب وأنت عبد :: لمن له فى الخطاب عهد!!

فإن كان ابن دحلان من القائلين بوحدة الوجود، أو كان من الحلوليين، فلا حديث لنا معه، بل نقول له: «لكم دينكم ولى دين».

وإذن، فلا يصح من ابن دحلان قول فى الإسلام، ولا ينبغى أن يكون له موقف من الداعين الى الإسلام الحنيف المبرأ من ضلالات الحلول، ووحدة الوجود.

ولكن الرجل يأبى إلا أن يتصدى لدعوة الدين الحنيف متزيبا بزى الغيورين عليه المنافحين عن حماه.. ومن قبل ومن بعد فعل كثير من أعداء الإسلام هذا، فدخلوا فى الإسلام، وأظهروا الورع والنسك، حتى انخدع بهم الناس، فساقوهم الى الضلال، ووردوا بهم موارد الكفر، كما فعل عبدالله بن سبأ، اليهودى الذى قاد الفتنة على عثمان - رضى الله عنه - ، ثم كان من المقاتلين مع على رضى الله عنه ومن الذين فتنوا كثيرا من المسلمين بادعاء الألوهية لعلى، والتى لا تزال تسيطر على عقول كثير ممن ينتسبون الى الإسلام.

ومن هنا كان موقفنا من ابن دحلان، ومن هذا الضلال الذى خلفه وراءه حتى لا يفتن به من يطلع عليه.

## موقف ابن دحلان من دعوة التوحيد:

والذى حمل ابن دحلان على هذا الضلال الذى غرق فيه هو حقده على الإمام محمد ابن عبدالوهاب، وما يدعو إليه من توحيد الله، وترك الأعمال الشركية التى كان عليها الناس يومئذ.

وإذ ينظر ابن دحلان هناك وهنا ليجد من يذهب مذهب الضال من دعوة التوحيد، لا يقف عند كتاب الله أو سنة رسوله، بل إنه إذا جاء بآية كريمة تأولها تأويلا فاسدا، أو فعل حديثا جاء به من الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة.. ولهذا فإنه يستدعى لنصرة مذهبه الضال كل ضال مثله، ويجعل من هذا شاهدا على بطلان الدعوة التى يدعو اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ولو أن ابن دحلان كان يؤمن بما يقول، لما التفت الى غيره من هؤلاء الذين يستدعيهم للدخول معه فى هذه الحرب التى يعلنها على دعوة التوحيد، لأن صاحب الحق فى قوة من الحق لا تغلب أبدا.

يقول ابن دحلان فى ص ٥٢ من رسالته :
« فممن ألف فى الرد عليه أى على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ وسأله عن بعض المسائل، فعجز: «العلامة الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عفالق» فإنه ألف كتابا جليلا سماه: «تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين» ورد عليه ـ أى على ابن عبدالوهاب فى كل مسألة من المسائل التى ابتدعها بأبلغ رد، ثم سأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والأدبية فعجز عن الجواب عن أقلها، فضلا عن أجلها..

ثم يسوق ابن دحلان صورة من تلك الصور التى كانت من مواقف ابن عفالق مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فيقول:

«فمن جملة ما سأله عنه، قوله: «أسألك عن قوله تعالى: «والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا.. الى آخر السورة، التى هى من قصار المفصل:
«كم فيها من حقيقة شرعية، وحقيقة لغوية، وحقيقةٍ عرفية؟

«وكم فيها من مجاز مرسل، ومجاز مركب، واستعارة حقيقية، واستعارة وفاقية، واستعارة تبعية، واستعارة مطلقة، واستعارة مجردة، واستعارة مرشحة؟
وأين الوضع ، والترشيح، والتجريد، والاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية؟
«وكم فيها من التشبيه الملفوف، والمفروق، والمفرد، والمركب؟

«وما فيها من المجمل والمفصل ؟
«وما فيها من الايجاز والإطناب، والمساواة ؟
«وما فيها من الإسناد الحقيقى، والإسناد المجازى المسمى بالمجاز الحكمى والعقلى.. الخ.. الخ ـ فلم يقدر محمد بن عبدالوهاب على الجواب عن شئ مما سأله عنه» !!

هذه هى الأسئلة وما على شاكلتها التى وجهها ابن عفالق الى الشيخ محمد بن عبدالوهاب ليحاجه بها دين الله، وفى دعوة التوحيد التى يدعو اليها وذلك مما يرويه ابن دحلان فى رسالته:
ونسأل : أفى هذه الأسئلة سؤال واحد يفرق بين الشرك الذى يحاربه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويحذر الناس منه وبين التوحيد الذى يدعوهم اليه ويلبسهم لباس الايمان به؟

ولماذا يعدل ابن عفالق عن الطريق الواضح فى تلك المعركة القائمة بين الشرك والتوحيد، ليرد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته من كتاب الله وسنة رسوله ويدخل فى سوق السفسطة البعيدة عن ميدان المعركة؟

أليس ذلك دليلا على أنه لا يجد بين يديه السلاح الذى يواجه به دعوة التوحيد فدخل فى هذه المعركة التى أسلحتها هذه الألغاز، وتلك المعميات من واردات الجدل العقيم الذى لا يفيد فى دنيا أو دين؟

ونسأل : هل كانت هذه الدراسات الرياضية والفلسفة الكلامية مما يمكن العقل السليم من فهم كتاب الله، وسنة رسول الله، أم هى مصائد للعقول وشباك للمدارك وشغل بالقشور عن اللباب؟

وهل عرف أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو التابعين، ومن بعدهم من أئمة الفقه لدين الله ـ هل عرف أحد منهم شيئا من هذه السفسطات التى دخلت على العقل العربى، فأفسدت الذوق العربى للغة العربية؟

وهل كان إذا سئل أبو بكر أو عمر رضى الله عنهما عن شىء من هذا العبث أكان يعرف له جوابا؟ ثم أيتهم أبو بكر وعمر إذا عجزا عن الاجابة على تلك الأسئلة ،أيتهمان بأنهما لا يعرفان دين الله، ولا يفهمان ما فى كتاب الله، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وابن عفالق هذا الذى يعجب بنفسه، ويعجب به ابن دحلان، ويتخذه مصدرا من مصادر علمه الذى يواجه به دعوة التوحيد ـ ابن عفالق هذا لم يسأل الشيخ محمد بن عبدالوهاب أى سؤال عما فى السورة الكريمة من مجانى الحق ومطالع الهدى، التى تحملها فى آياتها، وكلماتها مما يزكى المؤمن، ويوثق صلته بربه، ويكشف له الطريق الى الأعمال الصالحة التى يؤدى بها حق الله وحق نفسه وحق المؤمنين..

فلو أن ابن عفالق سأل الشيخ ابن عبدالوهاب عن معنى آية أو آيات من هذه السورة الكريمة مثل قوله تعالى:

« إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ »

(العاديات ٦ : ٨)

لجاءه الجواب محملا بعلم غزير وفهم دقيق لما تحمل كلمات الله من حق وخير لمن استمع اليها، وتدبر معانيها، واستقام على هديها، إن مثل هذه الأسئلة التى أوردها ابن عفالق وأمثالها هى مما أبعد المسلمين عن دينهم،حيث شغلوا بهذه السفسطة وذلك الجدل عما ينفعهم فى دينهم أو دنياهم تماما،كما شغلوا بالأحجبة والأوردة بالكلمات الأعجمية عن تلاوة كتاب الله وتدبر آياته، والعمل بأحكامه فأصابهم ما أصابهم من مرض فى القلوب وجدب فى العقول حتى أصبحوا مرعى لآفات الشرك التى أجلب عليهم بها علماء السوء والتى جاء الشيخ ابن عبدالوهاب بدعوته التى تحمل الدواء لهم من تلك الأدواء المهلكة، ومن قبل قام المعتزلة بهذا الجدل العقيم حول ذات الله وصفاته وحول الإرادة والقهر والتخيير والتسيير وما الى ذلك مما ولده الجدل والسفسطة، وكان من هذا البلاء أن تفرقت الأمة شيعا ومذاهب يقاتل بعضها بعضا ويكفر بعضها بعضا حتى لقد صدق فيهم قول الشاعر:

كنا أناسا على دين ففرقنا
مضغ الكلام ، وخلط الجد باللعب

فلا عجب أن يعود الدين غريبا كما بدأ، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «بدأ الدين غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبي للغرباء» قالوا: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»

لا عجب أن يعود الإسلام غريبا، ونحن نرى أمثال هؤلاء العلماء الجهلاء الأدعياء يقومون على رؤوس الناس بهذا اللغو من الكلام، وتلك السفسطة من القول، ثم يلبسون ذلك ثوب الدين، ويطعمون العامة منه:

« ... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (آل عمران: ٧٥)

إن هؤلاء العلماء يدخلون على العامة باسم الدين من باب الدجل والشعوذة، قائلين لهم عن هذه الشعوذات: إن هذا من علم الباطن، الذى لا يعرفه إلا أولياء الله من شيوخ المتصوفة، ومن يجرى مجراهم فى خداع الناس بتلك الشعوذات التى يخيل للعامة منها انها تحمل أسرارا ربانية، وعلوما علوية من رددها على لسانه كذا ألف مرة فى اليوم، فتح الله عليه، وأشرقت عليه أنوار الحق، وكشف عنه الحجاب.. وانهم ليقولون إفكا من القول وزورا، فما يجد هؤلاء المخدوعون بهذا البهتان إلا الحسرة والندامة، وسوء المنقلب، وخسران الدنيا والآخرة جميعا:

« وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا » (النساء: ١١٩ ـ ١٢٠)

ولكن الله تعالى بالغ أمره، ومحقق وعده، وناصر جنده، ومهيىء لهذه الأمة من أمرها رشدا، حيث لا يغيب من أفقها أبدا دعاة يدعون الى الله ويكشفون ما يدخل على المسلمين من آفات وعلل حتى تعود اليها الصحة والعافية، وإذا هى على هذا الوصف الكريم الذى أضفاه الله الرحمن الرحيم رب العالمين عليها فى قوله تعالى:

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (آل عمران ١١٠)

وها هى دعوة التوحيد ، التى يطلع بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد تداعت آفات الشرك على المسلمين، حتى كادت تذهب بدينهم، واذا هذه الدعوة المباركة تعيد المسلمين الى الإسلام الحنيف، واذا أنواره العلوية الساطعة تأتى على الشرك وأهله،واذا الايمان الحق يعمر القلوب، ويشرح الصدور، واذا المسلمون على طريق مستقيم لقيادة ركب الإنسانية الى الايمان والخير والفلاح:

« الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » صدق الله العظيم .

(الحج ٤١)

---

## ثالثا : رسالة السيامى

وهذه الرسالة واحدة من تلك الرسائل التى اتخذها أصحابها سلاحا يحاربون به دعوة الحق ويقفون بها فى وجه دين الله أن يدخل العقول المظلمة، فيشرق فيها بأنواره، ويخالط القلوب المريضة، فيذهب بأسقامها.. وهؤلاء هم من الذين قال الله تعالى فيهم:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ.»

(المجادلة: ٥ ـ ٦)

وقال فيهم سبحانه :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ »

(المجادلة ٢٠ ـ ٢١)

ومؤلف هذه الرسالة من أهل سيام، ومن مدعى العلم فى هذا الوطن الإسلامى..

وقد جعل عنوان رسالته هكذا :

«رسالة السنيين فى الرد على المبتدعين الوهابيين أو المتوهبين.. والمسماة بنور اليقين فى مبحث التلقين»...

هذا هو عنوان الرسالة، الذى يشبه اعلانا من اعلانات الصحف لسلعة رديئة يريد لها صاحبها الرواج فينشر عنها اعلانا مطولا، يتحدث فيه عن مزاياها، ويكشف عن منافعها، والبضاعة الجيدة لا تحتاج ابدا الى اعلان،ولو أعلن عنها لكان ذلك بمجرد كلمة أو كلمتين.

أما مؤلف هذه الرسالة، فقد نشر تحت العنوان الطويل عنوانا آخر هو إعلان عن نفسه مثل الإعلان عن البضاعة الرديئة البائرة.. وهو

«لحضرة العلامة الورع التقى، والمحقق الذكى الألمعى، صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى الكريمى، ابن الشيخ مصطفى السيامى »

ثم بعد هذا الاعلان عن عنوان الرسالة وعن مؤلفها يجيء إعلان ثالث عن محتوى الرسالة ومضمونها، وهذا الإعلان هو:

«وفيها جواز التوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم، والقيام عند ذكر مولده الشريف للإجلال والتعظيم، وأن ذلك من الدين..»

ثم بعد هذا تنويه آخر بعلوم صاحب الرسالة، وهو:

«نفع الله بعلومه المسلمين، آمين»

كل هذا اللغو كان عنوانا لهذه الرسالة.. وهو يشغل صفحة كاملة فى حين أن المعتاد فى عناوين الكتب والرسائل لا يجاوز بضع كلمات عن اسم الكتاب، أو الرسالة، ثم اسم المؤلف.

أما الشيخ السيامى فقد جعل عنوان رسالته قصيدة من الشعر العقيم فى الكشف عن رسالته، والتقريظ لمؤلفها..

وأول ما يطالعنا من عنوان الرسالة، هو اسم هذه الرسالة، وهو أنها رسالة السنيين فى الرد على المبتدعين الوهابيين أو المتوهبين» فهذا المقطع من اسم الرسالة، يحمل ادعاء

عريضا باطلا من صاحب الرسالة حيث جعل نفسه لسانا ناطقا عن أهل السنة جميعا، وهو بهذا الادعاء كاذب مفتر، إذ مَنْ من السنيين أعطاه توكيلا ليتكلم باسمه، ويعبر عن رأيه؟ وهل إذا أخذ هذا الدعى بما نطق به من زور، وبهتان، وحمق، وجهل ـ أيكون هذا الجرم الذى وقع فيه محمولا على أهل السنة جميعا؟ وهل يحمل هو أو يحتمل وحده تبعة هذا الجرم؟

ثم ان هذا السيامى، يضفى على رسالته هذا الوصف فيقول: «والمسماة بنور اليقين» ونقول لا بأس أن يلبس رسالته ما شاء من مسميات، فإن الأسماء والأوصاف لا تشترى.

أما ما أضفاه المؤلف على نفسه من ألقاب وأوصاف، فهو مما يدخله مدخل الحساب الشديد من الله، إذ أتى أمرا منهيا عنه، وهو تزكية نفسه بالعلامة، الورع، التقى، والمحقق الذكى الألمعى، صاحب الفضيلة».

والله تعالى يقول:

«هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ» (النجم : ٣٢)

ويقول سبحانه منكرا على هؤلاء الذين يتألون على الله، ويقولون عن أنفسهم: إنهم أهل القرب من الله وأصحاب الدرجات العليا عنده، وإنهم أهل العلم والكشف، والولاية ـ يقول سبحانه فيهم:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا»

(النساء ٤٩ ـ ٥٠)

ولا يكتفى الشيخ السيامى بهذا الاعلان عن نفسه بخط يده، واصفا نفسه بتلك الأوصاف وبأنه صاحب الحضرة، والعلامة الـورع التقـى، .. الـخ هذه المدعيات. لا يكتفى الشيخ بهذا، بل انه ليطوف على أهله فى وطنه سيام، فيستجدى منهم التقريظ له والتنويه برسالته، وما أودعه فيها من ذخائر العلم.. ثم يجمع حصيلة هذا كله، بما أراق من دمه فى الاستجداء ، والإلحاف فى الاستجداء ـ يجمع هذا فى أوراق، ثم يلحقهـا بالرسالة، كشهادة له من العلماء الذين يؤخذ عنهم، ويستمع اليهم وما هم فى حقيقة أمرهم إلا على شاكلة هذا الشيخ فى الغباء والتلهف على الشهرة، بوضع شهاداتهم وأسمائهم فى رسالة مطبوعة منشورة إذا وقعت ليد أحدهم، طار بها فى فرح وجنون، ينادى فى الناس: هاؤم اقرءوا كتابيه.. لقد أصبحت علما يشار اليه فى الكتب والرسائل.

وهذا الذى أضافه الشيخ السيامى من تزكيات وتقاريظ ، هو أكبر حجما من الرسالة ذاتها، وبعضها مترجم الى العربية، وبعضها باللغة السيامية.

ولعل هذه التزكيات ، وتلك التقاريظ هى الدافع الأول للشيخ السيامى على نشر رسالته تلك، حاملة هذه الشهادات التى استشهد الناس عليها وألح عليهم بها، وذلك ليدلل بها على فضله، وعلمه وكثرة المتعلقين به، أما الرسالة ذاتها، فى بضاعة خسيسة بائرة ليس فيها ما يستحق النظر اليه، إلا إذا كان ذلك على طريق اللهو والاستخفاف، أو التحذير من تلك البضاعة أن يخدع أحد بها.

## محتـــوى الرســـالة :

ومحتوى رسالة الشيخ السيامي ـ إن صح أن لها محتوى ـ يتضمـن اعتراضـين يعترض بهما على دعوة الموحدين وهما: تلقين الميت، ثم التوسل.

## تلقيـــن الميـــت :

أما تلقين الميت، الذى هو بدعة عند الموحدين فلم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا فى زمن الصحابة والتابعين، وانما هو وافد شرك وضلال من الوثنيين

وعبادتهم الموتى، وحمل الطعام معهم الى القبور التى تبنى عليهم، كما كان يفعل قدماء المصريين بموتاهم، وحمل أدواتهم وأمتعتهم معهم حيث يقبرون.. ولازالت بعض آثار هذا عالقة بأذهان كثير من العوام فى مصر، أما هذا التلقين للميت الذى هو بدعة فى دين الله، فقد جعله المبتدعون سنة وشريعة فى دين الله !!

والذين ينكرون على الموحدين تبديع التلقين للميت، يستندون الى أحاديث موضوعة أو ضعيفة، ثم يترخصون فى الأخذ بها، لأنها من فضائل الأعمال، التى تجيز العمل بالأحاديث الضعيفة، بل وتجيز وضع مثل هذه الأحاديث،لأنها فى فهمهم المريض تغرى الناس بالأعمال الصالحة، ولهذا اتسع هذا الباب الذى دخل فيه الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدعوى أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذبا، إذا كان ذلك مما يحمل المسلم على فعل الخير، ولهؤلاء الذين يبيحون هذا الكذب على رسوله حجة شيطانية يحتجون بها، إذ يقولون: «نحن لا نكذب على رسول الله، وانما نكذب له»

فيا سبحان الله !! أيكون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على أى صورة ـ مباحا ومشروعا ؟

فأى ضلال هذا ؟ وأى جهل بدين الله، وأى تنقص لرسول الله؟

أيحتاج دين الله الى من يكمله بالكذب والافتراء ؟ وهل يدخل الكذب فى عمل ثم يخرج هذا العمل سليما صالحا؟

ان الكذب هو الكذب فى شؤمه وما يجره على صاحبه من بلاء.. وقد لعن الله الكاذبين فى كتابه، فقال سبحانه:

« فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ » (آل عمران: ٦١)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى الى الفجور، وان الفجور يهدى الى النار،وما يزال الرجل يكذب ويكذب حتى يكتب عند الله كذابا».. وفى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تكذبوا علىّ، فمن كذب على يلج النار»

والكذب لرسول الله أشنع من الكذب عليه، لأن من يكذب على رسول الله يعلم أنه يأتى منكرا، أما الذى يكذب لرسول الله فهو عند نفسه أنه يتقرب الى الله، والى رسوله بالكذب، فيقدم على هذا الكذب متعبدا لله به، فما أشنعها عبادة، وما أشقى العابد بها أن تكون من واردات الكذب، وهل يجد الشيطان باب ضلال يفتحه لأوليائه أضل وأشنع من هذا الباب؟

ونعود الى ما يحتج به الشيخ السيامى لتلقين الميت.. يقول الشيخ السيامى: «اعلموا أيها الأحباب، وفقكم الله لطاعته، أن تلقين الميت البالغ بعد تمام الدفن مستحب، باتفاق علماء هذه الأمة على سنيته.. وبقوله تعالى:

«وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (الذاريات ٥٥)

وأحوج ما يكون العبد فى التذكير فى هذه الحالة، ولحديث رواه الطبرانى فى الكبير

مرفوعا، (فى كتاب الدعاء) وابن منده (فى كتاب الروح) عن ابى أمامة، بلفظ : «إذا مات أحد من إخوانكم، فسويتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانه، فإنه ـ أى الميت ـ يستوى قاعدا ثم يقول ـ أى الملقن ـ : يا فلان ابن فلانه فإنه يقول ـ أى الميت: أرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تشعرون فليقل ـ أى الملقن ـ : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما» ـ فإن منكر ونكيرا يأخذ كل منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته»

هذا ما يسوقه الشيخ السيامى على جواز تلقين الميت، وأنه مستحب باتفاق علماء هذه الأمة على سنيته.. وإذا تجاوزنا عن الأخطاء اللغوية، وآداب الدعاء فى هذه الكلمات القليلة التى سطرها الشيخ السيامى، مثل قوله: «(أحوج ما يكون العبد فى التذكير، فى هذه الحالة» والصحيح ان يقال: «وأحوج ما يكون العبد الى التذكير» لأنه لا يقال فى لغة العرب، يحتاج فى كذا، وانما يقال: يحتاج المرء الى كذا.

وكذلك دعاؤه بقوله : اعلموا أيها الأحباب وفقكم الله لطاعته».. ولا يدعو لنفسه بالتوفيق ـ وكأنه يرى من نفسه أنه موفق، ولا يحتاج الى توفيق الله تعالى له.. وكيف يحتاج هو الى هذا؟ أيسوى بينه وبين عامة الناس وهو الورع التقى، والمحقق الذكى الألمعى، صاحب الفضيلة؟ انه عند نفسه فى غنى عن توفيق الله.

وندع هذا الى موضوع التلقين للميت، وما يستدل به على جوازه ..

فأولا : أنه يستشهد بالآية الكريمة:

« وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (الذاريات ٥٥)

على أنها واردة فى تلقين الميت وتذكيره بالحجة التى يقدمها بين يدى منكر ونكير، عند سؤالها إياه فى القبر، عن ربه، وعن دينه، وعن رسوله..

والآية الكريمة لا شأن لها من بعيد أو قريب بتلقين الميت وتذكيره، وانما هى تذكير من رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، بما يتلو عليهم من آيات الله، وما تحمل هذه الآيات من هدى ونور، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، وقد سمى الله تعالى القرآن الكريم ذكرا، فقال سبحانه:

« إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »

(فصلت: ٤١ ـ ٤٢)

وقال جل شأنه :

« صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ »

(ص: ١ ـ ٢)

وقال تعالى على لسان المشركين:

« وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ »

(الحجر: ٦)

وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يذكر بهذا القرآن الأحياء لا الأموات فقال تعالى :

« فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ »

(ق: ٤٥)

وقال سبحانه:

« فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ »

(الغاشية: ٢١ ـ ٢٢)

وذلك الى كثير من آيات الله لتذكير المؤمنين بالذكر الحكيم..

فهذا التذكير بالقرآن الكريم، وما يتلى على الناس من آياته، ينقل الكافر من الكفر الى الإيمان، والضال من الضلال الى الهدى، ثم يكون من وراء هذا الانتقال العمل بما يقضى به الإيمان وما يدعو اليه من هدى..

أما الميت فقد ختم على عمله بعد موته، من إيمان أو كفر، ومن احسان أو إساءة، فلا تنفعه الذكرى، إن لم يكن قد انتفع بها فى حياته.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن ما يدعيه الشيخ السيامى من إجماع علماء هذه الأمة على جواز تلقين الميت وأن هذا من السنة، فإن ذلك ينقضه ما ينقله الشيخ السيامى نفسه فى ص ١٥ من رسالته، من كتاب «تحفة الحبيب على شرح الخطيب» للسيوطى، إذ يقول السيوطى :

«ولم يثبت فى التلقين حديث صحيح، أو حسن، بل ضعيف، وهو الذى رواه الطبرانى، وهو باتفاق المحدثين - أى على ضعف هذا الحديث[١٨].

ثم يقول السيوطى معقبا على هذا : «ولهذا ذهب جمهور الأمة الى أن التلقين بدعة، وآخر من أفتى بأنه بدعة العز بن عبدالسلام.. وانما استحسنه ابن الصلاح وتبعه النووى نظرا الى أن الحديث غير الصحيح يعمل به فى فضائل الأعمال»..

(١٨) وهذا الحديث الذى اتفق أهل الحديث على ضعفه، هو الذى رواه الطبرانى والذى ساقه الشيخ السيامى، مستشهدا به على جواز التلقين، وأنه من السنة!!

وقد بينا من قبل أن هذا مما يفتح باب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ويوقع المسلمين فى أمر مريج من دينهم فيكثر الكذب على رسول الله، حيث يباح لكل من يرى أى عمل يظنه صالحا، أن يتقول على رسول الله به، ويدخله فى دين الله، وقد يكون من أشنع البدع.. وهذا مما عمل على انتشار البدع وذيوعها بين المسلمين، حيث تدخل عليهم البدعة باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله منها، ومن قائلها برىء.

وفى الأحاديث الضعيفة التى أخذت مكانها من سنة رسول الله، باعتبار أنها من فضائل الأعمال، ولهذا يجوز أن تضاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى هذه الأحاديث الضعيفة التى تفيض بها بعض كتب التفسير فتنة للمسلمين ، وتغرير بهم مثل:من قرأ آية كذا أو سورة كذا مرة أو مرات استغفر له سبعون ألف ملك، وغفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

إن مثل هذه الأحاديث تغرى كثيرا من المسلمين على اقتحام الحرمات، وإتيان المنكرات، والتفريط فى العبادات، وبحسب المسلم بعد هذا أن يقرأ آية أو آيات مخصوصة من كتاب الله، واذ هو من أقرب المقربين الى الله؟
فهل هناك فتنة أعظم من هذه الفتنة؟ وهل هناك بلاء أشد من هذا البلاء؟

لقد عزل هذا الكيد لدين الله كثيرا من المسلمين، وبخاصة فى عالم المتصوفة عن العمل للدنيا أو الآخرة، وبحسب الواحد منهم أن يقرأ آية أو وردا فيأتيه رزقه رغدا من كل مكان، ولا عليه بعد هذا أن يأكل أموال الناس بالباطل، وأن يأتى كل منكر، ويرتكب كل فاحشة، وهو متحصن بما يتمتم به من كلمات!!

وهل أصيب المسلمون بما أصيبوا به من جهل وفقر وضعف إلا من مثل هذه البدع الضالة التى عششت فى رءوسهم، فقادهم الشيطان الى هذا البلاء العظيم؟

إن هذا الحديث الضعيف الذى ساقه الشيخ السيامى نقلا عن الطبرانى، فى جواز تلقين الميت بعد دفنه، لا يقبل دينا أو عقلا وذلك:

أولا : ما جاء فى هذا الحديث الضعيف من أن منكرا ونكيرا اذا سمعا ما لقن به الميت تركاه من غير سؤال وأخذ كل منهما بيد صاحبه، وقالا: «ما يقعدنا عند من لقن حجته» - فهذا يعارض معارضة صريحة ما جاء فى الحديث الصحيح: «اذا مات الميت انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به» وهذه الأمور الثلاثة هى من عمل الميت قبل ان يموت، وقد بقيت آثارها بعده، كما يقول تعالى:

« إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ » (يس: ١٢)

فهذه الأمور الثلاثة من الآثار الصالحة التى خلفها الميت وراءه، وهى مما يشير اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «من سن فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة، لا ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، لا ينقص من أوزارهم شىء»..

فكيف يكون تلقين الميت من الأعمال التى ينتفع بها بعد موته؟ وكيف تقيم له حجة فى ترك مساءلته؟ ان ذلك إن يكن لتساوى المؤمن، والفاسق والصالح، والطالح، وهذا ما لا يكون فى عدل الله تعالى، أبدا.

ثم ان هذا التلقين للميت لو كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعمله ولتعلمه الصحابة منه، ولكان عملا متواترا، يلتزمه المسلمون فى تلقين موتاهم، ولما وقع فيه خلاف، بل ولما احتاج الى بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم هذه التمثيلية التى يجريها الميت فى قبره، فيقوم، ثم يطلب الارشاد من ملقنيه، ثم انصراف الملكين عنه من غير سؤال، كل هذا غيب لا يطلع عليه أحد، ولا يمكن ان يكشف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كان يلقن الميت ثم يدعو المسلمين أن يفعلوا مثل ما فعل.
واذن فتلقين الميت بدعة من البدع الحادثة فى الإسلام .

وإذن فإنكار الموحدين، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى القضاء عليها وطمس وجهها المنكر هو حماية للتوحيد، ودفاع عن دين الله، وقطع لألسنة المبتدعين الـذين يعترضون على تلك الدعوة، وأخذ الطريق على أولئك المشعوذين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، من طريق تلقين الميت، الذى يتخذونه حرفة لهم ،كما نرى ذلك من أولئك الذين يلقنون الموتى، وهم لا يعرفون شيئا من دين الله، وكل محصولهم من العلم هو تلك الكلمات التى حفظوها من غير فهم، فإذا ورد عليهم ميت جاءوا اليه وأخذوا من أهل الميت ما يملأون به جيوبهم.

## ثانيا : التوسـل

والموضوع الثانى، الذى حملته رسالة الشيخ السيامى، هو معارضة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما يدعو اليه من أن التوسل بغير الله بدعة.

وقد تحدثنا عن هذا فيما جاء فى رسالة ابن دحلان، عن جواز التوسل وأبطلنا كل مدعياته الباطلة، ونقوله الفاسدة.. وقد كان فى هذا ما يغنينا عن الرد على ما جاء فى رسالة الشيخ السيامى عن جواز التوسل بالأحياء والأموات، ولكن لا بأس من أن نقف وقفة قصيرة هنا، نفضح بها مقولة السيامى فى جواز التوسل بالأحياء والأموات والقيام عند ذكر ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ـ ففى هذا بلاغ لقوم يؤمنون..

يقول الشيخ السيامى فى ص ٢٠ من رسالته :
«اعلموا أيها الأحباب، وفقكم الله تعالى[١٩]، أن أغلب هذه الطائفة ـ يقصـد طائفـة الموحدين ـ المنكرين للتلقين ينكرون على المقلدين للأئمة الأربعة، التوسـل بالأنبياء والأولياء والصالحين، وزيارة القبور والقيام عند ذكر ولادة النبى صلى الله عليه وسلم بمجرد الشبه الباطلة، والدعاوى العاطلة، وقالوا: ان القيام ـ أى عند ذكر ميلاد النبى

(١٩) ولقد أخذ الله تعالى على لسانه أن يدعو لنفسه بالتوفيق فكان منه هذا الضلال الذى غرق فيه.

صلى الله عليه وسلم ـ لا ينبغي للفضلاء والجهلاء، لأنه بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار..»

ثم يمضى الشيخ السيامى، فيقول عن التوسل :

«اعلموا أيها الأحباب ان التوسل الذى هو الاستشفاع بالأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين وبأفعال الخيرات ـ عند الحاجة، دنيا وأخرى، كتحصيل المطالب، وعند الشدائد، كدفع البلاء ـ جائز بل ومستحب ومطلوب.. فينبغى لكل أحد عند ذلك أن يستشفع بما فعله من خير، بأن يذكره فى نفسه، فيجعله شافعا لأن ذلك جائز فى الشدائد، كما فى حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار.. وأن يستشفع بأهل الصلاح، أحياء كانوا أو أمواتا..»

ثم يسوق الشيخ السيامى شاهدا على جواز الاستشفاع باستسقاء عمر بن الخطاب، رضى الله عنه بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم، وقد أبطلنا هذه الدعوى من قبل.

أما قول الشيخ السيامى، من أنه يجوز أن يستشفع المؤمن الى الله بالأعمال الصالحة التى عملها ابتغاء مرضاة الله تعالى، فهو جائز حيث يشفع للإنسان عمله الصالح عند الله فى الآخرة، فيجوز أن يستشفع بأعماله الصالحة فى الدنيا، لأنها من عمله وفيها تحريض للمؤمنين على الإكثار من الأعمال الصالحة، التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة..

أما الاستشفاع والتوسل بالأنبياء ، والأولياء ، والشهداء ، وزيارة القبور ، والقيام عند ذكر ولادة النبى صلى الله عليه وسلم، وذلك مما ينكره على الموحدين، ويؤثمهم على إنكاره وتبديعه.. فهو مما يحتاج الى بيان وتفصيل.. فزيارة القبور مشروعة، لأنها تذكر بالموت، وقد أباحها النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن منع منها فى أول الإسلام حيث كانت القبور مما يشبه الأصنام التى كان يعبدها المشركون، ومما تذكر المسلمين فى أول

الإسلام بهذا الضلال، فكان من الحكمة إبعاد المسلمين عنها حماية للتوحيد من أن يدخل عليه شئ من ضلالات الشرك.

فلما استقر التوحيد فى قلوب المسلمين، وانزاحت معالم الشرك من نفوسهم، أباح النبى صلى الله عليه وسلم زيارة القبور، كما يقول صلى الله عليه وسلم: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها تذكر بالموت».

فاذا جاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ينهى عن زيارة القبور.وقد عاد المسلمون الى ما كان عليه أهل الجاهلية من التعبد للمقبورين، والتمسح بالأضرحة والاستشفاع بالراقدين تحت ترابها ـ كان لابد أن يرجع بالمسلمين الى عهدهم الأول بالإسلام حتى لا تدخل عليهم ضلالات الشرك من تلك القبور التى كانوا يتعبدون لها.. فاذا تمكن الايمان ورسخ التوحيد فى قلوبهم، كانت زيارة القبور مشروعة لأنها تذكر بالموت ولا تطل منها فى تلك الحال أشباح الأوثان التى كانوا يتعبدون لها، وتكون زيارة القبور هنا لكل موتى المسلمين لا للأولياء والصالحين وأصحاب القباب والأضرحة[٢٠]

أما التوسل والاستشفاع بغير الله، فهو من الشرك الصريح بالله..
يقول الإمام الشوكانى ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى التوسل بأصحاب القبور الشائع بين الناس، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى:

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (المائدة: ٣٥)

يقول الإمام الشوكانى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة:
«قد أكثر الناس من دعاء غير الله تعالى من الأولياء والأحياء والأموات مثل يا سيدى

(٢٠) هذا هو رأى الباحث،والمعروف أن الشيخ انما نهى عن زيارة القبور الشركية.

فلان أغثنى.. وليس ذلك من التوسل المباح فى شئ.. واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك، وألا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركا وإلا يكنه فهو قريب منه».

ثم يقول الإمام الشوكانى :

«ولا أرى أحدا ممن يقول ذلك ـ أى التوسل بالمقبورين وغيرهم ـ إلا وهو يعتقد أن المدعو الحى الغائب، أو الميت المتغيب، يعلم الغيب، ويقدر بالذات، أو بالغير على جلب الخير، أو دفع الضر، وإلا لما دعاه ، ولما فتح فاه، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم..

ثم يقول الإمام الشوكانى :

«ومن وقف على سر ما رواه الطبرانى فى معجمه الكبير، من أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ـ منافق يؤذى المؤمنين، فقال الصديق ابو بكر رضى الله عنه: هيا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فجاءوا اليه صلى الله عليه وسلم، فقال: «انه لا يستغاث بى، انما يستغاث بالله» من عرف سر ذلك لم يشك فى أن الاستغاثة بأصحاب القبورـ الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه فى الجنان، عن الالتفات الى هذا العالم، وبين شقى ألهاه عذابه وحبسه فى النيران عن إجابة مناديه، والإصاخة إلى أهل ناديه-أمر يجب اجتنابه، ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه..

ثم يقول الإمام الشوكانى :

«ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق، قد تقضى حاجته، وتنجح طلبته، فإن ذلك ابتلاء وفتنة من الله عزوجل، وقد يتمثل الشيطان فى صورة الذى استغاث به فيظن أن ذلك كرامة ممن استغاث به.. هيهات.. هيهات.. وانما هو شيطان من أضله الله وأغواه وزين له هواه»

هذا ما يقرره الإمام الشوكانى فى أمر الاستشفاع بغير الله، وفى أنه شرك وإن لم يكن شرك فهو قريب منه ونقول: انه شرك غليظ وضلال بعيد.

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستغاث به فى حال حياته، كما يقول ذلك صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف، فكيف يستغاث به بعد موته؟ واذا كان لا يستغاث به صلى الله عليه وسلم ـ حيا وميتا ـ فكيف يستغاث بغيره من المقبورين، الذين لا يعلم الا الله ما هم فيه من نعيم أو شقاء،وربما قد يكون أحدهم مات على شرك أو كفر أو نفاق؟

انها لكبيرة الكبائر، أن يصرف المسلم وجهه عن الله، ثم يعطى هذا الوجه فى ذلة وخضوع لميت من أولئك المقبورين تحت الأضرحة أو القباب؟ أليس هذا شركا بالله، دونه شرك المشركين الجاهليين، الذين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة ربه ليطهرهم من هذا الرجس، ويلبسهم ثوب التوحيد نقيا طاهرا؟

أما ما يذكره الشيخ السيامى من القيام عند ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو بدعة ابتدعها المتصوفة، كما ابتدعوا الموالد التى يقيمونها كل عام لأصحاب الأضرحة، وانهم لكى يدخلوا هذه البدعة على المسلمين، قدموا لها بتلك البدعة التى تقام لمولد النبى صلى الله عليه وسلم، حيث ان هذا يلقى هوى فى نفوس العوام، وأشباه العوام، اذ يعدون كل شىء يعمل من أجل الاحتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان من أشنع البدع،مما يرضى الله ورسوله عنهم..

فما عرف عن الصحابة والتابعين أنهم أقاموا الاحتفالات والزينات ليوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أشد الناس حبا للرسول الكريم، وأعرفهم لقدر رسول الله ومنزلته عند ربه.

بل ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يروا أن يبدأوا التاريخ الإسلامى بمولده صلى الله عليه وسلم، بل جعلوا الهجرة بدء لهذا التاريخ اتقاء للفتنة أو الفتن التى تتولد من رصد ميلاد الرسول الكريم مع مرور الزمن كما هو مشهود اليوم فى حفلات المولد، وما يجرى فيها من البدع وما يقع من مخزيات، أما القيام عند ذكر مولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو من بدع المبتدعين، الذين لا يخشون الله ولا يعرفون مقام رسوله صلى الله عليه وسلم.. فهذا القيام الذى يدعو اليه هؤلاء المبتدعون ليس فيه شئ من توقير الرسول الكريم، وانما توقيره صلى الله عليه وسلم بحبه الذى يملأ القلوب، وباتباع سنته والتزام ما جاء به من شرع الله تعالى، والصلاة عليه كلما ذكر اسمه الشريف.

ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته أن يقوموا له اذا جاء اليهم فى مجلسهم، وقد هم بعض أصحابه أن يقوموا له فأشار اليهم - صلوات الله عليه وسلامه - ألا يفعلوا، وقال: «انما هذا تفعله الأعاجم بملوكها»..

وما ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليحفظ على المسلم وجوده الإنسانى وكرامته، وألا يتخذ القيام له ذريعة الى أن يقوم الناس لأهل الجاه والسلطان فيهم، فجزاك الله يا رسول الله عن الإسلام والمسلمين خيرا وصلى الله وسلم عليك وعلى آلك وأصحابك والتابعين.

ولو نظرنا الى ما يفعله تلاميذ شيوخ المتصوفة ومريدوهم من تخاشع وذلة بين أيديهم، لرأينا الحكمة العالية من نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يقوموا له..

فالتلميذ أو المريد يجب أن يكون بين يدى شيخه كالميت بين يدى الغاسل؟

إنه جماد لا يتحرك ولا يخشى، إنه دون الحيوان الذى يتحرك ويحس ويدافع عن نفسه،فأى ضياع للإنسان كهذا الضياع؟!وأى مسخ للآدمى مثل هذا المسخ؟!

وأى جناية يجنيها شيوخ المتصوفة على تلاميذهم ومريديهم، وقد سلبوهم أقوى مقومات الإنسان فى الحياة وهى العقل والإرادة؟!إنهم قتلة سفاحون يقتلون عمدا نفوسا حرم الله قتلها إلا بالحق!

وهذا ابن عطاء السكندرى من أكبر شيوخ المتصوفة، يقول فى كتابه «لطائف المنن»

«من لم يكن له استاذ ـ أى شيخ طريقة ـ يصله بسلسلة الأتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو فى هذا لقيط لا أب له،دعى لا نسب له[21]».

وإذن فالمسلمون جميعا أدعياء النسب الى الإسلام، ولن يصح لهم نسبة إليه إلا إذا دخلوا فى سلك التلاميذ والمريدين،وسمح شيوخ المتصوفة لهم بالدخول فى التصوف.

وهذا صوفى جديد، ظهر فى هذه الأيام فى السودان، وهو محمد عثمان شيخ الطريقة البرهانية، وهى نسبة خاطئة الى الشيخ ابراهيم الدسوقى، المدفون ببلدة دسوق بمصر.

وقد استولى هذا الشيخ على عقول كثير من أبناء مصر والسودان وغيرهما من بلاد المسلمين،وله جمعيات من أتباعه فى كثير من بلاد أوربا يبشرون تحت راية الإسلام بدعوته الفاسدة، المحملة بأحمال ثقيلة من الجهل والشعوذة مما يصد الأوربيين عن دين الإسلام، ويشوه حقائقه فى أعينهم..

يقول هذا الرجل فيما يلزم التلميذ من آداب بين يدى شيخه:

«ومنهاـ أى من هذه الآداب ـ أن تجلس مجلس جلوسك للصلاة عنده.

«وان تفنى فيه. !

«وألا تجلس على سجادته .. !

«وألا تتوضأ بإبريقه .. !!

«وألا تتكئ على عكازه .. !!

«واسمع بعض ما قال بعض الأصفياء[22] :

«من قال لشيخه : لم؟ لا يفلح ..

«وليكن محضره فى قلبك وخيالك ..

«فإن غفلت عنه وقتا فهذا من مقتك ..

«واجتهد فى أن تنال مقام الفناء فيه، ومن ثم ترقى الى مقام الفناء فيه..[23]

(٢١) لطائف المنن ، لابن عطاء الله ، جزء : ٢ ص ١٠٣

(٢٢) انه يريد بهذا نفسه .

(٢٣) من كتاب : الهبات المقتبسة لمحمد عثمان: ص ٢٢ المطبوع سنة ١٩٣٩ .

فأى قتل لنفس الإنسان أشنع من هذا القتل ؟!
وأى كفر بالله أعظم من هذا الكفر ؟!

فالتلميذ أو المريد بخس، لا يجلس فوق سجادة شيخه، ولا يتوضأ بإبريقه، ولا يتوكأ على عصاه، ولا يقول لشيخه لم؟ ولو ألقاه فى النار.. ثم إذا جلس الى شيخه جلس مجلس الصلاة، وجعله قبلة له..

وعلى التلميذ أو المريد أن يخلى الله تعالى وذكر الله من قلبه حتى يشغله بذكر شيخه أو شيطانه.. فإن غفل عن هذا حق عليه المقت..

وهذا الشعرانى يقول فى كتابه «قواعد الصوفية» ص: ١٣١٣
«من أشرك بشيخه شيخا آخر، وقع فى الشرك بالله»
فالشيخ إلۤه معبود، من عبده ثم عبد شيخا غيره فهو مشرك بالله، لأن من أشرك بالشيخ أشرك بالله، فلا فرق بين الله وبين الشيخ.. كلاهما معبود وله عابدون.

ويقول ابن عطاء الله السكندرى فى كتابه لطائف المنن .. جزء ٢ ص ١٠٣:
«من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان على غير دين»

واذن فالمسلمون الذين يأخذون دينهم عن كتاب الله وعن سنة رسول الله هم على غيردين، فأى فساد يستشرى بين المسلمين مثل هذا الفساد؟ وأى أدواء قاتلة تنتشر بينهم أشد فتكا بهم وبعقيدتهم من هذه الأدواء؟

وهل شرع الجهاد فى سبيل الله إلا لحرب هذا البلاء الذى يسوقه أهـل الكفـر والشرك والضلال الى مواقع الإسلام لإفساد العقيدة وطمس معالم الدين، وفيهم يقول الله تعالى:

« وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ

يهاجروا فى سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا » (النساء: ٨٩)

وإذن فقد كانت دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رضى الله عنه ـ هى راية الجهاد فى سبيل الله للذود عن دين الله وقد أجلب عليهم أهل الضلال ـ من داخل دار الإسلام وخارجها ـ بهذه الأباطيل، ليغيروا بها دين الله، ويطمسوا معالم شريعته.

ولقد أراد الله بالإسلام والمسلمين خيرا، إذ هيأ لهذا الموقف رجلا فاقها لدين الله مجاهدا فى سبيل الله باذلا نفسه مضحيا بولده وأهله من أجل إعلاء كلمة الله ونشر راية التوحيد..

وقد أمد الله تعالى هذا الرجل المجاهد فى سبيل الله بأمداد نصره من جنود الحق فى الأرض، إذ جعل آل سعود يقومون بالجهاد تحت راية التوحيد ويضحون بكل شئ فى سبيلها..

ولقد كتب الله النصر للمجاهدين وأمدهم بروح من عنده،فانهزمت أمام قوى الحق كل قوى البغى والضلال، وانقشعت السحب التى كانت تقف فى وجه أنوار الحق، وإذا الشمس تسطع فى سماء صافية، وإذا وجه الإسلام يشرق من جديد فى كل أفق من آفاق الأمة الإسلامية، واذا دولة الشرك تنحسر شيئا فشيئا حتى انكسرت شوكتها، واندحر جندها.

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » صدق الله العظيم.

(التوبة: ٣٢)

## خاتمـــــة

# من ثمرات الدعوة المباركة

- ١ -

من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المحسنين ، المجاهدين فى سبيله أنه سبحانه يبارك عليهم فى أعمالهم وأقوالهم.. فتكون أعمالهم منارات هدى يهتدى بها الناس الى مواقع الخير، وغايات الأمن والسلام، حيث يرون فيها تلك الثمرات الطيبة التى يتوارد عليها الناس وينالون ما تصل إليه أيديهم من قطوفها، فيأخذون طريقهم مع المتأسين بأصحاب هذه الأعمال، وينهجون نهجهم فيما عملوا..

كذلك تكون أقوال هؤلاء المؤمنين المحسنين المجاهدين فى سبيل الله دعوة راشدة الى عمل الخير، ووحيا ملهما الى مراقى السلامة والنجاح، كما يقول تعالى:

« يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ »

(ابراهيم: ٢٧)..

وهكذا كانت كلمات الأنبياء والمرسلين، والهداة والمصلحين من عباد اللـه، الـذين يسيرون على أقدام الرسل والأنبياء، وكذلك كانت أعمالهم ميراثا خالـدا فى النـاس.. يستمدون من شجرتها الزيتونة المباركة الزيت الذى تستضىء منه مصابيح بصائرهم الى طريق الحق، والخير والسلام.. وإلا كان العمى وكان التيه والضلال.

« وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ » (النور ٤٠)

وهذا النور الذى تستضىء به البصائر، وتتعرف به مواقع الحق والخير، انما ينبعث من خلال النار والدخان، فلا يخلص منها إلا بعد صراع ومجاهدة، وانه بقدر هذا الصراع وتلك المجاهدة يكون صفاء هذا النور وتكون قوته.. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى:

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ »

(النور : ٤٣)

فذلك مثل ضربه الله تعالى للصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، والنور والظلام.. ومن خلال هذا الصراع تتبين مواقع أهل الحق، ومواطن أهل الباطل، ومن يمسكون بالخير، ومن يتمسكون بالشر، ومن هم فى عالم النور، ومن هم فى مسبح الظلام والضلال..

- ٢ -

ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تلك الدعوات الطيبة المباركة، الداعية الى الله تعالى، والهادية الى صراطه المستقيم، والضاربة فى وجه البدع والضلالات التى تداعت على الدين الحنيف من داخل أوطان الإسلام وخارجها.. فكان بهذا واحدا من أولئك الركب المجاهد الكريم المنافع عن دين الله، كلما تغشته غواشى الضلال وحاولت حجب أنواره العلوية القدسية عن المؤمنين بالله حتى تنقطع بينهم وبينه الأسباب،وانه منذ قيام هذا الداعية الى التوحيد، والى حماية حمى الإسلام الطهور من زحوف الشرك

التى أجلب بها عليه علماء السوء من المشعوذين والمتجرين بالدين - منذ قام هذا الداعية بدعوته المباركة تلك وهى تدور فى فلك الأمة الإسلامية، نارا تحرق جراثيم الشرك، وتطارد فلول المشعوذين وعباد القبور ونورا هاديا الى دين الله والى وحدانية الله، لا شريك له.. حتى لقد كادت الأمة الإسلامية أن تتخلص من داء الشرك الذى خامرها زمنا طويلا، نسيت - أو كادت تنسى - فيه دينها الحق الذى جاءها به رسول الله بكتاب الله الكريم، وسنته المطهرة.. ولكن الله تعالى رحيم بهذه الأمة فلا يدعها أبدا فى مواجهة الضلال، حتى يهيئ لها من أمرها رشدا، حيث يقوم فيها دعاة الهدى، ويرفعون راية الجهاد على هذا الضلال وأهله، وإذا المؤمنون مجتمعون الى تلك الراية، مجاهدون فى سبيل الله، وإذا نصر الله بين أيديهم، وإذا أضواء الإسلام تغمر الآفاق:

« أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (المجادلة: ٢٢)

« وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ »

(المائدة: ٥٦)

## - ٣ -

لقد وقف صاحب الدعوة وأنصاره وأتباعه أكثر من قرن من الزمان وقفة لا يمكن أن توصف بأقل من مواقف الشهداء من أتباع الرسل الذين جاهدوا معه، واسترخصوا النفوس فى سبيل دين الله، وإعزاز كلمة الله.

ويكفى لبيان هذا أن نعرض موقفا واحدا من هذه المواقف الاستشهادية فى مواقف الحق لصاحب الدعوة وأنصاره، ليرى الناس كيف يكون الايمان، وكيف يكون بلاء المؤمنين، وصبرهم، وكيف يكون احتمالهم وتضحياتهم.

لقد جمع ابراهيم باشا بن محمد على والى مصر يومئذ، وقائد الحملة ضد الوهابيين فى الحجاز - جمع كل ما استطاع جمعه من سلاح، وعتاد، ورجال، ورمى بكل هذا أهل الدرعية - عاصمة الدعوة إذ ذاك - وذلك بعد أن استولى على البلاد التى كانت تحت

أيديهم بلدا بلدا، بعد أن نازعوه الأرض شبرا شبرا تاركين على كل شبر أثرا من دم شهدائهم الأبرار.

وكانت الدرعية قد ضمت من مقاتليها أمراء آل سعود، وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن انضوى اليهم من الموحدين.. وليس معهم لهذه القوة المسلطة عليهم إلا قلوبهم المؤمنة، والا عدد قليل من الرجال وعدد أقل من السلاح والعتاد..

ولكن هؤلاء الموحدين أبوا ان ينزلوا على حكم هذا العدو المدل بكثرة رجاله وقوة سلاحه.. فدخلوا الحرب معه، وواجهوا تلك الجيوش الكثيفة فى جرأة نادرة واستبسال عجيب، يذكر بأيام المسلمين الأولين فى بدر وأحد، وفى المدائن واليرموك وغيرها من معارك الإسلام - حتى لقد تهاوت عليهم الدور، وتساقطت الحصون،واستشهد من حولهم أبناؤهم وآباؤهم واخوانهم..

وقد ظلت هذه المحنة أياما، مات فيها من الأطفال والنساء جوعا وعطشا، ونفد السلاح القليل الذى كان بأيدى المجاهدين، وكادت تفتضح الحرائر فى خدورها ثم كانت المصالحة.. التى تم فيها تسليم البلد للمعتدين، بعد أن أصبحت أنقاضا غارقة فى دماء الشهداء من آل سعود، وآل الشيخ محمد بن عبدالوهاب..

وقد قتل من أهل الدرعية فى هذه الحرب نحو ألف وثلاثمائة شهيد.. منهم واحد وعشرون شهيدا من أمراء آل سعود.. منهم فيصل بن سعود وأخواه.. ابراهيم وتركى [٢٤].. وهذا مما يقدمه المؤمنون الصادقون، دفاعا عن دين الله، وذيادا عن حرماته:

« وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ »

(محمد: ٤: ٦)

---

(٢٤) انظر كتاب : عنوان المجد فى تاريخ نجد الجزء الأول ص ٢٠٣ وما بعدها.

ان الظلام الذى قد خيم على ربوع الأوطان الإسلامية، منذ أن استولى على أمورها الأعاجم من الديلم،والسلاجقة، والمغول، والأتراك، ان هذا الظلام قد ألقى سترا كثيفة بين المسلمين وبين موارد دينهم الحنيف، حيث دخلت على هذا الدين كثير من العقائد الفاسدة والمذاهب الضالة، والعادات الموروثة من عبادات غير الله تعالى، من شمس، وقمر، ونار، وأنهار، وحيوان.. الى غير ذلك مما كانت تدين به تلك الشعوب قبل دخولها فى الإسلام، ولم تزل أشباح تلك المعبودات تتحرك فى أدمغة كثير ممن تركوا عباداتها، فجمعوا بين ذلك وبين دين الله، وكان من ذلك هذا البلاء العظيم الذى أبعد المسلمين عن الإسلام، وحرمهم مجانى ثمراته المباركة الطيبة.

ولكن مع هذا الظلام المطبق لم يحرم العالم الإسلامى من شعاعات من النور، كانت تتسلل بخيوطها هنا وهناك وسط هذا الظلام الكثيف، تذكر الناس بدين الله وتدفئ صدورهم بالأمل فى مطلع صبح جديد، يرد فيه الى الإسلام مكانه فى قلوب المسلمين وعقولهم، على نحو ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه.

ويكفى فى وسط هذا الظلام الكثيف بارقة من ضوء، كى توقظ النائمين، وتنبه الغافلين، فإن مثل هذه البارقة فى أحشاء الظلام، تعد ظاهرة أشبه بالمعجزة، مع أنها لا تكون شيئا له حساب اذا هى برقت فى مشرق الشمس ووضح النهار.

روى الجبرتى «المؤرخ المصرى فى تاريخه المعروف» عجائب الآثار تلك الحادثة التى وقعت فى شهر رمضان سنة ١١٢٣ هـ وذلك قبل أن يقوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوة التوحيد حيث ولد ـ رضى الله عنه سنة ١١١٥ هـ .

يقول الجبرتى عن هذه الحادثة :

«ان واعظا تركيا وفد من الروم الى مصر، فى تلك السنة (١١٢٣ هـ ) وجلس يعظ الناس

فى جامع «المؤيد» بالقاهرة.. وقد كثر عليه الناس وازدحم بهم المسجد، ثم انتقل من الوعظ، فذكر ما كان يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء، وإيقاد الشموع على قبور الأولياء، وتقبيل أعتابهم، وأن ذلك كفر يجب على الناس تركه وعلى ولاة الأمور السعى الى إبطال ذلك..

«وقد ذكر - أى الواعظ - عن قول الشعرانى، فى كتابه: «الطبقات الكبرى» أن بعض الأولياء، اطلع على اللوح المحفوظ[٢٥] فقال الواعظ: انه لا يجوز ذلك، ولا يطلع عليه الأنبياء فضلا عن الأولياء .. وكان فيما قال الواعظ إنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء، كما لا يجوز بناء التكايا[٢٦]، ويجب هدم ذلك جميعا»

ثم يقول الجبرتى معلقا على ما كان لدعوة هذا الواعظ من أثر، وما جرى بعدها من أحداث:

«فقامت لهذا قيامة العلماء، فدسوا عليه من يشوش، ويخفت صوته»

هذا ما كان من العلماء، وأدعياء العلم من تلك الدعوة الى إزاله معالم الشرك وطمس وجوهها، وقد كان المرجو منهم أن يقوموا هم بتلك الدعوة، أو أن يناصروها وذلك أضعف الايمان، ولكنهم وقفوا فى وجه هذه الدعوة وأنكروها على صاحبها.. فكيف لا يعم البلاء، ولا يستشرى الشر، وترتفع رايات الشرك، والعلماء هم الذين يحملون تلك الرايات المشئومة؟

(٢٥) ذكر ذلك الشعرانى فى ترجمته لابراهيم الدسوقى، صاحب الضريح المعروف بمدينة دسوق بمصر، كما ذكر ذلك عن احمد البدوى، صاحب الضريح المعروف بمدينة طنطا بمصر، وكان فيما ذكره الشعرانى عن ابراهيم الدسوقى انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعض الأولياء، فى الحضرة الالهية، وانه قيل له: يا ابراهيم اذهب الى النيران وقل لها ان تغلق ابوابها، والى الجنان أن تفتح ابوابها، ففعل ذلك، وأغلقت النيران، وفتحت الجنان.

(٢٦) التكايا: هى دور كانت تقام للدراويش من البكتاشية، وتوقف عليها الأوقاف الكثيرة حيث يأكل من ريعها هؤلاء الدراويش، لا يباشرون أى عمل، بل يقضون حياتهم فى لهو ورقص، وارتكاب الفواحش فى تلك المواخير مع الغلمان والنساء.

بالملــح نصلــح ما نخشى تغيره
فكيف بالملــح، اذ حلــت به الغير؟

ثم يقول الجبرتى :

«ولكن الواعظ مضى فى طريقه، وانتقل هو وأتباعه من القول الى العمل، وبدأ الصدام، بأن خرج الشيخ الواعظ وأتباعه بعد صلاة التراويح ووقفوا بالعصى والأسلحة على باب زويلة -بالقرب من الأزهر- فهرب الذين كانوا يقفون به ثم قطعوا ما علق من جوخ وأكر[٢٧]، وهم يقولون أين الأولياء؟

ثم يقول الجبرتى:

«وهنا أسرع بعض الناس الى علماء الأزهر، ليفتوهم فى قول هذا الواعظ »

فماذا قال شيوخ الأزهر يومئذ فى هذا الذى يدعو اليه الواعظ من القضاء على تلك البدع التى تنخر فى عقيدة المسلمين كما تنخر السوس فى حبات البر؟

يقول الجبرتى :

«فكتب شيخان من شيوخ الأزهر، وهما الشيخ أحمد النفراوى، والشيخ أحمد الخليفى، وهما من كبار شيوخ الأزهر ينتقضان قول الواعظ ، ويطلبان من الحاكم زجره.

«وأخذ بعض الناس هذه الفتوى، فدفعوها الى الواعظ فى مجلس وعظه، فلما قرأها غضب، وقال: ان العلماء أفتوا بغير ما قلت، وأنا أريد أن أجادلهم فى مجلس القاضى.. فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق؟ فقال له أنصاره:

نحن معك لا نفارقك.. فنزل عن كرسى وعظه واجتمع عليه الناس قريب من ألف، فسار بهم وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى.. فلما رآهم القاضى بهذه الكثرة انزعج منهم ثم سألهم عما يريدون؟ فقالوا: نريد أن يحضر هؤلاء الذين أصدروا هذه الفتوى لنباحثهم

(٢٧) هذه المعلقات على باب زويلة، كان يعلقها الناس لقضاء الحاجات وتحبيب الأزواج للزوجات، وولادة من ليس لها ولد، الى غير ذلك، استشفاعا بهذا الباب..

أمامك.. فقال القاضى: اصرفوا هذه الجموع، ثم نحضرهما ونستمع الى مجادلتكم معهما.. ولكن أحدا لم ينصرف، بل تكاثروا على القاضى، وقالوا له:
ماذا تقول أنت فى هذه الفتوى؟ فقال: هى باطلة[٢٨].. فطلبوا منه أن يكتب حجة بذلك.. فلما رأى القاضى أن الأمر جد، وأنهم لا يريدون أن يتركوه، أراد أن يعمل فيهم الحيلة للواعظ ومن معه..

«فقال: ان الوقت قد ضاق ، والشهود قد خرجوا[٢٩].. فلنترك ذلك الى الغد.
«فلما سمعوا ذلك من ترجمان القاضى ـ لأن القاضى تركى ولا يعرف العربية ـ لما سمعوا من الترجمان هذا الكلام، ضربوه واختفى القاضى ومعه حريمه!!
وهل انتهى الأمر عند ذلك ؟ كلا ، فإن الرواية لم تتم فصولا ..

ويمضى الجبرتى ، فى إتمام هذه الرواية ، أو المهزلة التى يمثلها علماء الدين وقاضى الشريعة التركى، والوالى العثمانى.. حيث يستدعى الواعظ الى مجلس الوالى وقد قيل له: إن الوالى يريد ان تجتمع عنده مع هؤلاء العلماء الذين تتهمهم فيما أفتوا به..

وهناك فى دار الوالى، كان الكيد العظيم لهذا الواعظ حيث تخطفه الجند وألقوا به الى حيث لا يعلم إلا الله، وبهذا اختفى الواعظ الى يوم الناس هذا..

ـ ٥ ـ

هذه الحادثة لها دلالتها الواضحة على ما كان عليه المجتمع الإسلامى يومئذ، من عامة، وعلماء، من إغراق فى الشرك والجهل، لم يستطع هذا البصيص من النور أن يصل إلا الى بعض العامة الذين استقبلوه بفطرتهم السليمة، فأبصروا الحق، وأخذوا طريقهم معه، ومع الداعية اليه..

---

(٢٨) ان هذا القاضى ما قال ذلك الا خوفا من العامة، وهجومهم عليه.

(٢٩) هؤلاء شهود من المرتزقة، كانوا يلزمون مجلس القاضى، ويستشهدون من كل طالب شهادة لقاء أجر معلوم..

ولو أن هذا الصوت المؤذن بالحق الذى انطلق من فم هذا الواعظ استمع اليه العلماء واستيقظوا من سباتهم،لكان لهذا الصوت آثاره البعيدة فى إجلاء هذا الظلام الشركى عن أهل مصر وعن غيرها من أوطان الإسلام.. ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

وقد كان .. فما هى إلا سنوات معدودة بعد هذا الحادث، أو تلك المأساة حتى يلتقى صوت هذا الواعظ ـ على غير موعد ـ بصوت الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى نجد، وفى الجزيرة العربية، مطلع الرسالة الإسلامية، فيهز العالم الإسلامى كله ويزلزل قواعد الشرك، حيث يأخذ بيد دعاة الحق المتخافتين بدعوة الحق، وبحيث كانوا لا يسمعون إلا أنفسهم، أو القليل من إخوانهم، وإذا هم يجتمعون الى هذا الداعية من قريب ومن بعيد، وإذا هم يجهرون بكلمة الحق مجاهدين فى سبيل الله، مسترخصين نفوسهم فى مواقع الجهاد.. واذا العلماء الذين كانوا يكتمون الحق، ويخشون بأس الحكام، يؤدون أمانة العلم التى حملوها، كما يقول الحق سبحانه:

« وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ » (آل عمران ١٨٧)

ذلك انه ما كاد صوت الإمام محمد بن عبدالوهاب يتردد فى آفاق الإسلام، محملا بدعوة التوحيد فاضحا وجوه الشرك وضلالات المشركين، حتى اهتزت له أقطار الأرض أشبه بالصيب ينزل من السماء فيه ظلمات، ورعد، وبرق.. فكان من الناس من أمسك بهذا الصيب، فشرب منه هو وأنعامه، واستنبت الزرع والعشب، طعاما له ولأنعامه.. وكان من الناس من أحرق بصواعق البرق، ومن طاش لبه بصوت الرعد.

وهكذا كل دعوة يتقرر فيها مصير الإنسان فى دنياه وآخرته، فإن مثل هذه الدعوة تحمل الصيب، ومعه الظلمات ، والرعد، والبرق.

«لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ» (الأنفال: ٤٣)

ويقول سبحانه:

«أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ»

(العنكبوت: ٢ ـ ٣)

والذى حدث بالنسبة لدعوة التوحيد التى قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى ظلمة هذا الليل البهيم، الذى احتوى العالم الإسلامى كله، واشتمل عليه ـ هو أن كثيرا من الناس استجابوا له، واتبعوا سبيله، ودعوا بدعوته فى أوطانهم ـ كما أن كثيرا من الناس خالفوه، ونصبوا العداوة له، وقالوا بغير الحق فيه، وفيما دعا الله من توحيد الله..

يقول الأستاذ طه المدور ـ فى كتابه «الديانات والحضارات» ص: ١٣٩ وهو يتحدث عن الصورة التى كان عليها الرأى العام فى دعوة الشيخ أيام مطلعها، وما أثارت فى العالم الإسلامى وغير العالم الإسلامى يقول:

«وماجت الأقوال عقيب ذلك ـ أى عقيب الدعوة ـ تتضارب حول هذا المجاهد المجدد خارج القطر النجدى، فقام من اتهمه بالمروق والإلحاد، وأخذ آخرون يدعون بأنه يحاول نشر مذهب القرامطة وانتشرت فى أوربا شتى الشائعات عن مذهب هذا الرجل اللبيب، وعلق عليها الكثير من المستشرقين تعليقات مختلفة متباينة، فشبهه بعضهم بـ (لوثر)[٣٠] البروستنتى، وآخرون رفعوه الى مرتبة الفلاسفة[٣١]، حتى وجد من جعله صاحب مذهب خامس فى الإسلام، بعد المذاهب الأربعة.»

---

(٣٠) لوثر: هو مارتن لوثر، من دعاة الاصلاح الدينى فى المسيحية انفصل عن الكنيسة بشأن ما تدعيه من سلطان لها على غفران الذنوب وحرمان من تحرم من رحمة الله وإكرام القديسين والرهبان، ورفعهم الى مرتبة الألوهية (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م)

(٣١) الأصح أن يقال: (إنهم انزلوه الى مرتبة الفلاسفة، لأن الفلسفة يحوم حولها الشك والإلحاد غالبا.

ثم يقول الأستاذ طه المدور :

«ولكن اتضح بعد ذلك أن هذه التقولات المتضاربة فى حق (الوهابية) كانت غير صحيحة، لأنها ـ أى الدعوة ـ تبعد عن القرمطية، وعما يسمونه بالمروق عن الدين بعد السماء عن الأرض...

«وعلى العكس، مما يتقوله أعداء الدعوة، فإن تعاليمها العتيدة وجدت متطابقة مع نصوص القرآن والأحاديث النبوية.. حتى انه فى سنة ١٨١٥م سافر مندوبان عن (الوهابية) وقابلا والى مصر آنذاك (محمد على باشا الكبير) فأمر رهطا كريما من العلماء ومن رجال الأزهر بفتح باب المناظرة بينهم وبين ذينك الشيخين الوهابيين.

«فعقد الطرفان عدة اجتماعات، طلب فيها علماء مصر من المندوبين النجديين إعطاء التفاصيل الوافية عن المذهب الوهابى.. فراحت المناظرات تجرى بين الجانبين واتسع نطاق الجدل والمدارسة، حتى عقدت راية الفوز فى النهاية للوهابيين، وذلك باقتناع علماء مصر بأن تعاليم المذهب الوهابى (!!) تنطبق بمجموعها على منطوق الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم»

ثم يقول الأستاذ المدور ..

«وأغرب من هذا، فقد أثبت الضيفان الوهابيان، خلال تلك المناظرات الدينية أنهما يحفظان القرآن الكريم، والمعانى العديدة من الأحاديث النبوية»

«وقد نشر علماء الأزهر على أثر ذلك بيانا أعلنوا فيه أنهم لم يروا شذوذا دينيا فى المبادئ الوهابية.. وفوق ذلك كان فى جملة ما نقله المندوبان الوهابيان الى مصر كتابا خطيا فى العقائد وضعه الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن المذهب الوهابى، فطالعه العلماء فى الأزهر، وصرحوا بعد ذلك بلسان واحد قائلين:

«اذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن وهابيون» [٣٢]

---

(٣٢) ليست الوهابية مذهبا، وانما هى دعوة مجددة للدعوة الاسلامية من أساسها وهى المؤمنة بالله الأحد الواحد، =

- ٦ -

ولاشك أن هذا الموقف من علماء الأزهر فى الدعوة التى دعا اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والذى يخالف ما كان عليه سلفهم القريب، وموقفهم من الواعظ التركى - لاشك أن هذا الموقف الجديد انما كان أثرا من آثار دعوة التوحيد التى قام بها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، حيث أيقظت النيام، وفتحت العيون والعقول وشرحت الصدور،فاستبان لهؤلاء العلماء ما كانوا فيه من جهل بدين الله ومن شرك به فى الطواف بالقبور، والاستشفاع بالمقبورين.

- ٧ -

ولم يقف أثر دعوة التوحيد عند حدود الجزيرة العربية، بل نفذت الى أعماق العالم العربى كله.. فقام فى كل مكان داع أو دعاة يدعون الى اصلاح شأن الأمة الإسلامية، وانه لا إصلاح لشأنها إلا إذ رجعت الى دين الله،وأخلصت وجوهها وقلوبها الى الله وحده لا شريك له فيما يقضى فى عباده.

يقول العلامة المستشرق «لوثروب» فى كتابه (حاضر العالم الإسلامى) الذى ترجمه الى العربية الأمير (شكيب ارسلان)،يقول هذا العالم عن الدعوة وآثارها فى يقظة العالم الإسلامى:

«وفيما كان العالم الإسلامى مستغرقا فى هجعته، ومدلجا فى ظلمته، اذا صوت يدوى من

---

= لا شريك له، المطهرة من أرجاس الشرك، فليس فيها جديد، وانما هى الاسلام الحنيف المبرأ من الشرك... أما المذاهب الأربعة، المعروفة فى الإسلام، فهى اجتهادات فى الفروع، التى لا تمس الأصول أبدا حيث لا اجتهاد فى هذه الأصول، من الايمان بالله، ورسله وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

قلب صحراء شبه الجزيرة، مهد الإسلام، فيوقظ المسلمين، ويدعوهم الى الإصلاح والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم، فكان الصارخ وهو المصلح المشهور محمد ابن عبدالوهاب، الذى أشعل نار الوهابية، فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامى، وأخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامى القديم، والعز التليد.

«فبدت تباشير صبح الإصلاح، ثم بدت اليقظة الكبرى فى العالم الإسلامى»

واذا كان هذا العالم المستشرق قد شبه الدعوة الوهابية بالنار المشتعلة فإنها كانت حقا نارا مشتعلة أحرقت أدعياء العلم، والمتجرين بالدين فى سوق الجهل وبين الجهال . فإنها كانت كذلك نورا استضاءت به البصائر، واستنارت منه العقول، واهتدى بها المؤمنون الى دين الله، المبرأ من ضلالات الشرك والإلحاد، والله تعالى يقول:

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ » (الحديد: ٢٥)

فكما أنزل الله الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس،فمن لم يهتد بالكتاب، كان الحديد فى أيدى المؤمنين له بالمرصاد..

- ٨ -

«فبدأت تباشير صبح الإصلاح، ثم بدأت اليقظة الكبرى فى العالم الإسلامى»

هذا ما يقرره العالم المستشرق «لوثروب» فى كتابه الحاضر الإسلامى، عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وآثارها المباركة فى العالم الإسلامى.

وقد صدق هذا العالم الغريب عن الإسلام، فإنه كان يرصد مجريات الأحداث فى العالم ويقف عند كل حدث له شأنه، فيسجله بقلم العالم المحقق المدقق، الذى ان أنكر حقيقة سقط من سجل العلماء، والرجل حريص على أن يحتفظ بمكان كريم له بينهم.

فماذا كان من مظاهر هذه اليقظة الكبرى، فى العالم الإسلامى بعد مطلع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؟

يقول الله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » (ابراهيم: ٢٤ ـ ٢٥)

فالكلمات أمهات الأعمال، ولا تلد الكلمات من الأعمال إلا ما كان من معدنها وجوهرها،فالكلمة الطيبة تلد أعمالا طيبة، ولا يصيبها العقم ابدا، مادامت قد خرجت من أفواه مؤمنة، متصلة بقلوب سليمة، وعقول مدركة.. وكذلك كانت كلمات الله المنزلة فى كتبه، زادا لا ينفد عطاؤه أبدا من أزواد الخير للناس، اذا هم آمنوا بها، وجروا فى أعمالهم على هديها، كما يقول تعالى:

« فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ » (طه : ١٢٣ـ ١٢٧)

وكذلك كلمات الأنبياء والمرسلين والهداة والمصلحين من عباد الله،فان كلماتهم قبس من أقباس نور كلمات الله، وقطف من قطوفها الطيبة المباركة.. إذ يجد فيها الناس زاد أرواحهم، وري نفوسهم، حيث تذكرهم بالله تعالى، وتدنيهم من رحمته ورضوانه..

ومن هذا المورد الرباني الكريم، كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ميراثا مباركا من بعده، لمن شرح الله صدورهم للإيمان، وهيأهم ليكونوا دعاة خير للمسلمين، تلك الحركة الاصلاحية التي تلاقى عليها قادة الإصلاح في أوطان الإسلام جميعا في وقت واحد كأنما كانوا فيه على موعد.

وقبل ان نتحدث عن هذه الدعوات الاصلاحية التي قامت في المجتمع الإسلامي متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، نود أن نرد على شبهة ربما آثارها في الماضي، أو قد يثيرها في المستقبل أولئك الذين من شأنهم أن يبخسوا الناس أشياءهم وأن يحسدوهم على ما آتاهم الله من فضله، حيث يقول قائلهم عن دعوات الإصلاح هذه التي قامت متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ان ظهور هذه الدعوات الإصلاحية حيث ظهرت كان من مقتضيات الظروف والأحوال التي أحاطت بالأمة الإسلامية والتي اقتضت ظهور المصلح الشيخ ابن عبدالوهاب، حيث كان الداء مستشريا في العالم الإسلامي كله، وأنه حين يستشري الداء ويعم البلاء، لا تعدم الحياة من يقومون لمواجهة هذا الداء وكشف هذا البلاء، تماما كما يقوم الجسد بإعلان الحرب على جراثيم المرض التي تهجم عليه، فيلقاها ببعض الدم المتدفق في عروقه، محاولا أن يهلكها قبل أن تسري في البدن وتسكن فيه..

وعلى هذا يقولون - أي المعترضون - إنه من التحكم أن تنسب حركات الإصلاح التي ظهرت في أعقاب الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى هذه الدعوة وأن يرمى العالم الإسلامي كله بالعقم، على كثرة رجاله واتساع رقعته التي تمثل شطرا كبيرا في هذا العالم..

ونحن لا نستطيع أن ننكر على الحياة سننها القائمة فيها، ولا أن ننكر أن تقوم فى المجتمع الإسلامى حركات إصلاحية رائدة فى كل زمن، وفى كل أفق من آفاق الإسلام وقد ذكرنا من قبل كيف كانت ثورة الواعظ التركى على البدع والخرافات التى كانت تزحم وجه الحياة فى مصر، وأن هذا الواعظ كان قبيل ظهور دعوة التوحيد التى قام بها ابن عبدالوهاب بأكثر من ربع قرن، فهل يمكن مع هذا أن يقال أن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب قامت متأثرة بدعوة هذا الواعظ التركى؟

ونقول : إنه قد لا يكون من المستبعد أن يتأثر الشيخ ابن عبدالوهاب بحركة الواعظ التركى، لو أن هذه الحركة امتد صداها الى خارج المحيط الضيق الذى ظهرت فيه،ولكن هذه الحركة لم يقدر لها هذا حيث فتح الشر لها فمه، وابتلعها وهى فى مهدها، ولولا أن الجبرتى كان شاهدا من شهودها وسجلها فى يومياته التى ختم عليها كتابه، لما عرف أحد عنها شيئا.[٣٣]

ولكنا مع هذا نقول: ان الحركات الاصلاحية لا تقوم الا متأثرة بحركات الإصلاح التى سبقتها من دعوات الرسل والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، ومواقفهم الخالدة على الزمن فى مواجهة الشرك، والكفر، والإلحاد.. ثم فى مواقف أتباعهم المؤمنين من الدعوة الى الله، وإصلاح ما غير الناس من شريعة..

ولا شك ان الإمام محمد بن عبدالوهاب، بعد أن عرف الحق من دين الله، كما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ورأى ما كان عليه الناس من مفارقة بعيدة لدين الله الحنيف، وما أدخلوه على هذا الدين من بدع وخرافات ـ لم يطق صبرا على تلك الحال، ولم ير بدا من ثورة على هذا الضلال الذى كان يغزو عقول المسلمين وقلوبهم.. وكان فى ثورته تلك ناظرا الى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى موقف صحابته، وما أبلوا من جهاد فى سبيل الله.. ثم إذ تأسى بهذا كله، كان له أسوة فى جهاد أهل الحق فى الأزمنة المتأخرة، مثل الإمام احمد وما امتحن به فى فتنة القول بخلق

---

(٣٣) تاريخ الجبرتى لم ينشر الا بعد موته بزمن طويل خوفا مما كان فيه من نقد صريح للحكام.

القرآن، ومثل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومثل العز بن عبدالسلام، وغيرهم من هؤلاء الأعلام الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، وكانوا مصابيح هدى فى غواشى الظلام التى كانت تتداعى على الإسلام والمسلمين من داخل أوطانهم وخارجها.

فاذا قلنا بعد هذا : إن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، كانت مبعثا لدعـوات إصلاحية من بعده، شملت الأمة الإسلامية كلها، كان هذا القول حقا، اذ كانت تلك الدعوة يقظة هزت العالم الإسلامى كله من جميع أقطاره، وشارك فيها المسلمون جميعا من مؤيدين ومعارضين، ومن لم يشارك فيها بسيفه شارك فيها بلسانه وقلمه.

والجدير بالذكر هنا أن تلك الدعوات الاصلاحية التى قام بها المصلحون فى شتى أقطار الإسلام والتى كانت متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد كانت كلها متقاربة الميلاد، وهذا يعنى أنها كانت متأثرة بعامل قوى واحد، هو الذى دعا اليها وحرك دعاتها.. وهو دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب، رضى الله عنه.

- ٩ -

فالحركة السنوسية، التى قام بها الشيخ محمد ادريس السنوسى فى شمال افريقية كانت حركة دينية سبيلها الحكمة والموعظة الحسنة، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا تتجاوز حد التبليغ فمن قبل الدعوة فلنفسه، ومن لم يقبل فشأنه وما اختار.

وقد رأى الشيخ السنوسى بنفسه كيف كانت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وما حمل هو وأنصاره وأتباعه من أعباء ثقال واشتباك مرير فى حروب طويلة دامية لم يكن له أن يخوض غمارها، فسلك مسلكا أشبه بمسلك شيوخ الصوفية، وأطلق على دعوته الطريقة السنوسية، وانه ما فعل هذا إلا ليبعد الشبه عنه، حتى لا يثير أصحاب السلطان فيقطعوا الطريق عليه.. وإلا فما كان الشيخ السنوسى صاحب طريقة صوفية وإن أطلق على دعوته اسم الطريقة، إذ ليس فى طريقته ما فى الطرق الصوفية من بدع وما فيها من

شطحات ورموز ولا ما فى تلك الطرق من طبقات المريدين والأبدال، والنجباء، والأوتاد والأقطاب الى غير ذلك مما يقوم عليه بناء الطرق الصوفية، وما يضم من تلك الشعوذات.

ولقد كسبت هذه الدعوة كثيرا من الأتباع من الأقطار الإسلامية بهذا الأسلوب الهادئ، حيث كان الشيخ يتنقل بدعوته من قطر الى قطر، ومن بلد الى بلد، وحيث حل أقام مسجدا للصلاة أشبه بالزاوية أو الخلوة، فى بلاد المغرب مراكش، وتونس، والجزائر، وليبيا، وفى مصر، والسودان، والحجاز.. وفى هذه المساجد أو تلك الزوايا يجتمع أتباعه على كتاب الله وسنة رسوله، دارسين ومتناصحين.

هذا وقد بدأت دعوة السنوسى فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى إذ كان مولده سنة ١٢٠٢ هـ ، أى بعد مولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأقل من قرن.

أما حركة السيد جمال الدين الأفغانى فقد ظهرت فى مصر بعد أن وفد اليها وعاش زمنا فيها، فتتلمذ عليه كثير من علمائها كان على رأسهم الشيخ محمد عبده وتلاميذه. وهى حركة سياسية متأثرة بجذور عميقة من الدين.

فالأفغانى وإن لم تقم دعوته باسم الدين ، وتحت رايته فإنها كانت فى صميمها دعوة الى تحرير العقل الإسلامى، وهى دعوة لم تقم فى ظل العصبية القبلية بل قامت فى ظل العصبية الوطنية فى جميع أقطار الإسلام..

إن الأفغانى جعل دعوته ثورة فى كل مكان إسلامى، حملها بنفسه وسعى بها الى حيث يظن أن لها مكانا يغرسها فيه، حتى جاء الى مصر، واتصل بعلماء الأزهر وطلابه، واجتمع الى كثير منهم وكان واسطة عقدهم الشيخ محمد عبده.

ولما كان الاستعمار الانجليزى جاثما على صدر مصر وكثير من أوطان المسلمين، فقد كانت دعوة الأفغانى ثورة قائمة فى وجه هذا الاستعمار الذى يضع المسلم تحت سلطانه

متحكما فى حريته السياسية والاقتصادية متسلطا على عقيدته بالمبشرين وما لهم من مؤسسات ومدارس تفتن المسلم فى دينه، وتشوش على عقيدة العوام، وعلى الصغار الذين يدخلون هذه المؤسسات وتلك المدارس وهى فى حمى المستعمر..

وكان من آثار هذه الدعوة ضد الاحتلال الانجليزى أن قامت الثورة العرابية بقيادة احمد عرابى ضد والى مصر، الذى يمالئ المستعمرين ويستظل بظلهم.. وكان من هذا ان استعان الخديوى بالانجليز، الذين دخلوا مصر، وتمكنوا منها وبسطوا نفوذهم عليها.. فنفوا أحمد عرابى، والأفغانى، والشيخ محمد عبده من مصر .

وقد لقى الشيخ محمد عبده وتلاميذه ما لقى جمال الدين الأفغانى من ذوى العقول المغلقة والقلوب المريضة من رمى بالتهم الباطلة والأقاويل المفتراة من الكفر والإلحاد؛ ولكنه مضى فى طريقه غير ملتفت الى تهديد أو وعيد، حتى وجدت دعوته أنصارا وقفوا الى جانبه، وحملوها من بعده، وكان منها هذا النور الذى دخل الأزهر بعد أن سكنه الظلام دهرا طويلا..

وهناك فى السودان حركة عبدالله المهدى، التى بدأت سنة ١٨٣٨ م أى بعد نحو قرن من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب..

وهى حركة دينية سياسية، أو هى حركة سياسية تحت راية الدين.. اذ كانت ثورة على الاستعمار الانجليزى الذى جثم على السودان.. يدعو فيها المهدى الى الجهاد فى سبيل الله لتحرير البلاد من الكفار وتحرير المسلمين من قيود الاستعمار، وفى ذلك تمكين للدين، وتثبيت للعقيدة، وحماية للشريعة مما يدخله المستعمرون على المسلمين، من معتقدات فاسدة، وقوانين وأحكام مستوردة تخالف شريعة الله وقوانين السماء، ومن صور للحياة يلبس فيها المسلم ثوب المستعمر الذى أصبح متحكما فى أمور حياته كلها.

وقد كانت الحرب التى أعلنها المهدى على الاستعمار حربا دينية يقاتل فيها المسلم أعداء دينه.. ومن هنا كان هذا الاستبسال والاستشهاد من أتباع المهدى، الذين قاتلوا

بالسيوف والحراب جيوشا كثيفة تحمل المدافع والقذائف المدمرة.. مما يعيد الى الأذهان حروب المسلمين الأولى للفرس والروم..

والى جانب هذه الدعوات الثائرة على الاستعمار والمستعمرين فى قلب الوطن الإسلامى قامت هناك ثورات فى بلاد كان سكانها أقلية من المسلمين.

ففى بلاد القوقاز، والقرم، والتركستان،قام الزعيم الجركسى الشيخ شامل عام ١٨٠٣ م بثورة عارمة على قياصرة الروس، الذين كانوا يأخذون المسلمين تحت أيديهم بالبأساء والضراء، ويسومونهم الخسف والبلاء.. فقام هذا المجاهد بثورته العارمة على القيصر، وقد اجتمع حوله الأنصار، مجاهدين فى سبيل الله، وقد ظل الشيخ شامل نحو أربعين عاما متواصلة فى ميدان الجهاد، كبد فيها الروس مئات الألوف من القتلى..

ولكن بعد أن أبلى الرجل بلاءه فى الجهاد هو والمجاهدون معه غلبته على أمره قوة هذه الدولة وجيوشها الكثيفة..

وكان من هذا أن ضاعف الروس استبدادهم بالمسلمين، فصادروا أموالهم وأغلقوا مساجدهم، وحرموهم أن يعبدوا الله فيها، حتى جاءت روسيا الشيوعية، فأتت على كل شئ للمسلمين هناك..

ومن هؤلاء الأبطال المجاهدين، الذى يأخذ مكانا كريما بينهم (الأمير عبدالقادر الجزائرى) الذى قام فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى بثورته العارمة ضد الاستعمار الفرنسى لبلاده الجزائر. فلم يرده عن هذا الجهاد ما كان يعده المستعمر، وكثرة جنوده وعتاده وعدده مع قلة أنصاره وقلة أسلحته ـ لم يرده هذا عن أن يواجه المستعمر بالحرب، وأن يلتقى معه فى كل ميدان ورجاله يستشهدون أمام عينيه.. إنه يؤدى حق الله، وحق الوطن عليه، فهذه أمانة فى عنقه، ولا عليه أن هزم بعد هذا، فقد أعذر لنفسه، وأدى الأمانة التى فى عنقه،ناظرا فى هذا الى قول الله تعالى:

« إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ » (التوبة: ١١١)

وقد ظل هذا المجاهد فى ميدان الجهاد.. حتى لقى ربه راضيا مرضيا، تاركا وراءه المثل الكريم فى التضحية والجهاد، طريقا مفتوحا من بعده للمجاهدين.. وقد كان، فقامت ثورة الجزائر التى ألقت بالمستعمرين خارج ديارهم وتحررت الى الأبد إن شاء الله من أن يدخلها مستعمر.

وبعد فهذه بعض ثمرات دعوة التوحيد التى قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب - رضى الله عنه - وهذه بعض شعاعاتها التى طلعت على الأمة الإسلامية فى ليل بهيم، كان قد لفها بردائه الأسود الكئيب.. حيث أيقظت العالم الإسلامى، فقام فيه الزعماء السياسيون، والدينيون، والاجتماعيون، يدعون الناس الى أن يتخلصوا من كل عبودية لغير الله، أيا كان وجه هذه العبودية، فى صورة المستعمرين أو فى صورة تلك البدع الشركية، التى تسلب المسلم حرية الإنسانية، جسدا، وعقلا وروحا، وتسوقه الى عبودية دونها بلاء وشرا عبودية الأرقاء الذين كانوا يباعون فى الأسواق بيع الأنعام.

لقد انهارت معابد الشرك، وزالت معالمه بسبب هذه الدعوة المباركة التى قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب وأنصاره من آل سعود، وبدأ وجه الإسلام يطل على أوطان المسلمين مشرقا مضيئا.. فلا معبود إلا الله وحده لا شريك له ولا استشفاع، ولا توسل إلا لله سبحانه بالعمل الصالح، والدعاء الضارع اليه وحده جل شأنه.

وانه إذا كانت هناك بعض آثار باهتة من الصور الشركية هنا أو هناك، فإنها فى طريقها الى الزوال وشيكا - ان شاء الله - فإنه إذا طلعت الشمس انقشع الظلام، وزال الضباب، وأشرقت الأرض بنور ربها..

رحم الله الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وجزاه خير الجزاء، وأسبغ عليه من رحمته ورضوانه ما ينزله منازل الأبرار، والصديقين والشهداء.

وجزى الله خيرا أولئك المجاهدين من آل سعود، وآل عبدالوهاب، الذين آزروه، وناصروه، حتى أعز الله جنده، وصدق وعده..

وأكرم الله ورحم من دعا الى الله، وجاهد فى سبيل الله، ونصح لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين الى يوم الدين.

« وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ »

صدق الله العظيم

وصلى الله على محمد، وعلى آله ، وصحابته، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

# الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ
# محمد بن عبد الوهاب
# ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ
# المودودي رحمهما الله

لفضيلة الشيخ محمد يوسف

أمير الجماعة الإسلامية بالهند

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبه الكريم محمد وأله وأصحابه أجمعين .

ما من دعوة أو حركة قامت لاستعادة مجد الإسلام وعزة المسلمين إلا وتحرك عالم الكفر والاستعمار لمحاربتها ولانتقاص قدرها أو تحطيم قوتها والتقليل من نفوذها بين المسلمين على الأقل بإحداث العقبات والعراقيل فى سبيلها تارة وباثارة الشبهات وغرس بذور الشكوك حولها تارة أخرى .

وأكبر مأساة تنشق لها الأكباد وتنفطر لها القلوب هى أن المسلمين فى كل عصر ومصر وقعوا فريسة لتلك الشبهات التى أعدت حبالها المكيدة والخديعة ومطامع الطامعين الشرسة، فقاموا فى وجه الدعوة الإسلامية الخالصة ولفقوا عنها وعن صاحبها إشاعات مضللة وأكاذيب باطلة .

لكن العجب كل العجب أن يغتر المسلمون بأكاذيب وأباطيل أشيعت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوة الشيخ الشهيد الشاه إسماعيل الدهلوى رحمهما الله، كما نرى أنها أشيعت حول دعوة مولانا أبى الأعلى المودودى رحمه الله، فإن دعوة الشيخ محمد الإصلاحية إنما هى دعوة امتازت من بين الدعوات الإصلاحية الإسلامية الأخرى، بنجاح كامل شامل فى مراميها،حيث حاربت المعتدين على الشريعة الإسلامية وأحكامها فى نجد، وهذه هى مبرأة عظيمة، لا تدع مجالا للشك فى أن دعوته كانت دعوة حق وهداية وإيمان وإسلام، يجب على كل مسلم قبولها والذود عنها فضلا عن أن يحبها ويحسن الظن بها وبصاحبها.

كيف يمكن لأحد من المسلمين أن يعتقد سوء في مجاهد جاهد جهادا مضنيا لإحياء الدين، وأعاد إلى الإسلام مجده السياسي وعلوه القيادي، وأقام بالفعل دولة شرعية، وهي التي يتمناها كل مسلم غيور على دينه ويحن إليها كل مؤمن حينما يتغلغل الإيمان في قرارة نفسه.

لكن المعترضين الحاقدين على الإسلام والمسلمين وأرباب الأغراض الدولية والشخصية من المسلمين وغير المسلمين،هاجموا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعرضوها إلى المسلمين بصورة مشوهة وكأنها مذهب جديد مخالف لما عليه الأمة الإسلامية وهي لا تمس بأي صلة إلى الدين، بل تغاير عقيدة الإسلام ومبادئه، ولذلك سموها بالوهابية تلبيسا للمسلمين من عند أنفسهم،ولفقوا عنها إشاعات مضللة وحذروا المسلمين منها . فإن الحركة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبدالوهاب، لو سميت على اسم مؤسسها لسميت باسم «الحركة المحمدية»،لكن المعاندين شعروا بما يكون لهذا الاسم من أثر مرموق في قلوب المسلمين، وأدركوا أن هذا الاسم لا يوافق مصلحتهم ولا يتماشى مع أغراضهم فسموها على اسم أبيه، وألحقوا به أنواعا من التهم والمفتريات حتى ظنه المسلمون خارجا عن الدين . واعتقدوا فيه سوء بجهالة وبسبب فهم خاطئ أو بمصلحة سياسية مادية أخرى. ومن جملة ما رموه به من المفتريات: (١) ادعاء النبوة ، (٢) إنكار الحديث ، (٣) تكفير المسلمين وقتالهم، (٤) إنقاص رتبة النبي وإنكار شفاعته، (٥) هدم قبة النبي، (٦) إنكار التقليد وإبطال كتب الأئمة الأربعة، ورموا بمثل هذه التهمة الداعية الإسلامي مولانا المودودي .

وأعجب من ذلك أنه انتقد بعض العلماء دعوة الشيخ بناء على تلك المفتريات مثل النواب صديق حسن خان،الذي يعد من أئمة طائفة أهل الحديث،وكان واسع الاطلاع على عقيدة أهل السنة .

ولكن مع هذه المكانة وسعة الاطلاع أعلن براءته من الشيخ ورماه بالغدر والفساد وقال :

« كان ابن عبدالوهاب النجدى إماماً وكان مقلداً لأحمد بن حنبل، وأن المتبعين للحديث (طائفة أهل الحديث) لايقلدون أحداً من أئمة المذاهب، فبين الوهابيين وطائفة أهل الحديث بون السماء والأرض.

إن أهل الحديث يوجدون منذ ألف وثلثمائة سنة ولم ينصب أحد منهم علم الجهاد المصطلح،وكانوا يفرون من الفتنة والغدر والقتل وإراقة الدماء ألف ميل. لم ينسب إليهم فى أى كتاب الغدر والفساد،وهذا بخلاف ابن عبدالوهاب،فإن ذكر فساده مندرج فى تاريخ مصر والكتب الأخرى التى كتبها العلماء المسيحيون،وقد طبعت فى بيروت ببسط وتفصيل،وإنى انتخبت من تلك الكتب بعض الأحوال ليطلع عليها الناس ويجتنبوا طريق الحرب والنضال ويحترزوا عن الفساد .

(ترجمان وهابيت ص ٣٠)

ومثل الشيخ حسين أحمد المدنى الذى كان من أساطين الجامعة الإسلامية بديوبند، ويتولى منصب شيخ الحديث، والشيخ أنور الشاه الكشميرى، الذى كان عالما محققا،وهو أيضا من أساطين جامعة ديوبند البارزين .

أنور شاه كشميرى: لكن مع هذا كله كتب فى أحد كتبه. «أما محمد بن عبدالوهاب النجدى فإنه كان رجلا بليدا قليل العلم،فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر».

(فيض البارى ج١ ـ ص١٧١)

وإلى ما قبل سنوات هاجم الشيخ حسين أحمد المدنى فى (ديوبند) الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هجوما عنيفا،وكان نقد الشيخ المدنى للإمام محمد بن عبدالوهاب غير قائم على أسس علمية بدون أن يرجع إلى ما قاله الإمام وكتبه،وبدون أن يستدل على هجومه بنصوص واضحة صريحة حسب أسلوب العلماء المحققين ورجال الحديث والفقه.

وكذلك لم يتورع الشيخ حسين أحمد المدنى عن توجيه النقد اللاذع والهجوم العنيف

إلى المرحوم الأستاذ أبى الأعلى المودودى،الذى يعتبر كذلك من الشخصيات التى جددت الإسلام فى العصر الحاضر. وتمكنت من إنقاذ الجيل المسلم الحاضر من الوقوع فى براثن النظريات الكافرة والمبادئ الهدامة والعقائد الفاسدة،وإقناعه على صدق الإسلام وكونه دينا شاملا للحياة البشرية،يستطيع معالجة جميع الأدواء ثابتة وغير منطلق مما ورد فى مخلفات الإمام،ويا للعجب كيف سوغت له نفسه أن يهاجم مجدد القرن الثانى عشر الهجرى، وعالما من أفذاذ التاريخ الإسلامى،وقائدا يرجع الفضل إليه فى إحياء السنة وقمع البدعة فى جميع العالم الإسلامى، فقد وجه الشيخ المدنى إلى المرحوم المودودى نقده بدون أن يوجد له أى دليل أو أساس فى كتب المرحوم المودودى. إلا أن هناك فرقا شاسعا بين معاملته مع الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله،حيث قيل لنا إن الشيخ المدنى كان قد تراجع عن نقده فى أواخر حياته، وبين معاملته مع المرحوم المودودى حيث أننا بذلنا معه الجهود المضنية للاجتماع معه، والمناقشة معه فيما وجه الى المرحوم المودودى من اعتراضات لا يوجد لها أساس فى كتب المرحوم وخطبه ورسائله،ومكث الشيخ المدنى على رغم أنه وعدنا بإجراء هذه المناقشة لم يوف بوعده،وبالتالى لم يرد أن يسحب اعتراضاته الفارغة وبالأصح إفتراءاته التى لا طائل تحتها . ولا تستطيع القول إزاء هذا الموقف الذى لا يليق بأى شخص من منسوبى العلم فضلا من أن يكون ذلك الشخص عالما ذا سمعة ونفوذ،لا نستطيع الا الدعاء إلى الله سبحانه والتضرع اليه بأن يعفو عن زلاته ويوفق أتباعه أن يحققوا ما لم يستطع تحقيقه شيخهم. والله هو الموفق.

ولاتزال طائفة من المسلمين فى الهند تصدق هذه الاتهامات إلى يومنا هذا،وتسئ الظن بالشيخ ودعوته مع أن كتبه ومؤلفاته ترجمت إلى بعض اللغات الهندية وطبعت ـ فمن السهل الاطلاع على حقيقة دعوته وعظمة شأنه ـ لذا رأيت واجبا على نفسى كخادم للحركة الإسلامية فى الهند أن أكشف القناع عن هذه المفتريات التى كثيرا ما يتهمون بها أعضاء الحركة الإسلامية الهندية ،قائلين إنهم «وهابيون» حتى يزول الغبار عن الحقيقة ويتبلج وجهها وضوحا بأن دعوة الشيخ كانت دعوة إصلاحية إسلامية، وكان هو من أكبر دعاة الإسلام وأعظمهم شأناً.

وقبل أن نخوض فى الكلام عن تلك المفتريات المذكورة أعلاه وحقيقتها،أرى من

المناسب أن نتعرف على عقيدة الشيخ التى تبنى عليها دعوته الإصلاحية. فإنه إن كانت العقيدة صحيحة مستقيمة موافقة لتعاليم الكتاب والسنة فلابد أن تكون الدعوة المنبثقة منها سليمة قوية،وهذا ضروري لأن الاتهامات التى ألصقت بالشيخ محمد هى اتهامات تتفرع من الانحراف فى العقيدة.

فلابد أن نتعرض لعقيدته ودعوته أولا، ثم للاتهامات التى ألصقت بالشيخ ثانيا. وقبل أن نتحدث عن الشيخ ودعوته يجدر بى أن أشير إلى الأوضاع التى نشأ فيها الشيخ وتأثر بها .

## الأوضاع السياسية :

وقبل أن نرى الدعوة الإصلاحية نتصفح التاريخ ونرى الأوضاع الراهنة اليوم وفى القرن الثانى عشر للهجرة ـ لايخفى على من يدرس التاريخ أن الشيخ قد عاش فى الفترة ما بين سنة خمس عشرة ومائة بعد الألف (١١١٥ هـ) إلى سنة ست بعد المائتين والألف (١٢٠٦ هـ)، وهذا القرن يعد من القرون المظلمة التى ساد فيها الجهل والغواية، وكانت فيها الخلافة العثمانية على وشك الانقراض، فخلف من بعد الزعماء المصلحين خلف أضاعوا الإسلام واتبعوا الشهوات، وحكموا الشعوب بالاستبداد، ولم يهتموا بأمر من أمور الإسلام.

ولم تكن فى نجد دولة قوية مستقلة بل كانت هناك دويلات تعم فيها الغواية والفساد، واتخذ الأمراء والملوك إلههم هواهم وغفلوا عن الشريعة الإسلامية وأحكام الله، بل وصل الناس الى الانحلال الخلقى، حيث كانوا يتخاصمون بينهم، وضاعت القيم الإنسانية. وكان كل أمير منهم يتربص بجاره ليستغل ضعفه لشن الغارة عليه. كما ذكر مفصلا الكاتب الأوروبى الشهير هيغارد فى كتابه.

## الأوضاع الدينية :

ولقد ضاع التوحيد الخالص وغفل الناس عن مفاهيم الدين الصحيحة، وقد

اختلطت العقيدة الإسلامية الصافية بالرواسب الجاهلية والخرافات، وصار مركز التوحيد مركزا للبدع والخرافات.

وكان الناس يستغيثون بقبور الصحابة والأولياء المعروفين عندهم فى قضاء الحوائج ورفع الآلام والمصائب.

وفى الجبيلة يرد الناس على ضريح زيد بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وهكذا فى الدرعية ـ ومن أعجب الأمور أن كانت النساء يطفن بالنخيل الذكر ذكرانا من **أجل الطواف** حوله،وهكذا تذهب النساء الى ضريح ضرار بن أزرد.
وأن هذه الضلالة والغواية كانت منتشرة فى أكثر أرجاء الجزيرة العربية والعالم الإسلامى.

## طبقة أهل العلم :

أما علماء المسلمين فكانوا فى نوم عميق وأغلقوا باب الاجتهاد والتفكر، فبعث الله من يجدد أمر دينهم وينسج على منوال السلف ويلتزم مذهب السلف الصالح، ويكتسب العلم من منابعه الصافية، ألا وهى الكتاب والسنة، وكان إمام الدعوة يعكف على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله تعالى.

ففى هذه الظروف والأوضاع نشأ الشيخ وترعرع وتلقى العلم وارتوى من منهل الكتاب والسنة. ثم ألقى نظرة فيما حوله فتألم كثيرا بما رأى من اعوجاج وانحراف فى العقيدة والعبادة والسلوك والعمل، فشمر عن ساقه لإصلاح ما فسد، وتقويم ما اعوج.

## عقيدته عن الايمان :

إن عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ كانت مرآة صادقة لتعاليم الإسلام الحقة ، وكان يسلك فى ذلك مسلك السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، كما يبين هو بنفسه ردا على سؤال أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته :

« أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدتـه الفرقـة الناجية أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والايمان بالقدر خيره وشره، ومن الايمان بالله، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ».
(القسم الخامس الرسائل الشخصية ص ٨)

قد اختلفت آراء العلماء في صفات الله تعالى، فالمتكلمون من الأشاعرة يؤولون جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على صفات الله تعالى تنزيها منهم عن التعليل والتشبه، فقالوا: إن الاستواء معناه الاستيلاء. كما أنهم قالوا في تفسير «يد الله» ان معناه النعمة أو القدرة. لكن السلف وكل من حذا حذوهم لم يوافقوهـم على هذا التأويل بل آمنوا بصفات الله تعالى بدون تكييف ولا تمثيل، وبذلك قال الأئمة الأربعة أبوحنيفة، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد (رحمة الله عليهم)، وهو مذهب ابن الحسن، وسعد بن معاذ مروزي، وعبدالله بن المبارك، وسفيان الثوري، والبخاري، والترمـذي، وأبوداود ـ وغيرهم، (محمد ابن الوهاب مصلح مظلوم ص ١٣٧ نقلا عن جلاء العيينة ص ٢٢٩)، وهذا هو مسلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب. كما يوضح ذلك في رسالة كتبها الى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته في صفات الله تعالى.

«أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء،وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه. ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى لاسمي له ولا كفو له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره،وأصدق قيلا، وأحسن حديثا، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل وعما نفـاه عنـه النافـون من أهـل التحريف والتعطيل، فقال:

« سبحان ربك رب العزة عما يصفـون، وسـلام على المرسلـين ـ والحمـد لله رب العالمين» ـ والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الايمان والدين بين الحرورية

والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط فى باب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج ».
(القسم الخامس الرسائل الشخصية ص ٨)

يتضح من هذا الاقتباس أن الشيخ يؤمن بجميع صفات الله تعالى حسب ظاهر معناها بدون أى تأويل من نفسه وبدون أى تقييد وتمثيل من عنده، فإن مدار التأويل على الظن والقياس والاعتماد على الظنّ لا يصح، فإذا قال أحد إن معنى «يد الله» نعمته وقال الآخر إن معناه قدرته، لم يتوفر الاستيثاق من صحة أى من المعنيين، فالأحوط أن نحمل الآية على ظاهر معناها ولكن بدون أن نمثلها بصفات الخلق، فإن يد الله الخالق ليست كيد المخلوق، والعين النائمة ليست كعين لا تحتاج أبداً إلى النوم. لذلك سلك السلف الصالح طريق الاعتدال والاحتياط، وهذا هو مذهب شيخ الإسلام كما يقول: « وبالجملة فعقيدتنا فى جميع الصفات الثابتة فى الكتاب والسنة عقيدة أهل السنة والجماعة، نؤمن بها ونقر بها كما أتت مع إثبات حقائقها وما دلت عليه من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل» .
(الهدية السنية ص ٩٩ بحوالة المصلح المظلوم)

## عقيدته حول شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم :

وجاء فى نفس تلك الرسالة التى كتبها الشيخ إلى أهل القصيم:
«وأومن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع ومشفع، ولا ينكر شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى ،كما قال تعالى:

( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ) الأنبياء ٢٨

وقال تعالى:
( مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ). البقرة ٢٥٥

وقال تعالى:

(وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾). النجم ٢٦

وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى:

( فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾). المدثر ٤٨

(الرسائل الشخصية ـ الرسالة الأولى ص٩ ، ١٠)

إن مسألة شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم عند الله لعصاة هذه الأمة هى مسألة قد تطرف فيها بعض طوائف المسلمين فى الهند وذهبوا فيها إلى حد غير مستقيم،حيث اتكلوا عليها وتخلوا عن الأعمال ـ وهذه العقيدة فى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم قد دفعتهم إلى غلو الاعتقاد فى الأولياء والصالحين أيضا. وهم الذين يقيمون الأعراس على قبور الأولياء والصالحين كأمثال خواجه معين الدين جشتى،وقطب الدين بختيار كاكى وغيره،معتقدين أن هؤلاء الأولياء يكون لهم شأن يوم القيامة عند الله تعالى،شأن يؤثر فى قضائه .

ولا شك أن عقيدة شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم عقيدة حقة،ولكن الشفاعة فى حقيقة الأمر لا ترد قضاء الله ولا تؤثر فيه بشئ. وهذه هى عقيدة جمهور الأمة فى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ـ وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ أيضا ـ على هذه العقيدة اتباعا لمسلك السلف الصالح كما جاء فى الرسالة .... الخ.

## نظرية الشيخ بزيادة الإيمان ونقصه:

ذهب علماء الأحناف إلى أن الايمان هو اليقين الجازم فحسب،لا صلة له بالأعمال مهما

صغرت أو كبرت. فإن الإيقان لا يتفاوت فى حد ذاته،فاليقين بأن النار تحرق، لا يتفاوت بتفاوت العقل والأحوال بل كل الناس فيه سواسى، لا فرق فيه بين العربى والعجمى وبين العالم والجاهل. لذلك قالوا: إن إيمان الرجل العادى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يساوى إيمان أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

لكن الشيخ كان يعتقد أن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ـ ولذلك كان يرى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لئلا يضمحل الايمان فى قلوب المؤمنين باقتراف الجنايات والمنكرات ويزول أثره أو يبقى ضئيلا، لا ينتج عن الأعمال الصالحات إلا الاقرار باللسان .

فإنه كان يرى أن الايمان ليس هو التصديق الجازم فحسب؛ بل هو مجموعة مشتملة على اليقين والإقرار والعمل، وبناء على ذلك إذا زاد العمل زاد الايمان وزيادة الانهماك فى الأعمال الصالحات تستلزم الزيادة فى الايمان. كما يقول الشيخ رحمه الله: «وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية» وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شعادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،وعن توجيه الشريعة المحمدية الطاهرة»(الرسائل).

هذا هو مذهب الشيخ ـ رحمه الله ـ ومذهب الإمام الشافعى،والإمام مالك،والإمام أحمد بن حنبل، وأكثر المحدثين والعلماء .

## دعوة الشيخ ـ رحمه الله ـ دعوة العودة إلى التوحيد الخالص:

إن عقيدة التوحيد هى أساس الدعوة الإسلامية، ما من رسول أرسل إلى قومه إلا دعاهم إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، فعقيدة التوحيد هى جوهر الدين وأصل النبوة كما ورد فى التنزيل:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء ٢٥

وقد نوه الشيخ بعقيدة التوحيد فى جميع كتبه ورسائله تنويها بارزا،وكانت دعوته دعوة العودة إلى التوحيد الخالص، فكان يشرح معنى التوحيد و يبين مقتضياته للناس، و يدعو إلى رفض كل ما يخالف عقيدة التوحيد ومقتضياتها .

## معنى التوحيد ومقتضياته :

التوحيد معناه أن العبادة لا يستحقها إلا الله وحده، ولأجل الإخلاص فى التوحيد لابد أن يتجنب المرء كل عمل وقول قد توجد فيه شائبة من شوائب الشرك،وقد وفق الله الشيخ أن يبين جميع الأعمال والأقوال التى توجد فيها شائبة الشرك،ويوضح مفاسده ومساويه،ويبين للناس حقيقة التوحيد وأنواعه بكل تفصيل،حتى يكون المسلم على بصيرة تامة من عقيدته ولا يدخل فى أعمال الشرك جليا كان أو خفيا. أمعن النظر فى العبارات التالية فإنك لا تقرأ منها سطرا إلا وتجد فى نفسك لذة الايمان الخالص الذى لا تشوبه شائبة من الشرك،وتحس أن فضاء قلبك قد صفا لقبول حقيقة التوحيد وجميع مقتضياته .

«فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلينا على حين فترة من الرسل،فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام،وأعظم ذلك وأكبره وزبدته، هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له والنهى عن الشرك،وهو أن لا يدعى أحد من دونه من الملائكة والنبيين فضلا عن غيرهم، فمن ذلك أنه لا يسجد إلا لله،ولا يركع إلا له،ولا يدعى لكشف الضر إلا هو،ولا لجلب الخير إلا هو،ولا ينذر إلا له،ولا يحلف إلا به،ولا يذبح إلا له،وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لاشريك له، وهذا معنى قوله«لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ» فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه ».

(الرسائل ص ١٢٤ ـ النوع الثانى)

وهذا هو تصور التوحيد الذى تدعو إليه الجماعة الإسلامية، كما بينه الشيخ المودودى فى دستور الجماعة الإسلامية فى مادة شرح « لا إلهٰ إلا الله». وكذلك إذا ألقيت نظرة على الاستدلال الكلى تشعر أن إيمانك بالله يوحى إلى قلبك روحا قويا من الاعتماد والتوكل على الله تعالى،ترتاح إليه القلوب وتهدأ به النفوس. يقول شيخ الإسلام فى رسائله:

والكلام فى هذا يبنى على قاعدتين عظيمتين :

القاعدة الأولى :

أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون ويزعمون أنهم على دين ابراهيم الخليل، وأنهم يشهدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله لا شريك له،كما قال تعالى:

(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ )

( يونس ـ آية ٣١)

القاعدة الثانية :

وهى أنهم يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم وكل من ينتسب إلى شئ من هؤلاء سموه إلها،ولا يعنون بذلك أنه يخلق ويرزق بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله، ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، والإلٰه فى لغتهم هو الذى يسمى فى لغتنا الذى فيه سر، والذى يسميه الفقراء شيخهم يعنون بذلك أنه يدعى وينفع ويضر إلا أنهم مقرون لله بالتفرد بالخلق والرزق وليس ذلك معنى الإلٰه بل الإلٰه هو المقصود المدعو المرجو .

لكن المشركين فى زماننا أضل من الكفار فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين :

أحدهما: أن الكفار إنما يدعـون الأنبياء والملائـكة فى الرخـاء، وأمـا فى الشدائـد فيخلصون لله الدين،كما قال تعالى:

( وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ).

( الإسراء ـ ٦٧ )

والثاني: أن مشركى زماننا يدعون أناسا لا يوازنون عيسى والملائكة.

« إذا عرفتم هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر،عبادة الأصنام، هذا يأتي إلى قبر نبى وهذا إلى قبر صحابي كالزبير وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح،وهذا يدعوه فى الضراء وفى عيبته، وهذا ينذر له،وهذا يذبح للجن، وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة، فإن كنتم تعرفـون أن هذا من الشرك كعبادة الأصنام الذى يخرج الرجل من الإسلام، وقد ملأ البر والبحر وشاع وذاع حتى أن كثيرا ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح والعبادة، فما بالكم لم تفشوه فى الناس تبينوا لهم أن هذا كفر بالله ومخرج من الإسلام»

(القسم الخامس ـ الرسائل ص ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦)

قد نقلنا هذا الاقتباسات الطويلة لأجل أن يتبين بوضوح أن شيخ الإسلام إنما بنى فكرته على كتاب الله العزيز الحكيم ـ وأن شدته فى النكير على مظاهر الشرك ـ كان من مقتضيات التوحيد الخالص. ولذلك كان لا يرى المداهنة فى حق الله تعالى فكلما رأى مظهرا من مظاهر الشرك الجلي أو الخفي اضطرب وشدد نكيره عليه، ثم شرح للناس معانى التوحيد ومقتضياته وبين لهم كل ما ينافيه من أقوال وأعمال.

يجب التدبر فى هذه الكلمات التى كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى محمد بن سلطان.

« واعلم أرشدك الله أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة هى توحيد الله وحده والكفر بالطاغوت،كما قال تعالى:

( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ )

النحل ٣٦

والطاغوت هو الذى يسمى السيد الذى ينحر و ينذر له و يطلب منه تفريج الكربات غير الله تعالى،وهذا يتبين بأمرين عظيمين :

الأول: توحيد الربوبية،وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو وهذا حق . ولكن أعظم الكفار كفرا الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون به ولم يدخلهم فى الإسلام،كما قال تعالى:

( قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ )

( يونس ـ آية ٣١ )

فإذا تدبرت هذا الأمر العظيم وعرفت أن الكفار يقرون بهذا كله لله وحده لا شريك له وأنهم إنما اعتقدوا فى آلهتهم لطلب الشفاعة والتقرب إلى الله،كما قال تعالى:

( وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ )

( يونس ـ آية ١٨ )

وفى الآية الأخرى:

(..وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ..)

( الزمر ـ آية ٣ )

فإذا تبين لك هذا وعرفته معرفة جيدة بقي للمشركين حجة أخرى وهي أنهم يقولون هذا حق ولكن الكفار يعتقدون فى الأصنام، فالجواب القاطع أن يقال لهم أن الكفار فى

زمانه صلى الله عليه وسلم منهم من يعتقد فى الأصنام، ومنهم من يعتقد فى قبر رجل صالح مثل اللات، ومنهم من يعتقد فى الصالحين،وهم الذين ذكر الله فى قوله عز وجل:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ ( الإسراء - ٥٧ )

يقول تعالى: هؤلاء الذين يدعونهم الكفار ويدعون محبتهم قوم صالحون يفعلون طاعة الله ومع هذا راجون خائفون، فإذا تحققت أن العلى الأعلى تبارك وتعالى ذكر فى كتابه أنهم يعتقدون فى الصالحين وأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة عند الله والتقرب إليه بالاعتقاد فى الصالحين،وعرفت أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين من اعتقد فى الأصنام ومن اعتقد فى الصالحين بل قاتلهم كلهم وحكم بكفرهم. تبين لك حقيقة دين الإسلام وعرفت .

الأمر الثانى: وهو توحيد الإلهية أنه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا له ولا يدعى فى الرخاء والشدائد إلا هو، ولا يذبح إلا له، ولا يجمع بجميع العبادات إلا الله وحده لا شريك له،وأن من فعل ذلك فى نبى من الأنبياء أو ولي من الأولياء فقد أشرك بالله، وذلك النبي أو الرجل الصالح برئ ممن أشرك به كتبرئة عيسى من النصارى، وموسى من اليهود، وعلي من الرافضة، وعبدالقادر من الفقراء. وعرفت أن الألوهية هي التي تسمى فى زماننا السيد لقوله تعالى:

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

(الأعراف ١٣٨)

فتأمل قول بني اسرائيل مع كونهم إذ ذاك أفضل العالمين لنبيهم اجعل لنا إلْهاً،يتبين لك معنى الإلْه ، ويزيدك بصيرة قوله تعالى :

(وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ )

( الإسراء ـ ٦٧ )

فيا سبحان الله إذا كان الله يذكر عن أولئك الكفار أنهم يخلصون لله فى الشدائد،لا يدعون نبيا ولا وليا،وأنت تعلم ما فى زمانك أن أكثر ما بهم الكفر والشرك ودعاء غير الله عند الشدائد. فهل بعد هذا البيان بيان .

(القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية ص ١٤٥، ١٤٦،١٤٧)

وهذا علي بن أبي طالب لما اعتقد فيه النفع والضر أناس فى زمانه حرقهم الله مع عبادتهم،فكذلك الذين يدعون شمسان وأمثاله وأجناسه لا شك فى كفرهم .

(القسم الخامس والرسائل الشخصية ص ١٤٨)

## لمــاذا ألصقــت بــه التهــم :

هذه الاقتباسات تدل دلالة واضحة على أن دعوة الشيخ كانت دعوة للعودة إلى الكتاب والسنة وأنه كان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولم يأت بمذهب جديد فى الفقه من عند نفسه. وأنه لما رأى أن كلا من أتباع أبي حنيفة، والشافعي، وغيرهما نبذوا السنة وراء ظهورهم وانتشرت البدع انتشارا مطبقا دعا الحنفيين إلى التمسك بالكتاب والسنة ورفض البدع،وكذلك دعا الشوافع إلى العمل بهما،فإن الأئمة الأربعة كانـوا يبغضون تلك البدع وحذروا أتباعهم من مساوئها، لكن البدع إذا توارثتها الأجيال كابرا عن كابر التبس عليهم أمر الدين، فلما جاءهم الحق ما عرفوه، لأنه كان خلافا لعاداتهم، والنهي عن الأفعال التي يقوم بها الناس اليوم عند القبور، ثبت عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة لكن الناس فعلوا بقبور هؤلاء كل ما نهوا عنه. ولما نهاهم الشيخ (رحـ)

عن ذلك وشدد نكيره على ذلك،وبين بالدليل القاطع أن كل هذه الأفعال من محدثات الأمور يجب على المسلمين رفضها، ولكن لما لم يمتنع الناس عن هذه البدع بالدلائل والبراهين وفشلت جميع وسائل الإفهام والتفهيم، قام بتغيير هذه المنكرات بيده وجاهدهم بسيفه، وكان الشيخ يعتقد أنه من يدعى الايمان والإسلام ولا تخلو حياته من رواسب الجاهلية الشركية، فهو حقيق بأن توجه إليه الدعوة،فإن عاد إلى الإسلام المبني على التوحيد الخالص فله ذلك، ويعد من المؤمنين، وإلا فيجب قتاله حتى يخضع لأوامر الله تعالى .

وكان الشيخ (رحـ) يرى لتخليص المجتمع الإسلامى من رواسب الشرك أن يأخذ بناصية الحكم بيده حتى ينجح فى القيام بتغيير المنكر بيده. وقد تسنى له أن استجاب لدعوته آل سعود الذين كانوا يمتلكون مقاليد الحكم فى إمارة «الدرعية»،وبذلوا جهودهم لتنشيط حركته الإصلاحية ـ ثم قدر الله تعالى أن اتسعت دائرة إمارة الدرعية حتى أصبح الحرمان الشريفان تحت سيطرته. فهدم الشيخ بيده الضرائح والقباب على القبور التى كان الناس يأتونها للتبرك وقضاء الحاجات وما سوى ذلك،وهدم جميع المواطن التي كانت سببا لممارسة المسلمين الأعمال الشركية، واتخذ اجراءات مماثلة أخرى ونفذها بالقوة، فاستعرت نار الأحقاد والضغائن ضد الشيخ فى الأوساط التي كانت غير متفقة مع آرائه، فأصدروا فتاوى ضده وشتموه وسبوه وبهتوه ببهتان كان الشيخ بريئا منه، ونشروا عنه شائعات وأكاذيب ودعايات مضللة .

افتــــراء سليمان بن سحيم
( إنكار التقليد وإبطال كتب المذاهب الأربعة ) :

إن أول من افترى على شيخ الإسلام هو سليمان بن سحيم، فإنه افترى حينما كان الشيخ على قيد حياته، فلما بلغت الشيخ تلك الإفتراءات كتب ردا عليها :

« ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه

قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم فى جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي - فمنها قوله: «أني مبطل كتب المذاهب الأربعة، أو أني أقول إن الناس من ست مائة سنة ليسوا على شيء، وأني أدعى الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد،وأني أقول أن اختلاف العلماء نقمة، وأني أكفر من توسل بالصالحين، وأني أكفر البوصيرى لقوله يا أكرم الخلق، وأني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وأني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم،وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وأنى أكفر من حلف بغير الله، وأني أكفر ابن الفارض، وابن عربي، وأنى أحرق دلائل الخيرات ورياض الصالحين وأسميه روض الشياطين ، جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم .

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ١١- ١٢)

إن هذا افتراء محض لا مساس له من الحقيقة أصلا. فإن الشيخ النجدى كان يقلد الأئمة الأربعة فيما عليه الاعتماد من أقوالهم، فإن تقليده لم يكن تقليدا أعمى بل تقليد متتبع بصير، فإذا وجد قول أحد من الأئمة موافقا للكتاب والسنة أخذ به وإلا رماه بالجدار، كما يذكر الشيخ فى رسائله ردا على هذا الافتراء .

وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله.

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ٩٦)

ويقول فى موضع آخر:

أما المتأخرون أهمهم الله فكتبهم عندنا نعمل بما وافق النص منها وما لا يوافق لا نعمل به .

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ١٠١)

والأصل فى مثل هذا الافتراء أن الاجتهاد إذا سد بابه تعود الناس على تقليد المذاهب الأربعة وآثارها الفقهية توارثها الأجيال كابرا عن كابر - فهذا جعلهم يعتقدون أن الخروج عن هذه المذاهب في مسألة ما هو الخروج عن شريعة الله ودينه، فاستغل المنتهزون هذا الجهل بالدين استغلالا بشعا، حيث أن كل من عافوه من رجال الدين وخافوا على أنفسهم ومراكزهم وامتيازاتهم من حركته الإصلاحية بسبب ازدياد نفوذها وعلوشأنها بين الناس، ضربوه بإنكار التقليد،وذلك لتنفير الناس منه، وتاريخ الدعوة الإسلامية فى منتصف القرن الرابع عشر أكبر شاهد على ذلك، فكل من قام بدعوة إصلاحية ذات شأن وصادف قبولا لائقا رمى بإنكار التقليد أولا وقبل كل شئ ثم بعد ذلك إذا صار الجو ملائما رمى بما سواها من المفتريات. وهذا ما وقع بالحركة الإسلامية المعاصرة، فإن الاستاذ المودودى رحمه الله رمى بإنكار التقليد أولا فقط، ثم بعد ذلك قال المعاندون إنه يبطل كتب الأئمة الأربعة ويحط من قدرهم - ثم بعد ذلك رموه بالفسق والزيغ والضلال والكفر، لذا أرى من الضرورى أن أتحدث عن مسألة التقليد ورأى العلماء الإسلاميين فيه حتى يتضح ما إن كانت آراء الشيخ النجدى والشيخ المودودى توافق آراءهم أو تخالفها.

(عرف الفقهاء التقليد بأنه العمل بقول من لا يعرف دليله) المنهاج ١٢ص ٢٢٠)

وقد اتفق الفقهاء على أن هذا النوع من التقليد لا يجوز أن يمارسه مجتهد لمجتهد آخر، فإن الواجب على المجتهد أن يعمل بما يأتي به اجتهاده. وقد صرح بذلك المختصون من علماء الأصول فى مؤلفاتهم.

لكن ماذا تكون فرعية التقليد إذا لم يكن الرجل مجتهدا ويكون عالما بالكتاب والسنة.وفوق ذلك يحمل نظرا بعيدا فى الأحاديث والسنن ويستأهل تحقيق المسائل الفرعية وأحكامها فى المذاهب الفقهية المختلفة ويستأهل موازنتها وترجيح بعضها على آخرها. أيلزم له أن يقلد مذهبا معينا بحيث لا يصح له الخروج عنه ؟ فى أى المسائل ؟ أو يصح له أن يستعرض علميا جميع الفروع الفقهية ويبحث عن دلائلها فما رآها موافقا بالكتاب والسنة عمل بها .

وعلى سبيل الافتراض إن أوجب على نفسه تقليد مذهب معين، فهل يصح له الانتقال منه إلى الآخر أم لا ؟.

ثم إنه إذا لم يكن الرجل عالما بالكتاب والسنة ويكون من عامة الناس فهل يصح له الانتقال من مذهب فقهى إلى مذهب فقهى آخر أم لا ؟.

هذه هى بضعة أمور تتعلق بمسألة التقليد، ونرى من المناسب أن نشرحها فى ضوء أقوال العلماء والمشايخ المقلدين. ثم نتحدث عن مسلك الشيخ النجدى رحمه الله فى مسألة التقليد حتى يتضح أن مسلكه صحيح، موافق لمسلك العلماء الراسخين فى العلم أم لا ؟

## بناء الخلاف ـ تقليد المفضول :

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن تقليد المفضول ليس بممنوع ـ فالانتقال من مذهب لآخر إذا كان مبناه الاجتهاد يصح، وقد رجحه المحققون من العلماء، وقد نقل إجماع الأحناف والشوافع والمالكية وأكثر الحنابلة على ذلك. فقد نقل العلامة الشامى رحمه الله تصريحات العلماء في ذلك فقال:

« اعلم أنه ذكر فى التحرير وشرحه أيضا أنه يجوز تقليد المفضول مع وجود الأفضل وبه قالت الحنفية والمالكية وأكثر الحنابلة والشافعية (شامى ج ١ ص ٣٦) ثم ذكر أنه لو التزم مذهبا معينا كأبى حنيفة والشافعى فقيل يلزم وقيل لا وهو الأصح».
(شامى ج ١ ص٤٥)

وقد اتضح من تصريحات العلماء المحققين وأقوالهم المذكورة أعلاه أن تقليد المفضول مع وجود الأفضل جائز، وكذلك اتضح منه أن الانتقال من مذهب إلى آخر ليس بإثم. وإن كان أحد قد إلتزم تقليد مذهب معين يصح له أيضا أن ينتقل منه إلى آخر .

ولكن العلماء قد اشترطوا للانتقال أمورامنها أن لا يكون الانتقال من مذهب إتباعا

لأهواء النفس ولا يكون مقصوده الحصول على فائدة دنيوية، والشرط الثانـى أن لا يكون مقصوده من الانتقال التلاعب بالمذاهب ولا الاستخفاف بأئمة الدين.

والشرط الثالث : أن لا يكون التلفيق فى الانتقال. وفى جنب ذلك يجب أن يكون الانتقال منبعثا من الاجتهاد الفكرى ومبنيا على دلائل علمية وأفكار صحيحة. فكل انتقال يستوعب تلك الشروط المذكورة أعلاه يصح وما لا فلا.

وقد كتب العلامة ابن عابدين الشامى نقلا عن التاترخانية فتوى أصدرها العلامة أبوبكر جورجانى حول مسألة الانتقال نصها:

« فى التاترخانية حكى أن رجلا من أصحاب أبى حنيفـة خطـب إلى رجـل من أصحاب الحديث ابنته فى عهد أبى بكر الجورجانى، فأبى أن يجيبه إلا أن يترك مذهبه فيقرأ خلف الإمام ويرفع يديه عند الانحطاط ونحو ذلك فأجابه فزوجه، فقال الشيخ بعد ما سئل عن هذه وأطرق رأسه، النكاح جائز ولكن أخاف عليه أن يذهب إيمانه وقت النزع لأنه ترك المذهب الذى هو حق عنده واستخف به لأجل جيفة منتنة. ولو أن رجلا برئ من مذهبه باجتهاد وضح له كان محمودا مأجورا. أما انتقال غيره من غير دليل بل لما يرغب من عرض الدنيا وشهوتها فهو المذموم الآثم المستوجب للتـأديب والتعـزير لارتكابه المنكر فى الدين واستخفافه بدينه ومذهبه.»

(رد المختار ج ٣ ص ٢٦٣)

وقد نقل العلامة ابن عابدين الشامى رأى العلامة شرنبلالى حول الانتقال من مذهب إلى آخر وهو يحتوى على شرح المسألة وأكثر جوانبها، لذا ننقله بلفظه حتى تتضح حقيقة التقليد والانتقال فى المذاهب .

قال العلامة الشرنبلالى بعد ذكر فروع من المذهب صريحة بالجواز ـ فتحصل مما ذكرناه أنه ليس على الإنسان التزام مذهب معين وأنه يجوز له العمل بما يخالف مذهبه

مقلدا فيه غيره مستجمعا شروطه،ويعمل بأمرين متضاربين فى حادثتين لا تعلق لواحدة منهما بالأخرى،وليس له إبطال عين ما فعله بتقليد إمام آخر ـ وقال أيضا إن له التقليد بعد العمل،كما إذا صلى ظانا صحتها فى مذهبه ثم تبين بطلانها فى مذهبه وصحتها فى مذهب غيره فله تقليده، ويجتزأ بتلك الصلاة على ما قال فى البزازية، أنه روى عن أبى يوسف أنه صلى الجمعة مغتسلا من الحمام ثم أخبر بفارة ميتة فى بئر الحمام، فقال إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا .

( شامى ج ١ ص ٧٠ )

وتتفرع من هذه العبارة ثلاثة أمور :

أحدهما: أنه لا يجب على الإنسان تقليد مذهب فقهى معين بحيث لا يجوز له اتباع مذهب آخر فى أي مسألة فرعية. بل يجب عليه أن يعمل بمذهب أى مجتهد من الأئمة الأربعة.

ثانيا: أنه يجوز الانتقال جزئيا فى بعض المسائل كما يجوز كليا بشرط استيفاء الشروط.

ثالثا: أن الانتقال يجوز للعالم والجاهل على السواء، كما يدل على ذلك قول الإمام أبى يوسف : « إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة ».

هذه التصريحات لعلماء الفقه تدل دلالة واضحة على أن تقليد مذهب معين ليس بواجب. وكذلك ليس من الضرورى إذا التزم الرجل تقليد مذهب معين أن لا يخرج من مذهبه فى بعض الجزئيات ويتبع فيها مذهبا آخر.

## مذهب الشوافع والمالكية فى انتقال المذاهب:

قد اختلف العلماء فى آراء الأئمة حول المسائل المختلف فيها، هل رأى كل أحد من المجتهدين صائب أو إنما الرأى الصائب رأى واحد منهم فحسب .

فقد ذهب الإمام الشعرانى وكثير من المحققين العلماء إلى أن كل مجتهد مصيب، وليس رأى أحد منهم مبنيا على الخطأ ـ وتأييدا لقوله هذا قد استدل الإمام بأدلة عديدة.

والانتقال فى المذاهب من جملة تلك الأدلة: يقول الإمام الشعرانى تأييدا لقوله:

« ومما يؤيد هذا الميزان عدم إنكار أكابر العلماء فى كل عصر على من انتقل من مذهب إلى مذهب إلا من حيث يتبادر إلى الأذهان من توهم الطعن فى ذلك الإمام الذى خرج من مذهبه لا غير. بدليل تقريرهم لذلك المنتقل على المذهب المنتقل إليه، إذ المذاهب كلها عندهم طريق إلى الجنة،فكل من سلك طريقا منها أوصلته إلى الجنة ».

( ميزان ص ٣٩ )

ونقل القرافى الإجماع من الصحابة على أن من استفتى أبابكر وعمر وقلدهما فله بعد ذلك أن يستفتى غيرهما من الصحابة ويعمل به من غير نكير. وأجمع العلماء على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حجة، ومن ادعى رفع هذين الإجماعين فعليه الدليل.

( ميزان ص ٣٩ )

وقد نقل الإمام الشعرانى رأى الإمام الزنانى حول الانتقال فى المذاهب قائلا:

«وكان الإمام الزنانى من المالكية يقول : تقليد كل من المذاهب فى النوازل وكذلك يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب ».

( ميزان ص ٣٩ )

وبعد ذلك قد ذكر الإمام الشعرانى أسماء عديد من العلماء انتقلوا من مذهب إلى مذهب آخر ـ منهم من انتقل من المالكية إلى الشافعية إلى الحنفية، ومنهم من انتقل من الشافعية إلى الحنفية واستمر عليه طول حياته مثل الإمام الطحاوى ـ وكل هذه الاجراءات من الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر جرى أمام العلماء ولم ينكره أحد ، ولم يقل أحد للمنتقلين بالرجوع إلى مذهبه السابق الذى كان عليه سابقا. وهذا يدل على أن الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر كان أمرا جائزا وإلا لم يكن موقف العلماء منه السكوت.

وقد اتضح بما سقناه من التفاصيل أنه يصح تقليد أى مذهب من المذاهب الأربعة بدون أى نكير على الآخر، وكذلك يصح الانتقال من مذهب إلى آخر إذا كان ذلك بسبب اجتهاد وضح له ـ فإن تقليد المذاهب الفقهية إنما هو وسيلة لاتباع الدين وأحكام شريعته، وليس هو الدين فى حد ذاته، لذا قال العلماء إن تقليد إمام أو مذهبه فى معنى أن يظنه بريئا من الأخطاء الاجتهادية ويقلده فى كل حال سواء كان اجتهاده موافقا للكتاب والسنة أو مخالفا لهما ليس بجائز فى الشريعة الإسلامية ـ وإنما التقليد يجوز إذا لم يكن مخالفا للأحكام الشرعية المنصوص عليها .

ويجب أن يكون التقليد بنية أن الأحكام الاجتهادية التى يتبعها هى مستنبطة من الكتاب والسنة، وإن بداله أن حكم الشريعة على خلاف ذلك يجب أن يرفضها ويتبع حكم الشريعة. فالعالم الذى أودعه الله ملكات الاجتهاد ووهبه من قوة فى الفكر وعلم فى الشريعة مما يتمكن به من التمييز بين الأفضل والمفضول وبين الخطأ والصواب، يجب عليه أن يختار من أقوال الأئمة ما يجده أقرب إلى الصواب ومؤيدا من الأدلة الشرعية. فليس بمناف للتقليد أن يقلد حنفى فى مسألة أحدا من الأئمة الأربعة غير أبى حنيفة إذا بدا له الصواب فى غيره، كما أفتى بذلك علماء الأحناف فى الهند فى مسألة مفقود الخبر على قول الشافعى. وبعد استحضار هذه الحقيقة فى الذهن اقرأ مذهب الشيخ حيث يقول:

« نحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل».

(القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية ص ٩٦).

أي فرق نجد هنا بين تصريحات العلماء ومذهب الشيخ هذا ؟ أليس من الواضح أن مذهبه فى التقليد هو مذهب جمهور علماء الأمة من الأحناف والشوافع والحنابل والمالكية ؟ ولكنه من أعجب العجاب أن الشيخ رمى بإنكار التقليد بنفس اتباع المذاهب

الأربعة . ويجدر بنا هنا أن نذكر أن الشيخ المودودى فى العصر الحديث قد رمى بتهمة إنكار التقليد بنفس هذا الاتباع. مع أنه صرح بمسلكه فى هذا الخصوص بعبارات واضحة

ليس فى الإسلام تقليد غير تقليد الرسول صلى اله عليه وسلم. وتقليد الرسول صلى الله عليه وسلم إنما ينبنى على أصل أن قوله وفعله لا يكون إلا باذن الله عز وجل، فإن المطاع الآمر الحقيقى هو الله الأحد لا غيره. أما حقيقة تقليد الأئمة فهى أن الأئمة الكرام قاموا بالبحث عن أحكام الله ورسوله،وخاضوا فى معانى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واستخرجوا منها طريقة العبادات والمعاملات التى يجب اتباعها للمسلمين، واستنبطوا من أصول الشريعة أحكاما جزئية، ولهذا ليسوا بالآمرين والناهين والمطاعين والمتبوعين فى حد ذاتهم بل إنهم الذريعة الموثوق بها لحصول علم الشريعة للذين لا يعلمونها. فإنه من لا يحمل النظر البالغ فى العلوم الشرعية ولا يستأهل استنباط الفروع من الأصول لا مفر له إلا أن يتبع طريقة أحد من الأئمة والعلماء الموثوق بهم لديه، فمن يقلد الأئمة من هذه الناحية فلا مجال للاعتراض عليه،ولكن إذا كان أحد يعتقد فيهم بأنهم يأمرون وينهون من عند أنفسهم ويطيع أمرهم كإطاعتهم للآمر الأصلى والناهى الأصلى،أى يعتبر أن الإعراض عن طريقة الأئمة هو الإعراض عن أصل الدين. وإن وجد فى أى مسألة أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على خلاف ما هم عليه، ثم يصر مع ذلك على اتباع إمامه فى تلك المسألة، فهذا من الشرك لا شك فيه .

(رسائل السائل أول ص ١٩٠)

## إنكار التقليد وعدم الاعتراف بخدمات الأئمة الأربعة الدينية وأهميتها :

هذه التهمة أيضا إفتراء لا أساس له من الحقيقة، فإن الشيخ المودودى كان يحب الأئمة الأربعة والسلف الصالحين حبا جما، وكان يعتقد فيهم كل خير مع الاعتراف

بخدماتهم الدينية العظيمة، وكان يقدر الأئمة الأربعة خاصة مع التنويه بشأنهم وذكر محاسنهم، فإنه يكتب عن الإمام أبي حنيفة:

« إن الإمام أبا حنيفة هو أول شخص قام بتدوين علم الشريعة تحت العناوين المختلفة المنفصلة بشكل مبوب لم يقم به أحد قبله ».

(خلاف وملوكيت ص ٢٤١)

« إن الإمام أبا حنيفة هو أول شخص أثبت عقيدة أهل السنة والجماعة فى مواجهة الفرق الدينية من الخوارج والمعتزلة وما إلى ذلك ولأجل ذلك ألف كتابه « الفقه الأكبر ».

(خلافت وملوكيت ٢٣٠)

« إن أكبر صنيعة صنعها الامام أبو حنيفة هو أنه قد ملأ الفراغ الهائل الذى حدث فى نظام الإسلام القانونى بسبب انسداد باب الشورى بعد الخلافة الراشدة،وذلك خلد اسمه وعظمته فى التاريخ الإسلامى ».

(خلافت وملوكيت ٢٤٧)

## افتـــراء ادعـــاء النبوة وإنكار الحديث وشفاعته :

كتب الشيخ دحلان:

« كان فى أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا، كمسيلمة الكذاب، وأسود العنسى، وطليحة الأسدى وأضرابهم، فكان يضمر فى نفسه دعوى النبوة، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوى لأظهرها ».

(خلاصة الكلام ـ ص ٢٣٩)

وكتب أيضا : وكان ينتقص النبى صلى الله عليه وسلم بعبارات مختلفة.

(ص ٢٣٠)

وكتب أيضا : وأن بعض اتباعه كان يقول:

« عصاى هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها فى قتل الحية ونحوها «محمد قد مات» ولم يبق فيه نفع أصلا .

(ص ٢٣٠)

وكذلك كتب: أنه كان يكره الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويتأذى بسماعها.

(ص ٢٣٠)

ومثل هذه الإشاعات الكاذبة عن الشيخ انتشرت فى جميع العالم الإسلامى. لكن الله يعلم أن الشيخ كان منها بريئاه يقول الشيخ فى رسالته إلى ابن صباح :

« وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء ».

( ص ٥٣ )

وكذلك يقول:

« فما ذكره المشركون أنى أنهى عن الصلاة على النبى، أو أنى أقول لو أن لى أمرا هدمت قبة النبى، أو أنى أتكلم فى الصالحين، أو أنهى عن محبتهم، فكل هذا كذب وبهتان افتراه على الشياطين.

( ص ٥٢ )

ويقول فى رسالة أخرى:

« وكذلك قولهم أنى أقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن فى بلده أنه ما يكفيه حتى يجئ عندى، فهذا أيضا من البهتان.»

(ص ٥٨)

وكتب إلى عبدالله بن سحيم :

„ ومن اعتقد أن لأحد طريقا إلى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم أولا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجا من اتباعه،أو قال أنا محتاج اليه فى علم الظاهر دون علم الباطن، أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة،أو قال إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، كفر فى هذا كله»

(الرسائل الشخصية ـ ص ٦٨)

وكتب فى رسالة أخرى :

«الذى ندين به عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بعبادة غيره، ومتابعة الرسول النبى الأمى حبيب الله وصفيه من خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ».

(الرسائل الشخصية ـ القسم الخامس ص ١٠٤)

وكتب فى نفس تلك الرسالة :

وأما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فواجب على أمته متابعته فى الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى :

« قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ». آل عمران ٣١

(ص ١٠٦ ـ الرسائل الشخصية ـ القسم الخامس)

أما الشفاعة فكان شيخ الإسلام يقول:إنها حق ولكن لا تطلب فى دار الدنيا إلا من الله تعالى ،كما قال فى رسالته إلى أهل المغرب :

« فالشفاعة حق ولا تطلب فى دار الدنيا إلا من الله تعالى » كما قال تعالى :

« وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ».

وقـــال:

« وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ».

(يونس آية ١٠٦ ـ الرسائل الشخصية ـ القسم الخامس ص ١١٣)

فإذا كان الرسول صلى الله عليهُ وسلم وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا باذن الله،لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجدا فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط، واشفع..ثم يحد له حدا فيدخلهم الجنة. فكيف بغيره.

(ص ١١٣)

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها،فكل ذلك من حوادث الأمور.

(الرسائل الشخصية ـ القسم الخامس ـ ص ١١٣)

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن مثل هذه الافتراءات قد اختلقها المعاندون من عندأنفسهم، بهتوا الشيخ المودودى بإنكار عصمة الأنبياء بدون أن يشعروا بمسئوليتهم عند الله يوم القيامة ، وأن عقيدة الشيخ المودودى عن الأنبياء كما بينه هو بنفسه هى كمايلى :

«إن مسألة عصمة الأنبياء هى مسألة أساسية وقبلنا وقبلكم قد اهتم بها الله تبارك وتعالى الذى بعثهم باستتباب ثقتهم بين الناس ـ لكن الله تعالى هو بنفسه قد ذكر فى كتابه زلات عديد من الأنبياء أوجبت تنبيههم عليها ومؤاخذتهم بها. إلى جانب ذلك . يوحى الله بنفسه إلى قلوبنا الاطمئنان فى كتابه بأنه لا يترك الأنبياء أن يستمروا فى زلاتهم بل اهتم بإصلاح تلك الزلات على الفور، ولأجل هذا قد بين لكم علماء الأصول فى كتبهم بأن الزلات والخطأ فى الرأى يمكن صدورها من الأنبياء،لكن لا يمكن

استمرارهم فى البقاء عليها لأن الله تعالى قد أخذ على نفسه المسئولية عن إصلاحهم.
(راجع أصول السرخسى جـ ١ ص ٢١٨ جـ ٢ ص ٨٦٥)

وإذا وضعت هذه الحقيقة أمام أعينكم أن تدركوا أن ذكر الزلات لا يضر بثقة الأنبياء، بل هو مما يوضح الفرق بين العبد وربه ولا يترك لأحد أن يصف تلك الشخصيات المختارة الممتازة بصفات الله تبارك وتعالى.
(ترجمان القرآن جـ ٤٦ عدد ٣ رمضان ١٣٧٥ هـ)

وبعد ذلك يقول الشيخ المودودى :
إن الله تبارك وتعالى يراقب الأنبياء دوما ويرعاهم بصفة خاصة.
«وبعد ذلك يبين القرآن أن الله تبارك وتعالى لم يعط الأنبياء الحكمة وفصل الخطاب والبصيرة النافذة والنظر البعيد والرأى الثاقب فحسب،ولكنه يراقبهم دوما ويرعاهم ويحفظهم من الوقوع فى الخطيئات ويقيهم الضلالات، سواء أكانت هذه الخطيئات بأسباب إنسانية أو لوساوس شيطانية أو باقتضاء النفس. حتى أنهم لو أخطأوا فى اجتهادهم بمقتضيات البشرية فالله تعالى يصلحهم على الفور».
(تفهيات أول ص ٢٥٠)

ويقول فى موضع آخر :
« وما ذكره القرآن الكريم من زلات لخاتم الرسل وغيره من الأنبياء ليس الغرض منه التقليل من ثقة الناس بالأنبياء بل الغرض منه هو إيضاح أن الله تعالى لم يتركهم أحراراً لاتباع الأهواء والسير على آرائهم واجتهاداتهم البشرية بل فرض عليهم الالتزام بأوامره والابتعاد عما يخالف مرضاته فى جميع شئون الحياة ».
(تفهيات أول ص ٢٦٣)

ويقول فى موضع آخر :
« وبسبب كون النبى صلى الله عليه وسلم قائم بمنصب الرسالة والنبوة يلزم له أن يكون اجتهاده مطابقا لوحى الله مطابقة كاملة،وأنه إذا لم يفهم إشارات الوحى الخفى

وتجاوز عن مرضاة الله تعالى قيد شعرة فمن الضروري أن يصلحه الله تعالى.

## تكفير المسلمين وقتالهم:

وبهت المعاندون الشيخ وأتباعه بأنهم يكفرون المسلمين بالعموم ويقاتلونهم، وهذه التهمة قد ألصقت بالشيخ فى حياته فكتب ردا عليها :

أما القول: أنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم.

(الرسائل ص ١٠١)

والحق أن الشيخ كان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. والحنابلة قائلون بتكفير تارك الصلاة، وهو مسلك مشهور فى كتب الحنابلة.

أما عباد القبور فالشيخ يقول: إن إتمام الحجة عليهم شرط،وبناء على ذلك كان لا يكفر المسلمين بالعموم.

«ومن جملة هذه الأكاذيب ما ذكره.. أن الشيخ يسفك الدماء وينهب الأموال ويتجرأ على قتل النفوس، وتكفير الأمة المحمدية فى جميع الأقطار وهذا كله كذب».

(محمد بن عبدالوهاب «مصلح» مظلوم تبرئة الشيخين الإمامين ص ٨٢ ـ ٨٣) ولكن بعد قيام الحجة والتبليغ يكفرونهم ويرون وجوب قتالهم.

« فلم يكفر رحمه الله إلا عباد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين وغيرهم ممن أشرك بالله وجعل له أنداداً بعد إقامة الحجة عليهم وبعد أن بدأوه بالقتال ، فحينئذ قاتلهم وسفك دماءهم ونهب أموالهم ومعه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة » .

(محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ص ١٦٤ )

ويقول الشيخ :

فهذا هو الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم، وهو الذى ندعـو

الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة متمثلين لقوله سبحانه وتعالى:

« وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ».

البقرة ١٩٣

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى:

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ».

الحديد ٢٥

هذه عصارة مذهب الشيخ يتبين منها أنه كان لا يفرق بين الشرك فى الأعمال وبين الشرك فى الاعتقاد، ولكنه لا يحكم بتكفير المسلمين إن أتوا بأعمال الشرك إلا بعد إتمام الحجة عليهم وتوجيه الدعوة والتبليغ اليهم.

## هدم قبة النبى صلى الله عليه وسلم

وقد اختلق المختلقون أن الشيخ يريد هدم قبة النبى وقد هدمها سعود بن عبدالعزيز ابن محمد بن سعود ـ وقد ذكر الشيخ هذا الاتهام فى رسائله ورد عليه قائلا: إن هذا مما افتراه عليه سليمان بن سحيم حيث قال عنى:

« انى أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها. جوابى عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم ».

(الرسائل ١٢)

هذه نبذة عن الدعوة الإسلامية التى قام بها الشيخ فى جزيرة العرب، وبذل جهوداً جبارة لتجسيدها، وعانى ما عانى من عداوة المعادين من المسلمين وعملاء الاستعمار

الأوربى، وضحى بكل غال ونفيس فى سبيلها، فكلل الله مساعيه بالنجاح.

فكل من يستعرض هذه الدعوة، والأوضاع والأحوال التى تعرضت لها،يكون على بصيرة من أن الدعوة مهما كانت صحيحة ونافعة لابد لها أن تجد فى طريقها من العراقيل من جهات عديدة، ولكن اذا كان حاملو لوائها مخلصين لله مجاهدين فى سبيله متمسكين بالكتاب والسنة فى سلوكهم ومعاملاتهم وفى نشر الدعوة فلابد أن يكون النجاح حليفهم إن شاء الله.

ومن دواعى السرور أن الدعوة الإسلامية التى قام بها الشيخ فى الجزيرة أصبحت اليوم دعوة عالمية، فالحركات الإسلامية فى الدول الإسلامية وغير الإسلامية فى آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا خير شاهد على ذلك.

ومن هنا يعلم كل من له أدنى إلمام بالدعوات الإسلامية أن الحركات الإسلامية فى العالم اليوم لابد لها أن تتعرض لما تعرضت له دعوة الشيخ فى عصره، ولكن اذا قام الدعاة وحاملو لوائها وثبتوا وصبروا وصابروا وصمدوا صمود الشيخ يكون النجاح حليفهم فى الدنيا والآخرة .

وآخراً نسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه لخدمة الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# تأثر الدعوات الإصلاحيه بدعوة الشيخ
# محمد بن عبد الوهاب

# تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية
# بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور وهبه الزحيلي

أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله

كلية الشريعة - جامعة دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقـدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:ـ

فإن الامم كالأفراد يعتريها أحيانا فترات من الضعف والتخلف وتغمرها غاشية من الغفلة والركود، وتشيع فى أرجائها مظاهر ساذجة من الجاهلية غير عقلية ولا ناضجة وتصرفات رعناء للعامة الذين قد يؤثرون فى تفكيـر الخاصة،فتترك الأمة العمل بالجوهر النقى، وتقعد عن تحقيق الغاية والهدف،وتعنى بالقشور والمظهر الأجوف، حتى يكاد يصبح ذلك المظهر الهش من الدين والدين منه براء، ويعظم نشاط أهله، حتى لكأنهم يمثّلون الدين، وهم عن الدين الحقيقى بعداء.

واذا ماتكلم ناصح، أو تألم مخلص، أو اندفع غيور يدافع عن حرمات الله،سرعان مااتهمه العوام والسطحيون ـ وهم مع الأسف أكثرية ـ بالمروق.. والشذوذ والعمالة لفئة ما، وعدّوا أنفسهم أهل الملة، وسدنة الشريعة وحماة الإسلام.

وعلى هذا النحو مرت بالمسلمين فى فترة ضعف الخلافة العثمانية وما قبلها أزمنة حجب فيها صفاء الإسلام وبساطته ونقاؤه وجوهره وقوته الحقيقية، ونضب فى ديارهم مظهر التقدم الفكرى أو الصناعى، مع أن سبل النهضة الشامل، وصرح التصنيع الآلى الكبير فى العالم قد قطع أشواطا بعيدة، وسجل أروع نتاج وأثمر أخصب عطاء.

ولكن فضل الله على أمة الإسلام كبير، إذ حفظ للمسلمين أصول الشريعة فى

القرآن والسنة الصحيحة، حتى تظل الشريعة حجة على العالم، وحكما فصلا فى التنازع البشرى، فلا تتعكر بانحرافات الناس، وبخاصة العوام، ولا تتأثر بمؤثرات الزمان، حفظا لشعلة الحق أن تنطفىء، ولميزان العدالة أن ينخفض، ولبرج الصلاح أن ينهدم وينهار :«لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»(١).

وفى سبيل الحفاظ على الوحى الإلهى الأخير، يهيىء الحق تبارك وتعالى صوت الإصلاح الداوى بين الحين والآخر، وإن صاحبه بعض الأخطاء، لأن المصلح بشر، لتعهد الله عز وجل بحفظ الذكر المبين، فتثير حركة الإصلاح رعب الجبناء، وتقض مضاجع الأدعياء، وتهز أركان الجهل وكيان الجهلة،وتزلزل مواقع النفعيين : «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها»(٢).

فيشرق وجه الحياة الأنضر من جديد، وترسو سفينة الإيمان فى بر الأمان والاستقرار عند المتعقلين الواعين، وتتضح الرؤية التى عتمتها غياهب الظلام،ويصحو الغافلون، ويتيقظ الراقدون.

ومما لاشك فيه، إنصافا للحقيقة، لا لإرضاء أحد، وعملا بمبدأ القرآن العظيم : «ولاتبخسوا الناس أشياءهم» كان من أجرأ أصوات الحق، وأكبر دعاة الإصلاح، والبناء والجهاد لإعادة تماسك الشخصية الإسلامية وإعادتها لمنهج السلف الصالح : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) لتجديد الحياة الإسلامية، بعد ماشابها فى أوساط العامة من خرافات،وأوهام، وبدع، وانحرافات، فكان ابن عبد الوهاب بحق، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية المنتظر، الذى صحح موازين العقيدة الإسلامية الناصعة، وأبان حقيقة الوحدانية والوحدة والتوحيد الخالص لله عز وجل، وأن العبادة هى التوحيد، وحوّل الشراع رأسا على عقب، للعمل الكامل بالقرآن

---

(١) رواه الحاكم عن عمر، وابن ماجة عن ابى هريرة ، ورواه غيرهما، وهو حديث صحيح متواتر (الجامع الصغير، نظم المتناثر فى الحديث المتواتر للشيخ جعفرالكتانى : ص ٩٣).

(٢) رواه أبو داود والحاكم والبيهقى فى المعرفة عن أبى هريرة، وهو حديث صحيح.

والسنة ونبذ مظاهر الترف والبدع، وتحطيم ماعلق بالحياة الإسلامية من أوهام، والعودة الى الحياة الإسلامية الأولى المبسطة التى لاتعرف غير الجهاد الدائم منهجا، وقصد مرضاة الله مسلكا، والتزام أخلاق الإسلام قانونا ومظهرا،وبروز دور العقل والفكر، والجد والعلم والاجتهاد فيما لانص فيه أو مافيه نص ظنى، بغية تقدم الأمة، وتصحيح مسار حياة العامة التائه أحيانا، لأن دين الإسلام لايعرف الخرافة والجهل والضلالة، فكانت أعمال ابن عبد الوهاب وثبة جبارة، وقفزة رائعة لتصحيح خطأ الناس فى العقيدة والعبادة، فى وسط شوهت فيه مبادىء الإسلام ومناهجه.

## وخطة البحث هى كما يأتى:

### المطلب الأول:

من أين استمد ابن عبد الوهاب مبادئه، أو كيف تم تكوينه الشخصي، وكيف كان طريق الوثبة الإصلاحية عنده؟

### المطلب الثاني:

أصالة المبادىء التى دعا اليها محمد بن عبد الوهاب وإسلاميتها.

### المطلب الثالث:

آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامى أو انعكاساتها الصريحة المباشرة وغير المباشرة.

## المطلب الأول

## من أين استمد ابن عبد الوهاب مبادئه، أو كيف تم تكوينه الشخصي، وكيف كان طريق الوثبة الإصلاحية عنده؟

الإمام احمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) هو المثل أو الرائد الأول للشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ/١٧٠٣ ـ ١٧٩١م)، فقد كان حنبلى المذهب، متأثرا بابن حنبل إمام الحديث فى عصره، وفى عنايته بالسنة النبوية واتباعها، واستنباط الفقه العملي منها، وتوفيقه البارع بين النصوص الشرعية وبين مراعاة المصالح الزمنية، وسد الذرائع المتخذة سبيلا للحرام، وفى جهاده وصبره على البلاء، وتحمله لسع السياط فى محنة خلق القرآن[٣] فى عهد المعتصم، وفى غير ذلك من الآراء فى العقائد، كالحكم بعدم تكفير مرتكب الكبائر من أهل التوحيد، وأن الايمان قول وعمل، يزيد وينقص والايمان المطلق بالقضاء والقدر، خيره وشره، والاعتقاد بصفات الله تعالى كما وردت دون تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا كيف.

والتصديق برؤية الله تعالى يوم القيامة، معتمدا كباقى الفقهاء والمحدثين على الكتاب والسنة، لا العقل المجرد[٤].

وقد تعلم ابن عبد الوهاب دروسه الأولى على فقهاء الحنابلة، فى مسقط رأسه ببلدة «العيينة» ثم تابع تحصيله العلمى فى المدينة والحجاز والبصرة .

(٣) يقرر ابن تيمية : أن مذهب احمد هو أن القرآن غير مخلوق، ولا يقول : انه قديم، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم، وأنزل على النبى صلى الله عليه وسلم كلامه بالروح الأمين : جبريل (ابن حنبل لاستاذنا الجليل المرحوم محمد أبو زهرة : ص ١٤٠)

(٤) ابن حنبل للشيخ ابو زهرة: ص ١٤٤ .

وظهر بدعوته الجديدة، بعد أن اكتسب من سياحاته عقلا جديدا، ونظرا ثاقبا.[٥]

وكان المعلم الثانى الذى أثر فى تكوين شخصية ابن عبد الوهاب هو الفقيه السورى الجرىء الذى أحسن التعبير عن آراء الحنابلة، وهو تقى الدين احمد بن تيمية(٦٦١ ـ ٧٢٨) وتلميذه ابن قيم الجوزيه (٦٩١ ـ ٧٥١هـ)فقد درس هذا المصلح كتب ابن تيمية فى الاعتقاد والفقه، وأمعن فى فهمها وآمن بما جاءت به، لاعتقاده أنها تمثل السنة النبوية، وأن مذهبه فى العقائد هو مذهب جمهور المسلمين، فهو يمنع التقرب بالموتى ولو كانوا من أهل الصلاح والتقوى فى حياتهم، وكان مذهبه فى الفقه اتباع كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقامت نواة الدولة السعودية الصغيرة التى تأسست بالتعاون بين ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود فى الدرعية،وفيها التحقيق العملى لآراء ابن تيمية فيما يتعلق بزيارة الأضرحة، وقبور الصالحين، بل قبر النبى صلى الله عليه وسلم، ومحاربة البدع بكل قوة، وإحياء السنة بالأعمال حتى عادوا بالإسلام «المطهر» الى سيرته الأولى لدى السلف الصالح الأبرار، دون بدع ولا خرافات، لأن البدع تمزق وحدة المسلمين وجماعتهم، وتذهب بجمال دينهم[٦].

وما زالت المملكة السعودية منذ إعادة تكوينها عام ١٩٢٥م تطبق شريعة الإسلام، وتنفذ بالفعل آراء ابن عبد الوهاب فى قمع البدع، وعدم الغلو بالصالحين والتبرك بآثارهم،

(٥) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث للاستاذ احمد امين : ص ١٠، دائرة المعارف لفريد وجدى : ٨٦٩/١٠ ومابعدها، الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٠٢ ومابعدها.

(٦) ابن حنبل لابى زهرة : ص ٤٠١، وابن تيمية لابى زهرة ايضا : ص ٥٣٠، العقيدة والشريعة لجولد تسيهر : ص ٢٦٧، تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان : ١٩/٤، الكلام والفلسفة للدكتور عادل العوا : ص ٤٩، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى : ١٦٣ ومابعدها، زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : ص ١٣، دائرة المعارف لفريد وجدى : ٨٦٩/١٠، وجهة العالم الاسلامى للاستاذ مالك بن نبى: ٤٩.

ولكنها أخذت بأساليب ووسائل المدنية الحديثة النافعة، مما يدل على حيوية هذه الدعوة وأصالتها وانطوائها على عناصر الحياة المتجددة ومقومات النمو والازدهار والتقدم.

وجهر ابن عبد الوهاب بدعوته سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، فكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة فى العالم الإسلامى كله[٧]، وقد وجه اهتمامه لمسألة التوحيد التى هى عماد الإسلام والتى دخلها الفساد لدى كثير من الناس، فالتوحيد أساسه ألا يعبد إلا الله وحده بجميع أنواع العبادة،وهذا هو معنى لاإله إلا الله.

فمعنى «لاإله إلا الله»: أنه ليس فى الوجود ذو سلطة حقيقية تسير العالم وفقا لقوانينه التى وضعها إلا هو، ولا يستحق العبادة والتعظيم إلا هو.[٨]

وكان توفيقا إلهيا عجيبا لابن عبد الوهاب، ذلك التلازم بين الدعوة الجديدة وقيام الدولة السعودية، فقد ناصره وحماه وتبنى آراءه أمير الدرعية، محمد بن سعود سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٤م الذى استطاع إخضاع أكثر إمارات نجد لسلطته، وأتم ابنه عبد العزيز والد سعود وفيصل توحيدها، وإقامة الدولة السعودية فى نجد والحجاز فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر.[٩]

وقد تم التعاهد بين ابن عبد الوهاب وابن سعود على النصرة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بصيغة كانت تستعمل بين عرب الجاهلية«الدم بالدم،.. والهدم بالهدم» أى دمى دمك، وهدمى هدمك».

وكان من أهم مقومات نجاح ابن عبد الوهاب : أنه كان قوى التأثير فى أصحابه

(٧) الاعلام للزركلى : ١٣٧/٧، الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٠٣
(٨) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث لاحمد أمين : ص ١٠ ومابعدها.
(٩) نظام الاسلام للدكتور وهبه الزحيلى : ص ٤٩١، الاسلام فى القرن العشرين : ص ١٠٥.

جذاب الحديث، قادرا على إلهاب نار الحماسة فى قلوب أعوانه، وعلى استثمار محبتهم العارمة للحرب فى سبيل قضيته.[١٠]

وقد أضاف لمبادىء وأفكار ابن تيمية مجهودا خاصا، تجلى فى تأكيده الحرب ضد البدع.

وقد دعمه الزعيم محمد بن سعود، فقام بمغامرات حربية لإقامة السنة الصحيحة[١١] وإعادتها، ولحرص ابن عبد الوهاب الشديد على مبدأ التوحيد، وتطهير المجتمع الإسلامى من شائبة الشرك والبدع، سمى هو وأتباعه ب «الموحدين».. أو «أهل التوحيد» «إخوان من أطاع الله» أو «أهل الفرقة الناجية».. وسماهم خصومهم بالوهابيين نسبة اليه، وشاعت التسمية الأخيرة بين الناس،...وبخاصة الأوربيين، وأخطأ بعضهم فجعل هذه الحركة الإصلاحية«مذهبا» جديدا فى الإسلام، تبعا لما افتراه خصومهم، ولاسيما الترك العثمانيون[١٢] بل وأطلق عليهم اسم «الخوارج»،ومنهم من جعلهم كالروافض والبابية[١٣].

ولقد حوصرت هذه الحركة حصارا شديدا، واستخدمت الدولة العثمانية والي مصر محمد على باشا الكبير، أداة للقضاء على الوهابيين، فحاربهم بجيش قوى من الفرسان بقيادة ابنه «طوسون» فكانت الحرب بينهم سجالا، ثم انتصر عليهم، وفتح المدينة فى تشرين الثانى سنة ١٨١٢م، وبعد شهرين فى كانون الثانى من العام التالى سلم الشريف غالب مكة الى المصريين، وفى الصيف استطاع هؤلاء أن يحتلوا الطائف أيضا[١٤].

(١٠) تاريخ الشعوب الاسلامية، بروكلمان : ٢٠/٤

(١١) العقيدة، والشريعة، جولد تسيهر : ص ٢٦٧

(١٢) الأعلام للزركلى : ١٣٧/٧، زعماء الاصلاح : ص ١٠

(١٣) جولد تسيهر، المرجع السابق : ص ٢٦٩، دائرة معارف وجدى : ٨٧٢/١٠ والبابية:أتباع سيد على محمد المولود فى بوشير فى ايران سنة ١٨٢١، ادعى اولا نزول الوحى الالهى عليه، وأنه المهدى المنتظر الذى بشر النبى بظهوره ثم دعا نفسه بأنه «المرآة» التى بها يشاهد الله نفسه (بروكلمان : ١٦٠/٤ ومابعدها)

(١٤) بروكلمان : ٢٢/٤ وما بعدها،دائرة معارف وجدى : ٨٧٠/١٠ وجهة العالم الاسلامى : ص ٤٩.الجبرتى فى مقال جلال الكشك فى مجلة الحوادث عدد ١١٧٤

وتجددت الحرب فى آب سنة ١٨١٦م؛ فأرسل محمد على ابنه بالتبنى ابراهيم باشا الكبير، فسار من القاهرة، وحاصر الدرعية فى نيسان سنة ١٨١٨م واشتد الحصار، حتى اضطر فى ٩ أيلول سنة ١٨١٨م الأمير عبد الله بن سعود الى الاستسلام.(١٥).

ويلاحظ أن هذه الحروب التى شنت على جماعة هذا المصلح والأوصاف التى أطلقت عليهم، كانت ذات هدف سياسى لا دينى، ومن أجل مصالح اقتصادية ولتحقيق نفوذ وسيطرة العثمانيين، ودفاعا عن مصالح شريف مكة ـ الشريف غالب، وليس عن الإسلام أو المسلمين، ولا غيرة على الدين، ولا نصرة للحرمين، والسبب ان كراسة ابن عبدالوهاب كانت أول منشور مكتوب على نطاق العالم العربى لشرح أهداف ومبادىء حركة ثورية ضد السلطة العثمانية(١٦) .

لذا لم تلق الدعوة الوهابية نجاحا كبيرا خارج جزيرة العرب، لقيام ألوان متعددة من الدعايات المغرضة ضدها، ولتعلق المسلمين بالخلافة الإسلامية رمز الوحدة الإسلامية.

وقد أدت هذه الدعاية فى أوساط المسلمين الى استنكار وصف «الوهابية» و«الوهابى» حتى بين المشتغلين بالعلوم الشرعية، ومحاولة التبرؤ من ذلك إخلاصا للإسلام!!

وذلك لاريب تمزيق للوحدة الواجبة بين المسلمين، وتحطيم لمبدأ التعاون المفروض عليهم، ولون من ألوان الجهل والسطحية والتسرع فى إصدار الأحكام، فما أسرع مبتدئة العلوم الشرعية مثلا بوصف كاتب أو متحدث بأنه ملحد زنديق!!

كما أن من هدف الغربيين تفرقة المسلمين من ناحية العقيدة،

(١٥) بروكلمان : ٢٦/٤٠، الجبرتى فى مقال جلال الكشك فى مجلة الحوادث عدد ١١٧٦
(١٦) الجبرتى فى مجلة الحوادث عدد ١١٧٤ : ص ٦٨، ٧١.

## المطلب الثانى

## أصالة المبادىء التى دعا اليها محمد بن عبد الوهاب وإسلاميتها

إن كل منصف مخلص، متجرد واع لمبادىء الإسلام وأحكامه، لايجد فيا دعا اليه المصلح محمد بن عبد الوهاب الداعية الكبير أى انحراف أو مجافاة أو مصادمة لما جاء به الإسلام، وانما دعوته تمثل مبادىء الشرع الأصلية، وهى إسلامية روحا ودما ونزعة ومظهرا، فهى ليست بدعا فى الإسلام، ومزيتها - على حد تعبير الدكتور عبد الله بن تركى مدير جامعة محمد بن سعود الإسلامية(١٧) لاتتمثل فى شىء جديد فى مبادئها، ومادعت اليه، فإنها لم تأت بجديد، ولا جديد فى الإسلام، فهو أحكام ووحى نزل من عند الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم... ولم يبق بعد وفاته أمام أمته وأتباعه إلا اقتفاء أثره، والاستمساك بالمحجة البيضاء التى ترك الأمة عليها.

ويتضح ذلك فيا تتلخص به آراء ابن عبد الوهاب الأساسية(١٨) :

١ - الرجوع بالإسلام الى ماكان عليه فى الصدر الأول .

٢ - تخليص التوحيد مما شابه من شرك .

٣ - إنكار التوسل الممنوع شرعا بالأولياء والصالحين.

٤ - طرح البدع والخرافات .

---

(١٧) من تقديم لمؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - ملحق المصنفات : ص ١

(١٨) حاضر العالم الاسلامى للدكتور محمود محمد زيادة : ٢٢ ومابعدها، دائرة معارف وجدى : ٨٦٩/١٠ وما بعدها، الاتجاهات الحديثة فى الاسلام.. للمستشرق الانجليزى جيب : ص ٥٧، ٦٣ ومابعدها، ذيل الملل والنحل : ص ٥٧، معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان : ص ٥٣٦ - ٥٤٠ وانظر أيضا بالفرنسية : مقال مرجليوث فى دائرة المعارف الاسلامية : ١١٤٤/٤، النسخة الفرنسية، وكتاب الدكتور هنرى لاووست «محاملة حول أفكار ابن تيمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ص (٣٢ - ٣٣) مقال رابح جمعه فى مجلة الفيصل عدد ١٥ ص ٨٠)

وكان من أبرز معطيات «الوهابية» فى عملين كبيرين :

أولهما : أنها فتحت باب الاجتهاد فى الفروع بعد أن ظل مغلقا منذ سقوط بغداد فى سنة ٦٥٦هـ

وثانيهما : ضرورة القيام بواجب الجهاد، وإحياء هذه الفريضة التى أصابها الوهن، فكانت «الوهابية» ثورة عارمة على الاستبداد والضعف والانحلال الذى آل اليه العالم الإسلامى(١٩).

ولقد أعلن الإمام ابن عبد الوهاب مبادئه فقال(٢٠) :

اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة :

الأول : الشرك فى عبادة الله وحده لاشريك له، والدليل قوله تعالى :

«إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ» (النساء: ٤٨)

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو القباب.

الثانى : من جعل بينه وبين الله وسائط، ويدعوهم ويسألهم الشفاعة ، كفر إجماعا.

الثالث : من لم يكفر المشركين، أوشك فى كفرهم، أو صحح مذهبهم،كفر إجماعا.

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه،فهو كافر.

الخامس : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو عمل به،كفر إجماعا، والدليل قوله تعالى :

«ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ» (محمد: ٩)

(١٩) العالم الاسلامى والاستعمار الثقافى للاستاذ انور الجندى ص :٧٠

(٢٠) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب، القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية : ص ٢١٢ ـ ٢١٤ ـ ٣٨٥

السادس : من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى :

« قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ». (التوبة : ٦٥ ، ٦٦)

السابع : السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى :

« وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » (البقرة : ١٠٢)

الثامن : مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى:

« وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ». (المائدة : ٥١)

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس لايجب عليه اتباعه صلى الله عليه وسلم، وأنه يسعه الخروج من شريعته، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام، فهو كافر .

العاشر : الإعراض عن دين الله، لايتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى :

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ » (السجدة : ٢٢)

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف إلا المكره وكلها من أعظم مايكون خطرا، ومن أكثر مايكون وقوعا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه،وصلى الله على محمد.

ويحسن بإيجاز استعراض آراء الداعية ابن عبد الوهاب، كل رأى أو مبدأ على حدة، لنعلم مدى أصالته، ومطابقته لدعوة الإسلام الأولى :

## ١ - الرجوع بالإسلام إلى ماكان عليه فى الصدر الأول :

يعلم كل مسلم يقينا وبداهة أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم فى القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالخيرية، هم صفوة المسلمين الذين صنعوا - بتأييد الله - تاريخ الإسلام،والتزموا مبادئ الإسلام عقيدة وشريعة، ومنهجا وسلوكا، وعلما وعملا وإعدادا، عملوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو أهل للاقتداء بهم واقتفاء سيرتهم، واتباع تربيتهم. وذلك بنص القرآن الكريم :

« وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » (التوبة: ١٠٠)

وكان من الطريف أن صلب معاهدة المسالمة بين الشريف غالب والأمير السعودى سنة ١٢٢١هـ هو«اتباع ماأمر الله تعالى به فى كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله تعالى، واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وماكان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون، والأئمة المجتهدون، إلى آخر القرن الثالث»[٢١].

وأما اتباع القرآن والسنة : فهو محض هدف الإسلام وغاية تشريع الإله، ومطلب الوحى كله :

« قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (المائدة : ١٥، ١٦)

(٢١) من تاريخ الجبرتى، من مقال جلال الكشك فى مجلة الحوادث عدد ١١٧٤ ص ٦٩.

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ»

(النساء: ٥٩)

«مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ» (النساء : ٨٠)

«وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ»[٢٢] (الحشر : آية ٧)

وفى الحديث الصحيح : «تركت فيكم أمرين، لن تضلوا، ماتمسكتم بهما : كتاب الله، وسنة رسوله»[٢٣] «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[٢٤] «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٢٥]

وهكذا يتبين أن الرجوع الى ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمر ضرورى فى الإسلام، لايكرهه إلا شاذ مارق.

## ٢ ـ تخليص التوحيد مما شابه من شرك :

من المعروف بداهة أن مزية الإسلام الجوهرية : هى كونه دين التوحيد الخالص لله عز وجل من شوائب الشرك والوثنية، وأنه قام لهدم أركان الوثنية، وعبادة الأصنام، وأن العبادة هى التوحيد[٢٦]

«وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ» (النساء : ٣٦)

(٢٢) قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب : ص ٢٦٠.
(٢٣) أخرجه مالك فى الموطأ بلاغا (جامع الأصول : ١/١٨٦)
(٢٤) حديث صحيح رواه النووى فى كتاب الحجة بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو
(٢٥) رواه ابو داود عن العرباض بن سارية (جامع الأصول : ١/١٨٨)
(٢٦) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب، القسم الأول ـ العقيدة والآداب الاسلامية : ص ٩

والتوحيد نوعان :[27] توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية والعبادة، والأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته، وأفعاله وأسمائه :

« هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »

(الحديد : ٣)

« قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ »

(الاخلاص)

والثانى : ماتضمنته سورة

« قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ » (الكافرون : ١)

وقوله تعالى :

« قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

(آل عمران: ٦٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «التوحيد الذى جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده، بأن يشهد أن لاإله إلا الله : لايعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولايوالى إلا له، ولايعادى إلا فيه، ولايعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات[28]

وقد اهتم ابن عبد الوهاب[29] بالدعوة الى التوحيد، ورفض كل مظاهر الشرك والوثنية، وحذر من أنواع الشرك الأربعة: شرك الألوهية، وشرك الربوبية، وشرك العبادة،

(٢٧) المرجع السابق : ص ٨٩ والقسم الخامس ـ الرسائل الشخصية : ص ١٥٠ ومابعدها، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص ١١، الحركة الوهابية للدكتور محمد خليل الهراس : ص ١٤ ومابعدها.

(٢٨) فتح المجيد، المرجع السابق ص ١٢

(٢٩) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب فى العقيدة : ص ١٨، ٦٨، ٩٨، ١٠٠، ٢٨٢، والرسائل الشخصية : ص ٨٨ ـ ٩١، ٩٥ ومابعدها، ١٢٠ ومابعدها.

وشرك الملك، وندد بمن يخلط فيها، فقال : إن شرك العبـادة هو شرك الألـوهية،وشرك الربوبوية : هو شرك الملك، ومن الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

وأورد الآيات والأحاديث الكثيرة التى تندد وتحارب الشرك بمختلف صنوفه،مثل قوله تعالى :

«إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ» (النساء : ٤٨)

« وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ » (سورة ابراهيم ٣٥)

ومثل حديث البخارى عن ابن مسعود : «من مات وهو يدعو من دون الله ندا، دخل النار» وحديث مسلم عن جابر : «من لقى الله لايشرك به شيئا، دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار» وحديث أحمد والطبرانى والبيهقى : «أخوف ماأخاف عليكم : الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال : الرياء»

والخلاصة : أنه لايرضى أى مسلم بديلا عن توحيد الله ورفض كل أنواع الشرك، لأن أساس عقيدة المسلم هو التوحيد، والنطق بالشهادتين.

وكما يطلب التوحيد فى العقيدة، يطلب التوحيد عند ابن عبد الوهاب فى التشريع، فالله وحده هو مشرِّع العقائد، وهو وحده الذى يحلل ويحرم، فليس كلام أحد حجة فى الدين إلا كلام الله وسيد المرسلين، فالله يقول :

«أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ » (الشورى : ٢١)

وكلام الفقهاء فى التحليل والتحريم ليس حجة علينا[٣٠].

### ٣ ـ إنكار التوسل بالأولياء والصالحين :

حدد الحق تبارك وتعالى طريق الوصول اليه بطريقين هما : العمل الصالح، والدعاء المباشر.

---

(٣٠) زعماء الاصلاح لأحمد امين ص ١٢، مؤلفات ابـن عبد الوهاب، ملحق المصنفات ص ٨٢.

أما العمل الصالح : فواضح فى قوله تعالى :

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ» (المائدة : ٣٥)

والمقصود بالوسيلة خلافا لما يشيع عند أهل التوسل [٣١]: هو مايتوصل به الى تحصيل المقصود، وهى القربة، ومعنى الآية : ياأيها الذين اتصفتم بالإيمان خذوا لنفسكم الوقاية من عذاب الله، بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وتقربوا اليه بالطاعات، والعمل بما يرضيه فإن هذا هو الوسيلة اليه : «أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة» وجاهدوا أنفسكم بكفها عن المحرم، والتزامها الصراط المستقيم، وجاهدوا أعداء الإسلام، حتى يكون الدين كله لله، ومن المعلوم أن الجهاد فى سبيل الحق والحرية وخير الأمة والوطن، جهاد فى سبيل الله.

وأما الدعاء المباشر لله بدون وسائط ولا وسائل، خلافا لصنيع البشر عند قضاء حوائجهم لبعضهم، فيتمثل فى آيات كثيرة منها :

«وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ» (غافر: ٦٠)

فالدعاء هو العبادة كما ثبت فى السنة[٣٢] وهو طريق الثواب المكافىء للأعمال.

ومن الآيات المبينة طريق الدعاء بدون وسيلة :

«وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ».

(البقرة: ١٨٦)

«أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ» (النمل: ٦٢)

---

(٣١) التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازى :٦/٤٩، ١٥/٢٨

(٣٢) رواه احمد فى مسنده، وابن ابى شيبة، والبخارى فى الأدب، وأصحاب السنن الأربعة، وابن حبان، والحاكم النعمان بن بشير : ورواه أبو يعلى فى مسنده فى البراء، وأما حديث :
«الدعاء مخ العبادة» عند الترمذى عن أنس فهو ضعيف، وروى الحاكم عن ثوبان :
«الدعاء يرد القضاء وان البر يزيد فى الرزق، وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ» (فاطر: ١٥)

«قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ» (الأعراف: ١٨٨)

«قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا» (الجن : ٢١، ٢٢)

وبناء عليه فسر الإمام ابن عبد الوهاب «الجامع لعبادة الله وحده» فى رسالته السابعة[٣٣] بأنها طاعة الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأبان أنواع العبادة التى لاتصلح إلا لله تعالى، وهى : الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة،وذبح القربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة، والرهبة، وغير ذلك كله لله. فالعبادة : هى إفراد الله وحده بأنواع العبادة قولا وفعلا، كما مثل فيما ذكر.

ومن ذلك : الشفاعة: لاتطلب الا من الله، ولا تكون الا باذنه، ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله، ولا يرضى إلا ماكان خالصا لله وحده صوابا، وهو ماشرعه على لسان رسوله، قال تعالى :

«مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ» (البقرة : ٢٥٥)

«وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ» (سبأ : ٢٣)

فالشفاعة العظمى وهى المقام المحمود لاتكون ـ فى رأى ابن عبد الوهاب ـ إلا لأهل التوحيد والإخلاص بإذن الله.[٣٤]

وقد عرفنا أن ابن عبد الوهاب جعل الأمر الثانى من نواقض الإسلام العشرة :

(٣٣) مؤلفاته، قسم العقيدة والآداب : ص ٣٧٩، وانظر ايضا ص ٣٥ ـ ٤٢، والقسم الخامس ـ الرسائل : ص ٩٠، ١١١ ـ ١١٣.

(٣٤) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب، قسم العقيدة : ص ٤٨، ٥١ ومابعدها، ٢٠١،دائرة معارف فريد وجدى : ٨٧١/١٠

«من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، كفر إجماعا»[35]

كما أنه خصص الباب ١٨ من قسم العقيدة لما «جاء أن سبب كفر بنى آدم، وتركهم دينهم، هو الغلو فى الصالحين» وأن عقيدته ودينه هو مذهب أهل السنة والجماعة الذى عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى يوم القيامة : وهو إخلاص الدين لله، والنهى عن دعوة الأنبياء والأموات من الصالحين، وغيرهم[36].

ومما لخصه من كلام ابن تيمية (بند ١٠١) : من جوز أن يطلب من المخلوق، كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد، فكفره أشد من كفر عباد الأصنام، فإنهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله، كما قال تعالى :

«وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ...» (الإسراء: ٦٧)

وذلك لأنه لايملك النفع والضر غير الله، ولذا أنكر الله تعالى على من يدعو أحدا من دونه، ممن لايملك ضرا ولا نفعا، كقوله تعالى :

« قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ » (المائدة: ٧٦)

« قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا » (الأنعام: ٧١)

« وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ »[37] (يونس: ١٠٦)

والحقيقة أن اتصال العبد بربه لاداعى أصلا فيه للواسطة، فلا إله إلا الله تعنى

(٣٥) الرسالة الثانية والثلاثون فى قسم الرسائل الشخصية : ص ٢١٣ والقسم الأول فى العقيدة ص ٣٨٥

(٣٦) القسم الأول من مؤلفاته فى العقيدة والآداب : ص ٥٦ والقسم الخامس ـ الرسائل : ص ١٥، ١٧٦، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٣١ ومابعدها، ٢٤٢.

(٣٧) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ص ١١٦.

نفى كل الوسائط، فلا ملجأ إلا إلى الله ولا اعتماد فى الدنيا والآخرة الا عليه[٣٨]

## ٤ ـ طرح البدع والخرافات :

وجد المجدد ابن عبد الوهاب مظاهر فى العالم الإسلامى تشيع بين العوام، كلها بدع شاذة، وتخريفات واهية، تغاير تعاليم الإسلام، مثل بناء القباب على القبور وتجصيصها، وكسوتها بالحرير المذهب، ووضع العمائم الخضراء عليها ، وتشييد الأبنية عليها، واتخاذها مساجد، والنذر للأولياء وأصحاب القبور، والطواف حولها أحيانا، أوحول الصخرة المشرفة فى بيت المقدس، والتصوير، والاستغاثة بالصالحين، والاستعانة بهم، والصلاة اليها أحيانا، والتمسح بالقضبان والتبرك بالعمدان أو بالشجر والحجر، وشد الرحال الى قبور بعض الأولياء، وزيارة القبر لدفع الكرب، أو جلب النفع، والمراسلة تارة...والاهتمام بالحجب والرقى (العزائم) والتمائم والسحر[٣٩] للوقاية من المكروه،والاحتفال بالموالد، وبخاصة فى مصر كمولد الحسين والبدوى، ومنكرات المآتم والجنائز، وحفلات التشييع فى الوقت الحاضر، ونفقات أيام الخميس وليالى الجمع والأربعين والذكرى السنوية، وأيام الأعياد، واستئجار قراء القرآن للقراءة على روح الأموات، والتبرك بآثار فلان وفلان، وحلقات الذكر المصحوبة بالطبول والصنجات والسماع والرقص، مما لم يكن فى صدر الاسلام، وبدع الصوفية المتنوعة، ولاسيما التأويلات والخوارق ونحو ذلك[٤٠].

فهال ابن عبد الوهاب تلك البدع، ودعا الى نبذها والتوجه بالعبادة والدعاء الى الله

(٣٨) زعماء الاصلاح ص ١٤، الحركة الوهابية للدكتور محمد خليل هراس ص ١٧ وما بعدها و ٢٣ ومابعدها.

(٣٩) غبر على البادية زمان يتكلون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين، ويدعون السعى من وجوهه، توسلا بأباطيل السحرة والدجالين حتى فى الاستسقاء ودفع الرباء، فكان حقا على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة، وكان من أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان من البدع.. والخرافات (الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٠٩)

(٤٠) مؤلفات ابن عبد الوهاب، القسم الخامس ـ الرسائل : ص ١٥٠، ١٧٦، ومابعدها، ١٨٦، فتاوى ابن عبد الوهاب الملحقة بالقسم الثالث من مختصر سيرة الرسول عليه السلام : ص ١٠١، قسم العقيدة : ص ٣٢، ٥٦، ٦٠ ـ ٦٦، ٦٨، ومابعدها، ١٢٩، ١٣٨، ٢٢٥، ٣٠٢، ملحق المصنفات : ص ٨٦، ٩٠ ـ ٩٧، ١٠٩، العقيدة والشريعة جولد تسيهر : ص ٢٦٨، الاسلام فى القرن العشرين : ص ١٠٧.

وحده، لا الى المشايخ والأولياء والأضرحة، ولا بوساطة التوسل والشفاعة وزيارة القبور للعظة والاعتبار، لا للتوسل والاستشفاع[٤١]، فقرر أنه لايسأل بوجه الله الا الجنة، وأن النذر لله لا للولى، وأنه لابد من إعادة الحياة اليومية الى بساطتها فى عصر السلف وتحريم كل صنوف الترف، وجعل عصر صدر الإسلام نموذجا يحتذى وقاعدة للأخلاق والسلوك.

وأما السجود أمام حى أو قبر، فهو شرك لايرضاه الله، وهو هدم للتوحيد الذى جاء به الإسلام، وإذلال للمخلوقات، لالله تعالى، مما يؤدى الى انهيار عزة الأمة، وفقد سيادتها، وتذللها للحكام والأغنياء، وعدم الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وذلك أشبه بالوثنية الجاهلية :

«مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ» (الزمر: ٣)

« هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ» (يونس: ١٨)

ولا يصلح آخر الإسلام إلا بما صلح به أوله، فلا بد من العودة إلى الحياة الإسلامية الأولى، حيث التوحيد الخالص الصحيح، والعزة الحقة، ولابد من هدم هذه البدع، ولو بالقوة[٤٢].

وفى سبيل ذلك جدد ابن عبدالوهاب عقيدة التوحيد فى البلاد النجدية داعيا إلى الدين الخالص وتصفيتها من شوائب الشرك المتراكمة، واهتم بتصحيح تصور الناس نحو العقيدة، وتثبيت قواعدها، وتجريدها من الشوائب التى أدخلت عليها، حتى ظن أنها من الدين.

---

(٤١) الذى يعتبر شركا على الحقيقة فى الدعوة الوهابية ليس هو بناء القبور على وجه الأرض ولا زيارتها فى انتظام بل هو مايرتكب أثناء الزيارة لهذه القباب من دعاء صاحب القبر والاستغاثة به وطلب الحاجات واستمداد البركات منه ثم وضع النذور فى صندوقه وسوق الذبائح الى ساحته والاهلال عليها باسمه فهذه الأمور ذريعة الى الشرك، وهدم القبور وتسويتها انما هو صيانة لجانب التوحيد لاانتهاك حرمة الموتى. فالوهابيون يعرفون قدر الموتى، لاأطلال القبور (الحركة الوهابية للدكتور هراس : ص ١٧، ١٩، ٤٥)

(٤٢) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : ص ١١، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٠م العقيدة جولد تسيهر : ٢٦٨.

فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بهدم بنيّة (كعبة) لأهل الطائف على اللاّت (صنم)، ونهى عن محاكاة أهل الجاهلية الذين كانوا يتخذون شجرة تسمى «ذات أنواط» يعلقون بها سلاحهم، ويعكفون حولها ويعظمونها،وأمر عمر بقطع شجرة بيعة الرضوان عندما رأى الناس يأتونها ويصلون عندها،وقال عمر لكعب الأحبار الذى خلع نعليه، ولمس برجليه الصخرة عند فتح بيت المقدس:«ضاهيت والله اليهود يا كعب»(٤٣).

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٤٤) وقال ابن عباس: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»(٤٥)، وقال جابر: «نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»(٤٦).

وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يدع قبرا مشرفا إلا سواه (٤٧)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام،ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»(٤٨).

وكان ابن عبدالوهاب يحذر من المغالاة فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم مستشهدا بقول أنس: «إن أناسا قالوا: يا رسول الله ياخيرنا وابن خيرنا، .. وسيدنا وابن سيدنا، فقال: أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل» وبحديث البخارى: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم».

(٤٣) جوامع السيرة لابن حزم : ص ٢٣٨، زعماء الاصلاح : ص ١٦.
(٤٤) رواه الشيخان واحمد وأبو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه (نيل الأوطار : ٤/٩٠)
(٤٥) رواه الخمسة الا ابن ماجة (نيل الأوطار المكان السابق)
(٤٦) رواه احمد ومسلم والنسائى وابو داود والترمذى وصححه (نيل الاوطار : ٤/٨٥)
(٤٧) رواه الجماعة الا البخارى وابن ماجة عن ابى الهياج الاسدى(نيل الأوطار : ٤/٨٣)
(٤٨) رواه احمد والشيخان وابو داود والنسائى وابن ماجة عن ابى هريرة كما روى عن أبى سعيد الخدرى، وعن عبد الله بن عمرو.

ومن المعروف أن المسئولية الفردية أساس عظيم، ومفخرة من مفاخر الإسلام :

«وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ» (النجم : ٣٩ ـ ٤١)

«وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» [٤٩] (فاطر: ١٨)

واذا كان هذا هو الأصل فى كون الأعمال الصالحة هى أعمال شخصية لكل انسان، فإن هناك ايضا استثناءات رحمة من الله بعباده، كالحج بالنيابه عن الغير مغصوبا او ميتا، وكما ذكر ابن عبد الوهاب فى رسالة «أحكام تمنى الموت[٥٠] من الأحاديث النبوية المتضمنة : أنه ينتفع الأموات بما يهدى لهم من صالح الأعمال، وصدقات التطوع، وإهداء ثواب الفاتحة، وقل هو الله أحد،وألهاكم التكاثر، وسورة يس، والدعاء للأبوين والصلاة والصيام عنهما، من ذلك مارواه ابو نعيم من حديث أنس : «سبع يجرى للعبد أجرها بعد موته :من علم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»

ويذكر الجبرتى فى تاريخه أن هدم القباب المبنية على القبور (وهو ماأثار ولايزال حوارا واسعا بين المسلمين) قد تم : «بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية،وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القاطعة التى لاتقبل التأويل من الكتاب والسنة، وإذعانهم لذلك «فأتباع ابن عبد الوهاب لم يهدموا القباب فى المدينة وغيرها بقوة السيف، ولا بسطوة الفتح، ولكن بعد محاورة تستند الى الكتاب والسنة وبعد الاعتماد على الأدلة القاطعية بأن الإسلام قد جاء «لتوحيد الألوهية وإنهاء الشرك».

ويثبت الجبرتى أن «الوهابيين» فى ١٥ رجب سنة ١٢٢٠هـ لم يحدثوا حدثا فى المدينة غير منع المنكرات، وشرب التنباك فى الأسواق، وهدم القباب، ماعدا قبة الرسول صلى

(٤٩) مؤلفات ابن عبد الوهاب، ملحق المصنفات : ص ٥٨

(٥٠) أحكام تمنى الموت : ص ٧٤ ومابعدها، من مؤلفاته، فى المجلد الثانى (الفقه)

الله عليه وسلم، خلافا لما يزعمه بروكلمان من أنهم خربوا القباب الضخمة التى تظلل قبر الرسول عليه السلام، وجردوها من جميع النفائس التى تزينها.(٥١)

ويبين الجبرتى منذ قرن ونصف مصير هذه النفائس، فيقول :
إن الإمام الشهيد عبد الله بن سعود قد سلم النفائس والجواهر لمحمد على باشا، ويؤيد الجبرتى إنفاق المال والموجوهرات المرصودة فى الحجرة النبوية لصالح المسلمين، كما يذكر الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ أن صرف ذلك المال فى أهل المدينة ومصالح الحرم وجهاد الأعداء كان بإفتاء أهل المدينة من أتباع المذاهب الأربعة.

كما يذكر الجبرتى أن الوهابيين لم يمنعوا الحج، بل منعوا البدع التى كانت تصاحب المحمل المصرى ـ الشامى.(٥٢)

وخلاصة القول : ان آراء الإمام محمد بن عبد الوهاب السابقة هى إسلامية المبدأ والهدف، والنزعة والمصير، ولكن لم تسلم هذه الدعوة كأى دعوة إصـلاحية من قادح ومادح، ومن مؤيد ومعارض،ويظل تقويم الأعمال والاتجاهات ومبادىء المصلحين هو للإسلام الباقى الخالد، الممثل فى القرآن والسنة أولا وأخيرا.

وحينئذ تتبدد تخرصات وأقاويل المغرضين، ولاسيما اذا وقفت السلطة فى وجه أى حركة إصلاحية، وشنت عليها حربا دعائية، ومسلحة أحيانا ضدها، كما فعلت السلطة العثمانية، ووالى مصر محمد على وأبناؤه طوسون وابراهيم والشريف غالب فى الحجاز، بالتحريض على ضرب «الوهابيين» دفاعا عن مصالحهم وليس عن الإسلام أو المسلمين، كما بينا.

---

(٥١) انظر مقال جلال الكشك فى مجلة الحوادث، عدد ١١٧٤، ص٦٩ شهر أيار (مايو) ١٩٧٩، تاريخ الشعوب الاسلامية، بروكلمان : ٢٢/٤
(٥٢) مقال الكشك، السابق : ٦٩ ـ ٧١.

## المطلب الثالث

## آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى العالم الإسلامى:

كان لمبادىء ابن عبد الوهاب أثر عظيم، تجلى فى الظواهر المشابهة التى ظهرت فى جهات نائية فى العالم الإسلامى، لافى الحجاز والجزيرة العربية فحسب، والتى نشأت دون ريب نتيجة لأثر هذه الحركة الجديدة، كما يقول جولد تسيهر(٥٣).

أو أن تأثيرها كان يتنوع مع الأوساط والذى كان ينتهى أحيانا مع حركات مماثلة أو موازية، كما يقول لاووست(٥٤)، أو أن التقارب فى ظهور دعوات مختلفة فى البلاد الاسلامية دليل على أن الدعوة الوهابية كانت إرهاصا لمعظم هذه الدعوات التى جاءت بعدها، أو فى القليل عملت على ظهورها(٥٥).

وبه يبدو أن تأثير ابن عبد الوهاب إما مباشر كالذين درسوا دعوته، واطلعوا من طريقين أساسيين هما : التجارة والحج الى بيت الله الحرام، لأن الارتباط بين الحج والتجارة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان ارتباطا وثيقا فى العالم الإسلامى(٥٦)، وإما غير مباشر بقيام حركات مشابهة أو موازية أو أفكار إصلاحية لبعض القادة أو الرجالات الإسلاميين، بسبب وجود تشابه كبير فى المبادىء يظهر مما سنفصله فى كل بلد، لهذا قد يرى القارىء بعض التأثير، لكن يظل التشابه فى المبدأ مرجحا وجود التأثر.

(٥٣) العقيدة والشريعة، جولد تسيهر : ص ٢٦٩،زعماء الاصلاح احمد أمين ص ٢١

(٥٤) الفرق فى الاسلام، لاووست بالفرنسية : ص ٣٢٩ ومابعدها

(٥٥) انتشار الدعوة الوهابية فى العالم الاسلامى مقال رابح لطفى جمعه فى مجلة الفيصل عدد ٢٥ ص ٨٢.

(٥٦) المقال السابق : ص ٨٠

وقد تأثر بدعوة ابن عبد الوهاب رجال الإصلاح فى الهند وكثير من مناطق الخليج العربى، وسومطرة، والجزائر، وأفغانستان، ومصر، والشام، والعراق وغيرها، فظهر الآلوسى الكبير فى بغداد، وجمال الدين الأفغانى بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمى بالشام، وخير الدين التونسى بتونس، وصديق حسن خان فى بهوبال، وأمير على فى كلكته، ولمعت أسماء آخرين بهذه الحركة.(٥٧)

وكان موسم الحج كما أشرنا، ميدانا صالحا، وفرصة سانحة لعرض دعوة ابن عبدالوهاب على أكابر الحجاج، واستمالتهم الى قبولها، فإذا عادوا الى بلادهم دعوا اليها.

ويمكن توضيح هذه التأثيرات والانعكاسات فيما يأتى :

## ١ ـ أثرها فى الجزيرة العربية :

ماتزال الى اليوم أرض الوهابية المختارة مثلا بارزا لتعاليم المجدد ابن عبد الوهاب، فى شبه الجزيرة العربية وإمارات الخليج العربى، من ساحل البحرين وعمان حتى حدود مكة وعدن، فما تزال المملكة العربية السعودية تنعم بالأمن والسلام والحرية والرخاء بتطبيق دعوة ابن عبد الوهاب الإصلاحية فى النطاقين الدينى والاجتماعى، وتلتزم جامعات المملكة وكل دور التعليم بمبادىء هذه الدعوة، وما يزال عدد كبير مؤمنا بهذه الدعوة فى اليمن وقطر والبحرين

وقد بلغ مجموع أتباع هذه الدعوة وأنصارها فى شبه الجزيرة العربية عند وفاة الشيخ ابن عبد الوهاب عن عمر يناهز السادسة والتسعين عاما حوالى مليونين ونصف مليون نسمة.(٥٨)

## ٢ ـ أثرها فى الهند

قامت فى الهند حركة قديمة من الحركات الهندية المعادية للاستعمار الانكليزى هى

(٥٧) الاعلام للزركلى : ١٣٧/٧

(٥٨) مقال رابح جمعه السابق فى مجلة الفيصل : ص ٨٠ عدد ١٥، الفرق فى الاسلام لاووست : ص ٣٢٩.

حركة «الفرائضية»(٥٩) التى أسست عام ١٨٠٤م من قبل «شريعة الله» وهو رجل متواضع الأصل، من مدينة «بهادور بور» فى البنغال، وقد أمضى قرابة عشرين عاما فى مكة من سنة ١٧٨٢ ـ ١٨٠٢م فى اللحظة التى بدأت تتكون فيها الدولة الوهابية الأولى، وكانت هذه الحركة تنتمى الى الوهابية بمظهرها المتقشف، وكانت تنطلق مثلها بحرب شعواء ضد البدع والخرافات الشعبية،واستوحت مواقفها الاعتقادية والعسكرية ضد السيطرة الانكليزية الكافرة من الوهابية بالذات.

وقد تابع عمل هذه الحركة الفرائضية ابن شريعة الله عند موته واسمه «دوذوميان» الذى أعطى الحركة طابعها التنظيمى الذى كانت تفتقده،ثم تلاشت الحركة بعد ذلك مع موت «دوذوميان» فى سنة ١٨٦٠م، إلا أن ذكرياتها وتأثيراتها غير المباشرة لاتزال موجودة.

ويمكننا ايضا أن نجد تأثيرا للوهابية فى بعض الحركات السياسية الدينية التى كانت خلال القرن التاسع عشر، تنفجر فى الهند البريطانية، بالرغم من أن هذه الحركات يمكن أن تفسر أيضا ببعث التعاليم العظيمة للإسلام، كرد فعل ضد إلحاق المسلمين المتعاظم بتبعات غير إسلامية محلية أو خارجية، ولكن التأثير الوهابى هنا ايضا يتخذ ـ عندما يمكن أن نعتبره أمرا قائما بشكل مادى ـ صورا متعددة تتصل بالظروف وبالرجال الذين يولد على أيديهم(٦٠).

ومن هذه الحركات حركة أحد زعماء أو أمراء الهند وهو «السيد أحمد» «الذى أدى فريضة الحج سنة ١٨٢٢م(٦١)، واجتمع بأتباع الشيخ ابن عبد الوهاب فى مكة، واقتنع بالدعوة ومبادئها، وأصبح من أنصارها وأعوانها(٦٢)، ولما عاد الى موطنه البنغال، نشر هذه

(٥٩) الفرق فى الاسلام هنرى لاووست بالفرنسية : ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧،دائرة المعارف الاسلامية : ٢/٦١ ـ ٦٣ بالفرنسيـة وانظر ايضا فى دائرة المعارف الاسلامية مادة الفرائضية، أهل الحديث الوهابية صديق حسن خان، وانظر مقال جيميروتير فى المجلة الفرنسية(الشرق) الحركة الاصلاحية الاسلامية فى الهند.

(٦٠) الفرق فى الاسلام، لاووست : ٣٢٩ ـ ٣٣١

(٦١) ويقال سنة ١٨١٦، وعاد الى بلاده فى البنغال سنة ١٨٢٠ ،

(٦٢) تاريخ الشعوب الاسلامية، بروكلمان : ٢٨/٤، زعماء الاصلاح لاحمد أمين : ص ٢١، مقال لرابح جمعه فى مجلة الفيصل عدد ١٥ : ص ٨١.

الدعوة فى بنجاب، ودعا المسلمين الى الإيمان بمبادىء الإسلام الصحيح، وترك البدع والعقائد الهندوكية.

وقد استطاع مع أتباعه بعد جهاد إنشاء شبه دولة إسلامية تطبق مبادىء الوهابية فى ولاية البنجاب بزعامة سيد أحمد، وأخذ سلطانه يمتد حتى هدد شمال الهند،وأقام حربا عوانا (متكررة شديدة) على البدع والخرافات، وهاجم الوعاظ ورجال الدين هناك، وأعلن الجهاد ضد من لم يعتنق مذهبه، ويقبل دعوته، وأن الهند دار حرب، ولقيت الحكومة الانجليزية متاعب كثيرة شاقة من أتباعه، حتى استطاعت إخضاعهم، والقضاء على دولته سنة ١٨٣٠م، ولكن مايزال الكثيرون من سكان البنجاب والبنغال الى اليوم من أتباع الدعوة الوهابية، وإن تفرقوا عدة فرق، أقواها فرقة الفارازى.

والسيد أمير على فى كلكتة مصلح عملى كالسيد أحمد، مع اختلاف المنهاج،فالسيد أحمد يرى أن الإصلاح وسيلته التربية والتعليم فقط من غير تدخل فى نواحى السياسة، بينما يرى السيد أمير على ضرورة علاج شئون المسلمين السياسية فى الهند، وكان أهم مايمتاز به الإخلاص للعقيدة، عقيدته فى دينه، وعقيدته فى قومه، وعقيدته فى وطنه، وله كتابان عظيمان : مختصر تاريخ العرب.. وروح الإسلام، عنى فى الثانى بوصف الدين الإسلامى، وأبان أن تعاليمه تدعو الى التطور والرقى المستمر، ومقدمته من أبدع ماكتب عن الإسلام، وقد أفرغ فيها ـ كما قال ـ قلبه.(٦٣)

وتأثر بالوهابية صديق حسن خان ملك بهوبال، ومؤسس حركة أهل الحديث فى الهند، وقد عاش سنوات طويلة فى الحجاز واليمن، حيث اهتم هناك بأفكار ابن تيمية والشوكانى، وعندما عاد الى الهند عام ١٨٦١م، قويت معه وبسبب دعوته مدرسة أهل الحديث فى أوساط متعددة، وكانوا كثيرا مايتهمون من قبل خصومهم بأنهم يريدون أن يدخلوا فى الهند وهابية الجزيرة العربية.(٦٤)

(٦٣) زعماء الاصلاح لاحمد امين : ص ١٣٩ ومابعدها، كتاب روح الاسلام : ص ١٥٧ ـ ١٨٥.
(٦٤) الفرق فى الاسلام، لاووست : ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ بالفرنسية.

ولصديق خان مؤلفات عديدة فى الفقه والحديث تدل على فكر عميق، ورأى متحرر، مثل إكليل الكرامة فى بيان مقاصد الإمامه، والروضة الندية، فانتشرت بسببه علوم السنة.[٦٥]

وكان من آثار حركة أهل الحديث، العناية بالحديث والتفسير والسيرة تحقيقا ونشرا وفقها واجتهادا، من ذلك إدارة المجلس العلمى بالهند.

ويحاول أهل الحديث فى الهند أن يرجعوا الى المبادىء الأولى للإسلام ويعيدوا الشريعة والعبادات الى ماكانتا عليه فى الأصل من بساطة ونقاء،ومن ثم عنوا بتوكيد التوحيد وانكار «علم الغيب» لأى مخلوق من مخلوقات الله، وقد اقتضى هذا انكار كرامات الأولياء، والمبالغة فى تقديسهم، ولم يدخر أهل الحديث وسعا فى استئصال البدع أو النظم الهندوكية أو غير الإسلامية، وفى كل هذا نجد برنامجهم الإصلاحى يحمل شبها عجيبا ببرنامج الوهابيين فى جزيرة العرب، وطبيعى أن يعمد خصومهم فى كثير من الأحيان الى تسميتهم بالوهابية، وهى تسمية ينكرها أهل الحديث استنادا الى أن آراءهم لم تقتبس من الوهابيين العرب الذين هم أنفسهم من «المقلدين» بمعنى أنهم يتبعون آراء احمد ابن حنبل فى مسائل الفقه[٦٦].

ويمكن أن نلقى أوجه شبه بين الوهابية وبعض أفكار فيلسوف الهند وشاعر الإسلام الثائر محمد إقبال (١٢٨٩هـ/١٨٧٣ ـ ١٩٢٨م) فى إقليم البنجاب بالهند، الذى أقام فكرته الإصلاحية على عنصرين :[٦٧]

---

(٦٥) انظر مقدمة كتاب الروضة الندية .

(٦٦) دائرة المعارف الاسلامية بالفرنسية :٥/١٤٣ ـ ١٤٤..

(٦٧) الفكر الاسلامى الحديث للدكتور محمد البهى : ص ٣٩٩ ومابعدها، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٤، محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره للدكتور عبد الوهاب عزام : ص ١٦٤، الاتجاهات الحديثة فى الاسلام جيب : ص ٨٩ ومابعدها، روائع اقبال لابى الحسن الندوى ص ٨١، نظام الاسلام للدكتور وهبه الزحيلى : ص ٥٢٢ ـ ٥٣٤.

١ ـ تغيير مفهوم عالم الطبيعة أو الواقع، عن طريق رد هذا المفهـوم الى ماعتبـره المسلمون من كون عالم الطبيعة مجالا لحركة الإسلام وسعيه ومعرفته، وبالتالى تنحية ماآل اليه مفهوم من كونه «مخيفا أو شرا».

٢ ـ شرح بعض مبادىء الإسلام، كختم الرسالة والتوحيد والاجتهاد على أنها عوامل تدفع الإنسان الى الحركة والسعي فى هذا العالم الواقعى، وقد ألقى اقبال فى عام ١٩٢٨ فى مدراس وعليكره وحيدر آباد ـ سبع محاضرات حول «إعادة بناء الفكر الدينى فى الإسلام الحديث» ضمنها آراءه فى موضوعات عدة بلغة فلسفية.

٣ ـ أثرها فى سومطرة :

سومطرة إحدى الجزر الاندونيسية التى فيها «جاكرتا» عاصمـة انـدونيسيا،بدأت الدعوة الوهابية فيها سنة ١٨٠٣م على يد أحد حجاج الجزيرة، بعد عودته من الحج، ولم تلبث الدعوة أن تطورت الى معارك حامية بين المسلمين من أتباع الدعوة وأنصارها، وبين غير المسلمين من سكان الجزيرة الأصليين، فرأت ـ الحكومة الهولندية سنة ١٨٢٠م أن تناهض هذه الحركة القوية، واستمرت المعارك والمناوشات بين المستعمرين الهولنديين وبين أتباع الدعوة الوهابية من السومطريين أكثر من ست عشرة سنة(٦٨)

٤ ـ أثرها فى المغرب (مراكش) والجزائر :

اذا لم يكن مطلقا أى انضمام الى الوهابية فى الجزائر وفى تونس، الا أن الوهابية أثرت فى وقت مبكر فى بعض الحركات، فقد وجد سيدى محمد بن عبد الله (١٧٥٧ ـ ١٧٩٠م) فى الحركة الوهابية أسلحة مناسبة لظروفه، ليبدر كفاحه ضد التصوف المكتسح فى هذه المنطقة (المغرب) حتى إنه ذهب الى أبعد من ذلك، وهو الذى كان يدعى أنه مالكى فى الفـروع، وحنبلى فى الأصـول، فعمـل على هدم عدة مؤلفـات فى الـكلام الأشعرى.

(٦٨) مقال الاستاذ رابح لطفى جمعه فى مجلة الفيصل عدد ١٥ : ص ٨٢

وكذلك فإن (مولاى سليمان) (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢م) حاول أثناء كفاحه الذى قام به ضد الزوايا المعادية، وبشكل حيوى أكثر أن يدخل العقائد الوهابية الى مراكش، ومع ذلك فإن المحاولة لم تدم طويلا، فلقد ظهرت الوهابية فى مراكش فى نهاية الأمر على أنها مذهب غير قابل للتوافق الا فى حدود ضئيلة جدا مع النزعتين (الشريفية والمرابطية) اللتين كانتا مستمرتين فى طبع المذهب السنى المغربى بطابعهما.[٦٩]

ومن أوضح تأثيرات الحركة الوهابية فى مراكش : ماقام به أبو العباس التيجانى من الأمر بترك البدع، والنهى عن زيارة القبور، فكثرت أتباعه حتى بلغت مئات الألوف، ولكن لم يلفت الناس والحكام أمره كما لفتهم محمد بن عبد الوهاب.[٧٠]

وقد عنى علماء المغاربة بالحديث كآل الكتانى، وأنشئت أخيرا دار الحديث الحسنية للدراسات العليا.

وقد تجلى تأثير ابن عبدالوهاب فى الجزائر فى الإمام السنوسى الكبير كما سنوضح فى ليبيا، وفى الأمير عبدالقادر الجزائرى الذى ناهض فرنسا ١٧ سنة وتبعه فى الجهاد عبدالكريم الخطابى بطل الحرية المراكشية، ومحمد بن عبدالكريم الخطابى الذى حارب فرنسا واسبانيا معا فى الجزائر ومراكش[٧١]، ثم تابع سيرة الجهاد جمعية العلماء بالجزائر بزعامة الشيخ المجاهد عبدالحميد بن باديس[٧٢]، والعالم المجاهد الشيخ محمد البشير الابراهيمى، الذى كان دائم الجهاد، شديد الحساسية والاهتمام بالقضايا الإسلامية، متوقد الفكر والنشاط ، جاهد مع إخوانه المستعمر الفرنسى، وناضل ضد جيوش حلف الأطلسى

---

(٦٩) الفرق فى الاسلام لاووست، بالفرنسية : ص ٣٢٩ ـ ٣٣١، مقال الاستاذ ميشو بللير بالفرنسية «الوهابية فى مراكش» فى المجلة الفرنسية : افريقيا الفرنسية عام ١٩٢٨، ص : ٤٨٩ ومابعدها، تاريخ مراكش : ٣١١/٢ ـ ٣١٢، ٣٧١ ـ ٣٧٢

(٧٠) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : ص ١٨.

(٧١) حاضر العالم الاسلامى للأمير شكيب أرسلان : ٣/٣٩٩ ومابعدها، تاريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان : ١٠٩/٤، ١٢٦.

(٧٢) انظر ماكتبه عنه الاستاذ على الهامى فى صحيفة الجمهورية الجزائرية عام ١٩٤٩.

٥ ـ أثرها فى تونس :

تأثر خير الدين باشا التونسى(حوالى سنة ١٢٢٥ ـ ١٣٠٧هـ/١٨١٠ ـ ١٨٧٩م)[٧٣] بالشيخ ابن عبد الوهاب فى دراسته، وتكوينه الفكرى، وإدراكه مشكلات المسلمين، وقضايا العالم الإسلامى، وهو شركسى الأصل، كان وزيرا للحربية سنة ١٢٧٣ ـ ١٢٧٩هـ فى عهد باى تونس محمد باشا، كما عين فى الآستانة فى عهد السلطان عبد الحميد وزير دولة، ثم رئيسا للوزارة فى ٤ كانون الأول(ديسمبر) سنة ١٨٧٨م/١٢٩٥هـ.

وضع كتابا سماه «أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك» بعد اعتزاله وزارة الحربية فى تونس، شرح فى مقدمته حال المسلمين وحاجتهم الى الإصلاح وطريقته، وهو ينعى على المسلمين كراهيتهم الأخذ بأساليب المدنية الغربية فى الإصلاح، واعتقادهم أن كل ماصدر عن أوربا حرام، وفند مزاعم الناس وبين ان التمسك بالدين لايمنع من النظر فيما عند الأمم الأخرى، والأخذ بأحسنه فيما يتعلق بالمصالح الدنيوية، فليس بالناس يعرف الحق، ولكن بالحق يعرف الناس، والحكمة ضالة المؤمن، يأخذها حيث يجدها.

وأوضح خير الدين أن الأمم الإسلامية لاتصلح إلا بالنظام الشورى الذى يقيد الحاكم، وأن العدل والحرية هما ركنا الدولة، وأن أعداء الإصلاح الذين يرون أن الإصلاح بدعة من بدع آخر الزمان هم جهلة.

وأن من أهم عوائق تقدم المسلمين : ازدواجية التعليم، ووجود طائفتين متعاندتين : رجال دين يعلمون الشريعة، ولايعلمون الدنيا، ورجال سياسة يعرفون الدنيا ولايعرفون الدين.

وسار خير الدين شوطا بعيدا فى طرق الإصلاح فى تونس، فى الداخل والخارج،وقد عودنا التاريخ ألا يأتى مصلح بمثل ماأتى به خير الدين إلا أوذى.

(٧٣) زعماء الاصلاح : ص١٤٦ ومابعدها، ١٥٨ ومابعدها، ١٦٢، ١٦٤، ١٧١، ١٨٣.

والخلاصة : كان خير الدين مصلحا اجتماعيا وسياسيا مثل مدحت باشا فى الآستانة كما سيأتى، ولكن مدحت يصلح، فإن عجز عن الإصلاح ثار ودبر الانقلاب، وخير الدين يصلح، فإن عجز عن الإصلاح رفع يديه الى السماء وقال «اللهم إنى قد بلغت».

وكانت فضائله التى تكوّن شخصيته : الجرأة فى قول الحق، وعمله من غير خوف، وصلابته فيما يعتقده من غير انحناء، وحريته فى تفكيره من غير جمود، وتحملة الأعباء من غير تبرم.

## ٦ - أثره فى ليبيا (الدعوة السنوسية)

صاحب الدعوة السنوسية هو الإمام محمد بن على السنوسى الكبير الخطابى من مجلة «الواسطة» فى وهران بالجزائر، ولد سنة ١٢٠٢هـ/١٨٨٧م، وتوفى سنة ١٩٥٩م، قال عنه الأمير شكيب أرسلان : من أعظم أبطال المسلمين وهو خاتمة مجاهدى الإسلام (أى فى عصره) ولولاه لاحتلت إيطاليا قطرى طرابلس وبرقة من الشهر الأول من غاراتها الغادرة عليها، لكن سبقه الشيخ شامل الداغستانى الذى قاوم الروس أربعين سنة، والأمير عبد القادر الجزائرى الذى ناهض فرنسا ١٧ سنه، وتبعه، فى الجهاد واقتدى بسيرته محمد بن عبد الكريم الخطابى الذى كانت مقاومته قصيرة ، ولكنها عريضة، واجه فيهاكلا من دولتى فرنسا وأسبانيا معا وجها لوجه، وزلزلتا فى حربه زلزالا شديدا[٧٤].

حضر الإمام السنوسى مكة حاجا، ومكث يطلب العلم في مكة وقت دخول ال سعود سنة ١٨٢٩م، فعاشر أتباع الدعوة الوهابية ومريديها، وتتلمذ على علمائها وشيوخها، واعتنق مبادئها[٧٥]، ثم عاد الى الجزائر يبشر بها، ويؤسس طريقته الخاصة فى بلاد المغرب[٧٦].

(٧٤) حاضر العالم الاسلامى ارسلان : ٣٩٩/٣ ومابعدها.

(٧٥) هذا هو الراجح، لكن ينكر بعض المؤرخين تأثر الدعوة السنوسية بالدعوة الوهابية.

(٧٦) زعماء الاصلاح أحمد أمين : ص ٢١

وأدرك أن المجتمع الإسلامى بعيد عن روح الإسلام الحقيقية، فأخذ ببحث عن طرق علاج أمراض المسلمين والعرب، ثم قرّ رأيه على خطة الاح بأسسها التالية[٧٧]، وهى قريبة الشبه بأسس محمد بن عبدالوهاب.

١ - العوده الى يسر الدين الإسلامى، والاعتماد على الكتاب والسنة، والانتفاع بالمذاهب المختلفة فيما يناسب المسلمين، وييسر حياتهم، وتنقية الإسلام من البدع والضلالات.

٢ - العالم الإسلامى يواجه حركة التبشير المسيحية، ولذلك يتحتم أن تعنى الحركة الاصلاحية بنشر الإسلام، وبخاصة بين الوثنيين قبل أن تسبقه المسيحية.

٣ - ليست هناك حدود تجزىء العالم الإسلامى، فالحركة الإصلاحية يلزم أن تكون شامله لكل أقطاره، أو أكثرها بقدر الإمكان.

٤ - الحركات الإصلاحية يلزم أن تكون سياسية وفكرية فى نفس الوقت، أما إصلاح جانب بدون الآخر، فذلك نقص فى الحركة، فالإسلام دين ودولة وعبادة وعمل.

٥ - الزهد والخمول والاستجداء التى كانت طابع أغلب الطرق الصوفية ليست من الإسلام فى شىء.

وكانت وسيلة ذلك إنشاء الزوايا أمو المراكز الإصلاحية،والزاوية تعتبر خلية دين وعلم، ومركز حكم وإدارة، ومركز زراعة وتجارة، وتربية عسكرية ناجحة، وحرما آمنا لمن يلجأ اليها،

وأول زاوية أنشأها فى أبى قبيس، الجبل المشرف على مكة سنة ١٨٤٢م، والزاوية الثانية فى برقة بالجبل الأخضر سنة ١٢٥٧هـ، أطلق عليها الزاوية البيضاء، ثم أنشأ زاوية الجغبوب سنة ١٨٥٦م، وتابع إنشاء الزوايا فى نواحى ليبيا ومصر وصحرائها الغربية وتونس، حتى بلغ عددها ٥٢ زاوية، وكان.. للزاوية أثر واضح ، فهى تعمل على

(٧٧) حاضر العالم الاسلامى للدكتور محمود محمد زيادة : ص ٣٦ ومابعدها، نظام الاسلام للدكتور وهبه الزحيلى : ص ٤٩٣ ومابعدها، الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١١٠ - ١١٣.

إصلاح الإنسان فى نواحيه المختلفة، إذ ليست الناحية الدينية فى اعتبارها مستقلة عن النواحى الأخرى.

وقد آتت هذه الحركة الإصلاحية أكلها، وغيرت مجرى حياة الناس فى ليبيا تغييرا تاما، فأشعرتهم بكيانهم، وهيأتهم لمرحلة جديدة من الحياة، وقاوموا بفضلها الغزو الإيطالى مقاومة عنيفة، حتى اعتبر قيام السنوسية فى ليبيا مبدأ تاريخها الحديث(٧٨)، وانتشرت هذه الدعوة انتشارا واسعا، ونشرت الإسلام فى افريقيا الغربية وكونت دولة قوية.

وكان من أبرز الشخصيات السنوسية المجاهد الشهيد عمر المختار الذى قاوم الطليان فى الجبل الأخضر وبنغازى مقاومة عنيفة.

وقد حققت هذه الدعوة النتائج الآتية(٧٩):

أولا : النهضة الشاملة.

ثانيا : معاداة الاستعمار .

ثالثا : نشر الإسلام ومقاومة التبشير.

رابعا : تخريج العلماء والأدباء.

والخلاصة : تتشابه الدعوة الوهابية والدعوة السنوسية فى حماسة الدعوات البادية، وفى نبذ البدع والخرافات، والرجوع بالإسلام الى الكتاب والسنة، ولكنهما تختلفان بعد ذلك فى أمور كثيرة، غير أن السنوسية والوهابية ليست كل منهما مذهبا ولا نحلة ولا نقضا لمذهب من المذاهب(٨٠).

---

(٧٨) حاضر العالم الاسلامى للأمير شكيب ارسلان : ١٤٠/٢

(٧٩) أرسلان المرجع السابق : ٣٩٨/٢، حاضر العالم الاسلامى للدكتور زيادة : ص ٢٨، نظام الاسلام للدكتور الزحيلى : ص ٤٩٥ ومابعدها.

(٨٠) الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١١٠

٧ ـ أثرها فى زنجبار وافريقيا :

كان لابن عبد الوهاب أثر ملحوظ فى القرن الافريقى فى عدة بلاد، ففى زنجبار(تانزانيا) مثلا ترى طائفة كبيرة من المسلمين يعتنقون آراء ابن عبد الوهاب ويدعون الى ترك البدع، وعدم التقرب بالأولياء(٨١).

٨ ـ أثرها فى السودان :

أ ـ فى السودان الغربى : كان الداعية الشيخ عثمان دان فوديو أحد أبناء قبيلة الفولانى فى السودان الغربى من أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب، فأخذ يحارب البدع الشائعة فى عشيرته، ويعمل على تقويض بقايا الوثنية، وعبادة الأموات التى كانت عند بعض السودانيين، ثم أخذ ينشر تعاليم الإسلام الصحيحة،واستطاع أن يجمع حوله قبيلته فى وحدة متماسكة مرتبطة برباط الدين.

ثم بدأ الشيخ عثمان بعد ذلك سلسلة من المعارك، كان أولها سنة ١٨٠٢م ضد قبائل الحوصة الوثنية، ولم تأت سنة ١٨٠٤م حتى أقام سلطنة «سوكوتو» فى السودان، على أنقاض مملكة جبيرثين ـ النيجر الأدنى، ونهر الينوى.

وقد قامت هذه الدولة على أساس الدعوة الوهابية، وامتدت حدودها الى جميع الأقطار الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد، على مساحة أربعمائة ألف كيلو متر مربع، كان يسكنها نحو عشرة ملايين من الناس، وقد ظلت هذه الدولة مستقلة نحو قرن من الزمان، حتى احتلها الاستعمار الأوربى وانفصلت عنها فيما بعد ممالك بورنو، والأداموا، وغاندو، ونوبو، ولكنها ماتزال جميعها محتفظة بالإسلام عقيدة وخلقا وسلوكا(٨٢).

ب ـ شمال السودان (الدعوة المهدية) : أسس الدعوة المهدية شخصية كبيرة فى

(٨١) زعماء الاصلاح لأحمد أمين : ص ٢١.

(٨٢) مقال الاستاذ رابح جمعه فى مجلة الفيصل ـ عدد ١٥ : ص ٨٢.

السودان : هو محمد احمد بن عبد الله، المولود فى جزيرة : (لبب) بالقرب من نقلا، حوالى سنة ١٢٦٠هـ والمتوفى سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

بدأ بدعوته سرا فى جزيرة «آبا» بمكاتبة مشايخ الطرق وعلماء الشريعة، ثم جهر بدعوته بتحرير خطابات صريحة الى رجال الدين يدعوهم لنصرة الدين والقيام بتأييد «المهدية الكبرى» التى خصه الله بها، وعلى نصرة الكتاب والسنة.

## وكانت دعوته تتلخص فيما يأتى[٨٣] :

ضرورة الرجوع بالإسلام الى بساطته الأولى، ثم ركز فكرته الدينية على دعامتين دعا لهما، وقام على تنفيذهما :

أولهما : هى أن تعدد المذاهب الأربعة قد وزع المسلمين الى جماعات وأبعدهم عن الدين.. دين الفطرة الإنسانية، وصرفهم عن المصدرين الأصليين، وهما القران والسنة.[٨٤]

وكذلك تعددت الطرق الصوفية، حتى ظن أن كل شيخ يقوم بتأسيس دين جديد، وأن غيره خارج الدين.

وثانيهما : هو العمل بالدين، والخضوع لأوامره ونواهيه، والقيام بفروضه وواجباته.

ولم يفصل المهدى فى أعماله بين المظاهر الدينية والمظاهر السياسية كما فعل

---

(٨٣) حاضر العلم الاسلامى أرسلان : ١٩٥/٢ ومابعدها ، بروكلمان : ١٣٢/٤ ـ ١٣٧، حاضر العالم الاسلامى للدكتور زيادة : ص ٦٠ ومابعدها، المهدية فى الاسلام للأستاذ سعد محمد حسن : ص ١٩٩ ـ ٢٣٦ ط/دار الكاتب العربى بمصر، نظام الاسلام للدكتور الزحيلى ص ٤٩٧ ومابعدها، الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٣٨ ـ ١٤٢.

(٨٤) من المستغرب حقا ان يكون تعدد المذاهب أدى إلى انقسام المسلمين جماعات لأن من الواضح أن الاختلاف بين المذاهب هو فى الفروع لا فى الأصول، والمذاهب ليست خارجة أصلا عن الكتاب والسنة وإنما تدور فى فلكهما، وتأخذ من نصوصهما، ولم نسمع فى تاريخ الاسلام أن المسلمين انقسموا فى قضية عامة تمس كيانهم ومقدساتهم ودولتهم على حسب مذاهبهم، الى حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة مثلا، وكان الانقسام فى الواقع راجعا للمصالح البشرية فقط.

السنوسى، لأنه اعتبرهما متصلين ومرتبطين ببعضهما، كما كان عليه حال القرون الإسلامية الأولى.

وكان حريصا على تحرير بلاده من نير الاستعمار، ورفع مستوى السودان الاقتصادى والخلقى، وبناء مجتمع إسلامى قائم على التعاليم التى أقامت المجتمع الإسلامى الأول .

وقد تمكن من توحيد الكلمة وتأليف القلوب، وجعل من السودانيين أمة جديدة أبية تتمسك بتعاليم الإسلام القويمة، وخاض معهم حروبا كثيرة ضد المستعمرين الإنجليز فانتصروا انتصارات باهرة، وكادوا يصلون الى الاستقلال، لولا كثرة قوى العدو، وعدم مهارة خليفته «التعايش».

وبالرغم من إخماد الإنجليز الحركة المهدية، ظل حزب الأنصار الذى سمى نفسه «حزب الأمة» باقيا الى عهد قريب، والآن لجماعة الصادق المهدى أهمية بارزة فى التخطيط لسياسة السودان.

الخلاصة : أن الدعوة المهدية وان كانت نوعا آخر مغايرا فى طريقة نشوئها للدعوة الوهابية، الا أن بينهما تشابها فى المبادىء يؤكد وجود التأثر بدعوة ابن عبد الوهاب، كما أن الوهابية مهدت الطريق للمهدية والسنوسية وحركة الأفغانى وغيرها لظهورها بعد الوهابية فى فترات متلاحقة أو متقاربة.

## ٩ ـ أثرها فى مصر (الشيخ محمد عبده ومدرسة السلفية):

شب الشيخ محمد عبده (المتوفى سنة ١٣٢٣هـ فى مصر) فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب تملأ الجو، فرجع الى هذه التعاليم فى أصولها، من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عهد ابن تيمية، الى عهد ابن عبد الوهاب، وكان أكبر أمله أن يقوم فى حياته للمسلمين بعمل صالح؛ فأداه اجتهاده وبحثه الى هذين الأساسين اللذين بنى عليهما محمد بن عبدالوهاب تعاليمه، وهما :

١ - محاربة البدع ، وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد باشراك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى.

٢ - وفتح باب الاجتهاد الذى أغلقه ضعاف العقول من المقلدين، وجرد نفسه لخدمة هذين الغرضين.(٨٥)

وسار محمد عبده فى طريق جمال الدين الأفغانى فى مقاومة الاستعمار الغربى، ومعارضة النفوذ الأجنبى فى دائرة العالم الإسلامى العربى.

ورسم لنفسه طريق «التربية» تربية الشعب، وتربية القادة والموجهين، وهم العلماء، ولاسيما الأزهر، تربية الشعب لفهم الحياة والسير فيها، وإخضاع الحكم لإرادته ورأيه، وتربية القادة لتوحيد الشعب فى كل مكان(٨٦).

وتميز محمد عبده بإيجاد مدرسة فكرية ودينية وعلمية وتربوية، تتجه لمقاومة الاستعمار نفسه اتجاها غير مباشر، وكان هدفه الدعوة الى أمرين(٨٧):

الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، أى فى صدر الإسلام، وبذلك ظهرت مدرسة السلفية نتيجة عمله.

الثانى : إصلاح اللغة العربية.

وفاق الشيخ محمد عبده أستاذه الأفغانى فى غزارة الإنتاج وتعدد وجوه النشاط الفكرى الرئيسية التى جعلت له مدرسة قوية، ظلت متنوعة الخطى من قبل مشاهير

(٨٥) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : ص ٢٣.

(٨٦) الفكر الاسلامى للبهى : ص ١٦٤، زعماء الاصلاح : ص ٢٩٢، ٣٢١، ٣٣٥

(٨٧) الفكر الاسلامى للبهى : ص ١٠٤، الاتجاهات الحديثة فى الاسلام جيب : ص ٥٧،زعماء الاصلاح : ص ٣٢٧، ٣٣٣، الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٢٥، ١٢٨، وجهة العالم الاسلامى لمالك بن نبى ٥٣ ـ ٦٠

العلماء المجددين فى النصف الأول من القرن العشرين، وكان أهم نواحى هذا النشاط هى : الناحية الوطنية، والاعتقادية، والتربوية[٨٨].

وفى ناحية العقيدة أكد الشيخ محمد عبده على أمرين[٨٩]

١ ـ تحرير المسلم من عقيدة الجبرية، مع الإبقاء على عقيدة القدر، وتنقية عقيدة المسلم مما علق بها من الخرافات والأوهام، وكان أهم وسيلة له لإصلاح العقيدة : تفسير القرآن الكريم.

٢ ـ إعلان تطابق العقل مع الدين.

ومن أبرز أعمال الشيخ محمد عبده اشتراكه مع أستاذه السيد جمال الدين فى باريس فى إخراج مجلة( العروة الوثقى) للسيد : التوجيه والروح ، ورسم الخطط وإبداء الأفكار، وللشيخ : التحرير والصياغة وتفصيل المعانى[٩٠].

وفى البلاد العربية أيقظ الإمام محمد عبده الشعور الدينى، وأشعر المسلمين أنهم يجب أن يهبوا من رقدتهم لإصلاح نفوسهم، وتكميل نقصهم، وألا يعتمدوا على الفخر بماضيهم، بل يبنوا من جديد لحاضرهم ومستقبلهم، ودعا الى أن العقل يجب أن يحكم، فالدين عرف بالعقل ، ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معا، حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة فى المدنية الجديدة.

ولم يكتف الشيخ عبده بالإصلاح النظرى بالتأليف أو الخطب والمقالات فقط بل كان يحاول دائماً أن يحول إصلاحه الى عمل، وينغمس فى الحياة الواقعية لينفذ برنامجه الإصلاحى.[٩١]

---

(٨٨) البهى، المرجع السابق : ص ١٠٨ ومابعدها، جيت المصدر السابق : ص ٦١ ومابعدها ٩٣، تاريخ الامام محمد عبده : ١٤٤/٢، زعماء الاصلاح : ص ٣٠٦، ٣١٢

(٨٩) البهى المرجع السابق : ص ١٢٧ ومابعدها، زعماء الاصلاح : ص ٣٢٧، ٣٢٩ ومابعدها .

(٩٠) زعماء الاصلاح : ص ٣٠٥

(٩١) زعماء الاصلاح : ص ٣٧٧

ثم يأتى فى مصر تلميذ الإمام الشيخ محمد رشيد رضا(١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ) (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) فيصبح الترجمة الصادقة المخلصة لأستاذه،فهو الذى كتب «تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده» ثلاثة مجلدات، و«تفسير القرآن الكريم» اثنى عشر مجلدا، ولم يكمله، نقل فيه كلام الأستاذ،وأسس مجلة المنار أصدر منها ٣٤ مجلدا، وله مؤلفات كثيرة أخرى منها «الوهابيون والحجاز» مما جعله أحد رجال الاصلاح السلفى الاسلامى، على طريقة ابن عبد الوهاب والشيخ محمد عبده، ومن الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير،وأصبح مرجع الفتيا، فى التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، وأنشأ فى مصر مدرسة «الدعوة والإرشاد»[٩٢]

ويعتبر عبد الرحمن الجبرتى (١١٦٧ ـ ١٢٣٧هـ) مؤرخ مصر قبل الشيخ محمد عبده، أقوى داعية لحركة ابن عبد الوهاب منذ قرن ونصف، ويعتبر الوهابيين هم الأمل الوحيد والحلم العريض فى إيجاد بعث عربى إسلامى، وأن قضيتهم عادلة عن قناعة واختيار حر منه فى مواجهة الأتراك ومحمد على الذى يحاربهم ويفرض عليهم نظاما بوليسيا رهيبا.[٩٣]

وفى العصر الحاضر اعتبرت حركة حسن البنا بعد الشيخ محمد عبده فى مصر وغيرها من البلاد العربية من أقوى حركات الإصلاح الحديثة المتأثرة فى نواحى كثيرة بآراء ابن عبد الوهاب فى العمل من أجل إصلاح أداة الحكم، وتطبيق الإسلام فى التشريع والتعليم والسلوك الأخلاقى، والاجتهاد، والعناية بالحديث أو السنة، وجهاد العدو المستعمر الإنجليزى فى مصر، والفرنسى فى سورية،والعدو الصهيونى فى فلسطين، وغيرها.

١٠ ـ أثرها فى الشام (جمال الدين القاسمى وغيره) :

ضمت دمشق نزعة حنبلية قديمة، استمرت فى انحسار، ومع ذلك وجد فيها أيضا حول نهاية القرن الماضى، وفى بداية قرننا الحالى، علماء فى الشريعة عرفوا كيف يدافعون عن سنة السلف ، دون أن يعقدوا بيعة للوهابية السعودية[٩٤].

(٩٢) الأعلام للزركلى : ٣٦١/٦

(٩٣) مقال جلال الكشك فى مجلة الحوادث عام ١٩٧٩، عدد ١١٧٤، وعدد ١١٧٦ فى شهر أيار (مايو)

(٩٤) الفرق فى الاسلام لاووست بالفرنسية : ص ٣٢٩ ومابعدها.

من أعلام هؤلاء العلماء الشيخ جمال الدين القاسمى (١٢٨٣ ـ ١٣٣٢هـ) (١٨٦٦ ـ ١٩١٤م)، والشيخ المجاهد كامل القصاب، والعلامة الشيخ محمد بهجت البيطار وغيرهم.

كان القاسمى إمام الشام فى عصره علما فى الدين، وتضلعا فى فنون الأدب،مولده ووفاته فى دمشق، كان سلفى العقيدة، لايقول بالتقليد، له مؤلفات كثيرة فى العقيدة والأخلاق وغيرها،عددها ٧٢ مصنفا، رحل الى مصر ثم زار المدينة،ولما عاد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد فى الدين، سموه «المذهب الجمالى»،فقبضت عليه الحكومة (سنة ١٣١٣هـ) وسألته، فرد التهمة فأخلى سبيله، واعتذر اليه والى دمشق، فانقطع فى منزله للتصنيف، وإلقاء الدروس الخاصة فى التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب، كما كان نهج الأستاذ الإمام محمد عبده[٩٥]

هذا.. ويعتبر عرب بادية الشام مثل عرب عنزة وغيرهم من أتباع الوهابية.

## ١١ ـ أثرها فى العراق (آل الآلوسى):

تأثر بالوهابية ثلاثة من كبار علماء الشريعة فى العراق، ينتمون الى أسرة الآلوسى، بذلوا جهدهم لتعميق معرفة مصادر الشريعة وروحها، محمود (المتوفى سنة ١٨٣٥م): ترك لنا تفسيرا مهما تقليديا للقرآن، نعمان (المتوفى سنة ١٨٩٩م): دافع بحيوية عن الإمام ابن تيمية.

أما شكرى( المتوفى سنة ١٩٢٤م): فقد كان مؤرخ نجد، وألف أيضا نقضا للمذهب الشيعى.[٩٦]

وكان العلامة مفتى بغداد محمود شكرى الآلوسى (١٢٧٣ ـ ١٣٤٢هـ/١٨٥٧ ـ ١٩٢٤م) من دعاة الإصلاح، وله ترجمة ضافية للإمام محمد ابن عبدالوهاب فى بداية حركته، وتعداد مصنفاته، وسرد مبادئه، وتفصيل مجالسة ومناقشاته العلمية.[٩٧]

---

(٩٥) الأعلام للزركلى : ١٣١/٢.

(٩٦) لاووست المرجع والمكان السابق.

(٩٧) الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٠١ ـ ١٠٧

وله ٥٢ مصنفا، بين كتاب ورسالة، من أهمها «روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى» و«فتح المنان فى الرد على أهل البدع فى الدين»[٩٨]. ويمتاز تفسيره برفضه الجاد قبول الروايات الاسرائيلية،ويتبع الآلوسى فى مسائل العقيدة السلف من الصحابة والتابعين، ويذكر المسائل المتعلقة بالفقه والأصول والمذاهب بالتفصيل، ويهتم بمنهج الإشاريين والمتصوفة،فيبين الرموز والإشارات التى تشير اليها بعض الآيات، وينبه على خطر القول بوحدة الوجود لابن عربى من حيث نتائجه، ويدافع أحيانا عن التفكير الصوفى، من الناحية النظرية، لكنه من الناحية العملية يشن حملة شديدة ضد طرق التصوف فى زمانه، ويهاجم المتصوفه فى استعمالهم لبعض المصطلحات التى يعتبرها سوء أدب مع الله تعالى[٩٩].

## ١٢ ـ أثرها فى تركيا(مدحت باشا)

بين ابن عبد الوهاب فى نجد ومدحت باشا (١٢٣٨ ـ ١٣٠١هـ/١٨٢٢ ـ ١٨٨٣م) فى استنبول تشابه فى استهداف الإصلاح، الأول مصلح دينى، همه إصلاح العقيدة، والثانى مصلح اجتماعى منغمس فى السياسة، مهتم بإصلاح الحكومة، فالتأثير بين الأول والثانى غير متوفر الا فى فكرة الإصلاح مع اختلاف المنهج والطريق مما يجعل الأثر منعدما، لولا القول بوجود أصداء وردود فعل غير مباشرة.. فإصلاح الأول بالرجوع الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والثانى يرى الإصلاح فى الرجوع الى المدنية الحاضرة ومناهجها فى الأمم الحيّة لنختار منها مايصلح لنا، ويتفق ومواقفنا.

ومنهاج مدحت فى الإصلاح بعكس جمال الدين الأفغانى، يرى مدحت إصلاح الشعب عن طريق إصلاح الحكومة، والأفغانى يرى إصلاح الحكومة من طريق إصلاح الشعب، لكن الاختلاف فى المنهاج لايمنع وجود تقارب كبير بين الرجلين،لأن الإصلاح السياسى لكل منهما يعتمد على الإسلام، مع مراعاة ظروف التمدن الحديث.

(٩٨) الاعلام للزركلى : ٤٩/٨ ومابعدها .

(٩٩) الآلوسى مفسرا للدكتور محسن عبد الحميد، رسالة ماجستير : ص ١٨،٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٤، ٣٠٣ ـ ٣٠٩

ولد مدحت في عهد السلطان محمود، ونضج شبابه في عهد السلطان عبد المجيد، وبدأت كهولته في عصر السلطان عبد العزيز، وانتهت في عهد عبد الحميد.

وكان مزيجا غريبا : محافظا على الصلاة وسبحة، ومعرفة بشئون الدنيا واطلاع واسع على تيارات العالم وأسس المدنية الحديثة، ودروشة و يقظة.

وكان في إدارته حينما ولي فى الصرب وبلغاريا مجددا حقا، يختلف عن سائر الولاة العثمانيين، أنشأ المدارس والمشافى وأصلح الطرق، ثم عين صدرا أعظم فى عهد السلطان عبد العزيز لمدة ٧٥ يوما، قام فيها بمشاريع إصلاحية كثيرة لم تعجب السلطان، وكان من رأيه أن الإصلاح بالحكم الديمقراطى : المساواة، والعدل، والشورى الإسلامية، والحرية، فهى التى تربى الأمم وتحيى النفوس[١٠٠]

## ١٣ ـ أثرها فى اليمن (الشوكانى) :

ظهر فى اليمن الزيدى أعلم علمائه، وإمام أئمته الإمام محمد بن على الشوكانى (١١٧٢ ـ ١٢٥٥هـ/١٨٣٠م)، فسار على نفس نهج الإمام ابن عبد الوهاب المعاصر له، وإن لم يتلقه عنه، ودون أن يكون تلميذا له، وألف كتابه القيم «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» «لأبى البركات، مجد الدين بن عبد السلام بن تيمية الحرانى(٥٩٠ ـ ٦٥٢هـ) جد احمد بن تيمية المشهور(٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) .

عرض الشوكانى الأحاديث النبوية، واجتهد فى فهمها، وفى استنباط الأحكام الشرعية منها، ولو خالف المذاهب الأربعة كلها،وحارب التقليد، ودعا الى الاجتهاد، وألف رسالة سماها «القول المفيد فى حكم التقليد»،ودعا فى قوة الى عدم زيارة القبور والتوسل بها[١٠١]فقال[١٠٢]:

---

(١٠٠) زعماء الاصلاح لأحمد امين : ص ٢٦ ومابعدها، ٣٢ ومابعدها، ٣٥، ٥٩

(١٠١) زعماء الاصلاح لأحمد أمين : ص ٢١ ومابعدها، الفرق فى الاسلام لاووست بالفرنسية : ص ٣٢٩ ومابعدها.

(١٠٢) نيل الأوطار : ٨٣/٤ ومابعدها ط العثمانية المصرية.

«وكم قد سرى عن تشييد أبنية وتحسينها من مفاسد، يبكى لها الإسلام،منها اعتقاد الجهلة لها، كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع، ودفع الضرر،فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب،وسألوا منها مايسأله العباد من ربهم، وشدوا اليها الرحال،وتمسحوا بها، واستغاثوا، بالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا اليه راجعون.

ومع هذا النكر الشنيع، والكفر الفظيع، لانجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالما ولا متعلما، ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا،وقد توارد الينا من الأخبار مالايشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم، اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه، حلف بالله فاجرا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلانى، تلعثم وتلكأ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدله الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : إنه تعالى ثانى اثنين(١٠٣).

فيا علماء الدين، وياملوك المسلمين أى رزء للإسلام أشد من الكفر، وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك واجبا؟!»

## ١٤ ـ أثرها فى عقلية المثقف :

يتجاوب المثقف العادى المتدين وغير المتدين مع مبادىء ابن عبد الوهاب لأنها مبادىء الفطرة مبادىء الإسلام النقية، فلا يجد المتحدث عن الإسلام أى صعوبة فى إقناع مناظرة بضرورة كون الدعاء مباشرة الى الله تعالى، ونفى الوسائط، وعدم طلب حاجة من صاحب قبر ميت لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا، والعمل بالقرآن والسنة أصلى الشريعة المستندين الى الوحى الإلهى، ونبذ البدع والأساطير والتمائم والحجب الا الرقية الشرعية، وعدم تقديس المزارات وأضرحة المشايخ وأعمال المتصوفة التى لم تعرف فى

(١٠٣) من المتعذر فى تقديرى اعتبار مثل هذه الحالة شركا وكفرا، وانما هى جهل وضلالة وفسق، لأن مثل هذا يجدد ايمانه، ويكرر نطقة بالشهادتين صباح مساء.

عهد السلف الصالح، وغير ذلك، لأن العقيدة الإسلامية فى أول عهدها كانت نقية صافية من أى شرك أو وسيط، وكانت «لا إلـه إلا الله» معناها السمو بالنفس عن الأحجار والأوثان وعبادة العظماء، وعدم الخوف من الموت فى سبيل الحق، وعدم الخوف من إنكار المنكر، والأمر بالمعروف، مهما صاحبه من جهاد وعذاب، ولأن التحرر من المادة بأشكالها المختلفة والإفلات من قيود الحس، والتسامى إلى الله فوق المادة، وفوق الحسَ يتطلب درجة علمية من السمو العقلى لا نجده عند غير صاحب العقل النير، وتلك هى مزية الإسلام الأولى، ولأن قياس الملك الديان على ملوك الدنيا وفى حاجتهم الى الوسائط لقضاء الحوائج قياس مع الفارق أو قياس باطل فاسد، لكمال الله وقدرته ورحمته وعجز البشر وضعفهم ونقصهم:

« قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا » (الجن : ٢١، ٢٢)

«قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ » (الأعراف ١٨٨)

ولقد تأثر فعلا بالأفكار الوهابية ـ أفكار الإسلام الصحيحة خاصة ـ المسلمون ومتعلموهم، كما تأثر بها ناشئة الشباب المثقف بحكم ثقافتهم ونمو عقليتهم ومحاكماتهم المنطقية، فلم يلجأوا الى المزارات والمشايخ، كما كان يلجأ آباؤهم، وقل الاهتمام بالموالد ونحوها، ولا تبرك بأعواد أو قضبان قبة قبر ولي أو نبى، كما نص الفقهاء على كراهة ذلك، ولم يعد يتقبل أى إنسان أى فتوى فى مسألة مابدون دليل صحيح، ولابد من الاجتهاد فى قضايا العصر، وفى النصوص ذاتها. فقد كان إقفال باب الاجتهاد نكبة على المسلمين، إذ أضاع شخصيتهم وقوتهم على الفهم والحكم، وعزل الفقه الإسلامى عن مواكبة تقدم الحياة، وعن التطبيق الفعلى، وجرد العلماء من المشاركة فى معالجة مشكلات المسلمين على نحو شرعى.

ولامنجاة من هذا الجمود الا بالاجتهاد، والعودة لأصول الدين. والاستقاء من منابعه الأولى.(١٠٤)

(١٠٤) زعماء الاصلاح : ص ١٢، ١٤، ١٦، ٢٥

كذلك كان لحركة ابن عبد الوهاب أثر واضح فى عناية المؤسسات التعليميه واهتمام المؤلفين والكتاب فى المدارس والجامعات بالحديث النبوى للتأكد من صحتـه، عنـاية واضحة فى عصرنا تحقيقا وتخريجا، ليكون دليل الحكم الشرعى معتمدا على الحديث الصحيح فقط.

وهكذا لم تعد عقلية جيل القرن العشرين تقبل غير مادل عليه العلم الثابت واطمأن اليه العقل، وحافظ على روح التشريع، وجوهر مبادىء القرآن والسنة والحديث الصحيح وعمل على تقدم المسلمين، وسباق الأمم المتمدنة، وجهاد العدو، وعدم موالاة الكافرين، وعدم إطاعة العلماء والأمراء فى تحريم ماأحل الله، أو تحليل ماحرم الله.[١٠٥]

واذا كنا مانزال نشاهد بعض المظاهر غير الإسلامية لدى بعض المسلمين، كالاهتمام بالقبور، وبنائها كالقصور الصغرى، ومايجاورها من منكرات ولاسيا فى الأعياد، فذلك بسبب عدم اقتران كلمة العالم بتنفيذ الحاكم، كما كان الشأن عند قيام الدعوة الوهابية مقترنة بالسلطة الزمنية.

والخلاصة : لقد تمخضت القرون الثلاثة الأخيرة عن انتفاضات قوية حسب مقتضيات البيئة، ومتطلبات الحياة، ومعالجة أوضاع المسلمين.

فابن عبد الوهاب الداعية الأول والمصلح المنقذ فى القرن الثامن عشر، والسنوسى الكبير فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، والمهدى السودانى والأفغانى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ولكن دعوات هؤلاء ماعدا الأفغانى ظلت داخلية محلية، تستهدف الرجوع الى حقيقة الإسلام الأولى، وتحارب.. الضعف والتفرق والاستبداد والاستكانة، والرضا بالقليل.

ثم برز زعماء آخرون قادوا الحركة الإسلامية متأثرين أيضا بدعوة ابن عبد الوهاب

(١٠٥) مؤلفات ابن عبد الوهاب، قسم العقيدة: ص ١٠٢

فى ضوء الحياة الجديدة التى فرضتها النهضة الصناعية الكبرى فى أوربا، ومقارنتها بواقع المسلمين المتخلف، وبمبادىء الإسلام، وأهم هؤلاء المفكرين الجدد هم الشيخ جمال الدين الأفغانى، والشيخ محمد عبده ومدرسته السلفية،.. والشاعر الثائر محمد إقبال، الذين قاموا بتجديد المفاهيم الدينية منذ بداية القرن العشرين.

والفضل فى كل ذلك للمتقدم وهو الإمام محمد بن عبد الوهاب .

والحمد لله رب العالمين.،

# أثر دعوة الشيخ

# محمد بن عبد الوهاب

# في غرب افريقيا

للأستاذ عبد الفتاح الغنيمي

محاضر في التاريخ الإسلامي

جامعة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

فى هذا الظلام الدامس والليل الحالك الذى أحاط بالأمـة الإسـلامية من جميع جوانبها، حيث سادها التفكك والانهيار، وانتشرت الضلالة والبدع والخرافات، وسادت الشعوذة وانحدر المسلمون فى المتاهات، بزغ على الأمة الإسلامية فجر يوم جديد يتمثل فى ظهور دعوة التوحيد والعودة بالإسلام إلى نبعيه الخالدين لكى يستكمل التشييد الإسلامى وتنطلق الأمة الإسلامية فى ركب الريادة من جديد.

ذلك لأنه فى هذا الجو الذى تكاثفت فيه الظلمات ساد جو من التعصب، وأغرق الناس فى الجهل والإيمان بالخرافات واعتقادا بالقبور وبالموتى ومزارات المشايخ والأولياء، وسطت على عقليات الناس بعض السخافات، وظهر التخلف على كل شبر من الأرض الإسلامية.

ومن قلب كل هذه الأمور والظلمات ولد محمد بن عبد الوهاب فى بلدة (العيينة) هناك غرب الرياض وفى قلب نجد عام ١١١٥ هـ /١٧٠٣ م، وتعرف أسرته بأنها فرع من آل مشرف وتنتمى إلى قبيلة تميم، وقد اشتهرت أسرته بالعلم والدين، فجده عالم فاضل، وأبوه قاضى العيينة، وعمه إبراهيم عالم فقيه، وابن عمه عبد الرحمن بن ابراهيم عالم كذلك، وأخوه سليمان رجل من أهل العلم.

وعنى به أبوه صغيرا وحفظه القرآن الكريم وتلقى مبادىء العلوم فى بلدته ثم سافر لطلب العلم والمعرفة، ودرس بعض الدروس لدى علماء المدينة، ثم يمم وجهه نحو العراق فجاء البصرة وقرأ على بعض علمائها، ومر على بلاد الشام وفيها درس كتب ابن تيمية ونقل كثيرا منها، وفى طريق عودته الى نجد مر بالأحساء فتتلمذ لأحد فقهائها، ونبغ فى الفقه والحديث واللغة، ثم عاد الى نجد وشرع يحارب البدع والخرافات وأخذ يدعو الى

مذهب التوحيد، ولكن العواصف عصفت به، وتمرد الناس الذين سادهم الجهل المطبق عليه، فهجر (العيينة) إلى (الدرعية) مقر آل سعود، فرحبوا به بعد أن اقتنعوا بفكرته وشرعوا يناصرون دعوته إلى الدين، ومن ثم بدأوا يدخلون فى دعوته أفواجا، ومامر وقت من الزمن إلا والدعوة تخفق أعلامها خفاقة عالية فى نجد والأحساء وكثير من مناطق الجزيرة وتتجه نحو الحجاز، وتنتشر أنباء هذه الدعوة إلى كل مكان.

ويتوفى محيى السنة ومبطل البدع والسائر على نهج السلف الصالح فى الدرعية عام ١٢٠٦ هـ /١٧٩٢م، والحديث عن حركة التوحيد والعدل والإيمان التى فجرها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية حديث طويل، وممتد ولا يتسع المجال للحديث عنها بالتفصيل فى ذلك البحث الصغير الضيق.

ولكن هذه الحركة الإسلامية التوحيدية كان لها أثرها الواضح والقوى والفعال والمؤثر فى تصحيح المسار الفكرى فى العالم الإسلامى،وتنقية الدين الاسلامى مما علق به من الشوائب والخرافات والبدع والخزعبلات والتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة باعتبارها القواعد الأساسية للدين الإسلامى، والذى يجب أن تسير الأمة الإسلامية على هدى هذين النبعين الخالدين،ونبذ ما يتنافى معهما من بدع وضلالات دخلت على الدين فى عصور لاحقة للدعوة الإسلامية وسابقة لدعوة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

## أثر دعوة الشيخ:

لقد كان لهذه الدعوة الإسلامية التصحيحية أثرها البعيد المدى والواسع النطاق فى العالم الإسلامى، حيث تركت دعوة التوحيد والإيمان التى ناصرها رجال الشيخ من الموحدين آثارها الطيبة فى جميع أنحاء العالم الاسلامى؛ فقد تركت أثرها فى كل الحركات الإسلامية التى ظهرت على أثرها فى شتى أنحاء العالم الإسلامى فى المغرب ، ومصر، والعراق، وبلغت الشرق الأقصى فى الفلبين والملايو وأندونيسيا والهند.

ويمكن القول أن حركة التوحيد والعدل كانت تعمل ما وسعها العمل لأجل إيقاظ الشعور الإسلامى من جديد،والعمل على وحدة المسلمين وتكتلهم واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وتوحيد الجهود الإسلامية من أجل طرد الاستعمار من البلاد الإسلامية الى بسط نفوذها عليها وتحرير الأمة الإسلامية من الآثار الأجنبية .

وقد تركت الدعوة السلفية الإصلاحية التوحيدية أثرها فى القارة الأفريقية،حيث انطلقت على هدى من مبادئها وعلى أسس تعاليمها الحركة المهدية بقيادة محمد احمد المهدى فى السودان، والحركة السنوسية فى ليبيا، وكذلك منطقة غرب القارة الافريقية، تركت بصماتها وآثارها قوية فى حركةالزعيم الدينى الشيخ عثمان بن فودير الذى اتبع نفس المنهج،وسار على نفس الخط التى تحركت عليه حركة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى الدعوة والتبليغ وفى الجهاد والانتشار.

## غرب افريقيا :

لقد تركت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أثرها فى تلك المنطقة الواسعة من غرب القارة الافريقية،وهى تلك المنطقة التى يحدها من الشرق بحيرة تشاد،ومن الغرب ساحل المحيط الأطلسى وقرب الرأس الأخضر،وتقع هذه المساحة بين خطى عرض ٩ درجة و ٢٧ درجة شمال خط الاستواء تقريبا،على أنها لم تشغل من هذه المساحة سوى أراضى السافانا التى تلى منطقة الغابات الاستوائية الساحلية،وتبلغ مساحة غرب القارة الافريقية نحو

٢,٤ مليون ميل مربع، أى: نحو مساحة المملكة المتحدة البريطانية ٢٥ مرة ونحو ٦/٥ مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، وتبلغ المساحة بين طرفى هذا الإقليم الشرقى والغربى نحو المساحة بين موسكو ولندن .

ولقد تأثرت هذه المنطقة الواسعة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى شخص الشيخ عثمان بن فوديو، الذى قام بحركته المخلصة فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وأوائل القرن التاسع عشر، لكى يخرج مسلمى منطقة غرب القارة من رقدتهم وليوقظ وعيهم، وبعث النشاط الإسلامى فيهم عن طريق دعوته السلمية وحركته التجديدية التى امتدت إلى كل كل منطقة غرب القارة.

ولقد اتسع نطاق دعوته وانتشرت بوجه خاص فى إمارات الهوسا وهى: كانوا، كاتسينا، زاريا، رانو، جوبير، بيرم، دارا، وأيضا إمارات سوكوتو زنفارا، كبيبى، نربى، بوشى، ناورى، جوارى، راجع مقالنا فى مجلة الفيصل: مراكز الحضارة الإسلامية فى إمارات الهوسا.

## شعب الفولانى:

لقد اختلف الكثير بشأن هذا الشعب، فمنهم من يقول شعب الفلانة، والعرب هم الذين يطلقون عليهم هذا الاسم، فى حين يطلق عليهم سكان إمارات الحرصة شعب الفولانى، وأما هم فهم عبارة عن بدو رحل رعاة فيطلقون على أنفسهم شعب الفولية، وقد اختلف الباحثون من رجال الانترولوجيا والاركيولوجى والتاريخ بشأن أصل هذا الشعب؛ ولكنهم اتفقوا جميعا على أنه شعب واحد على منطقة غرب القارة الأفريقية، فمنهم من يرى فى أن هذا الشعب هم عبارة عن جزء من شعب بلاد النوبة فى السودان الشرقى، ويرى البعض الآخر أنهم من عناصر البربر الذين رحلوا من جنوب بلاد المغرب واستقروا فى منطقة أعالى نهر السنغال مؤقتا، وقد خضعوا فى بادىء أمرهم للدول التى قامت فى منطقة غرب القارة (غانا، مالى، سنغاى) وإن كانوا هم يدعون لأنفسهم أصولا عربية وشعبا عربيا شأنهم شأن الكثير من القبائل الافريقية التى انتسبت إلى العرب، ويقولون

أن جدهم الأكبر عقبة بن نافع الفهرى أو عقبة بن عامر الذى تزوج من ابنة ملك قبائل التورود Turud وأنجب أربعة أولاد،ومن سلالة هؤلاء الأولاد كان شعب الفولانى،وهناك من يقول إن الفولانيين من مصر العليا، هاجر أوائلهم غربا عبر شمال افريقيا إلى ساحل المحيط الأطلسى، ثم رحلو إلى الجنوب الشرقى، وهم يعتبرون أنفسهم من الشعوب البيضاء ولاسيما الطبقة الحاكمة منهم، وكانوا يتفوقون على الوطنيين سكان المنطقة ببعض الثقافة الإسلامية، وكان لهم مركز خاص بين سكان غرب أفريقيا.

ومهما يكن من أمر فإنهم منذ القرن الثالث عشر الميلادى بدأت حركة التنقل تأخذ طريقها من السنغال الى الشرق، حيث استطاعوا أن يصلوا الى شمال غرب نيجيريا حيث استقروا للرعى والدعوة للإسلام بين القبائل التى سكنوا بالقرب منها،وقد اقاموا لهم امارات محلية، وإن كانت جماعات من شعب الفولانى لم تتحرك إلى نيجيريا حيث شعب الحوصا،ولكن استقرت مع شعب الماندى بالقرب من نهر النيجر،وقد اشتغل فريق منهم بالرعى والاخر بأعمال التجارة فى المدن،وقد امتدت هجرتهم شرقا حتى وصلت الى بلاد برنو ، ذلك لأنه فى عهد السلطان الحاج عمر بن إدريس الذى حكم برنو تسعة عشر عاما وتسعة أشهر (١٠٣٦ هـ -١٠٥٥ هـ / ١٦٢٥ - ١٦٤٥ م) وفد الى برنو فى عهده بعض رعايا شعب الفولانى،وكان من بينهم بعض المشايخ مثل الشيخ ولديد الذى استوطن كلنبرد شكال برنو واتخذ هذه المدينة لنشر الإسلام، وكان معه الشيخ الوالى ابن الجرمى،وقد قاما بهداية الناس وبتعليمهم الإسلام الصحيح الخالى من البدع والخرافات وقراءة القرآن.وتزاحم الناس لأخذ التعاليم الدينية الإسلامية عنهما وقد تاب على أيديهما بعض موظفى السلطان برنوا،وكان سلطان البلاد من بين هؤلاء التائبين .

وقد استفاد شعب الفولانى من سقوط سلطنة سنغاى تحت الحكم المراكشى عام ١٥٩١م،اذ ساعد ذلك على تجمعهم وازدياد نشاطهم ووجودهم فى المنطقة،وهذا هو الذى ساعد عثمان بن فودى فى حركته، إذ أخذهم مادته الأساسية فى حركته الإصلاحية الكبرى التى اضطلع بها فى القرن التاسع عشر للجهاد والعمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة فى تلك المنطقة الواسعة، ومحاربة كل ما يتنافى مع التعاليم الإسلامية السمحة.

## أحوال المنطقة قبل دعوة عثمان بن فودى:

يبدو أن الظروف التى سادت المجتمع الإسلامى ككل قد كانت بشكل أوضح فى منطقة غرب القارة،ذلك لأن إمارات الحوصا التى تعمق الإسلام فيها كانت تجد صعوبة ومشقة فى محاولة نشر الإسلام بين القبائل الوثنية فضلا عن انقسامها على نفسها ومحاربة بعضها البعض،فقاتلت كانوا التى هى من أغنى الإمارات وأوسعها،وهى أسبق إمارات الهوسا دخولا فى الإسلام مدينة كاتسينا، وكذلك تصارعت الإمارات الأخرى مع بعضها البعض،وهكذا كانت المنطقة مسرحا للصراع السياسى والاقتصادى من أجل بسط النفوذ وذلك بعد أن تخلصت بعض هذه الإمارات من سلطان سنغاى مثل إمارة كبيسى وبعضها الآخر لم يعد لبرنو نفوذ عليها إلا دفع الجزية،مثل دارا وجوبير.

كذلك فإن الإسلام لم يكن قد تمكن من نفوس السكان بالمعنى الصحيح،بل كانت لاتزال إمارات كثيرة أغلب سكانها تعيش على الوثنية،ويشكل المسلمون نسبة عددية قليلة،بل ان هؤلاء لم يكن نصيبهم من الاسلام إلا اسمه،فقد سادت بينهم العديد من المفاسد الدينية والدنيوية،وقد كان منهم من لازال يكشف عورته ويشرب الخمر ويعمل عمل أهل الجاهلية،كأكل الميتة والدم،وكان البعض الآخر لا يحافظ على أداء الصلاة ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤتى الزكاة، بل إن امارات الهوسا المنقسمة على نفسها والمتصارعة فيما بينها لم تستطع أن تقاوم هذه المفاسد التى كانت منتشرة بين السكان فى المنطقة كلها والتى منها برنو،وكانم،وسنغاى،وأن تغالب الوثنية وأن تجنب الدين الإسلامى الشر الذى انتشر بين السكان .

ولقد كانت كل هذه الظروف فرصة مهيأة لظهور شعب الفولانى المسلم الذى اشتهر بالدعوة للإسلام،وكان الكثير منهم دعاة مخلصين لله قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودى.

ولقد سمحت إمارات الهوسا لقبائل الفولانى المهاجرة من الشرق أو الشمال فى شكل هجرات سلمية بالاستقرار على تخوم أراضيها الشمالية،ويذكر أن عرب الشوا Shuwa فى برنو هم الذين سهلوا للفولانى الاستقرار،وهذا يؤيد لحد ما أن أصول الفولانى عربية -

ولقد كانت هذه الهجرات السلمية لشعب الفولانى ذات أثر بعيد فى تاريخ المنطقة، ذلك لأن تلك الهجرات السلمية قد استطاعت فى نهاية الأمر أن تمتزج امتزاجا كاملا مع شعب الهوسا بعد خضوع الهوسا للسلطة الدينية الجديدة التى قادها عثمان بن فودى، وأن يقيم شعب الفولانى دولته الإسلامية الفتية التى اتخذت من مدينة سوكوتو عاصمة لها وأن تضم كل إمارات الهوسا وأجزاء من برنو ، وأن تنشىء دولة إسلامية مدت نفوذها على كثير من المناطق،والتى عملت على ضرورة العودة إلى أصول الدين الإسلامى،ومحاربة البدع المنتشرة والخرافات السائدة فى مثل ذلك المجتمع الإسلامى،والتى كانت ظاهرة بصورة واضحة،وإمارات الهوسا والتى منها تقديس العديد من الأرياح وعبادة الأشجار التى كان يعتقد أن الروح قد حلت بها وأيضا الأحجار والأنهار وتقديم القرابين، وطغيان أولى الأمر من السلاطين والولاة وحلقات الرقص العارية.

ولقد كانت كل تلك الأمور واضحة فى سلطنة برنو،وكانم،والهوسا،وسنغاى، ومن هنا وجدت حركة الشيخ عثمان بن فودى طريقها للنجاح .

سيرة عثمان بن فودى:

ينتسب هذا المصلح الدينى الى شعب الفولانى،وهو ينحدر من أسرة من هذه البطون الفولانية التى اتخذت وطنها الأول فى فوتانورد،ثم هاجرت حتى دخلت سهول نيجيريا وقامت فى بلاد الحوصا،وفى هذه البيئة الدينية التى كانت تحياها أسرته الصغيرة وعائلته التى كان بها الكثير من الدعاة، ولد الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن فـــودى فى قرية طفل بإمارة جوبير فى مكان يدعى مارتا فى عام ١١٦٩ هـ،وإن كان البعض يذكر أنه ولد فى شهر صفر عام ١١٦٨ هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٧٥٤ م.

وكلمة فودى تعنى فى لغة الكانورى سكان برنو الرئيسى،أو شيخ البدو،أو العالم،وقد اكتسب والد عثمان هذه الصفة الأخيرة حيث كان عالما من علماء الدين الإسلامى فى القرية التى ولد بها عثمان،وكان بيته بيت علم ودين وفتوى،واشتهر بذلك فى ولاية جوبير، وقد أسلم أجداده منذ زمن طويل وتفقه أبوه فى الدين واشتغل بالعلم،وكان من

أهل الفتيا واشتغل به بيته كله زوجته وبناته وأولاده، شب فى هذه البيئة المتدينة فأولع بالعبادة والذكر، ونشأ نشأة دينية خالصة ثم بدأ يخطو خطواته الأولى فى طريق العلم والثقافة.

تلقى علومه الإسلامية والدينية ودروسه الأولى فى اللغة العربية على يد والده الشيخ محمد فودى وجدته رقية وأمه حواء،ويلاحظ القارىء هنا أن نساء شعب الفولانى كن يتمتعن بنصيب موفور وبحظ ليس بقليل فى نيل العلم وتعلم العلوم الإسلامية ودراسة مبادىء القراءة والكتابة باللغة العربية وحفظ القرآن الكريم.

حياتـــــه:

وارتحل الشيخ عثمان مع أسرته المكونة من والده، وجدته،وأمه الى بلدة ديجيل من إمارة جوبير،وحفظ القرآن الكريم وهو صغير،ثم بدأ يتجه للتمكن من العلوم العربية والإسلامية،فقد درس اللغة العربية وعلومها على يد الشيخ عبد الرحمن بن حمد،وسمع الفقه عن الشيخ محمد بن عبدالله،وارتحل إلى إمارة زنفر من امارات الهوسا حيث سمع التفسير ودرس الصحيحين هناك.

ولكنه لم ينتفع بما درس وحصل عليه من العلوم،ورغب فى الاستزادة والتبحر فارتحل شمالا إلى بلاد الطوارق جنوب الصحراء الكبرى،حيث بلدة أفاديس ذات المكانة الدينية والإسلامية،وهناك آخذ العلم عن الشيخ جبريل بن عمر، وعند الشيخ جبريل بن عمر تفتحت عيناه على أمور إسلامية جديدة،وسمع لأول مرة ضرورة العودة إلى التعاليم الإسلامية الصحيحة ونبذ كل مالا يتفق مع الكتاب والسنة.

ذلك لأن الشيخ جبريل كان قد سبقه لأداء فريضة الحج حيث كان قد قام بأدائها للمرة الثانية فى عام ١٢١٠ هـ،وكان الشيخ جبريل قد التقى فى مكة المكرمة ببعض مشائخ التوحيد أنصار دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب،ودرس بعض الكتب التى ألفها الشيخ الامام المصلح.وارتوى التلميذ ابن فودى من هذا المنهل الإصلاحى على يد أستاذه جبريل.

وعاد الى بلاده الحوصا،وهناك هاله حال المسلمين،فهم يخالطون الوثنيين دون تحرج ويقلدون العامة،وأصبح الدين الإسلامى تشو به الكثير من البدع وانتشرت الخرافات وساد الجهل بقواعد الإسلام وتعاليمه بين المسلمين فى تلك الجهات .

## عثمان بن فودى فى مكة المكرمة:

لقد كان ما سمعه عثمان عن شيخه جبريل بن عمر عن الدعوة الإصلاحية التى انتشرت فى أنحاء الجزيرة العربية دافعا قويا له على أن يعد الرحال الى بيت الله الحرام لكى يؤدى الفريضة،ويلم بتعاليم الدعوة التوحيدية،ويطلع على كتب شيخها،ويلتقى بالعديد من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب،وكانت دعوة التوحيد قد انتشرت فى الحجاز منذ عام ١٢١١ هـ حيث جاء على رأس الحجيج نفر من كبار علماء ال الشيخ وقام السعوديون فى عام ١٢١٤، ١٢١٥ هـ بالحج فى جموع بالغة الكثافة،وكان على رأسهم سعود الكبير بن عبدالعزيز،وكانت دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب قد أتت ثمارها فى الحجاز فانضم اليها العديد من قبائل الحجاز، وجاء الأمير سعود الكبير إلى مكة عام ١٢١٨ هـ حاجا[١]،ولكن ما أن حل عام ١٢١٩ هـ حتى كان أنصار دعوة الشيخ قد سيطروا على مكة المكرمة[٢]،وظل حكمهم لها حتى عام ١٢٢٨ هـ.

وجاء الشيخ عثمان حاجا الى مكة المكرمة عام ١٢٢٠هـ، وفى مكة المكرمة خالط عثمان أخبار الشيخ ابن عبدالوهاب ودعاة الدعوة التوحيدية واستمع اليهم واطلع على العديد من الكتب التى ألفها الشيخ بنفسه،ومنها: رسالة كشف الشبهات، وأصول الإيمان، معرفة العبد لربه ودينه ونبيه، المسائل التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، فضل الإسلام، نصيحة للمسلمين، و الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، رسالة فى أن التقليد جائز لا واجب، كتاب الكبائر .

وبعد أن اطلع على هذه الكتب والتى استطاع أن يستنسخ بعضا منها، أيقظت

(١) لم يحج الأمير سعود الكبير عام ١٢١٨ هـ ولكنه حج عام ١٢٢١ هـ انظر تاريخ ابن بشر ص ٣٣
(٢) لم يسيطر أنصار الشيخ فى عام ١٢١٩ هـ وانما سيطر عام ١٢٢٠، تاريخ ابن بشر ط ٢

هذه الأفكار الإصلاحية الجديدة فى نفسه الرغبة فى أن يحارب البدع فى بلاده،كما حاربها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى بلادهم وفى سائر الجزيرة العربية، وأن يعلنها ثورة على المفاسد التى يقوم بها أولى الأمر فى بلاد الهوسا وفى منطقة غرب أفريقيا، كما كانت دعوة الإمام محيى السنة ومبطل البدعة ثورة على المفاسد.

وقويت فى نفسه الرغبة فى إيقاظ مسلمى غرب القارة الافريقية من خمولهم ورقدتهم وحياتهم التى لا تسير على روح الإسلام وتعاليمه. وقفل الشيخ عثمان بن فودى عائدا إلى بلاده بعد أن مكث فترة تقترب من العام فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ويقول محمد بن بللو فى كتابه «إنفاق الميسور» إن الشيخ ولديد بن جرمى الذى كان يدعو للإسلام فى برنو قد تنبأ بظهور دعوة الشيخ عثمان بن فودى، وأنه سوف يتزعم حركة جهاد مقدس، وسوف يكثر أتباعه ، وسوف يخوض حروبا مقدسة، وأن الشيخ ولديد قد نصح بأنه اذا ظهر هذا الشيخ فإن المسلمين فى غرب افريقيا يجب أن يتبعوه ويناصروه وأن يلتفوا حوله، لأن دعوة هذا الرجل تكون أصولها فى أرض الجزيرة العربية حيث ستنطلق دعوة تعيد للإسلام مجده وتجدد شبابه ويتخلص الإسلام من كل شىء شابه .

وهذا ماذكره ابن الشيخ عثمان بن فودى، وقد يكون ذلك نوعا من كسب التأييد لدعوة والده لانضمام الأنصار حوله .

## الصدع بالدعوة :

عاد الشيخ عثمان الى بلاده وكله حماس للدعوة السلفية وتخليص العقيدة الإسلامية من كل شىء يتنافى مع الكتاب والسنة،وأخذ يلقى الدروس والمواعظ فى كبيبى وجوبير، ثم انتقل إلى زمعاراء،ومن ثم بدأت سمعة الشيخ وشهرته فى بلاد الهوسا تتزايد ويكثر أتباعه،ولما رأى نفسه من القوة الروحية وترسخ العقيدة الإيمانية وكثر أتباعه فإنه سار على المنهج الذى سار عليه المصلح ابن عبدالوهاب،حيث التجأ الى سلطان زمعارا يدعوه لدعوته واتباعه ليساند الدعوة،ولكنه لم يجد لديه قبولا.

وأعلن مبادئه على أتباعه،وهذه المبادىء تظهر واضحة وجلية فى المؤلفات التى ألفها ونشرها وبلغت اثنى عشر مؤلفا، وقد وصلت ربما إلى عشرين مؤلفا .

ومنها كتاب الفرق، كتاب وثيقة أهل السودان ، كتاب تنبيه الأخوة، كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة، وكتاب نور الألباب.

ونقول هنا إن كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة الذى طبع فى القاهرة عام ١٩٦٢م فإن الذى يلقى نظرة فاحصة على ما جاء فيه يجد نفس النمط والأسلوب والمعنى فى أقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا يدحض كثيرا من الآراء والأفكار التى قال بها الكثير من الغربيين والمستشرقين الحاقدين على الإسلام وعلى الدعوة الإصلاحية للشيخ ابن عبدالوهاب بأنه لا يوجد أدنى صلة أو علاقة بين دعوة عثمان بن فودى ودعوة الشيخ ابن عبد الوهاب .

كذلك ظهر تأثير الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبدالوهاب فى مؤلفات أقارب عثمان،ومنهم أخوه عبد الله وابنه محمد بللو،وكلاهما ألف فى العقائد ونقل وشرح وظهر المنهج واضحا فى كتاب تذكرة الشيبان الذى أفرد ذيلا فى كتابه للشيخ محمد بللو بن عثمان ولبعض خلفائه.

والذى عرف عنه إنكاره للصلاة على روح الميت، تعظيم من مات من الأولياء، استنكاره المبالغة الزائدة والمفرطة فى مدح الرسول،وهاجم شرب الخمر،وفساد الخلق.

وبدأت دعوة الشيخ ابن فودى على نفس منهج الشيخ ابن عبد الوهاب وأنصاره فى بادىء الأمر،دعوة الى الدين بالحسنى والموعظة الحسنة، وكذلك الدعوة للاسلام بين القبائل الوثنية،وحض الناس على اعتناق مبادئه السمحة،وتعاليمه الخالدة،ومن ثم بدأت حلقات الطلاب تتسع ويزداد عدد أتباعه ومؤيديه.

ثم بدأ بعد ذلك الحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،وتاب على يديه خلق كثير، وتزايد عدد أنصاره ومؤيديه، وبدأ يدعو أمراء بلاد الهوسا جميعا للدخول فى دعوته، ويحضهم على إصلاح أحوال الرعية،ومحاربة البدع،والقضاء على الفساد،واعتصام قادة المسلمين فى غرب افريقيا واتحادهم وذلك على نشر رسالة الإسلام بين القبائل الوثنية التى لا زالت تعيش على الفطرة ولم تعرف الإسلام بعد،ولكن أعرض عنه من أعرض واتبعه من اتبعه،وكان الذين أعرضوا عنه هم الأكثرية حيث خافوا على سلطانهم وأملاكهم وسلطتهم فى البلاد.

## فحوى دعوة الشيخ عثمان:

من خلال دراسة مؤلفات الشيخ عثمان ودراسة تعاليمه وخطته التى سار عليها فى الدعوة الإسلامية، يتضح لنا تمام الوضوح أنه كان يدعو من منطلق دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وأن الذى يتمعن فى دراسة الدعوتين يجد تطابقا شبه تام بينهما،وهذا لا يدع مجالا للشك فى الأثر القوى للدعوة الإصلاحية التى قادها الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى دعوة الشيخ عثمان بن فودى، ويتضح ذلك من رغبة الشيخ عثمان فى دعوته السلفية الملحة فى العمل من أجل إعادة بناء المجتمع الإسلامى على أسس جديدة تعيد للإسلام بساطته الأولى أيام مهد الدعوة الإسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقاء الدعوة مما شابها كما كانت نقية أيام الخلفاء الراشدين، كذلك التزام الشيخ عثمان بمبدأ الشورى ، فإنه كان يتشاور مع أصحابه وأتباعه فى كل الأعمال التى ينوى القيام بها، وذلك تمسكا بقوله تعالى:

«وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ» «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»

وذلك تمسكا بأفعال الرسول الكريم، وكذلك التزام خلفائه من بعده بالعمل على اتباع نظام البيعة الإسلامية ، وهذا هو نفس ماحدث فى عهد الخلفاء الراشدين، بل إنه كان يذكر أصحابه دائما أن العناية الإلهية قد اختارته لإصلاح الدين مما أضيف اليه من بدع وتعاليم فاسدة لا تتمشى مع تعاليم وسماحة ، هذا الدين فى عهود لاحقة،وأنه يعمل على إعادة حكم الأمة والجماعة،كما أنه كان دائما يقول إن أساس دعوته هو رفع كتاب الله

فوق كل مكان وانتشار راية التوحيد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل بقاع غرب افريقيا .

ونفى عن نفسه فى قوة وصرامة وإصرار أن ما يقوم به ليس طمعا فى ملك أو سلطان أو أى غرض من أغراض الدنيا الزائلة، وإنما هو من أجل الله والدين.

وأنه عندما أراد استخلاف ابنه محمد بللو وأخذ البيعة له من بعده فإنه روى أن خطيب المسجد قرأ على الناس وثيقة الشيخ فى استخلاف ولده فى الإمامة من بعده، وذلك عملا على سياسة والده، وإن خالف ذلك فلهم الحق فى عزله، ولذا أتاه الأهل والأنصار من كل الأفاق وبايعوه على الخلافة من بعد والده.

وكان عثمان يأكل من كسب يده، ويأبى أن يقتات من أموال المسلمين، وكان أنصاره لا يكفون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بل إن جيوشهم كانت عندما تقوم بالغزو والجهاد تقرأ قبل الزحف المقدس آيات الجهاد وصورة براءة لتقوى الروح المعنوية للجنود، وليكون غاية الجهاد هو نشر الإسلام ومحاربة البدع أو الاستشهاد، وكان طابع جماعته التقشف والزهد فى الدنيا والعمل من أجل نصرة دين الله، بل إن الشيخ وأتباعه عملوا على تحطيم بيوت صنع الخمر وعقاب حاملها وساقيها وشاربها، والقضاء على كل المفاسد فى بلاد الهوسا حتى أن الأمر قد وصل بهم إلى كسر آلات الطرب والموسيقى، بل أن أحدهم قد قام بقتل ضارب الدف.

وقد قام الشيخ بتثبيت التوحيد الخالص بمحاربة كل ما يؤدى الى الشرك، كالإعتقاد فى قدسية بعض الأرواح أو الأشجار أو الأحجار أو الآثار أو الأنهار، وتقديم القرابين الى الجنة لإبعاد آذاه، وزيارة قبور الأولياء بقصد نيل شفاعتهم والتبرك بهم.

## مراحل الجهاد الاسلامي :

كان الشيخ عثمان بعد أن كثر أتباعه وازداد أنصاره قد قرر أن يشتغل بدعوته الى وعظ الأفراد وإرشادهم،ولعله كان يريد أن يحقق ما حققه الشيخ ابن عبد الوهاب من قبل فى أن يجد أحدا من الأمراء يقتنع بدعوته،ويدعو له بين الأقوام فى إمارات الهوسا،كما تم لآل سعود من قبل فى احتضان دعوة الشيخ المصلح ابن عبد الوهاب .

فاتجه الى أمير جوبير وبين له الحق والباطل،وشرح له تعاليم الإسلام الصحيحة وطلب منه أن يعاونه فى إقامة العدل،وإحياء الدين الإسلامى على أسس من التقوى والايمان والبعد عن الخرافات،ولكن يبدو أن هناك خلافا دب بينه وبين أمير جوبير مما اضطره إلى الرحيل إلى إمارة زنفر وكبيبى لنشر دعوته ومبادئه الإصلاحية، وهناك وجد إقبالا شديدا على دعوته، وبدأ الناس يدخلون فى معيته بعد أن أسلم العديد من الوثنيين من سكان تلك الإمارتين، وسرت سمعته ودعوته سريان النار فى الهشيم بين سكان إمارات الهوسا، وإزاء هذا النفوذ القوى أعلن أمراء الهوسا طرده من بلادهم، وأمروه بالخروج، وهددوه بالقتل هو وأعوانه.

ولما لم يجد أحدا ينصر دعوته خرج مهاجرا الى الشمال الى أطراف الصحراء، وكان ذلك فى عام ١٨٠٤م. فإذا الأمراء يتعقبونه ويقفون عقبة فى طريقه للرحيل شمالا.

وازاء هذا الموقف فإنه لم يجد بدا من إعلان الجهاد المسلح للحفاظ على دعوته ورد كيد الأعداء عن دعوة الإسلام، فبايعه أصحابه على الجهاد أو الموت وطاعة الله ورسوله وبايعوه على اعتبار أنه أمير المؤمنين.

ووجدت دعوة الجهاد المسلح استجابة سريعة وقوية لدى أنصاره فى كل أنحاء نيجيريا وذلك لإعلاء كلمة الدين الإسلامى،ووقفوا أمام الحركات التى بدأت تطارد أبناء شعب الفولانى فى كل مكان من إمارات الهوسا وبرنو وكانم، وبدأ الناس يفدون من أنحاء كثيرة من البلاد وقدموا اليه مهاجرين ينضمون لجيشه الإسلامى ويؤيدون دعوته بأنفسهم وأموالهم.

ومن هنا فقد بدأت دعوته الإصلاحية تدخل مرحلة جديدة من مراحل الجهاد،فبعد أن كان يدعو الناس للدخول الى الإسلام بالسلم والمجادلة الحسنة والدعوة الصالحة،وجد عقبات تقف فى سبيل دعوته وتحاول القضاء عليها،فكان لابد من درء الخطر عن دعوة الإسلام الإصلاحية فى نيجيريا ودفع خطر الكفر والوثنية وكيد الأعداء، فأعلن الجهاد المسلح.

وبذلك تكون قد بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ نيجيريا، بدأت منذ عام ١٨٠٤م حيث استطاعت حركة الشيخ عثمان دن فودى أن تجد صدى سريعا لدى سكان المناطق بعد أن بدأت الحركة تحرز الكثير من الانتصارات على أمراء بلاد الهوسا، وبدأت سمعتها تقوى فى غرب افريقيا بأسرها .

وذلك هو نفس الأسلوب الذى اتخذته دعوة الإمام الشيخ ابن عبد الوهاب عندما تحرك آل سعود لدفع الخطر عن دعوة التوحيد والقيام بالواجب الاسلامى فى نشر الدعوة فى الأرجاء الواسعة من الجزيرة العربية .

الجهاد المسلح :

لما كان ملك جوبير قد ألح فى طلب الشيخ عثمان وأنصاره،وهاجم المدينةالتى يقيم فيها ، فهرب عثمان مع قومه،ويعتبر تاريخ هذا الهرب أو الهجرة فى ٢١ فبراير ١٨٠٤م حادثا خطيرا بالنسبة للدعوة اذ ازدادت سطوة الفولانى وقوة الدعوة الإسلامية إذ بدأ دور الفتح والجهاد.

واستقر الشيخ عثمان فى مدينة جودو،وبدأ الشيخ عثمان جهاده ضد براكنة الهوسا، وانتصر على ملك جوبير فى يونيو ١٨٠٥ م،وخشى كل أمير من أمراء الهوسا أن يكون مصيرهم هو نفس مصير سلطان جوبير،فقام كل أمير من أمراء الهوسا بالقبض على رعايا الفولانى فى كل من كاتسنا،وكانوا، وزاريا،ودورى،وبيرم،وغيرها من الامارات مما أثار الفولانى.

فقام الشيخ عثمان بمهاجمة مدينة كانو وهزم أميرها هزيمة ساحقة،وولى أحد أتباعه أميرا عليها،ثم هاجم أمارة زاريا وتم له فتحها عام ١٨٠٧م،واستولى على مدينة سوكوتو أوسكت، أو صكت بفتح الصاد وضم الكاف المشددة وضم التاء كما يكتبها الفولانى.

واتخذ هذه المدينة حاضرة لدعوته الإسلامية،واختار الشيخ أربعة عشر قائدا من أعظم رجاله وقادته،وأعطى لكل منهم علما وبارك هذه الأعلام،ودعا رجاله إلى الجهاد فى سبيل الله،ونجح الفولانى فى إخضاع جميع بلاد الهوسا، فاستولى على كل الإمارات والتى منها كانو، وكاتسيا،وزاريا،وأدوماوا،وكبيسبى،وكاتاجوم،ونوب،ودورى،وبوتشى، ومرسو،وولى على كل أقليم من هذه الأقاليم أحد حملة الأعلام أو أحد سلالتهم.

وكان الحماس يوحد بين صفوف أنصاره ويدفع فيهم الرغبة الملحة فى ضرورة رفع لواء الدين الإسلامى، والذى يدفعهم إلى ذلك طلب الشهادة ودخول الجنة أو الفتح والنصر والظفر ورفع راية التوحيد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل بقاع أرض الهوسا .

وحركة الشيخ عثمان الاصلاحية هذه شأنها شأن دعوة المصلح الدينى محي السنة ومبطل البدعة وحامل لواء السلف الصالح الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لقيت تشجيعا وتعضيضا من المخلصين لدين الله الواحد القهار، والراغبين فى الإصلاح ونشر دعوة الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، كما لقيت معارضة ومحاربة أنصار البدع والذين لم يعجبهم نهجها فى الاصلاح، كما مرت دعوة الامام ابن عبدالوهاب بكل هذه الأدوار، وقد اتسع نطاق هذه الدعوة بعد أن اتسع بعدها ليشمل كل بلاد الهوسا ليدخل فى طور جديد من أجل بسط قواعد الحق والايمان، ومن أجل القيام بالواجب الإسلامى فى سبيل الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وتمكين كلمة الله على الأرض، وإقامة الصلاة إيتاء الزكاة، والقضاء على البدع لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

ومن هذا المنطلق وقفت برنو فى سبيل دعوته بعد أن استطاع الشيخ عثمان وأتباعه أن يستولوا على إمارات الهوسا الشرقية التى كانت تخضع لنفوذ برنو، وإزاء ذلك حدث التصادم والصراع الطويل بين الفولانى والبرنو، وظهر فى برنو الشيخ محمد الأمين الكانى الذى دارت مراسلات بينه وبين الشيخ عثمان بن فودى .

الجهاد ضد برنو:

لقد استقر بعض الفولانى والأقاليم الغربية من برنو منذ فترة طويلة،وتجمعوا فى أقليم جوجبا Gejeba واستطاعوا أن يكونوا قوة بشرية ودينية هائلة،وعندما وزع الشيخ عثمان الأعلام على أتباعه كان نصيب ماهر المختار وابراهيم زكى القلب أن يتوجها إلى أطراف برنو الغربية حيث منطقة عملهما،ولم يكد يصل هذان المجاهدان إلى مركز القيادة التى حددها لهم الشيخ عثمان حتى انضمت إليهما الجماعة المقيمة، فنظم كل واحد منهما جيشا قوامه الايمان بالله وحده وطلب الشهادة فى إعلاء كلمة دينه.

وقد استطاع قواد الفولانى هزيمة أمراء برنو الغربية الذين يحكمون الإمارات الغربية من البلاد،وبعد هذه الهزيمة فإن الطريق أصبح مفتوحا إلى عاصمة برنو أمام الجيش الثانى بقيادة الماهر المختار الذى سار جنوبا نحو العاصمة،واستطاع أن يسيطر على العاصمة بعد معركة عنيفة،حيث قيادة الماهر المختار،وهرب السلطان أحمد بن دوناما سلطان برنو إلى كانم حيث طلب المساعدة من الشيخ محمد الأمين الكانمى.

وقد بقى الماهر المختار فى عاصمة برنو عدة شهور حتى استطاع طرده منها الشيخ الكانمى،واضطر الفولانى إلى الرحيل غرب البلاد إلى بلاد الهوسا وطردوهم من البلاد، وعندما بدأوا الهجوم ثانية على برنو فإن محمد الأمين الكانمى صدهم مرة أخرى وأجبرهم على العودة على الرغم من أنهم استولوا على جزء من البلاد، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يهزموا برنو هزيمة نهائية.

وسيطر الفولانى على كل شمال نيجيريا فيما عدا برنو،وأنه لولا مقتل الماهر المختار قائد جيش الفولانى فى برنو لتغير الوجه التاريخى للمنطقة،إذ أن مقتل الماهر المختار قد فرق قواته .

كذلك التعاون بين شعب البرنو الكانورى وشعب الكانيو بقيادة محمد الأمين الكانمى قد وقف فى سبيل انطلاق دعوة الشيخ عثمان.

كذلك فإن الظروف قد ساعدت شعب البرنو والأمين الكانمى، اذ توفى الشيخ عثمان ابن فودى عام ١٨١٧م، وبويع ابنه محمد بللو كأمير للمؤمنين فى البلاد، ولكن الادارة انقسمت بين الأمير محمد بللو ابن الشيخ عثمان وبين عبد الله ابن فودى شقيق الشيخ الراحل، وبقى القسم الشرقى تحت سيادة وسلطة أمير المؤمنين محمد بللو، والقسم الغربى تحت سيادة عبد الله بن فودى.

وقد ذكر محمد بللو عن أهل برنو قوله إن لهم مواطن يركبون اليها ويذبحون لها ويرشون الدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل فى مصر أيام الجاهلية، وأن لهم أعيادا يجتمعون فيها .

ومن هنا فإن واجب الدعوة الإسلامية الإصلاحية بقيادة الشيخ عثمان محاربة برنو على الرغم من أنهم مسلمون، إلا أن البدع منتشرة بينهم، والخرافات تسود مجتمعهم، ولم ينتهوا عن ذلك بالطرق السلمية، بل ذبحوا رجال الدعوة وطردوهم من بلادهم، فحق جهادهم، وبعد أن هدأت حالة الحرب بين الفولانى وبين الشيخ محمد الأمين الكانمى بعد وفاة الشيخ عثمان فإن الشيخ الكانمى رأى من الحكمة والحنكة السياسية أن يتفاهم مع الفولانى، ولا بأس لدية أن يكرر رسائله اليهم بعد المراسلات العديدة التى ذكرها الشيخ محمد بللو فى كتابه النفاق الميسور، فبعث برسالة إلى محمد بللو سلطان سوكوتو أوضح له فيها أنهما أهل دين واحد هو الإسلام، وأنه بين برنو وبلاد الفولانى بعض القبائل التى لازالت تعيش على الوثنية، ولا تعبد الله، ولم تدخل دين الاسلام بعد، فهم قوم يجوز فرض الجزية عليهم ودعوتهم لدخول الاسلام، وعرض على سلطان سوكوتو أن تظل هذه القبائل حدا فاصلا بين برنو وبين سلطان الفولانى على أن يحترم كل منهما حدود الآخر.

فإلى الشرق من هذه القبائل الوثنية تقع بلاد برنو التى أضحت تحت سلطان الكانمى، وإلى الغرب من هذه القبائل تقع بلاد الفولانى.

وهنا تكاد الظروف تتشابه مع دعوة التوحيد فى الجزيرة العربية، فكما وقف السلطان

العثمانى فى تركيا،ومحمد على فى مصر فى وجه الدعوة السلفية،فإن الشيخ محمد الأمين الكانمى وقف فى وجه دعوة الشيخ عثمان فى غرب افريقيا .

فلو أن الظروف السياسية فى منطقة الشرق الاسلامى أفسحت الطريق أمام دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب لتغير الوجه السياسى والدينى لمنطقة الشرق العربى الإسلامى برمتها،وانتشرت الدعوة خارج الجزيرة العربية الى آفاق أوسع وجهات أبعد، ولكن المطامع السياسية فى كل مكان وهى نفس المطامع،فقد حدت مطامع الكانمى فى برنو من سرعة انطلاق الدعوة السلفية فى غرب افريقيا .

## أثر دعوة عثمان بن فودى فى غرب افريقيا:

لقد تركت هذه الدعوة الاصلاحية أثرا عظيما وطيبا فى جميع أحوال المسلمين ، فى نيجيريا وفى غرب أفريقيا كلها، اذ عمت المفاهيم الإسلامية وعادت بالاسلام إلى خطه السليم وسيرة السلف الصالح،وقضت على كل الخرافات والبدع والشعوذة التى كانت سائدة فى تلك المنطقة ولا تتلاءم مع التعاليم الاسلامية الصحيحة،كذلك عملت تلك الدعوة على دفع حركة المد الاسلامى خطوات واسعة للأمام،إذ أرسل الفولانى وعاظهم ورجالهم إلى أقاليم الوثنيين لنشر مبادى الاسلام،ولم يعتمد الفولانى على الجهاد،وهذا مانصر الاسلام ورفع لواءه ، وانما قاموا بجهود طيبة لنشر الاسلام بالطرق السلمية،اذ بفضلهم انتشر الاسلام فى جنوب نيجيريا،وبهذه البلاد ملايين عديدة من المسلمين دخلوا الاسلام على نطاق واسع بفضل هذه الحركة الإصلاحية العظمى.

كذلك فقد كان لهذه الحركة أثر عظيم وكبير فى نشر اللغة العربية والعلوم العربية الاسلامية،إذ أضحت اللغة العربية لغة المراسم والمكاتبات والدواوين والمعاملات والتجارة، وأضحت كذلك لغة التأليف والكتابة والمراسلات،وتركزت بصماتها قوية واضحة فى لغة الهوسا ولغة الفولانى.

كذلك فإن كل المؤلفات التى تركها الشيخ عثمان بن فودى وكذلك أخوه عبدالله بن فودى كانت كلها باللغة العربية، بالإضافة إلى مؤلفات محمد بللو بن عثمان كانت أيضا باللغة العربية. ومن مؤلفات الشيخ عثمان: أصول الولاية، إحياء السنة، بيان البدع، ترغيب العباد، التصوف، تميز المسلمين، الجهاد، سوق الصادقين، شفاء الغليل، علوم المعاملة، عمدة العلماء، عمدة البيان، العقل الأول، كف الطالبين، المهدى المنتظر، المسائل المهمة، نصائح الأمة، نور الألباب، الهجرة.

ولأخيه عبدالله بن فودى ألفية الأصول، بحر المحيط فى النحو، تزيين الورقات، تخميس العشريات، تفسير التأويل، تفسير كفاية الضعفاء، الحصن الحصين فى الصرف دواء الوسواس، سبيل النجاة، ضوء المصلى، ضياء السياسة، ضياء الحكام، كتاب النيات، مصالح الانسان، مفتاح التفسير،مفتاح الأصول ، نيل المرام، نظم النقاية.

ولمحمد بللو بن عثمان: اتفاق الميسور، همزية البوصيري، وقصيدة بانت سعـاد، والبردية للبوصرى،وغيرها من المؤلفات الأخرى .

إن أثر دعوة الامام المصلح محمد بن عبدالوهاب لم يلق عليها الضوء الكافى حتى الآن،فهى فى أمس الحاجة إلى الباحثين المجددين الـذين عليهـم أن يتحـروا الدقـة الموضوعية،والأمانة العلمية فى بيان أثر هذه الدعوة فى العديد من أقطار العالم الاسلامى وليس فقط فى غرب افريقيا.

ومعذرة أخى القارىء الكريم حيث نكتفـى بهـذا العـرض الموجـز لأثـر الدعـوة الاصلاحية السلفية بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى غرب افريقيا .

والســــلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

# المصادر والمراجع


١- آدم عبدالله الالورى : تاريخ الاسلام فى نيجيريا (بيروت) ١٩٥٦م

٢- ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم - برنو - الخرطوم ١٩٧٠م

٣- ابراهيم على طرخان : امبراطورية برنو الاسلامية، القاهرة ١٩٧٥م.

٤- احمد السباعى : تاريخ مكة، مكة، مطابع قريش، ١٣٨٢هـ .

٥- بكرى شيخ أمين : الحركة الادبية فى المملكة العربية السعودية بيروت ١٣٩٢هـ

٦- حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى القاهرة ١٩٥٧

٧- حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا، القاهرة ٥٨م

٨- تذكرة النسيان فى اخبار ملوك السودان، المؤلف مجهول، نشرة هودامس، باريس ١٨٩٩م

٩- دائرة المعارف الاسلامية مادة فوليه، الحوصة.

١٠- عثمان بن فودى : احياء السنة واخماد البدعة، القاهرة ١٩٦٢م.

١١- عبدالفتاح مقلدالغنيمى : سلطة البرنو الاسلامية رسالة ماجستير ١٩٧٥م جامعة القاهرة.

١٢- عبدالفتاح مقلدالغنيمى : المسلمون وحضارتهم فى غرب افريقيا تحت الطبع.

١٣- عبدالفتاح مقلدالغنيمى : مراكز الحضارة الاسلامية فى غرب افريقيا مجلة الفيصل.

١٤- عبدالفتاح مقلدالغنيمى : الدعوة الاسلامية وغرب افريقيا: مجلة الدعوة عدد ٦٥٢

١٥- عبدالفتاح مقلدالغنيمى : الاسلام والمسلمون فى نيجيريا، مجلة التضامن الإسلامى رجب ١٣٩٨هـ

١٦- على أبوبكر : الثقافة العربية فى نيجيريا: رسالة دكتوراه ١٩٦٨م - جامعة القاهرة.

١٧- أرنولد توماس : الدعوة الى الاسلام القاهرة ١٩٥٧م

١٨- محمد بللو بن عثمان ابن فودى : اتفاق الميسور بذكر بلاد التكرور، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

1) barth, h. travels in north and central africa. London, 58

2) Crowdet, M. the Story of nigeria. London, 1955.

3) Fage, T , An Introduction of the history of west Africa Combridhe, 1955.

4) hodqkin. t. Nigerian prespectives. London, 1960.

5) hogben, J. The Muhammaden Emirtes of Nigeria, london, 1930.

6) Meek, G.K. The Northern tribes of Nigeria. E. vols, London, 1931.

7) Palmer, R The bornu Ahava and Sudan. London, 1936.

8) Triminqhom, J.S. Ahistory of Islam in west Africa. London, 1962.

9) Trim inghqm, J.s. Islam in West Africa. London, 1959.

10) Urvoy, J. histors de I, emipre du bore. Paris, 1949.

# تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية في
# تايلاند
# بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لفضيلة الشيخ إسماعيل أحمد

رئيس جمعية الإسلام ببانكوك

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة جغرافية عن تايلاند:

تايلاند أو سيام هى مملكة بوذية من إحدى البلدان الواقعة فى جنوب شرق آسيا، متصلة بالهند الصينية، تقع لاوس فى شمالها وماليزيا فى جنوبها والبحر الصينى فى الشرق، وفى الشرق الغربى تتصل بدولة الهند الصينية ومن ناحية الغرب تتصل ببحر الهند وبورما، وهى بذلك تحاط بالدول البوذية إلا فى الجنوب، فماليزيا دولة إسلامية بالتعريف العرفى.

مساحة تايلاند: ٥٩٨,٣٧٠ كيلو مترا مربعا.

تعداد سكانها: ٤٣ مليونا.

المسلمون: ٤ ملايين (٤٪ التقرير الرسمى).

المسيحيون: ٢٪.

الباقى: ٩٤٪ (٤٠,٤٢,٠٠٠).

العاصمة: بانكوك سكانها حوالى ٤ ملايين.

وتقسم المملكة التايلاندية إداريا إلى ٧٣ ولاية أو مدينة.

وانتشار المسلمين فى الجنوب أكثر من المناطق الأخرى وهى الولايات الآتية:

١ ـ سورات.
٢ ـ نكون سريتا مراج.
٣ ـ فانغا.
٤ ـ كرابى.
٥ ـ بوكيت.
٦ ـ ترانج.
٧ ـ فتالونج.
٨ ـ سونكلا.
٩ ـ ستول.
١٠ ـ فطانى.
١١ ـ جالا.
١٢ ـ ناراتيواس.

ويتركزون في الولايات الأربعة الأخيرة حيث يمثل المسلمون غالبية عظمى من السكان، ولكن لا تخلو المدن الأخرى من المسلمين كذلك حتى أقصى المدن الشمالية،وهي مدينة شاينج ماى ثانية أكبر وأقدم الولايات السيامية، وهي عاصمة ومصيف المنطقة الشمالية.

والولايات الجنوبية الأربعة سكانها ٩٠٪ مسلمون من أقدم العصور،وأى زائر لهذه الولايات يشعر في أول وهلة كأنه يزور الولايات الماليزية، وانتشر المسلمون كذلك في الولايات القريبة من الولايات الجنوبية المذكورة وخاصة في الضواحي والأرياف مثل ولاية: كرابى، ترانج، فانغا، بوكيت، سورات، نكون سريتا مراج، فتالونج، سونكلا، وفي ولاية كرابى = ٥٠٪ من سكانها مسلمون، وبوكيت: مسلمون ٣٠٪، وسونكلا ٣٠٪ وبها ٣٠٠ مسجداً، وفتالونج مسلمون ٣٠٪ وعدد المساجد ٣٠، وكون سريتا مراج ١٠٪ وعدد المساجد ٧٣ مسجداً رسمياً وعدد آخر لم يسجل (تقرير لجنة إسلامية في نفس الولاية) وجملة المساجد في تايلاند كلها ٣١٢٣ مسجداً.

في حين عدد المعابد البوذية كلها ٢٣,٠٠٠ معبداً،أي: بنسبة ٢٣/٢٠١ = ٩,٢٣٪ ونسبة المسلمين إلى البوذية ٩,٣٠٪.

# بـــدء الدعـــوة
# فى تايلاند والقائمين بها

(١) فى جنوب تايلاند. (٢) فى بانكوك.

بدأت الدعوة الإصلاحية الإسلامية فى جنوب تايلاند حوالى عام ١٩٤٣م - بقيادة الأستاذ اسماعيل احمد فى دائرة فاكفجون تابعة لولاية فتالونج، وذلك بعودة الأستاذ من لكهنو حيث تخرج من كلية الندوة، وهى تمثل مدرسة «آراء» الأستاذ الشيخ أبوالحسن الندوى، ولاشك أن آراء التلميذ لا تختلف عن آراء الأستاذ تجاه مشاكل المسلمين وقضاياهم، وأن دائرة فاكفجون فى ولاية فتالونج جنوب تايلاند فيما بين عام ١٩٤٨ - ١٩٦٥م تشبه إلى حد بعيد بمدينة الدرعية فى عام ١١٥٧ هـ، ولكى تكون الصورة واضحة لديكم فلتتبعوا سيرة الدعوة الإسلامية فى هذه المنطقة الحساسة من جنوب تايلاند.

من بدايتها:

فى الأيام الأواخر من الحرب العالمية الثانية وبعد أن قاسى العالم من ويلات الحروب وخاصة اليابان من جراء إلقاء القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما والقنبلة الثانية على مدينة نجاساكى، وبدأت عمليات تبادل أسرى الحرب، وفى ذلك الوقت كان الأستاذ الشيخ اسماعيل طالباً حديث التخرج من كلية الندوة، ولازال مقيماً فى الهند بانتظار العودة إلى وطنه، وبما أن حكومة تايلاند آنذاك وقفت إلى جانب اليابان ضد أمريكا وحليفاتها فى بادئ الأمر. ولذا قبض على التايلانديين المدنيين فى الخارج إلا الذين أعلنوا أنهم مستقلون غير ملتزمين بسياسة الحكومة التايلاندية، ووضعوا تحت الحراسة فى الخيام العسكرية تمهيدا لتسفيرهم فى عمليات تبادل أسرى الحرب، ومن بينهم الخريج الجديد الأستاذ اسماعيل أحمد، وعاش كغيره عيشة الأسرى فى الخيام العسكرية

وكغيره كل أمله العودة إلى البلد، فأرسلته السلطة العسكرية الحاكمة فى الهند فى الباخرة الفخمة هو وغيره من أسرى اليابانيين،حيث وصلت سينغافورة ثم إلى تايلانـد عن طريق سكك الحديد يوم ١٩٤٢/٩/٢٢م، ثم سافر إلى بلدته فى الجنوب دائرة فاكفجون التابعة لولاية فتالونج والتى تبعد عن بانكوك بحوالى ألف كيلو متر، وما أن وطأت قدماه تراب موطنه حتى واجه سيلا من الأسئلة الدينية من بعض الأقرباء الذين درسوا فى المدارس المذهبية «فندق»، وكانوا ينتظرون عودة الأستاذ بفارغ الصبر، وأعدوا المسائل الخلافية ليحسمها الأستاذ بينما هو لم يثبت قدماه فى المدينة التى غادرها منذ طفولته.

فرد الأستاذ على أسئلتهم بصراحة وإخلاص مستدلا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه السلف،ولا يخاف فى الحق لومة لائم، فكان ذلك رد الفعل الشديد،ووقع فى النفوس وقع القنبلة الذرية،لأنهم لم يسمعوا بمثل هذا الجواب الصارم القـوى الحجـة من قبـل، فسر من سر وغضـب من غضـب وانقسمـوا إلى مؤيدين ومعارضين، واتسعت دائرة التأييد كما اشتدت المعارضة وتفننت فى الكيد والمكر للأستاذ ولأتباعه المخلصين، وبذل المعارضون كل ما فى وسعهم لوقف دعوة العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم لم ينجحوا، وسارت الدعوة الإسلامية فى خطها الذى قدر لها الخالق، ولم يكتف الاستاذ بإلقاء الخطب لإخوانه المسلمين وإفتائهم بل دعا المسلمين فى المنطقة إلى تأسيس مدرسة دينية، فتبرع أهل البلد كل بطاقتـه المحدودة حيث أنهم صيادون، وافتتح مدرسة أسسها «أنصار السنة» فى عام ١٩٤٥م، كان يديرها ويدرس فيها بنفسه، وكان التعليم مجاناً، والمنهج على الكتاب والسنة،والتدريس باللغة العربية فقط، وأهل البلد السائرون على هذا المنهج يقدمون الطعام بين حين وآخر مجاناً إلى تلاميذ المدرسة وأساتذتها، وفى نفس الوقت تقدمت الدعوة واتسعت دائرتهـا وشملت المناطق المجاورة وامتدت الى العاصمة، فجاء الطلاب المسلمون من الجنوب والشمال بل ومن ماليزيا نفسها، وفتحت مدرسة ثانية بنفس الاسم والمنهج فى العاصمة وثالثة فى المدينة القريبة منها نزولا على رغبات المسلمين هنـاك، افتتحـت النـدوات الإسلامية فى بعض المساجد وفى المناسبات المختلفة مثل أيام عيدى الفطر والأضحى، ونظمت الدعوة الاسلامية لتغطى المناطق المختلفة بابتعاث الطلبة الممتازين الفصحاء تحت المراقبة والاشتراك من الأساتذة، وفى السنوات الأولى من الدعوة الاسلامية اضطر

الأستاذ اسماعيل أحمد وبعض مؤيديه إلى خوض ميدان المناظرة مع العلماء المدعين بالعلم، والذين نصبوا أنفسهم علماء وارثين الأنبياء، وقد تجنب الأستاذ هذا الميدان لأنه ميدان الشياطين،ولكن ما بيد الأستاذ حيلة: فخاض الميدان رغم أنفه، وكانت المناظرة شاقة حارة لأسباب كثيرة منها أن الذين يدعون العلم ليسوا ملتزمين بآدات المناظرة والمجادلة هذا سبب، والسبب الثانى أن كثيراً من العلماء أسرى هواهم يتبعون عامة الشعب لارتزاقهم منهم، والسبب الثالث أن عامة الشعب يجهلون حقائق الإسلام،يتلون القرآن تلاوة الببغاء، ولكن الخير فيهم أنهم راغبون فى الاستماع إلى المناظرات الدينية. وقد وصل عدد الحاضرين فى بعض المناظرات الدينية إلى عشرات الألوف، وهذا ما حدث فى مدينة هادياى التابعة لولاية سونكلا إحدى الولايات الجنوبية عام ١٩٤٨م، وقد بحثت فى هذه المناظرة مسائل البدع والخرافات.

ومنذ اللحظة الأولى من الدعوة حاول أعداء الدعوة عرقلة سيرها بكل الوسائل،منها اتهام الدعوة بأرخص التهم مثل القول بأنها دعوة إلى دين جديد، مذهب جديد، قول جديد، دعوة وهابية ودعاتها الوهابيون .. الخ .

وقد آذوا الأستاذ سراً وعلناً، ولجأ البعض منهم إلى وسيلة أخرى، فاستعانوا بأيدى ثالثة وهم الكفار شعبا وحكومة، وهؤلاء لديهم وسائل وإمكانيات تفوق دعاة الدعوة وأنصارها، وقد اتهمت الحكومة سراً فى ذلك الوقت بأن الأستاذ له علاقة سرية مع الحركة الانفصالية فى الجنوب، وأرسلت بعض رجال المخابرات الى منزل الأستاذ للتفتيش والبحث على أى ذريعة يمكن بها أن تثبت تهمتها الباطلة، وذلك بإيحاء من بعض المسلمين المنافقين الذين تتأثر مراكزهم ومصلحتهم بالدعوة الإصلاحية الإسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وقد دفعت بعض الجهات المال لأحد رجال البوليس التايلاندى لاغتيال الأستاذ ، ولكن الله سلمه وإنقلبت الأمور ، واعترف المأجور بالخطة وأنه لم يطاوعه ضميره على القيام بمثل ذلك الإجرام .

وبعد ذلك قرر الأستاذ النجاة بالدعوة الإصلاحية والهجرة بمغادرة دائرة فاكفجون إلى بانكوك، وتذكرنا هنا بحادثة هجرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة الى مدينة

حريملاء تحت ظروف متشابهة، فترك الأستاذ دائرة فاكفجون ومدرسة أنصار السنة فى عام ١٩٥٥م،وفى بانكوك لم تتوقف الدعوة الإصلاحية الإسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولكن أخذت الدعوة تزيد نشاطاتها واشترك الأستاذ مع بعض زملائه فى بعض البرنامج الإذاعى لنشر الدعوة فى قلب العاصمة وعن طريق الاذاعة الرسمية، ودامت هذه الحركة لمدة ٨ ـ ١٠ سنوات حيث أوقفت بعد ذلك بسبب الظروف السياسية والمحيطة بحرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧م .

وكان الأستاذ وقت ذاك يفسر الآيات المتعلقة ببنى اسرائيل، والحقيقة أن الحكومة التايلاندية تمنح الحرية الدينية للمسلمين، وحرية الدعوة الإسلامية حتى عن طريق الاذاعة الرسمية، فياحبذا لو كانت الدول الإسلامية تحسن استغلال الفرصة والظروف لنشر الاسلام فى تايلاند، لأن التايلانديين ساذجون إلى أبعد الحدود،وإلى جانب نشر الدعوة الإسلامية عن طريق الاذاعة التايلاندية حاول الأستاذ نشرها عن طريق الكتب والمجلات وإلقاء المحاضرات فى بعض الجامعات التايلاندية وبعض المساجد، وعقد الندوات الإسلامية فى بعض منازل المسلمين فى بانكوك وبعض ضواحيها، كما كان يكتب مقالات دينية ينشرها فى بعض المجلات ويدرس فى بعض المدارس الإسلامية فى بانكوك، فقاوم سكان العاصمة دعوته كما كان يفعل سكان الأرياف والمدن النائية وخاصة تلك الطبقة المحكمة فى الشعب والعلماء المرتزقين، وقد لجأ أصحاب النفوس الضعيفة من المسلمين والحاقدين إلى وسيلة الأرياف وذلك بتشويه الدعوة واتهام دعاتها بشتى الاتهامات، والمحاولة للنيل منه، وقد حاولوا لطخ منزل الداعية الإسلامى، وقطعوا التليفون عن منزله، وأرسلوا الخطاب الى المخابرات التايلاندية، أخبروهم بأن منزل الأستاذ مركز اجتماع المتآمرين من الجنوب، واتهموه بأنه قاديانى وينشر العقائد القاديانية، ولا نظن أنها آخر التهم مادام فى قلوبهم مرض، ولكن الدعوة تسير قدماً،وشملت طبقة المثقفين وخاصة طلبة الجامعات فى العاصمة وخارجها، بل بدأ بعض المواطنين الكفار والرهبان البوذيين يهتمون بالدين الإسلامى، كما حضر بعضهم الى مقر جمعية الاسلام للدعوة والارشاد فى بانكوك، وأرسل بعضهم الرسائل الى مجلة الجهاد التى يصدرها تلاميذنا تحت إشرافنا، وننشر بعض هذه الرسائل الواردة من الرهبان والمؤلفة قلوبهم.

# المنهج الذى تسير عليه
# الدعوة الإسلامية فى تايلاند

منذ بداية الدعوة الإسلامية فى جنوب تايلاند فى حوالى عام ١٩٤٣م، كانت ولاتزال تسير على منهج الكتاب والسنة والسلف قولاً وعملاً: قولا بدعوة المسلمين إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالحين،وإلى التحكيم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى حل المسائل الخلافية،وتدعو الناس إلى نبذ البدع والخرافات والوثنيات التى تغلغلت فى نفوس المسلمين تغلغلا وصل إلى أعماق القلوب، فعميت الأبصار عن رؤية حقائق الإسلام ولبه حتى جعلتهم لا يدركون التمييز بين الإيمان والكفر، ولا بين الشرك والتوحيد، فما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون،واشترك بعض المسلمين الجهلاء مع البوذيين فى المراسيم البوذية،وتبرعوا فى بعض الاحتفالات البوذية،كما ابتدع المسلمون احتفالات مثل المولد النبوى ، ويوم عاشوراء ، ويقيمون الولائم الدينية مثل : وليمة يوم السابع - الأربعين - ثمانين - لوفاة فلان وفلان ، ويتركون الصلاة ويهملون العبادات ، وكان بعضهم يصلى مرة فى الأسبوع فى الجمعة والبعض الآخر يصلى مرتين فى السنة وهما صلاة عيد الفطر والأضحى .

واهتمت الدعوة الاسلامية فى تايلاند أول ما اهتمت بالصلاة المفروضة والنافلة وأدائها حسب ما جاء بها فى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم دون إفراط أو تفريط، ابتداء من الوضوء إلى الأدعية بعد الصلاة كما بذلت جهودها فى تعليم وشرح كلمة «لا إله الا الله محمد رسول الله» وأدت دراسة كيفية الصلاة إلى انقسام المسلمين إلى قسمين: قسم يصلى كما ورد فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وآخر يصلى كما كان يصلى إمامهم أو إمام أمهم فى ولايتهم بالسنة،وذهب بعضهم إلى عدم الائتمام بالإمام السنى فأقيمت صلاة الجمعة مرتين فى بعض المساجد مرة لهؤلاء وأخرى لأولئك وانشقوا على أنفسهم وبنوا مسجداً إلى جانب مسجد والبعد بينهما لايصل إلى كيلومتر واحد، وتعصبوا

للمذاهب وبعضهم شافعيون أكثر من الإمام الشافعي أو يدعون الشافعية وهم بعيدون عنها، وقد زينوا صلاتهم بالبدع والخرافات،ويرفعون أصواتهم المزعجة بالتهليل والتكبير، ويهزون رءوسهم وأبدانهم ويعتقدون أن هذه الحركات جزء من الصلاة،ولما دعوناهم إلى نبذ تلك البدع والخرافات ردوا علينا بأن دعوتنا وهابية ونحن منتسبون إلى مذهب جديد، فقاطعونا بكل الطرق؛لا يزوروننا ولا يعودون مرضانا ولا يشيعون أمواتنا ويقطعون الأرحام في حين أننا نعاملهم معاملة الأخوة،أي:نرد السيئة بالحسنة نرشدهم وندعوهم إلى إخلاص العبادات لله وحده ولا نشرك به شيئا وأن نوصل الأرحام وتحكيم القرآن والسنة، وكان معظم المسلمين لا يعبدون الله إلا وهم مشركون، لأنه لا تكاد تخلو كل قرية في تايلاند منذ ٣٠ سنة ماضية لا تخلو من شجرة أو حجر أو ولي يتبركون به ويحتفلون لأجله ويقدسونه تقديساً،ويحسبون أنهم يحسنون صنعا،فكانوا يضحون بأموالهم وأنفسهم ويدافعون عن وثنياتهم دفاعاً مميتاً،كما أشربت في قلوبهم الوثنية والبدع بكفرهم وجهلهم بالإسلام.

وينقسم المسلمون في تايلاند إلى جماعتين أساسيتين:

(١) أهل الكتاب والسنة.

(٢) أهل البدع والخرافات.

ويمثل رئيسهم شيخ الإسلام الذي عينته الحكومة التايلاندية،وهذا من حسن نواياها لأنها لا تعرف شيئا عن الإسلام وما يدور في المجتمع الإسلامي من الخلافات المذهبية، وكان أول مقاصد الحكومة من تعيين منصب شيخ الإسلام هو أن يكون مستشار الملك في الشئون الاسلامية حتى لا تصطدم ادارة الحكومة وسياستها مع عقائد المسلمين وتقاليدهم،ولكن بعد مرور الوقت أصبح هذا المنصب تابعا للشئون الدينية في وزارة المعارف،وقيل لنا إنه يوجد مكتب شيخ الاسلام في وزارة المعارف ولكنه لم يحضر إلى الوزارة إلا لاستلام المشاهرة مرة في الشهر. ولذا فإن الحكومة لا تستفيد شيئاً من آرائه إلا أنها لا تجرؤ أو لا تريد أن تمس شيخ الإسلام خوفا أو احتياطا منها من تأثير ذلك على شعور المسلمين، وكانت الحكومة تفهم أن أهل الكتاب والسنة السائرين على منهج

الشيخ محمد بن عبدالوهاب هم من نفس جماعة البدع والخرافات التابعين لشيخ الاسلام، مع أنه فى الواقع أن جماعة الكتاب والسنة لا يعترفون بشيخ الاسلام بل ينكرونه،وقد أدركت الحكومة فى الآونة الأخيرة أن هذه الجماعة يعارضون شيخ الاسلام فى آرائه وإدارته.

ولما رأى شيخ الإسلام وجماعته المتمسكون بالبدع والخرافات أن منهج الشيخ محمد ابن عبدالوهاب السائر على منهج الكتاب والسنة قد انتشر فى سائر المدن والقرى الاسلامية، حاولوا وضع العراقيل فى وجه الدعوة الإسلامية بشتى الطرق، فنذكر اثنتين منها:

(١) إيفاد أساتذتهم الخرافيين الى المناطق المنتشرة فيها الدعوة الوهابية لمحاربتها ووقفها، ولكنهم باءوا بالفشل بسبب أن المسلمين فى تايلاند بدأوا يفهمون المبادئ الاسلامية الصحيحة.

(٢) عندما تدعو الحكومة التايلاندية الأساتذة المسلمين من جميع أنحاء البلاد إلى الاجتماع السنوى فى العاصمة لأخذ رأيهم، يشغل شيخ الإسلام وجماعته هذا الاجتماع لمحاربة الدعوة الإسلامية التى يقوم بها أهل الكتاب والسنة فى تايلاند، ولكن الحكومة لا تشاركهم فى هذا الاتجاه لأنها أدركت أن فى البوذية كذلك جماعتين :

١ ـ جماعة قديمة تشبه جماعة البدع والخرافات عند المسلمين.

٢ ـ جماعة جديدة تدعو إلى تعاليم البوذا الأصلية وتشبه أهل الكتاب والسنة عند المسلمين،فلا تستغرب الحكومة المواقف العدائية بين المسلمين بعضهم ضد البعض، والشعب المسلم فى تايلاند الآن أدرك جيدا حقيقة منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبدأوا يلتزمون بها، ولا تخلو كل قرية من المسلمين السائرين على هذا المنهج وذلك بسبب جهود الأساتذة الداعين المخلصين.

ويلاحظ أن المدارس الاسلامية فى الجنوب تكاد أن تكون كلها تحت ادارة أهل البدع والخرافات التابعين لآراء رئيسهم الأكبر شيخ الاسلام،والقلة الباقية فقط فى أيدى أهل الكتاب والسنة،وهؤلاء مع الأسف يتبعون عامة الشعب،كما أن معظم الطلبة المتخرجين من مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى المملكة العربية السعودية اذا رجعوا إلى أهلهم يتبعون عامة الشعب فى البدع والخرافات،ولا يجرأون أن يقولوا كلمة الحق التى تعلموها من مدرسة الشيخ خوفا على مصلحتهم وخوفا من نفوذ العلماء الخرافيين، وبعضهم يقبض المشاهرة من دار الإفتاء ولكنه لا يسير على منهجه كما قيل لنا.

وقد ذكرنا خطتنا العامة فى الدعوة،أما عن الدعوة المتخصصة وخطة المستقبل فأسسنا مدرسة تهدف الى تحقيق الغرض فى دائرة فاكفجون التابعة لولاية فتالونج جنوب تايلاند فى عام ١٩٤٣م،وسميناها مدرسة أنصار السنة وذلك بمساعدة المؤيدين لدعوتنا وخاصة أهالى الدائرة المقيمين حوالى المدرسة،حيث تبرع بعضهم بقطعة الأرض والآخرين بالأموال،والذين لم يجدوا ما يتبرعون به تطوعوا بالعمل فى تسوية الأرض وبناء المدرسة بدون أجرة مع أنهم صيادون فقراء،ولكن كل مشترك فى نشاطات الدعوة الاسلامية بقدر طاقته التى وهبها ، مؤمنا ومتيقنا بأن لا سبيل للمسلمين فى هذه القرية إلا العودة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان عدد التلاميذ بالعشرات ويمثلون أبناء المسلمين فى المدن المجاورة بل ومن بلاد ماليزيا الاسلامية،وكان المنهج الدراسى فيها: القرآن ـ التفسير ـ الحديث ـ التوحيد ـ الأخلاق ـ التاريخ الإسلامى واللغة العربية ـ والدراسة فيها خمس سنوات، وكان بعض المدرسين من ماليزيا وبعضهم من أصل كمبودى، كانوا يدرسون فى ماليزيا وعندما سمعوا بدعوتنا جاءوا إلينا للدراسة وساعدونا فى التدريس كذلك وهما أستاذان الشيخ موسى على والشيخ أحمد سليمان، وقد رجعا الى كمبوديا فى عام ١٩٥٢م حيث واصلا الجهاد المقدس فى الدعوة الى الكتاب والسنة على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد أسسا مدارس اسلامية عديدة هناك فى عهد الأمير نرودوم سيهانوك وفى عهد حكومة لونول، وبدأت الدعوة الاسلامية على منهج الشيخ محمد عبدالوهاب تنتشر فى بلاد كمبوديا بعد أن تمكنت السلطة الشيوعية الحمراء من السيطرة على الهند الصينية فى عام ١٩٧٦م وأبادت كثيرا من المسلمين،كما اغتيل زعماؤهم ومنهم الأستاذان المذكوران رحمهم الله،وهما من الدعاة الاسلاميين الذين بذلوا

النفس والنفيس فى سبيل الدعوة الاسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب وشروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله،وكانوا من الشهداء الصالحين، نحن نذكرهم هنا لكى تتضح صورة الدعوة الاسلامية وما لاقاه دعاتها ومدى تأثر الدعوة الاسلامية فى تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتشابهت الظروف المحيطة بالدعوتين،وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الدعوة الوهابية دعوة اسلامية صحيحة انتشرت فى جميع العالم،واتفق الدعاة المخلصون على منهج الشيخ بدون اتصال سابق،واتحدت دعوتهم مع دعوة الشيخ قبل أن يعرفها أبناء الشيخ وأحفاده الحاملون لواءه،واتهم دعاتها بنفس التهم ولاقوا في سبيلها ما لاقاه الشيخ بل وأشد تنكيلا لسبب واحد وهو أن الله لم يخلق مثل أمراء الدرعية آل سعود فى تايلاند أو كمبوديا كما حصل فى الدرعية السعودية ـ ولكن رجال الدعوة الاسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى كل مكان.

« صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَـهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ». (الأحزاب ٢٣)

نعود إلى أول مركز للدعوة الاسلامية فى تايلاند وهو مدرسة أنصار السنة التى أسست فى دائرة فاكفجون التابعة لولاية فتالونج فى جنوب تايلاند عام ١٩٤٥م،كانت هذه المدرسة أول مدرسة إسلامية فى تايلاند قاطبة وتدرس العلوم الاسلامية لأبناء المسلمين من جميع أنحاء البلاد ومن الخارج مثل ماليزيا واندونيسيا،وطبقت المبادئ الاسلامية على التابعين لهذه الدعوة وتحملت الدعوة مسئولية الدعوة والارشاد على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب،فكانت ترسل بعض الأساتذة والطلبة إلى بعض المناطق فى تايلاند يدعون المسلمين الى إخلاص العبادة لله وحده،ويرشدونهم الى الدين الحنيف، ويطلبون منهم ترك عبادة الأوثان ونبذ التبرك بالأشجار والأحجار والأولياء، وكما نعلم التلاميذ كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم نعلم عامة الشعب كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفى كثير من المناسبات دخلنا ميدان المناظرة والمجادلة رغم ضيق أفقنا،لأن المشتركين فيها لم يلتزموا بآداب المناظرة ونظامها،ولأن أعداء الدعوة الاسلامية يجدون فى داخل هذا الميدان الفرصة التى لم يجدوها خارج الميدان،وقد اعتبر أعداء

الدعوة الاسلامية فى تايلاند مدرسة أنصار السنة فى فاكفجون مدرسة وهابية ومركز الوهابيين.

وبرغم قلة موارد المدرسة اذ موردها الوحيد هو التبرعات من الأهالى الذين أغلبهم الصيادون،بالرغم من ذلك فكانت الدراسة فيها مجانا والسكن كذلك أضف إلى ذلك أن الأهالى يقدمون الطعام لبعض الطلبة مجانا، ولم يكن بيننا وبين الدول الاسلامية والعربية أى اتصال لتنسيق التعاون الاسلامى لأسباب كثيرة أن أغلب البلدان الاسلامية آنذاك لازالت ترزح تحت نير الاستعمار أو تجاهد لاستقلالها ولم تعرف دول الأوبيك بعد.

وقد أغلقت المدرسة فى عام ١٩٥٧م للأسباب المالية،وكان المدرسون أكثرهم يدرسون بدون مقابل لأن المدرسة لم تجد الأموال تكافئهم،ونقل مركز الدعوة الاسلامية من الجنوب الى العاصمة، ولكن بصورة أخرى وهى الدعوة عن طريق الاذاعة والمجلات واقامة الندوات الدينية فى بعض المساجد وبعض المنازل، وبذلك تركنا الأراضى الموقوفة خالية فى المركز الأول لازالت تنتظر الأيادى البيضاء لإحياء مركز الدعوة من جديد إن شاء الله.

وفى بانكوك عاصمة تايلاند قمنا بالدعوة الإسلامية عن طريق الاذاعة لمدة ٨ ـ ١٠ سنوات وتوقفت لأسباب مالية، لأننا كنا ندفع الثمن للإذاعة شهريا بمبلغ معين ثم طالبونا بالمزيد لا نقدر تحمله. وأصدرنا مجلة اسلامية « الجهاد » شهرية ولانزال نصدرها، وقد وصلت إلى العدد ١٢٣ للسنة الخامسة عشرة عام ١٣٩٩هـ، ونصدر نشرة إخبارية اسلامية مرتين كل شهر باللغة التايلاندية والأخيرة توزع مجاناً والأولى يباع جزء منها ويوزع جزء آخر مجانا كذلك على بعض المساجد والمعاهد والجامعات، هذا بالإضافة إلى نشاطاتنا فى مجال الترجمة والتأليف،وقد ترجمنا الكتب الآتية إلى اللغة التايلاندية أكثر من ثلاثين نسخة نذكر بعضا منها :

(١ ) الآداب الاسلامية.
(٢ ) قوة الاسلام.
(٣ ) الحروب الصليبية.
(٤ ) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل احمد.
(٥ ) الثقافة الاسلامية.
(٦ ) هذا الدين « سيد قطب ».
(٧ ) تاريخ الاسلام مختصر.
(٨ ) كيفية الصلاة «صلاة النبى صلى الله عليه وسلم».
(٩ ) الحج.
(١٠) الخليفة أبوبكر رضى الله عنه.
(١١) الخليفة عمر بن الخطاب.
(١٢) الإسلام والرأسمالية والإقطاعية.
(١٣) لماذا حرم الخنزير فى الاسلام.
(١٤) هل الدين الرجعية لمحمد قطب.
(١٥) مبادئ الاسلام للمودودى.
(١٦) الإيمان بالله للدكتور «حمكا».
(١٧) الإيمان بالكتاب للدكتور «حمكا».
(١٨) أعلام الإسلام.
(١٩) محمد الرسول كما بشر به الإنجيل، لأحمد ديدات.
(٢٠) نظام الحكم فى الاسلام لأحمد شلبى.
(٢١) بين السنة والبدعة لحسبى الصديقى.
(٢٢) حوار بين المسلم والنصرانى.
(٢٣) الاسلام والعلم والتكنولوجيا.
(٢٤) الاسلام ومشاكل العالم.
(٢٥) أبطال المسلمين.
(٢٦) الإسلام بين الاشتراكية والشيوعية.
(٢٧) ما حاجة البشرية للدين.

(٢٨) الإسلام فى شرق جنوب آسيا والشرق الأقصى.
(٢٩) محمد صلى الله عليه وسلم لانعام الله خان.
(٣٠) تقليد لحسن أحمد « باندونج ».
(٣١) حياة المسلم.
(٣٢) للشباب «لسيد قطب».
(٣٣) الإسلام والربا لقاسم أحمد.
(٣٤) إلى أين يهديك الإسلام.

ويقوم الآن تلاميذ مدرسة أنصار السنة فى فاكفجون بالدعوة الاسلامية فى كثير من المدن التايلاندية على نفس المنهج ولكن بصورة التطوع لأنهم يشغلون الوظائف المختلفة فى الدوائر الحكومية والمؤسسات التجارية ومنهم الأساتذة الحكومية، وهم دعاة مخلصون، وبدأ هؤلاء يفكرون الآن فى إحياء مدرسة أنصار السنة ومركز الدعوة الاسلامية فى جنوب تايلاند، لتقوم بواجبها تجاه المسلمين.

وبعد نقل مركز الدعوة من الجنوب إلى بانكوك فى عام ١٩٥٥م انتشرت الدعوة بفضل الله فى العاصمة بصورة أوسع،وربما كان السبب هو أن أحوال العالم اليوم غيرها بالأمس وخاصة العالم الاسلامى والتغيير الكبير الذى طرأ على اقتصاديات العالم وخاصة الذهب الأسود الذى وهبه الله للدول الاسلامية،وقد أثر ويؤثر تأثيراً كبيراً على اقتصاد العالم وسياسة الحكومات، وتغيرت تبعا لذلك القيود المفروضة على بعض المناطق الاسلامية التى تبدو أنها انخفضت فى بعض الأحوال، ولكن هذه القيود والعداء تزداد وتشتد فى الأحوال الأخرى، وذلك لأن البترول شريان الحياة المدنية الحديثة يجب أن تحافظ على استمرار تدفقه والحصول عليه بأى ثمن، فيتجنبوا لذلك العوامل المؤثرة فيها ولو بالمجاملة والنفاق إذعاناً منهم لهذه القوة الجديدة التى سخرها الله فى أيدى المسلمين، واضطر أعداء الاسلام إلى تغيير طريقة المعاملة أو بالأصح طريقة الضغط على المسلمين ومحاربة الاسلام، لأنهم كما قال الله تعالى فيهم :
« وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ». (البقرة آية ١٢٠)

وقد لجأوا إلى وسائل أخرى لمقاومة المسلمين ومن بينها التفرقة بينهم وتشتيت شملهم عملا بسياستهم «فرق تسد» ويشجعون المنافقين والدجالين من المسلمين.

## الحركة الوهابية فى بانكوك:

إذا تكلمنا عن الحركة الوهابية فى الجنوب فلابد للحق أن نتكلم كذلك عن الحركة الوهابية فى بانكوك.

فى حوالى عام ١٩١٩م أى ١٣٣٩ هـ حضر شاب مثقف من أندونيسيا اسمه الأستاذ أحمد وهاب إلى بانكوك، وكانت إقامته فى بانكوك على صورة ابن سبيل متنقلا بين المساجد وبين الجماعات الاسلامية المختلفة فى بانكوك،كان يقضى ليلة فى المسجد وأخرى فى المسجد الآخر متفقداً أحوال المسلمين وخاصة علمائهم الخرافيين، وأخذ ينشر الدعوة الوهابية تدريجياً وبطريقة ملائمة مع نتائج تفقده،ولم يظهر نفسه فى بادئ الأمر بأنه من العلماء. وطلب من العلماء الخرافيين فى بانكوك أن يقرأوا الكتب المعبرة عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أمثال:نيل الأوطار ـ زاد المعاد وسبل السلام.. الخ وللأستاذ أحمد وهاب رحمه الله تاريخ طويل ونلخصه فى أنه:ثبت اقامته فى بانكوك،نوى بعد جولة تفقدية فى أنحاء بانكوك تأسيس جمعية الإصلاح ومنها أصدر مجلة اسمها «البداية» تحارب البدع والخرافات بدون هوادة ، وفى هذه الفترة حدثت الانقسامات بين صفوف المسلمين وانقسموا إلى فرقتين أساسيتين :

(١) فرقة أو جماعة قديمة وهى التى تتمسك بالبدع والخرافات والذين قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.

(٢) فرقة جديدة وهم اتباع منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومنذ ذلك الوقت ظهرت فى بانكوك كلمة وهابية كما سموا التابعين لهذا المنهج الوهابيين، وأدت التفرقة إلى ظهور العداوة بين الفرقتين المذكورتين لم تشهد تايلاند مثلها من قبل،حيث طلق الزوج زوجته وفرق بين الأخ وأخيه وحرمت ذبائح القوم على تلك الجماعة،عامل بعضهم بعضا معاملة العدو اللدود، وكانوا يعيشون حالة الحرب الدينية،وللأستاذ أحمد عبدالوهاب تلاميذ كثيرون، وكانت الدعوة الاسلامية فى عهده فى بانكوك دعوة نشيطة مسموعة فى

صورة المجلات والكتب الخطية، وتقدمت جمعية الإصلاح التى أسسها تقدماً ملحوظاً لعدة سنين.

والغريب أن الحركة الوهابية فى بانكوك لم تصل إلى جنوب تايلاند، فلم يسمع عنها أهل الجنوب وكأن لم يكن هناك أى اتصال بين العاصمة وجنوب البلاد مع أن بعض المسلمين المتعلمين كان يسافر بين حين وآخر بين العاصمة والجنوب، وعرف بعضهم بتلك الدعوة ولكنهم يسكتون و يكتمون أخبارها عن الشعب المسلم فى الجنوب إلا قلة نادرة عن الحركة الوهابية فى بانكوك، ولم يعرفوها إلا عند تأسيس مدرسة أنصار السنة فى دائرة فاكفجون فى ولاية فتالونج.

أما تلاميذ الأستاذ أحمد وهاب الذين لهم نشاطات فى الدعوة الاسلامية والسائرون على نفس المنهج فقد انتقلوا إلى رحمة الله،ولذا فان جمعية الاصلاح تعانى نقص الرجال الذين يتحملون مسئولية السير على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب وخاصة فى الآونة الأخيرة،فهبطت نشاطات الدعوة الاسلامية فى جمعية الاصلاح هبوطاً ملحوظاً،إذ كانت تصدر فى الكتب والمجلات الاسلامية عدة نسخ سنويا منذ ثلاثين سنة ماضية ولكنها الآن تصدر كتاباً واحداً فى السنة.

أما عن العلاقة بين الدعوة الوهابية فى بانكوك وبين الحركة الوهابية فى المملكة العربية السعودية،فقد قيل لنا أن الأستاذ أحمد وهاب كان يراسل الشيخ رشيد رضا فى مصر،وبين الأخير والملك الراحل عبدالعزيز اتصالات دينية، وقيل لنا كذلك أن الحركة الوهابية فى السعودية فى ذلك العهد لها خطة الدعوة الاسلامية وتوزيع رجالها على بعض المناطق من العالم،ولكن لا نستطيع نحن إثبات ذلك،ونأمل أن يتفضل بتوضيح ذلك لنا من أخبار الشيخ محمد عبدالوهاب الحاملون لواء أجدادهم الكرام ما يثبت أو ينفى ما سمعناه.

# العقبات التى تقف فى وجه الدعوة الإسلامية

إذا كان لكل دعوة أعداء وعقبات تعترض سيرها وتقدمها، فإن الدعوة الاصلاحية الإسلامية فى تايلاند كذلك لها أعداء ألداء، وهذا من سنة الكون حيث قال تعالى:

«وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا». (الأنعام ١١٢)

وقد تختلف العداوة ووسائل المقاومة ضد الدعوة فى تايلاند عن المناطق الأخرى تبعا لاختلاف الأحوال السياسية والاجتماعية والعوامل الأخرى التى وجدت فيها، فالولايات الجنوبية من تايلاند أغلب سكانها مسلمون،أى ٩٠٪ لهم عادات وتقاليد إسلامية، وحدودها متصلة بماليزيا وهى بلاد إسلامية منذ أقدم العصور، وتعتبر ماليزيا إحدى مراكز انتشار الاسلام فى جنوب شرق آسيا كلها،وكان تاريخ جنوب تايلاند إلى قريب وتاريخ ماليزيا متداخلين تداخلا من الصعب الفصل بينهما،كما أن سكانها من أصل واحد ولهم دين واحد، ويتكلمون باللغة الواحدة، وإن كان فى الوقت الحاضر بدأت اللغة السيامية تنتشر فى الجنوب بسبب النظام التعليمى الحكومى وتزايد التحاق أبناء المسلمين بالمدارس الحكومية التى ليست فيها علوم إسلامية صحيحة، وقد يقول قائل بأن المدارس الحكومية تدرس كذلك المعلومات عن الدين الاسلامى فى المادة الاجتماعية، فنرد عليهم بالقول بأن المعلومات المذكورة فى الكتب المدرسية السيامية لا تخلو من تحريفات محشوة بالنوايا السيئة قد لا تعرفها الحكومة أو تغمض عيونها لأنها مأخوذة من أفكار أعداء الإسلام.

أضف إلى ذلك أن أبناء المسلمين فى تايلاند لابد أن يدرسوا مبادئ البوذية لأنها من ضمن العلوم الإجبارية فى المدارس الحكومية، وعلى هذا فالتعليم البوذى فى المدارس له تأثيرات بصورة ما على أفكار التلاميذ منذ الطفولة أكثر من تأثير التعليم الاسلامى

لأنه أقل لا يسمن ولا يغنى من جوع، ولهذا السبب فان الطلبة المتخرجين من المدارس السيامية لا تخلو عقولهم وأسلوب تفكيرهم عن الوثنيات والأفكار البوذية التى غرست فى قلوبهم يوميا طوال السنوات الدراسية بالإضافة إلى أن البيئة والمراسيم الحكومية كلها بوذية،فلا غرابة إذا تحول بعضهم إلى بوذى وخاصة اذا تزوج بوذية أو تزوجت مسلمة ببوذى،فالموظف المسلم إن لم تصل إليه الدعوة الاسلامية أو لم يطالع الكتب الاسلامية فهو كالموظف البوذى،ودعه من الشعور المتحمس للاسلام والمسلمين، وقد يكون هذا السبب هو الذى يدفع بعض أبناء المسلمين إلى الوقوف بجانب أعداء الاسلام فى بعض المواقف،ولكننا لا ننسى كذلك أن هناك مجموعة من الشبان المسلمين المثقفين والموظفين آمنوا بربهم،ويؤيدون الدعوة الاسلامية بل يضحون بحياتهم فى سبيل إعلاء كلمة الله فى هذه المنطقة.

وحلاً لنقص العلوم الاسلامية فى المدارس الحكومية والتى يتعلم فيها أبناء المسلمين، فكرنا فى تأسيس مدرسة أو معهد إسلامى إن لم تكن جامعة تؤدى رسالتها كاملة بالاضافة الى تعليم اللغة السيامية بأبناء المسلمين أنفسهم تأهيلا لشخصيات إسلامية، يتحملون المسئوليات الجسيمة فى المستقبل فى وطنهم، ويستطيعون الوقوف جنباً إلى جنب مع البوذيين وغيرهم وأن يكونوا خلفاء الله فى الأرض وأصحابها لا أجانب ولا مهاجرين فى أوطانهم، والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف كيف لا.

وقد دعانا الله تعالى:

« وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ». (النور ٥٥)

فان التعليم النظامى فى المدارس الحكومية والبيئة الغلابة فى هذه البلاد يسيران فى اتجاه مضاد للدعوة الاسلامية،وهذان يدفعاننا إلى مزيد من التخطيط التعليمى والإرشادى مقابل تلك الخطة المرسومة والموجهة من أعداء الاسلام وإلى بذل مساعى

أكثر للدعوة والارشاد فى صفوف الخريجين من المدارس والجامعات التايلاندية،وكذلك صفوف الشعب المسلم وغير المسلم إذا كان لنا القدرة والإمكانيات،لأن الشعب البوذى الساذج لم يغلق باب الدعوة الاسلامية بل أخذوا يهتمون بالاسلام وباللغة العربية،فاذا بذلت الدول الاسلامية مساعيها واشتركت علميا وماديا فى هذه الدعوة فى هذا القرن الذى قد لا تجد مثل هذه الفرصة السانحة فى المستقبل القريب،فاذا اشتركت الدول الاسلامية وتحملت مسئولياتها فى مجال الثقافة الاسلامية وإعلاء كلمة الله كما تحملها آباؤهم وأجدادهم،وكما أخلص آل سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب،لو فعلوا ذلك لوجدوا الناس يدخلون فى دين الله أفواجا بمشيئة الله وإذنه. فالعقبة الأساسية التى تقف فى وجه الدعوة الاسلامية فى تايلاند هى نقص الرجال المخلصين ومصادر التمويل،فبينما يمثل المسيحيون فى تايلاند ٢٪ يحصلون على معونة مالية سخية من مراكزهم فى البلدان المسيحية مثل أمريكا وبريطانيا،وبنوا مستشفيات ومعاهد ومراكز التبشير، ومكاتب التنمية فى مناطق مختلفة من تايلاند بجانب عدد كبير من الكنائس، نجد أن المسلمين فى تايلاند يمثلون ١٠٪ أو لا يقل عن أربعة ملايين،أى،يساوى نصف السكان السعوديين ويعادل أكبر من تعداد مجموع سكان دول الامارات كلها، ومع ذلك فإنه ليس للمسلمين فى تايلاند مستشفى واحد ولا جامعة أو حتى معهد إسلامى،وفى نفس الوقت يوجد ٣١٢٣ مسجداً، ومعظم المسلمين فى تايلاند فقراء لا يستطيعون أن يتحملوا المسئولية المالية الكبيرة لإنشاء المشاريع الاسلامية، حتى البلاد عامة من ضمن الدول غير النامية (الفقيرة) حسب تعريف الأمم المتحدة. ولذا فإن مشكل البلاد العامة هى الفقر والجهل. فالدعوة الاسلامية لا تستطيع النهوض بمشاريعها ولكنها لا تقف مكتوفة الأيدى،بل تجاهد بقدر طاقتها المحدودة مؤمنة برسالتها لترتفع راية الاسلام خفاقة فى هذه المنطقة الحساسة من العالم إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

# تأثر الدعوات الإصلاحية في أندونيسيا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

للأستاذ نجيح عبد الله

مدير معهد مسكوميان الإسلامي بترشيك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله للناس كافة بشيرا ونـذيرا ولـكن أكثـر النـاس لا يعلمون .. والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم يرجعون .

وبعد، فهذا بحث وجيز في دعوة المصلح العظيم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتأثر الحركات الإصلاحية فى اندونيسيا بها .

أقدمه تطفلا على مائدة العلماء الكرام فى أسبوع للشيخ محمد بن عبدالوهاب الذى تقيمه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وإنى لا أحسب أن فى وسعى أن أستوعب جميع تأثيرات هذه الدعوة المباركة فى جميع نواحى الإصلاح، بل ولا أجرؤ أن أقول إن فى استطاعتى أن أقدم بحثا شاملا عن جزء واحد منها، وذلك لعجز قلمى، وقلة باعى، وقصور علمـى بالنسبـة لتلك التأثـيرات المترامية الأطراف المتعددة الجوانب .

**لذا أكتفى بأن ألقى الضوء على بعض تأثيرات أحد كتب الشيخ الذى عم نفعه** والذى قرر تدريسه فى بعض المعاهد الدينية، واتخذ مرجعا هاما فى الأماكن الأخرى مع صعوبة تناوله فى أندونيسيا، وهو «كتاب التوحيد».. سائلا المولى جل وعلا أن يرزقنى فيه التوفيق والسداد.

## الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية فى العصر الحديث :

فى القرن الثامن عشر الميلادى كان العالم الاسلامى ساقطا فى هوة عميقة، لا توجد له علائم للقوة الصحيحة، عم أرجاءه الجمود والخمول، وانتشر فيه فساد الأخلاق بشدته، وغابت فيه بقايا آداب العرب يبتلعها الترف المفرط عند طائفة، الذى تولد منه بؤس الأكثرية العظمى، وتوقفت حركة التعليم .

نعم، هناك عدة جامعات أقعدها الجمود، وعاشت عيشة كفاف لا يهتم بها..

هكذا وصف العالم الأميركى الدكتور لوثروب ستود دارد العالم الإسلامى آنذاك فى كتابه حاضر العالم الإسلامى.

ثم بعد وصفه أحوال المسلمين الاجتماعية والسياسية استطرد قائلا:

« وأما الدين فقد أصابه الجمود شأن غيره من نواحى الحياة، فالتوحيد الذى أرشد إليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد غشيته الخرافات وآراء الصوفية وخلت المساجد من معظم العوام، وكان الناس يحملون العزائم والتمائم والسبحات، ويعبدون الأولياء، ويتخذونهم وسائط إلى الله ليقربوهم إليه زلفى لزعمهم أن الإنسان العادى لا يستجاب له إلا بواسطتهم.

غابت عن الناس الفضائل التى علمها القرآن أو استهانوا بها، فصار شرب الخمر والمخدرات فى كل مكان، وعم البغاء، وانتشرت الرذائل، وهتك الأعراض على غير خوف ولا حياء ..

وأصاب المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ما أصاب غيرهما من مدن العالم الإسلامى من الرذائل والشرور، وصار الحج الذى فرضه الله على عباده المؤمنين عملا ذليلا يجرى على غير مجراه الصحيح.

وبالجملة، فقد فقد الاسلام حيويته، وبقى طقوسا بلا روح وهبوطا بعيد القرار، فلو عاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم وشاهد ما كان عليه الإسلام فى ذلك الوقت لغضب غضبا ولصب اللعنة على معتنقيه المرتدين عبدة الأوثان .

فبينما الإسلام كذلك فى ظلام داهم إذا بصوت عال يدوى من قلب الصحراء الواسعة - مهد الإسلام - يدعو المسلمين إلى الرجوع إلى النهج القويم،وصاحب هذا **الصوت هو المصلح المشهور محمد بن عبدالوهاب الذى أوقد نار الإصلاح، فعلا لهيبها واندلعت ألسنتها إلى جميع أرجاء العالم الإسلامى.**

وكان الرجل يحث المسلمين على إصلاح النفوس وعلى استعادة المجد والعز القديمين، وبهذا ابتدأت اليقظة الإسلامية الجبارة.

نعم ابتدأت اليقظة الحديثة فى العالم الإسلامي بدعوة هذا المصلح العظيم، الذى دعا الناس إلى تصحيح مفهوم التوحيد وتنقيته من شوائب الشرك - ما ظهر منها وما بطن - ودعا إلى منهج السلف الصالح فى فهم العقائد الدينية السهلة السائغة للعقول وإلى نبذ تعقيدات المتكلمين والفلاسفة والصوفية منها، ودعا إلى نبذ ما شوه الشريعة من البدع والتحريفات .

وقصارى القول أن هذه الدعوة تدعو إلى الإسلام على صورته التى وضعها صاحب الشريعة، فكانت بذلك توقظ العقول النائمة وتحرك الهمم الراقدة، وتعيد إلى القلوب حرارة الايمان، وتطهر النفوس من أدناس الخرافات والأوهام، فحق ما يقال إنها هى الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية فى العصر الحديث، وأن جميع الحركات الإصلاحية التى ظهرت فى سائر الأقطار الإسلامية فى العصر الحديث لها صلة بها ومتأثرة بها ومدينة لها.

وفى رأيى أن ستود دارد لا يجافي الإنصاف حين يقول:

« وحدث انفجار الوعى الإسلامى الأول فى قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام،

هناك فى مطلع القرن التاسع عشر ظهرت الحركة الوهابية على سبيل الدعوة الإصلاحية الإسلامية، ثم تطورت الحركة وصارت يقظة إسلامية واسعة الانتشار .

وضع المسلمين الدينى فى اندونيسيا :

ليس المسلمون الاندونيسيون بأحسن حالا ولا أسعد حظا من إخوانهم فى سائر الأقطار الإسلامية، فإن المسلمين الأندونيسيين منهم الذين لا يعرفون عن الدين الذى انتسبوا إليه سوى الاسم وسوى قليل من المعلومات المشوهة بالأباطيل والأساطير الخالية،ولا يقولون بالشهادتين إلا عند الزواج .

وإنما يقولون بهما لأن الموظفين من قبل الحكومة القائمين بمراسيم عقد النكاح للمسلمين كلفوهم بمجرد التلفظ بالشهادتين قبيل العقد بدون ما فهم ولا إدراك،ولا يعرفون من شرائع الإسلام إلا الختان لأولادهم الصغار،واستقبال موتاهم إلى القبلة فى القبور، وهم لا يزالون على معتقدات آبائهم وتقاليدهم الموروثة الممزوجة من بقايا الوثنية الأولى والهندوكية والبوذية،وهؤلاء هم الذين سماهم البعض بالمسلمين الحمريين.

ومنهم الذين يمارسون شرائع الدين إلى حد ما، ويتلقون تعاليم دينهم من العلماء وشبه العلماء الذين حال بينهم التقليد المحض والتعصب المذهبي وبين النظر الصحيح فى الدين، فقد فشت فيهم البدع والخرافات وأشياء يعدونها من الدين وليست من الدين فى شئ، وهذه الطائفة معروفة بالجاوية باسم «طائفة سنترى»، والمعاهد الدينية التى التفوا حولها وتلقوا تعاليم دينهم فيها تسمى «بباسنترين».

ومنهم أسراء الثقافة الغربية ـ ثقافة المستعمرين ـ الذين يرون أن الدين إنما هو مجرد عقائد فردية وعدة طقوس للعبادة المنحصرة فى بيوت العبادة، ولا شأن له بواقع حياتهم الاجتماعية والأدبية والاقتصادية وما إلى ذلك، إلا شيئا ضئيلا من قواعد أخلاقية عامة، وهؤلاء هم أكثر الذين تقلدوا سلطة الحكم تحت قدم الاستعمار .

وبالجملة فإن وضع عامة المسلمين الدينى فى اندونيسيا فى ذلك العصر بعيد ومنحرف عن تعاليم دينهم الصحيحة، وأنهم محرومون من مزايا دينهم العظمى.

## حركات الإصلاح فى اندونيسيا :

واعني بحركات الإصلاح جميع الحركات التى تدعو إلى تصحيح العقائد وتصفية الشرائع مما شوهها من البدع والخرافات والأوهام وبقايا الوثنية، وإلى نبذ التقليد الأعمى، والتعصب المذهبى والرجوع إلى نبع الدين الصافى وهو الكتاب والسنة، وكسر الجمود، والاستنارة بتعاليم الإسلام الصحيحة التى تهدى الناس إلى الحياة الطيبة.

ظهرت تلك الحركات فى اندونيسيا وتنوعت من حيث الأساليب والأشكال على اختلاف استعدادات رجالها والبيئات التى يعيشون فيها، ولكنها تغزو غاية واحدة وتسعى تحت شعار واحد، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة أو الرجوع إلى نهج سلف الأمة، فمن ذلك سماها البعض «بالحركات السلفية».

ابتدأت الحركات السلفية بظهورها فى سومطرة - إحدى الجزر الخمسة الكبرى فى اندونيسيا - سنة ١٨٠٢م على أيدى بعض الحجاج من مسلمى الجزيرة الذين رجعوا من مكة المكرمة واتصلوا بعلماء الدعوة الوهابية - كما سماها معارضوها - واقتنعوا بصحتها واعتنقوها .

وهؤلاء هم «الحاج مسكين» وأصحابه المعروفون «بالأسود الثمانية» ولكن العوام الذين يجهلون حقيقة ما يدعون إليه سموهم «بطائفة الرهبان»، والحروب الطاحنة التى نشبت بينهم وأتباعهم فى جانب وبين المستعمرين الهولنديين واعداء الدعوة فى جانب آخر، معروفة باسم «حروب الرهبان» أو «برابغ بدرى» باللغة المحلية .

اشتد النزاع بين أعداء الدعوة من سكان المنطقة وبين اتباع الدعوة الذين أصبحوا

قوة لا يستهان بها، وشعرت حكومة الاستعمار أن هذه القوة سوف تهدد كيانها ونفوذها، فرأت مناهضة هذه الحركة والقضاء عليها قبل فوات الأوان، ثم انتهزت الفرصة لشن الحرب ضد المسلمين اتباع الدعوة بدعوى حماية كيان أهل التقاليد والعادات من أبناء المنطقة، واستمرت المناوشات والحروب بين هؤلاء وبين المستعمرين ما يزيد عن خمس عشرة سنة (سنة ١٨٢٢ ـ ١٨٣٧م) وانتهت بانتصار المستعمرين واستيلائهم على منطقة سومطرا الغربية، ارض مينانج كابو.

تغلبت قوة الاستعمار فى ميدان الحرب على أتباع الدعوة، ولقى معظم رجالها شهادتهم فيه، ولكن الدعوة نفسها لم ينطفئ جمرها ولم يخمد لهيبها واستمرت تحرق ما حولها، ثم أخذت تتقد ويعلو لهبها فيما بعد على أيدى رجال مخصلين امثال الشيخ محمد عبدالله أحمد (١٨٧٨ـ١٩٣٣م) والشيخ الحاج عبدالكريم أمر الله (١٨٧٩ـ١٩٤٥م) والد الدكتور الحاج عبدالملك كريم أمر الله رئيس الهيئة المركزية لمجلس علماء اندونيسيا الحالى، والشيخ محمد جميل جمبيك (١٨٦٠ـ١٩٤٧م) والشيخ الحاج طيب عمر (١٨٧٤ـ١٩٢٠م) غير أنها اتخذت أسلوبا وشكلا جديدين، فأنشئت لها مجالس للتعليم والمحاضرات، وأقيمت المدارس والمعاهد الدينية تحت اسم: «طوالب سومطرة»وأصدرت المجلات ونشرت المطبوعات،منها مجلات «المنير» و«البيان» و«البشير» و«الاتقان» ورسالة «الفوائد العلية» ورسالة «إيقاظ النيام»، وهذه كلها لها آثارها الإصلاحية الواضحة وثمارها الطيبة الجمة .

ثم أخذت الحركات السلفية تنتشر في سائر الأقطار، وظهرت فى أماكن مختلفة، ظهرت فى اتشيه تحت قيادة الشيخ الأصفهانى الاتشيهى، وظهرت فى جاوا، وكالمنتان، وسولا،ويسى، والجزر الجنوبية الشرقية، ومالوكو وغيرها.

ظهرت فى جاوا جمعية «محمدية» سنة ١٩١٢م فى مدينة جوكيا كرتا عاصمة أندونيسيا السابقة، وجمعية «الإصلاح والإرشاد» سنة ١٩١٤م فى جاكرتا العاصمة الحالية، وظهرت فى باندونج عاصمة منطقة جاوا الغربية التى كانت مقرا للمؤتمر الآسيوى الأفريقى الأول جمعية «الوحدة الإسلامية» سنة ١٩٢٣م.

ومن غرائب الصدفة أن كبرى الجمعيات التى ظهرت فى أندونيسيا على أساس الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية قد اتخذت لنفسها اسما هو عندى نسبة صحيحة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهى جمعية محمدية، ولا أدرى أكانت هذه النسبة من مجرد المصادفة أم أنها كانت داخلة تحت الحسبان.

ظهرت هذه الجمعية على يد مؤسسها الشيخ الحاج أحمد دخلان وعلى أيدى تلاميذه المتحمسين وأتباعه المخلصين .

وكان الشيخ فيما مضى خطيبا فى مسجد السلطان فى جوكياكرتا ـ تقلد بهذا المنصب لقب «الخطيب الأمين» ـ وثريا من أثرياء تجار باطيك، وقد أدى فريضة الحج مرتين .

وبعد رجوعه فى المرة الأخيرة سنة ١٩٠٢، وبعد ما أقام فى جوار بيت الله الحرام مدة من الزمان، اتصل فيها بعلماء الدعوة وعرف حقيقتها ومبادئها وسمع منهم ما حصل لها من القضاء على كثير من المفاسد،وإعادة الناس إلى دينهم الصحيح، وبعد مطالعته لكثير من آراء علماء الإصلاح أمثال الشيخ ابن تيمية وتلميذه الشيخ ابن قيم الجوزيه، والشيخ محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا وغيرهم اشتد عزمه على بث هذه الدعوة الإصلاحية وبدأ الحركة السلفية، ثم استقال من منصبه فى مسجد السلطان، وأخذ يجاهد فى سبيل الدعوة بنفسه وماله ويثابر عليها مثابرة منقطعة النظير، ثم انتقل إلى جوار بارئه سنة ١٩٢٣م ونفسه راضية مرضية، وبعد ما شاهد انتشار دعوته وثمار حركته وكثرة أعوانه وأتباعه.

وشاء الله أن تكون لهذه الجمعية فيما بعد غصون وفروع فى جميع انحاء البلاد، وما درس فى اختلاف المستويات وجامعات وجوامع ومستشفيات وملاجئ للأيتام وما إلى ذلك، فلا تكاد توجد فى اندونيسيا قرية أو بلدة إلا وفيها فرع أو مدرسة أو مستشفى أو مستوصف أو ملجأ للأيتام أو مجلس للتعليم لهذه الجمعية،فكانت جمعية محمدية ـ بدون ريب ـ أكبر الجمعيات التى تحمل على عاتقها الدعوة الإصلاحية فى اندونيسيا، ويقال

إن المرحوم الشيخ السيد امين الحسينى كان يقول عند زيارته لأندونيسيا لحضور المؤتمر الآسيوى الأفريقى الأول أن جمعية محمدية أكبر جمعية إسلامية فى العالم .

أما جمعية الإصلاح والإرشاد فكانت تضم بعض أبناء العرب فى أندونيسيا، وظهرت بوصول الشيخ أحمد السوركتى السودانى إلى جاكرتا، وكان الشيخ يقيم مدة غير قصيرة فى المدينة المنورة قبل وصوله إلى أندونيسيا، نهل من مناهلها الصافية المعارف والعلوم وتلقى مبادئ الدعوة الإصلاحية من علمائها .

وكانت لهذه الجمعية منجزات ومؤسسات تعمل فى سبيل الدعوة الإصلاحية والتوعية الدينية فى المسلمين، فكانت لها آثارها الطيبة، ثم تتضاءل نشاطاتها باندماج أبناء العرب بأبناء الوطن الأصليين فى عهد الاستقلال .

وللشيخ أحمد السوركتى ـ رحمه الله تعالى ـ تلاميذ وأتباع أخذوا عنه العلم والمعرفة، وورثوا عنه روح الجهاد والحماسة، والذين لا يزالون على جهاد مستمر، منهم السيد عبدالرحمن باسويدان فى جوكياكرتا، والشيخ الأستاذ عمر هبيش فى سورا بايا .

وأما عن جمعية الوحدة الإسلامية التى ظهرت بفكرة الشيخ الحاج زمزم البالمبانى سنة ١٩٢٣م فأحب أن أتوقف قليلا عند اسم بارز فيها وهو الشيخ الأستاذ أحمد حسن، وهو أحد العلماء البارزين العاملين فى سبيل الإصلاح الدينى والوعى الإسلامى، وقد أخذ فى دعوته أسلوبا قريبا من أسلوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب من حيث الصراحة وعدم المداهنة .

فكان يحارب الشرك والبدع والمنكرات، ويدعو إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المذهبي بلسانه الحاد وقلمه الصارم.. ولا يخاف فى ذلك لومة لائم، له مؤلفات كثيرة منها: «تفسير الفرقان» و «محمد رسول الله» و «كتاب الصلاة» و «كتاب الأسئلة والأجوبة» وهو كتاب يحتوى على فتاواه الدينية وغيرها،وأصدرت تحت

رئاسته مجلة «المدافع عن الإسلام» التى كانت لها آثارها الكبيرة فى توجيه آراء الشبان المسلمين ولا سيما المثقفين منهم،وله تلاميذ أجلاء تفقهوا الدين عنده، منهم الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق ورئيس الهيئة المركزية للمجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية وأحد أعضاء المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى والرئيس بالنيابة لمؤتمر العالم الإسلامى.

وللجمعية عدة مؤسسات، منها معهد دينى فى مدينة بانجيل بجاوا الشرقية التى كانت تحت إدارة الشيخ أحمد حسن، أما مديره الحالى فهو الأستاذ/ عبدالقادر حسن أحد أبناء الشيخ الذى خلفه من بعده، فكان خير خلف لخير سلف .

وهناك مؤسسات أخرى منتشرة فى أنحاء البلاد على أيدى رجال لا ينتسبون إلى إحدى المؤسسات السالفة الذكر، ولكن تلك المؤسسات لها أهمية كبيرة فى بث الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية، وهؤلاء الرجال على اختلاف استعداداتهم وتفاوت قدراتهم يعملون فى بث الدعوة ومحاربة الفساد جهد الطاقة .

وأذكر هنا من تلك المؤسسات على سبيل المثال : «المدرسة الأميرية الإسلامية» و«المدرسة السعدية» فى جزيرة سولاويسى، و«المدرسة الإسلامية السلطانية» التى كانت تحت إدارة الشيخ الحاج محمد باشونى عمران فى سمباس بكالمنتان و«مدرسة المعلمين» التى أقامها الأستاذ الحاج عبدالرحمن فى امونتاى، و«المدرسة الوطنية الإسلامية» فى جاوا الوسطى، ومعهد مسكومبان الإسلامى» فى قرشيك .

وبخصوص هذا الأخير أود أن أذكر شيئا عنه، فإن القائمين بالتدريس فى المعهد كانوا من أشد أعداء الدعوة القائلين بأن الطائفة الوهابية طائفة منحرفة عن الدين وخارجة على أهل السنة والجماعة وقائلة بتضليل من عداها من المسلمين، وأنها لا تحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحقر شئون الأولياء وشعائر الدين، وغير ذلك من الأكاذيب والافتراءات .

فلا عجب، فإن هؤلاء لم تصل إليهم من المعلومات عن الدعوة الوهابية إلا ما بثه أعداء الدعوة من أدعياء العلم وأذيال اشراف الحجاز في الكتب التي ألفوها المشحونة بالأكاذيب والترهات والحكايات الخيالية الخبيثة ضد الدعوة.

ثم تغيرت الأحوال بعد رجوع الشيخ عمار فقيه أحد أولاد شيخ المعهد الأسبق من أداء فريضة الحج سنة ١٩٢٨م، الذى اتصل بعلماء الدعوة مدة إقامته فى بلد الله الحرام، وتلقى منهم حقيقة الدعوة ومبادئها، حتى أدرك مدى ما للدعاية ضد الدعوة من مفتريات وأكاذيب، وأيقن أن معظم العلماء الأندونيسيين كانوا ضحايا أكاذيب المفترين .

فلما أبدى آراءه على ملأ قام النزاع والجدال بينه وبين العلماء الذين ما زالوا على فكرتهم الأولى، واشتدت وطالت المنازعة والمجادلة حتى انتهى الأمر بتغلب دعوته وانتشار آرائه وكثرة أتباعه .

ولما صار أمر المعهد تحت يده من بعد والده الشيخ محمد فقيه،ازداد نفوذ الدعوة وانتشارها، وصار المعهد مركزا لنشر الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية فى تلك المنطقة، وكثير من دعاة الإصلاح وحملة الدعوة المنضمين إلى الجمعيات كانوا من متخرجي المعهد، وللشيخ عمار فقيه عدة مؤلفات منها «تحفة الأمة فى العقائد ورد المفاسد» و«هداية الأمة» و«صلة الأمة» و«تحديد أهل السنة والجماعة» ومما أوصى به فى مرض موته قال:

دعوا شيعا شتى تشتت شملكم ... دعوا بدعا يخشى بها ما يهول
دعوا كل بدعة دعوا كل شيعة ... إلى ملة قد كان فيها الرسول
تصيروا بعون الله من أهل سنة ... يواصى عليها أن يعض العقول

ثم بعد انتقاله إلى جوار بارئه الرحيم سنة ١٩٦٥م خلفه الأستاذ نجيح أحيد، صهر الشيخ وأحد تلاميذه.

وفى عهد مدير المعهد الحالى قرر فيه تدريس كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى جانب الكتب التى تكون على منواله .

# تأثيرات كتاب التوحيد

## تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب

وكتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب غنى عن التعريف به عند من له أدنى إلمام بدعوته، وهو عندى من أهم الكتب التى ألفها الشيخ والتى لم تصل إلى أندونيسيا إلا بندرة .

والكتاب مع ندرته وصعوبة تناوله فى أندويسيا يعد من أهم المراجع فى دروس التوحيد فى مدارس ومعاهد دينية وجامعات إسلامية، ومن الكتب المقرر تدريسها فى بعض المعاهد الدينية أمثال المعهد الوطنى الإسلامى فى كبارونجاوا الوسطى ومعهد مسكومبان الإسلامى فى قرشيك - كما مرّ -.

والحق - كما شهد عليه كثير من الكتاب - أن الشيخ ما جاء فى كتابه هذا بجديد، أو ما اخترع فيه شيئا، وإنما جاء بتعاليم الدين كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه أصحابه وأتباعهم، ولكن الدين قد عاد غريبا عند معظم أهله كما بدأ.

فكان علم التوحيد عند الأكثرين علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب فى حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل فيه من الصفات، وعن الرسل وما يجب فى حقهم وما يجوز وما يستحيل، ومسائل أخرى تتعلق بتلك المباحث .

والكتب التى يدرسونها فى علم التوحيد مشحونة بتعقيدات المتكلمين وتغميضات الفلاسفة وثرثرة المدعين التى قد تعلو على عقول أكثر الخواص فضلا عن العوام، وقد تدخل الشكوك على قلوب الأكثرين، وربما يجوز لنا القول أن كل شئ من ذلك فيها إلا التوحيد نفسه.[١]

---

(١) أعنى توحيد الألوهية الذى هو أحد شقى التوحيد.

## التوحيـد غاية دعـوة الرسـل:

لا يخفى على من له أدنى معرفة بالدين أن التوحيد غاية لدعوة الرسل من لدن أبي الأنبياء إلى آخر الرسل وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الناس يغلب عليهم الإشراك.

« وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ » (يوسف ١٠٦)

فهم مع إيمانهم أن الله هو خالق الكون ومالكه ومدبر شئونه يتوهمون أن له أعوانا ووسائط مقربين من ملائكة وجن وإنس وأرواح وغيرها، وأن لتلك الوسائط والأعوان شئ من النفوذ فى تدبير أمور الكون منعا وعطاء، وشئ من حق الملكية أمرا ونهيا، ويتوهمون أنهم أذل لأن يدعوا الله ويسألوه مباشرة وأنه أبعد لأن يرفعوا إليه حاجاتهم أو يلجأوا إليه عند الشدائد، لذلك نراهم سريعى الإعراض عن اللـه تعـالى إلى ما يتوهمون فيه أنه شريك له أو معين له أو مقرب إليه أو شفيع عنده أو وسيط بينه وبينهم .

فمن ذلك نرى أن أول ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأشده الرجوع إلى التوحيد النقى من شوائب الإشراك،فننبه بقوله تعالى:

« ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » (الأنعام ـ ٨٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ». (رواه الشيخان عن عبادة)، وقوله صلى الله عليه وسلم:«إن الله حرم على النار من قال «لا إله إلا الله»

يبتغى بذلك وجه الله » (أخرجاه فى حديث عتبان)، وقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى أنه قال: «لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله» (رواه ابن حبان والحاكم عن أبى سعيد) .

وقوله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «يا ابن آدم، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» (رواه الترمذى عن أنس). وقوله صلى الله عليه وسلم: «من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة».

واعلم أن التوحيد أول ما يدعو إليه الدين مستدلا بحديث ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله .. وفى رواية: إلى أن يوحدوا ... الحديث (رواه الشيخان).

ونبه بأن الشرك أعظم الذنوب الذى لا يغفر الله لفاعله إلا إذا تاب، وذكر قوله عز وجل:

« إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ »

(النساء ـ ٤٨).

وأنه لا يأمن أحد من وقوعه فيه، فإن خليل الله ابراهيم مع قربه من الله وعصمته سأل الله أن يجنبه وذريته إياه، قال تعالى حاكيا دعاءه عليه السلام:

« وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ » (ابراهيم ـ ٣٥).

وأن الشرك يقع فى هذه الأمة فى أى نوع من أنواعه، وذكر فى الاستدلال بقوله تعالى:

« أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ » (النساء ـ ٥١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: فمن » (رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى) وقوله صلى الله عليه وسلم: « لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان » (رواه البرقانى فى حديث طويل عن ثوبان) .

مفهـــوم التـوحيـــد:

إن منتهى ما وصلوا إليه فى علم التوحيد الاعتقاد بأن لهذا العالم خالقا واحدا وهو الله، وهو وحده مالكه والمسيطر عليه وواضع قوانينه التى يسير عليها، وهو واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، وهذا ـ ولا شك ـ أحد شقى التوحيد وهو توحيد الربوبية، ولا يصلون إلى شقه الآخر وهو توحيد الألوهية الذى يقتضى من العباد توحيد العبادة .

وذلك لعدم إدراكهم أن التوحيد لا يتحقق إلا بشقيه وعدم علمهم أن توحيد الألوهية هو مفترق الطرق بين المسلمين وبين المشركين الذين حكاهم الله بقوله عز وجل:

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (العنكبوت ـ ٦١)

وقــولـه تعــالى :

« قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ » (المؤمنون ـ ٨٤ ، ٨٩).

كما حكى عنهم بقوله تعالى :

« وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » (الزمر ـ ٣).

ولا أقول إن منتهى ما وصلوا إليه فى التوحيد هو عين ما وصل إليه مشركو مكة زمن البعثة، ولكن أريد أن أذكر أن مباحث الكتب المتداولة فى علم التوحيد كانت تدور حول الاستدلال على وجود الله ووحدانيته فى ذاته وصفاته وأفعاله وما إلى ذلك بأدلة كلامية أو شبه كلامية، أقصى ما تصل بهم إليه هو توحيد فى المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، أما توحيد الألوهية فلا تدخل تحت مباحثها ولا تكون أمام اهتمام الطلاب.

أما ما أتى به الشيخ فى كتابه فى المسألة فهو: أن التوحيد ضد الشرك، وأن الله أرسل رسله ليأمروا الناس بالتوحيد الذى هو إفراد العبادة لله تعالى، وينهوهم عن الشرك الذى هو صرف العبادة له ولغيره سبحانه، وأتى بالأدلة على ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، منها قوله تعالى:

« وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات ـ ٥٦).

وقوله تعالى:

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ »
(النحل ـ ٣٦)

وقوله تعالى:

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ » (الإسراء ـ ٢٣).

وقوله تعالى:

« وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا » (النساء ـ ٣٦).

وقوله تعالى:

« قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا »
(الأنعام ـ ١٥١).

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » (رواه الشيخان عن معاذ بن جبل).

وليتضح معنى التوحيد ومعنى الشرك فلا بد من بيان معنى العبادة،فإنها إذا أفردت لله تعالى وحده فهو التوحيد، وإذا صرفت لله ولغيره فهو الشرك .

## بيـــان معنى العبـــادة:

اختلفت ألفاظ العلماء فى بيان معنى العبـادة وتعريفهـا على اختـلاف مشاربهـم ومآربهم، وكان الشيخ لا يلتجئ إلى تلك الألفاظ، ولكن بين معنى العبادة والمراد بها بطريق عملى .

وأعنى بذلك أنه بين أن التوحيد ضد الشرك، وهما متنافيان،فلا يتحقق التوحيد إلا بالبعد عن الشرك، وهو صرف العبادة إلى غير الله تعالى، ثم ذكر أشياء نهى الدين عنها على أنها تعد عبادة لغير الله وهو الشرك أو ذريعة إلى الشرك .

فمن الأشياء التى ذكرها دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين فى قضاء حوائجهم أو دفع بلائهم زعما من الناس أنهم وسطاء بينهم وبين الله،وأن لهم تأثيرا فى قضاء حوائجهم أو دفع ضرهم، ثم استدل على بطلانه وأنه ينافى التوحيد بقوله تعالى :

« أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا »
(الإسراء ـ ٥٧).

وقوله تعالى:

« وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ » ( يونس ١٠٦).

وقوله تعالى:

« وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ »

(الزمر ـ ٣).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة: « يافاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا » (رواه البخاري عن أبي هريرة) وغير ذلك.

ومنها طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، صرح الشيخ أن ذلك عبادة لهم مستدلا بما جاء في السنة: أن عدي بن حاتم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية:

« ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (التوبة ـ ٣١).

فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت: بلى، قال فتلك عبادتهم. (رواه احمد والترمذي)، وأيد ذلك بما روى عن ابن عباس أنه قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله، وتقولون قال أبوبكر وعمر، وقول أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول:

« فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النور ـ ٦٣).

أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة: الشرك.

ومنها التحاكم إلى غير حكم الله، واستدل بقول الله عز وجل:

« أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى

ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا »
(النساء ـ ٦٠، ٦١).

وقوله تعالى:

« أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ »
(المائدة ٥٠).

وقوله صلى الله عليه وسلم:« لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » (رواه الطبرانى وأبوبكر وأبو نعيم عن ابن عمرو).

ومنها التبرك بنحو قبر أو شجرة أو نحوهما، واستدل بحديث ابى واقد الليثى: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، إنها السنن، قلتم ـ والذى نفسى بيده ـ كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (الأعراف: ١٣٨) قال: إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم (رواه الترمذى وصححه).

ومنها الغلو فى الصالحين وفى قبورهم، وأتى فى الاستدلال بقوله تعالى:

« يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ »
(النساء ـ ١٧١).

وبما صح عن ابن عباس أنه قال فى قول الله تعالى:

وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا »
(نوح ـ ٢٣).

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا اوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسماءهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت، وبما رواه الشيخان عن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله »، وقوله صلى الله عليه وسلم: « إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » (رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس)،وبما روى عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله ». (رواه الشيخان)، وبما روى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ». يحذر ما صنعوا ولو لا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا، وبما رواه مسلم عن جندب بن عبدالله، قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « ألا وإن من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك »، وبما روى مالك فى الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقوله صلى الله عليه وسلم: « لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبرى عيدا، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنت »، وغير ذلك .

ومنها النذر والذبح لغير الله، وأتى بما نهى عن ذلك من الأدلة، وهو قوله تعالى :

« يُوفُونَ بِٱلنَّـذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْـتَطِيرًا » (الانسان - ٧).

وقوله تعالى:

« وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ » (البقرة - ٢٧٠).

وحديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ».(رواه البخارى)

ومما قال فيه: إذا ثبت كون النذر عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك. ثم أتى بقوله تعالى:

« قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ »

(الأنعام ـ ١٦٢)

وقوله تعالى:

« فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ »

(الكوثر ـ ٢)

وبحديث على رضى الله قال: حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: « لعن الله من ذبح لغير الله .. الحديث » (رواه مسلم)، وما رواه أحمد عن طارق بن شهاب فى رجلين أحدهما لا يقرب لصنم ولو ذبابا فضربوا عنقه فدخل الجنة وقرب الآخر له ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار.

ومنها الاستعاذة والاستغاثة والحلف بغير الله، واستدل بقوله تعالى:

« وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا »

(الجن ـ ٦).

وقول النبى صلى الله عليه وسلم: « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » (رواه الطبرانى عن عبادة بن الصامت)، وأتى فى الحلف بما رواه الترمذى وحسنه الحاكم وصححه عن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد

كفر أو أشرك »، وبما رواه ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تحلفوا بآبائكم من حلف له بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله فى شئ »، وقول ابن مسعود: « لأن أحلف بالله كذبا أحب إليَ من أن أحلف بغير الله صادقا ».

ومنها الكهانة والعرافة والسحر والتطير، وأتى بما دل على نهى الشارع عن ذلك نهيا مغلظا، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من أتى عرافا فسأله عن شئ فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما ». (رواه مسلم عن بعض أزواج النبى)، وقوله: « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (رواه ابو داود عن أبى هريرة).

وقوله : « ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (رواه البزار بإسناد جيد عن عمران بن حصين)،وقوله تعالى :

« وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ » (البقرة - ١٠٢).

وما روى عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر (رواه البخارى)،وقوله صلى الله عليه وسلم: « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد » (رواه أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس)، وحديث أبى هريرة للنسائى: « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك »، وما روى عن ابن مسعود مرفوعا : «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، ومامنا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» (رواه ابوداود )، وما روى عن ابن عمر: « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » (رواه احمد).

فبذلك اتضح لمريدى الحق أن ما شاع بين المسلمين من تلك الأفعال مناف للتوحيد

أو مناقض له، وأن التوحيد لا يتحقق إلا باجتنابه، وأن من أسباب ارتكاب كثير من تلك الأفعال الشركية هو توهمهم أن التوحيد إنما هو توحيد الربوبية، فلا يرون بأسا بارتكابها ما داموا يعتقدون أن الله واحد فى ذاته وأفعاله وصفاته، كأنهم يرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإنما دعاهم إلى شهادة أن لا رب إلا الله .

## صفـات الله تعـالى :

وأهم مباحث علم التوحيد التى توجد فى بطون الكتب هو البحث عما يجب فى حق الله تعالى من الصفات وما يجوز وما يستحيل، أما ما يجب فى حقه تعالى فقيل ثلاث عشرة صفة، وقيل عشرون، وهى واحدة نفسية وخمس سلبيات وسبع صفات المعانى وسبع معنويات، وأما ما يستحيل فى حقه تعالى فهو أضداد ما يجب، والجائز فى حقه تعالى هو فعل كل ممكن أو تركه، ونظمها بعضهم:

| | |
|---|---|
| وبعد فاعلم بوجوب المعرفة | من واجب لله عشرين صفة |
| فالله موجود قديم باقى | مخالف للخلق بالإطلاق |
| وقائم غنى واحد وحى | قادر مريد عالم بكل شئ |
| سميع بصير والمتكلم | له صفات سبعة تنتظم |
| فقدرة إرادة سمع بصر | حياة العلم كلام استمر |
| وجائز بفضله وعدله | ترك لكل ممكن كفعله |

وهذه الإحدى والعشرون وأضداد العشرين المستحيلة والأربعة التى تجب فى حق الرسل وأضدادها المستحيلة والواحدة التى تجوز فى حقهم معروفة عندهم بالعقائد الخمسين، التى تجب معرفتها ـ عندهم ـ على كل مكلف، وتجب عليه معرفة أدلتها إجماليا وتفصيليا، واختلفوا فيه: فقال بعضهم يشترط أن يعرف الدليل التفصيلى لكل واحد من هذه الخمسين، وقال الآخر أنه يكفى معرفة الدليل الاجمالى، كما اختلفوا فى كفاية التقليد فيها وعدمها .

والحق أنهم لا يأتون من الكتاب والسنة بما يدل على وجوب معرفة تلك الخمسين على كل مكلف مستقلة عن غيرها من سائر المعتقدات الإسلامية، وقد لا يقولون بوجوب اعتقاد ثبوت تلك العشرين فى حق الله تعالى دون سائر الصفات التى وصف الله بها نفسه إلا تقليدا لمن سبقهم، وقد لا يعرفون أن هذا القول لا عهد له فى عهد الصحابة والتابعين رضى الله عنهم.

وأعتقد أنى لا أجافى الحق حين أقول: إن تحرير مثل تلك العقائد وتقريرها بالأدلة النظرية العقلية الصحيحة لحاجة ماله أهميته فى وقت من الأوقات وفى بيئة من البيئات.

والواجب على كافة المسلمين فى جميع الأزمنة والأمكنة هو الايمان بجميع الصفات التى وصف الله بها نفسه فى كتابه المبين وعلى لسان نبيه الأمين ضمن الايمان بكتاب الله وبرسوله .

أما الشيخ فقد ذكر فى كتابه آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تدل على وحدانيته فى ربوبيته وألوهيته واتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص، ودعا إلى الإيمان بجميع الصفات التى وصف الله بها نفسه فى كتابه أو على لسان نبيه، ونهى عن جحد شئ منها أو الإلحاد فيه، ومما ساقه من الأدلة على ذلك قوله تعالى حكاية عن حال مشركى قريش : وهم يكفرون بالرحمن :

« قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ » (الرعد-٣٠)

وقوله تعالى :

« وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ » (الأعراف ١٨٠).

وسلك نهج السلف ذلك من الايمان بجميع ما ورد من الصفات والأسماء التى وصف الله بها نفسه، أو سمى بها نفسه كما وردت من غير تكييف ولا تعطيل، والراسخون فى العلم يقولون :

« ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ » (آل عمران ـ ٧).

صرح غير واحد من علماء التحقيق أن الفكر فى ذات الله تعالى ممتنع عن العقل البشرى مهما عظمت قوته، وأن معرفة الله بمعرفة أسمائه وصفاته التى تليق بربوبيته وألوهيته التى تعرف بها إلى خلقه، وبالنظر إلى بدائع صنعه وعجائب خلقه وبالاستعانة بطاعة الله وحسن عبادته، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أما الخوض فى المسائل الكلامية والمباحث الفلسفية فى ذلك فهو أقرب إلى رياضة عقلية منه إلى مهمة دينية .

## الإيمان بالقدر :

ومعلوم من الدين بالضرورة أن الايمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الايمان، وجاءت الآيات القرانية والأحاديث النبوية تبينه وتبين ما يتعلق به بعبارات سهلة واضحة، سائغة للعقول، بعيدة من التعقيد والغموض، ولكن الناس أرادوا غير هذا وتنطعوا فى المسألة، واستحبوا الفتن البالية التى أثارتها الجبرية والقدرية، مع عجزهم عن حلها وبحثها بما يشفى الغليل، وعدم إتيانهم بجديد إلا تناظر فى الألفاظ والأساليب، فلا يحدث بذلك عند الطالبين سوى دوار فى الرؤوس، وشكوك فى القلوب، واضطراب فى النفوس.

أما ما جاء به الشيخ فى كتاب التوحيد فهو ـ عندى ـ نفس ما جاء به الدين فى ذلك، وذلك أنه بين أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الايمان ولا يتحقق الإيمان إلا به، فذكر حديث ابن عمر: « والذى نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله منه حتى يؤمن بالقدر »، ثم استدل بقول النبى صلى الله عليه وسلم: « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » (رواه مسلم)، وحديث ابن وهبه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فمن لم يؤمن بالقدر أحرقه الله بالنار ». (رواه احمد).

ثم بين كيفية الإيمان بالقدر، وهو أن تعلم أن ما أصابك من نفع أو ضر فهو بقدر الله، ولم يكن ليخطئك مهما كان سعيك، وإن ما أخطأك من خير أو شر فهو بقدر الله، ولم يكن ليصيبك مهما كان حرصك، وأتى فى الاستدلال بحديث عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بنى إنك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، فقال: رب وماذا أكتب، قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة، يا بنى، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:« من مات على غير هذا فليس منى ». (رواه أبو داود)، وبما ورد عن ابن الديلمي قال: أتيت أبى بن كعب فقلت: فى نفسى شى من القدر، فحدثنى بشئ لعل الله يذهبه من قلبى، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم. (رواه احمد وأبو داود والحاكم ).

هذا فيما وقع فى الماضى، فلا ينبغى لنا أن نقول فيما يسوءنا مما وقع: لو فعلنا كذا لما وقع، أو : لو كنا لم نفعل كذا لوقع على مثل ما أردنا، لأن ما وقع إنما هو بقدر الله سابق علمه، لا يرده كراهية كريه، ولا يجلبه حرص حريص، ثم ذكر فى الاستدلال ما حكاه الله عن بعض المنافقين يوم أحد بقوله سبحانه :

« يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا »

(آل عمران ـ ١٥٤).

وقوله تعالى:

« ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ »

(ال عمران ـ ١٦٩).

وما روى عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: « وإن أصابك شئ فلا تقل لو فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل » (رواه مسلم).

أما ما يقع فى المستقبل فعلينا أن نعمل جهد طاقتنا فى تحصيل ما رأينا فيه الخير والمنفعة، ودفع ما رأينا فيه الشر والمضرة، ونستعمل فيه الوسائل، ونسلك فيه الأسباب، ونتعظ بما مضى من تجاربنا، ونعتبر بما وقع حولنا، مستعينين بالله على تحصيل مطلوبنا، وأن لا يقعدنا العجز والفتور، وذكر فيه ما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن » (هذا أول الحديث الآنف الذكر).

وبين أن من أصابته ضراء فليعلم أنها إنما وقعت عليه فى ماضيه بقدر الله ومشيئته، فليس له إلا الرضا وحسن الظن بالله، فربما ابتلاه الله لحبه إياه وإرادته الخير به، وذكر حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة » (رواه الترمذى والحاكم)، وقوله صلى الله عليه وسلم: « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط » (رواه الترمذى عن أنس)، ولا يدخله اليأس والقنوط ، لأن اليأس والقنوط لا ينبغيان إلا لمن ضل عن الصراط السوى، ولم يؤمن بالقدر، واستدل بقوله تعالى:

« إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ »

(يوسف ـ ٨٧).

وقوله تعالى:

« قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ » (الحجر ـ ٥٦).

وبما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: « الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله » (رواه البزار وابن

ابى حاتم)، وما روى عن ابن مسعود أنه قال: « أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله » (رواه عبدالرزاق ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح عنه ).

وأن من أصابته سراء فليعلم أن ما أصابه إنما هو ما وقع فى ماضيه بقدر الله تعالى، وأن ما يقع فى مستقبله فلا يزال فى علم الله فى كنف الغيب، ولا يستبعد أن يكون ذلك ابتلاء من الله فلا يأمنن مكره، ولا يقل إن ما أصابه من النعم كان ينبغى له لعلمه وشرفه،وأن تلك النعم كانت حظه فى الماضى ولابد أن يكون حظه فى المستقبل، واستدل بقول الله عز وجل:

« أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ »

(الأعراف ٩٩).

وقوله تعالى:

« وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ »

(فصلت ٥٠)

وقوله تعالى حكاية لقارون :

« قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ » (القصص ٧٨).

ثم أتى بقصة ثلاثة من بنى إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، الذين ابتلاهم الله بالخير فهلك اثنان ونجا واحد منهم، كما فى رواية الشيخان عن أبى هريرة.

وبذلك بين للناس ما للإيمان بالقدر من فوائد عملية عظيمة يتذوق حلاوتها من عايشها، وهى الصبر والرجاء وعدم القنوط والجزع عند وقوع البلاء، والشكر والحذر وعدم العجب والاختيال عند نزول النعمة، فيكون دائما منشرح الصدر مطمئن البال متكلا على رحمة ربه الواسعة وحكمته العليا.

## تأثيرات كتاب التوحيد :

وبعد لمحات قصيرة إلى أهم ما جاء به الشيخ فى كتاب التوحيد، أحب أن أذكر هنا تأثيراته الإصلاحية، لا على سبيل الحصر، ولكن على سبيل المثال :

١ ـ إزالة سوء الفهم بدعوة الشيخ، فإن كثيرا ممن شنوا الغارة على الدعوة لم يصل اليهم شئ عن الدعوة إلا ما شوهه المفترون بالأكاذيب، وهؤلاء تغيرت أحوالهم تجاه الدعوة وشخصية الشيخ بعد ما قرأوا ما فى الكتاب، بل صار كثير منهم فيما بعد من مؤيديها المخلصين.

٢ ـ كثرة ذكر المواد التى توجد فيه على ألسن الدعاة والوعاظ والمدرسين، وفى المقالات الصحفية والكتب الدينية، حتى على ألسن أولئك الذين أظهروا العداوة ضد الدعوة بدافع العصبية المذهبية أو الطائفية .

٣ ـ اللجوء إلى الاستدلال بالكتاب والسنة على إثبات العقائد الدينية، حتى على إثبات العقائد التى قرروها بأدلة عقلية صرفة .

٤ ـ قلة المنازعة والمجادلة فى مسائل كلامية، إلا فى بيئات محدودة .

٥ ـ هدم كثير من أبنية القبور والأشجار والأحجار والموارد التى كانوا يتبركون بها، ولا سيما فى المناطق التى كان أكثر أهلها ممن انتسبوا إلى الجمعيات الإصلاحية .

٦ ـ عدم بناء الأبنية على قبور الخواص ممن كانوا ينتسبون إلى الحركات الإصلاحية.

٧ ـ غياب كثير من الحفلات التى كانوا يقيمونها لذكرى موت أحد من العلماء والصالحين مرة فى السنة والتى يسمونها فى عرفهم « ذكرى الحول »، وكثير من حفلات مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلانى الذى يذبحون لها الديوك تقربا إلى الشيخ .

٨ - ذهاب كثير من الأفعال التى اخترعوها شفاعة لموتاهم - على زعمهم - أو تقربا إليهم .

٩ - كساد أسواق العزائم والتمائم والتولات ، التى كانت عروض التجارة لبعض أولئك الذين يتوهمون أنهم أهل الدين.

١٠ - قلة ثقة الجمهور بأدعياء الولاية الذين اتخذوا الكهانة والعرافة حرفة لأنفسهم ويتظاهرون بالورع والتقوى .

١١ - ازدياد الوعى الدينى فى جماهير المسلمين، وازدياد ممارستهم شرائع الدين، وتحاكم كثير منهم إلى حكم الشريعة فى مخاصمتهم .

١٢ - زيادة الاعتناء بآراء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتعاليمه وكتبه التى تكون - مع الأسف - نادرة الوجود فى المكاتب والمدارس فى اندونيسيا وصعبة التناول فى الدكاكين والأسواق .

١٣ - وغير ذلك مما لا تحصى .

**فإذا ذكرت تلك التأثيرات العريضة، فلا أعنى أن كل شئ يجرى دائما على ما يرام، فلم تزل هناك عقبات تستهدف إمام هذه الدعوة من بقايا سوء الفهم بالدعوة، والعصبية الطائفية التى ترى فى الدعوة ما يهدد كيانها ونفوذها وأغراضها، والأفكار المعادية للإسلام والحركات الهدامة له من الحركة الباطنية والغارة التبشيرية والعلمانية والعصبية الشعبية وما إلى ذلك.**

هذا ورحم الله الشيخ وأكرم مثواه وأجزل ثوابه .

# أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب افريقيا

للدكتور مصطفى مسعد

أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ

بكلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

## ظهـــور الدعـــوة :

يمثل القرن الثاني عشر للهجرة نقطة تحول هامة في تاريخ العالم الإسلامي بعامة وتاريخ الجزيرة العربية بخاصة . ذلك أن العالم الإسلامى في ذلك العصر يعاني من الانحطـاط والضـعف والتدهـور في كثـير من نواحـي الحياة الـدينية والسياسية والاقتصادية، بسبب تفشي الجهل ووقوعه فريسة التخلف العلمي والجمـود الفـكري، والانحراف عن جادة الإسـلام الصـحيح، وتسرب الكثـير من أنـواع الشرك والبـدع والخرافات[1]، حتى قيض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة الإسلامية من ينهض من قلب الجزيرة العربية ليدعو الى النهوض بالإسلام وإصلاح أحوال المسلمين، بتطهير الإسلام وتخليصه مما علق به من أدران الوثنية وغيرها من مظاهر الشرك . وصاحب هذه الدعوة المباركة هو الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ).

لقد أدرك الشيخ ـ رحمه الله ـ أن مصدر هذا التدهور والانحلال ابتعاد المسلمين عن الإسلام الصحيح ، حتى لقد انتشرت أنواع خطـيرة من الشرك ودعـوة الأحياء والأموات من الأولياء والصالحين، وإشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذور والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق لله وحده لا شريك له، بل النزول الى تقديس الجمادات كالأحجار والأشجار والاعتقاد في قدرتها على جلب النفع ودفع الضر [2].

نهض الشيخ ـ رحمه الله ـ بعبء الدعوة بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وآثار السلف الصالح ، ومقاومة البدع والخرافات التي ألصقت بالإسلام، وبمعنى

(١) حسين بن غنام: تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام) تحرير: ناصر الدين الأسد ص ١٠ ـ ١٩.

(٢) محمد بن عبدالوهاب : القسم الخامس من مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٣٦.

آخر الرجوع بالإسلام الى ما كان عليه زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه رضي الله عنهم. ولقد بدأ الشيخ دعوته الى الإصلاح متبعا فى ذلك أسلوب الإسلام نفسه، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكتابة الرسائل وإلقاء الخطب، وعقد حلقات الدرس لتلاميذه الذين يتلقون عنه العلم في مختلف فروع المعرفة ، وعنيت الدعوة بتصحيح العقيدة وتحقيق التوحيد، وقد استأثرت معالجة هذه الموضوعات بالكثير من مؤلفات الشيخ وكتاباته ورسائله. كما عني بشرح العقيدة الصحيحة ودعمها بالحجة والدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال صالحي الأمة وأفعالهم ، وذلك بإخلاص العبادة لله رب العالمين، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، والإقلاع عن جميع المحرمات،وبيان معنى الإسلام الصحيح قبل حدوث الشرك وتسرب البدع، وتفسير معنى « لا إله إلا الله» ، وما اشتملت عليه من نفي العبادة عما سوى الله وإثباتها لله وحده لا شريك له فى ربوبيته ولا في ألوهيته، وبيان شرائع الإسلام.[٣].

لم تسلم الدعوة من حرب شنها عليها بعض الحكام الضالين، وبعض مدعي العلم كذلك، ويمثل اتفاق الدرعية (١١٥٧هـ) بين الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وبين أميرها الإمام محمد بن سعود ـ رحمهما الله ـ بداية مرحلة هامة في تاريخ الدعوة السلفية؛ فقد تم تعاهد وتعاقد بينهما على إظهار دين الله والجهاد في سبيله . وبمعنى اخر كانت هذه المعاهدة التي تمت بين الإمامين عهدا على نشر الدعوة السلفية وتوحيد المسلمين تحت راية الإسلام.

وبذا بدأ الجهد الجماعي للدعوة ودخولها مرحلة الجهاد. وقد أصبحت بذلك مدينة الدرعية مركز الدعوة السلفية ومنطلقها. فما أن فرغ الإمام الشيخ من أمر الدرعية نفسها وإقبال أهلها على دعوته ، حتى بعث برسائله الى أمراء وأهالي البلاد المجاورة يدعوهم فيها الى العودة الى طريق الإسلام الصحيح كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق

---

(٣) محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، «العقيدة والآداب الاسلامية» نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

جميع أحكامه وإقامة شعائره . فمنهم من استجاب لدعوة الشيخ ودان له بدعوة الاسلام الصحيح، فثاب الى الرشد، وهجر البدع، وغدا من أنصارها والداعين الى نشرها ونصرتها، ومنهم من استكبر وأبى وخالف. ولما رأى الشيخ من معظمهم الإعراض عن الدعوة ومناوأتها، بدأ فى تكتيل القوى الحربية وإعلان الجهاد في سبيل إقرار هذا الدين على حقيقته، وتهيئة الجو الصالح لنشر الدعوة، وتطبيق منهج الله في جميع شئون الحياة.

ولقد أصبح من الضروري مواجهة أعداء الدعوة ـ حيثما كانوا ـ وتجريد الحملات الحربية عليهم للدفاع عن الدعوة وإفساح المجال أمام الراغبين فى الانضواء تحت لوائها للرجوع الى الحق وقطع دابر الفتنة . فبدأت سلسلة من المعارك الحربية المتصلة ، وانتصرت كلمة الحق، وشهد الامام الشيخ ـ رحمه الله ـ فى أواخر حياته رايات التوحيد خفاقة على معظم أقاليم الجزيرة العربية التى شهدت تحولا خطيرا في حياتها الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت لواء الدولة السعودية. والحق أن الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ قد شهد ثمار دعوته وجهاده وجهوده الصابرة بمولد المجتمع الإسلامى الذى يريده، والذى أيقظت الدعوة عقليته الاسلامية بعد سباتها، فصفت عقيدته بعد أن كدرتها الخرافات والبدع والشركيات والوثنيات، فتحققت بذلك أهداف دعوته ، بقيام مجتمع إسلامى متكامل تحت لواء دولة إسلامية تؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهجا، وتطبق أحكامه في كل شئونها[٤].

## انتشــار الدعــوة:

لم يقتصر أثر الدعوة السلفية في الجزيرة العربية فحسب، بل امتد هذا الأثر الى بقاع كثيرة من العالم الإسلامي، وذلك على الرغم من محاولات خصوم الدعوة من تشويه مبادئها، حتى أطلقوا عليها اسم: «المذهب الوهابي» ليدللوا على أنها مذهب جديد على الإسلام، ولقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على نجاح الدعوة وانتشارها ، فقد كان لشدة إيمان صاحب الدعوة بما يدعو اليه من الحق، وقوته في مواجهة خصوم الدعوة حتى

(٤) عبدالله بن يوسف الشبل : تاريخ نجد والدولة السعودية ـ طبع بمطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض، ص ٦٩ ـ ٨٣.

جمع حولها الأتباع والأعوان والتلاميذ الذين كانوا عدتها ودعامتها، فضلا عن القـوة السياسية ممثلة فى أنصار الدعوة من آل سعود منذ اتفاق الدرعية «١١٥٧هـ» أكبر الأثر في التمكين للدعوة، وإبلاغ صوتها الى أقصى المشرق وأقصى المغرب. ومن هنا: تتجلى قوة الدعوة في الجمع بين الأمور السياسية والدينية ، فقد حمل آل سعود لواء الجهاد في سبيل نصرة الدعوة في حياة الشيخ وبعد وفاته، وتوحدت على أيديهم معظم أقاليم الجـزيرة العربية بما فيها إقليم الحجاز حيث المعبر الذى انتقلت الدعوة عن طريقه فى موسم الحج. فقد أتاح دخول الحجاز في حوزة الدولة السعودية الأولى في العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث عشر للهجرة (١٢١٧ ـ ١٢٢٦ هـ) لحجاج بيت الله الحرام من جميع البلاد الإسلامية التعرف على حقيقة الدعوة السلفية،والالتقاء بدعاتها،ومناقشتهم فيما يدعون اليه، حتى ازدادوا بها إيمانا وتشبعوا بمبادئها، وبخاصة حينما شهدوا أحوال الحجاز في عهد أنصار الدعوة من آل سعود، وما كان يسوده من أمن واستقرار وتطبيق لجميع مبادئ الإسلام، فحملوها الى بلادهم ، ودعوا الناس اليها، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية الى سومطرة والهند فى قارة آسيا، وإلى ليبيا وبلاد السودان الغربي في قارة افريقية، وكان هدف دعاتها في كل مكان يحلون به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات ، وتصحيح العقيدة الدينية، والعودة بالإسلام الى ما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم محاولة إقامة حكومة صالحة على أساس ديني، تحكم بالإسلام عقيدة ومنهج حياة(٥).

## الإسـلام وغرب افريقية :

ينبغي قبل الحديث عن الدعوة في غرب افريقية، أن نشير فى إيجاز الى امتـداد الإسلام وانتشاره في هذه الأقاليم الافريقية.

المقصود ببلاد غرب افريقية هنا: البلاد التي كانت تعرف قديما باسم السودان الغربي والسودان الأوسط، وتشمل مساحة جغرافية تمتد من مصب نهر السنغال في الغرب إلى

(٥) عبدالله بن يوسف الشبل: المرجع نفسه ص ٨٩.

الحدود الغربية لبلاد دارفور في سودان وادى النيل في الشرق، وتقع بين الصحراء الكبرى في الشمال، وبين نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب .

ولقد تأثرت هذه الأقاليم بموجتين إسلاميتـين، تتجلى أولاهما فى تسرب الإسـلام وانتشاره فيها انتشارا بطيئا استغرق حوالى سبعة قرون ابتـداء من القـرن الخـامس الهجرى (١١ م)، وجاءت الموجة الثانية في أعقاب حركة الجهاد التي اضطلع بها الفلان في القرن الثالث عشر الهجرى (١٩م).

أما الموجة الأولى، فكانت طلائعها من قبائل الملثمين (الطوارق) الذين اضطلعوا بنشر الإسلام في غرب افـريقية، عن طريق التسرب السلمـي والاستيطـان في هذه الأقاليم، أو عن طريق الغزو والفتح. وعلى الرغم من أن حركة المرابطين بزعامة قبيلة جدالة في القرن الخامس الهجرى (١١م) كانت قصيرة العمر فإنهم نجحوا في إزالة أكبر عقبة كانت تحول دون تقدم الإسلام جنوبا، فاضمحلت على أيديهم مملكة غانة الوثنية، ثم اعتنق ملوكها الإسلام وأخلصوا له، وعملوا على نشره بوسائلهم، وتحولت غالبية شعب غانة الى الإسلام . واستطاع دعاة المرابطين أن ينشروا الإسلام على ضفاف السنغال، وفي الأقاليم الواقعة بين السنغال والنيجر. وتم فى عهد المرابطين تأسيس مدينة «تنبكت»، وامتداد الاسلام الى مدينة (جنى)، وقد غدت هاتان المدينتان السودانيتان أعظم مركزين للثقافة الاسلامية، وسوقين هامتين للتجارة السودانية على ضفـاف النيجـر. وفي هذه المرحلة كذلك، ظلت الموجة الإسلامية الأولى قوية، بيد أن موجهيها لم يصبحوا من البربر، بل من أهل البلاد الأصليين الذين اعتنقوا الاسلام، ونالوا نصيبا من الثقافة الاسلامية، سواء أكانوا من السودانيين الخلص، أم من السودانيين الذين اختلطت دماؤهم بدماء البربر، وأفادوا من خبراتهم السابقة في ميادين السياسة والحرب، فأسسوا سلطنات إسلامية واسعة مثل: مالي، وسنغى ، وبرنو، والكانم، وإمارات الحوصة في شمال نيجيريا، حيث قامت سبع إمارات هي: دورا، وكانو، وزاريا، وغوبر (جوبير) ، وكتسنا، وبيرام، ورانو.(٦)

---

(6) Boville, E.A.: The Golden Trade of the Moors, P. 220

ولقد كان معظم إمارات الحوصة على الوثنية حتى القرن الثامن الهجرى (١٤م)، حين وفدت اليها تيارات إسلامية من الغرب على أيدى فقهاء مالي، ومن الشمال على أيدى فقهاء المغرب. أما التيار الثالث فمصدره بلاد برنو ومصر، وثم تيار إسلامي رابع وفد اليها مع تجار جنى وتنبكت المترددين على إمارتى كانو وكتسنا أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشر للهجرة. (١٥ - ١٦م)، وذلك إبان انتعاش تجارة إمارات الحوصة، واستقرار أولئك التجار في هذه البلاد، والقيام على تدريس الدين الإسلامي ونشر مذهب مالك(٧). وساعد على ازدياد قوة التيار الإسلامي في القرن العاشر الهجرى (١٦ م) خضوع إمارات الحوصة لسلطنة سنغى الإسلامية.

لكن على الرغم مما بذل من جهود لنشر الإسلام في بلاد الحوصة، فإن الإسلام لم يغلب على هذه البلاد، وظلت بها جاليات وثنية حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (١٩م)(٨)، ولم يلبث بعض أمراء الحوصة أن تحولت حماستهم للإسلام والثقافة الإسلامية الى فتور تام، ولم يعد يسمع شيء عن نشاط إسلامي خلال القرنين الحادى عشر والثاني عشر (١٧، ١٨م) - حتى قيام الفلان بثوراتهم الإصلاحية فى القرن الثالث عشر الهجرى (١٩م).

يضاف الى هذا أن الغزو المراكشي في غرب أفريقية في القرن العاشر الهجرى (١٦م) والقضاء على سلطنة سنغى الإسلامية، قد أدى الى تدهور أحوال البلاد الاقتصادية والثقافية والدينية، بسبب فساد الأمن واضطراب سير التجارة السودانية عبر الصحراء الكبرى، وتشريد علماء تنبكت، واضمحلال جامعاتها. يقابل هذا ازدياد نفوذ الممالك الوثنية مثل سيغو (سجو)(٩)، وخضوع الباشوات الذين خلفهم الغزو المراكشي لنفوذ ملوك سيغو الوثنيين. ثم ان الجامعات الاسلامية القليلة المبعثرة فى الأقاليم الوثنية

---

(7) Waldman, M.R. "The Fulani Fihad". Journal of African History, Vol. 1v 1965. P.333.

(8) Hunwjick, J.O.: Religion and state in the Songhay Empire, "Islam in Tropical Africa, J.M. Lewis, ed. P. 305.

(9) Wallis, J.R.: "Jihad Fi Sabil Allah, its doctrinal basis in Islam and some aspects of its avaluation in 19th Century West Africa". Journal of African History, V111, no. 3. 1967, P. 400.

عوملت معاملة أهل الذمة،فقد فرضت عليهم الجزية ، وحرموا من تطبيق الشريعة الاسلامية ، وخضعوا لقوانين البلاد القائمة على العادات الوثنية. واستمرأ معظم أمراء المسلمين ـ وقتذاك ـ ومن يلوذ بهم من النفعيين الحياة في ظل هذا الركود ، ماعدا نفر من أهل الصلاح والتقوى الذين يتطلعون الى ظهور مصلح يأخذ بأيدى المسلمين ، وينقذ الدين الإسلامى من وهدته.[١٠].

## الحركات الإصلاحية فى بلاد الحوصة.

تحقق هذا الإصلاح المرتقب على أيدى الفلان منذ مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م). وهنا تبدأ الموجة الإسلامية الثانية التي بلغت من القوة في خلال قرن واحد حدا يفوق ما بلغته الموجة الاسلامية الأولى في خدمة الاسلام والثقافة الاسلامية في غرب افريقية خلال سبع قرون.

ولقد امتدت اليقظة الاسلامية التى انبعثت من قلب الجزيرة العربية على يد الشيخ المجدد الامام محمد بن عبدالوهاب الى بلاد الحوصة بغرب افريقية أول القرن الثالث عشر الهجرى، اذ وجدت الدعوة السلفية طريقها الى هذه الأقاليم التي ما كان لها أن تبقى بعيدة عما يعتمل ـ وقتذاك ـ في قلب الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الاسلامية التي تأثرت بالدعوة السلفية ، لصلاتها القوية بها جميعا ولاسيما في موسم الحج.

كان رواد نشر الدعوة السلفية ودعاتها فى غرب افريقية من قبائل الفلبى (الفلان) الذين أخذت أفواجهم منذ القرن السابع الهجرى (١٣م) تفد من مواطنهم الأصلية بإقليم فوتاتورو بالسنغال الى بلاد الحوصة في شمال نيجيريا . وقد انقسم المهاجرون من الفلان إلى فريقين: فريق سكن المدن وعرف باسم «فلانى جدا»، أى: المختلطين أو المهجنين، لاختلاطهم بقبائل الحوصة عن طريق المصاهرة[١١]، وهؤلاء كانوا أول من

(١٠) محمود كعت التنبكتي: تاريخ الفتاسن في أخبار البلدان والجيوش، وأكابر الناس ص ١٧.

(11) Fage , O.G.D.: An Introduction to the History of West africa . P .35

اعتنق الإسلام في بلاد الحوصة. أما الفريق الآخر: فمن البدو الذين لم يختلطوا بقبائل الحوصة، وعرفوا باسم : «بروروجي»، أي، رعاة البقر، واحتفظ هؤلاء بدينهم الوثنى. وفى أواخر القرن الثاني عشر الهجرى (١٨م) غدا الفلان جدا المسلمون عنصرا هاما بين سكان بلاد الحوصة، ووصل كثير منهم إلى أعلى المناصب بفضل مواهبهم واستعدادهم الذهني.[١٢]

## عثمان بن فودى والدعوة الى الإصلاح:

وبطل قصة انتشار الدعوة السلفية في غرب افريقية هو الشيخ عثمان بن فودى (دان فوديو)[١٣]. ينتسب هذا المصلح الى أسرة من الفلان انطلقت في ركاب المهاجرين منهم حتى دخلت سهول السودان الغربي وأقامت في بلاد الحوصة، وفي هذه البيئة ولد عثمان بن فودى سنة ١١٦٩هـ في قرية طفل من أعمال امارة غوبر (جوبير) . وقد نشأ في بيت علم وفتوى. اذ اعتنق أجداده الإسلام من زمن بعيد، واشتغل أبوه وأفراد اسرته بالعلم، وتلقى عثمان بن فودى دروسه الأولى على يد أبيه محمد، وأمه حواء، وجدته رقية[١٤]. شب عثمان بن فودى في هذه البيئة المتدينة، ودرس علوم العربية وعلوم القرآن والحديث والفقه على أيدى علماء عصره في بلاد الحوصة، وفي اغاديس[١٥]. ولعل أقوى أساتذته تأثيراً فيه هو الشيخ جبريل بن عمر.[١٦]

ولما بلغ عثمان بن فودى مبلغ الرجال، وأوتي حظا من النضوج العقلى والفكرى، هاله حال المسلمين في بلاد الحوصة، وما كانوا عليه من تخلف وانحراف عن جادة الاسلام الصحيح ، وانتشار البدع والخرافات والوثنيات، ثم رحل عثمان الى الحجاز لأداء فريضة الحج، فتأثر بالدعوة السلفية التي كانت آخذة في النمو والانتشار في الوقت الذى زار فيه

(12) Boville, E.A.: The Golden Trade of the Moors, P.224.

(١٣) عرف باسم دان فوديو، أي: ابن النقية، واسمه عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح. ومن الالقاب التي تلقب بها: نور الزمان، ومجدد الاسلام، والشيخ.

(١٤) آدم عبدالله الألورى: الاسلام في نيجيريا ص ٣٥.

(١٥) أغاديس: مدينة تقع بالقرب من طريق القوافل الممتد بين أقاليم السودان الأوسط وبلاد المغرب.

(١٦) آدم عبدالله الألورى: المرجع نفسه ص ٣٠ ـ ٣١.

مكة[١٧] حين دخولها في صورة الدولة السعودية الأولى ـ كما سبق أن ذكرنا ـ ولقد خالط عثمان بن فودى دعاة السلفية من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب واستمع اليهم وتشرب مبادئ الدعوة السلفية وتحمس لها، فأيقظت في نفسه رغبة ملحة فى إصلاح أحوال المجتمع في بلاده، ومحاربة البدع والخرافات والوثنيات التي تفشت في بلاده، حيث اختلطت تعاليم الإسلام بالعادات الوثنية، وارتد بعض المسلمين عن دينهم.[١٨] ولعل خير ما نستشهد به في هذا المقام ماذكره الإمام محمد بللو من الشيخ عثمان بن فودي في كتابه« إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» عن فشو الفساد والبدع والشركيات في مجتمع الحوصة، إذ يقول: «وقد وجدت في هذه البلاد (بلاد الحوصة) من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أمور فظيعة، وأهوال شنيعة، طبقت هذه البلاد وملأتها حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صح إيمانه وتعبد الا النادر القليل، ولا يوجد فى غالبهم من يعرف التوحيد، ويحسن الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر العبادات، فمنهم كفار يعبدون الأحجار والجن، ويصرحون على أنفسهم بالكفر، ولا يصلون، ولا يصومون، ولا يزكون، ويسبون الله ويقولون في حقه ما لا يليق في جنابه الأعلى. وهؤلاء غالب عامة السودان الذين يقال لهم : «ما غنداوا»، وبعض عتاة الفلاتيين والتوارك. ومنهم قوم يقرون بالتوحيد، ويصلون، ويصومون، ويزكون من غير استكمال شروط بل يأتون فى ذلك كله بالرسم والعلامة، مع انهم يخلطون هذه الأعمال بأعمال الكفر الذى ورثوه عن آبائهم وأجدادهم وبعضهم من قبل نفسه .........

وغالب ملوك هذه البلاد وجنودهم وأطبائهم وعلمائهم من هذا القبيل. ومنهم قوم يقرون بالتوحيد، ويصلون ويصومون، ويزكون من غير استكمال شروط كما مر، مع أنهم مقيمون على عوائد ردية وبدع شيطانية ، ومنهم منهمكون في المعاصي الجاهلية متأنسون بها، جارون فيها مجرى المباحات، حتى كأنها لم يرد فيها نهى، وهى خصال كثيرة أقاموا عليها، وهؤلاء أكثر عامة الفلاتيين وبعض مسلمي السودانيين (الحوصة). إذ قد مر أن غالبهم كفار بالأصالة وبعضهم بالتخليط . ومنهم قوم عارفون بالتوحيد كما ينبغي،

---

(١٧) أرنولد: الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين ص ٣٦٠، ٣٦٢.

(١٨) آدم عبدالله الألورى : المرجع نفسه ص ٣١.

محسنون للوضوء،والغسل،والصلاة،والزكاة،والصيام بذلك كما ينبغي ، وهؤلاء النادر القليل[١٩].

ويضيف آدم عبدالله الآلوري ـ أحد علماء نيجيريا ـ الى ذلك قوله: «لما انتشرت البدع بين اللمعاء ودب الفساد في نفوس المسلمين وعظموا الأشجار والأحجار ونسبوا اليها الرزق والولد والخير والشر، وتعمّق الملوك في الجور والطغيان، حتى اذا مرض أحدهم ذبح عبدا أو أمة له ليفديه من الموت، تلك هى الأشياء التي أنهضت نية ابن فودى للقيام بالدعوة الى إخماد البدع الشنيعة وإحياء الشريعة»[٢٠].

وفي سنة ١٢١٥هـ بدأ عثمان بن فودى الدعوة الى الإصلاح، كما بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته: دعوة الى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويبدو من منهجه فى الإصلاح العودة بالإسلام الى ما كان عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ـ رضي الله عنهم ـ فأخذ يدعو الى إحياء الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة وإجماع السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم.

ولما زاد عدد أتباع الشيخ عثمان ومريديه، رأى أن ينتقل الى المرحلة الثانية من الدعوة، وفكر في الاتصال بأحد الملوك ليشد من أزره، فلجأ الى أقوى ملوك الحوصة ـ وهو وقتذاك ـ الملك نافتا (ملك غوبر) ، وشرح له الإسلام الصحيح وطلب اليه إحياء معالم الدين، وإقامة العدل بين الناس . فاستجاب له ـ أول الأمر ـ وأسند اليه الفتوى والإرشاد بمجلسه وديوانه.[٢١] غير أن بعض مدعي العلم الحاقدين ، قاموا يعيرونه لاتصاله بالملك ويتهمونه بالرياء والسعي الى الجاه والسلطان، ووشوا به عند الملك.

(١٩) محمد بللو بن عثمان بن فودى: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، طبع دار الشعب ، القاهرة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) ص ٥٨ ـ ٦٠.

(٢٠) آدم عبدالله الألورى : الاسلام في نيجيريا ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٢١) آدم عبدالله الألورى، نفس المصدر ص ٣٧.

ومنهم من أنكر عليه بعض أقواله وأفعاله،[٢٢] فوقعت بينه وبين الملك جفوة سافر بسببها الشيخ إلى بلاد زمفرة وكبى، حيث قضى خمس سنوات داعيا إلى الإسلام، فاعتنقه على يديه عدد من الوثنيين، كما تاب على يديه عدد من المرتدين.

وهنا نترك القلم للإمام محمد بللو بن الشيخ عثمان بن فودى، ليلقى المزيد من الضوء على ما قام به والده المصلح الكبير من جهود لنشر الدعوة في مجتمع الحوصة، وما لقي في سبيلها من عداء الملوك ووقوفهم في وجه الدعوة فيقول: «...ثم انه لما برز هكذا، وكثر اتباعه من العلماء والعوام ، وتراسل الخلق الى الاقتداء به، وكفاه الله من ناوأه من علماء وقته، حتى نشر أعلام الدين، وأحيا السنة الغراء، فتمكنت في البلد أى تمكين ، نصب أهل الدنيا له العداوة من أمراء هذه البلاد، ..... وانما غاظهم ما يرون من ظهور الدين وقيام ما درس من معالم اليقين، وذهاب بقاء ما هم فيه من الضلال والباطل والتخمين، مع أن سلطنتهم.. مؤسسة على قواعد مخالفة للشريعة.... فلما أوضح الشيخ الطريق، واهتدى اليه أهل التوفيق.... وبقي أهل الدنيا من علماء السوء والملوك في طغيانهم يعمهون،... فجعل اولئك الملوك والعلماء يؤذون الجماعة (أتباعه)، ويعترضون كل من ينتسب الى الشيخ ، ... ولم يزل كل من تولى من ملوك بلادنا مجتهدا في إطفاء ذلك النور ويكيد بالشيخ وبجماعته،ويمكر بهم ويحتال في استئصالهم . وأما الأحكام فهم متجمدون على ما وجدوا أباءهم الأسلاف... وغالب أحكامهم مصادم للكتاب والسنة وإجماع الأمة ، كما هو معلوم مشهور، مع أنهم مفترون بأقوال وأفعال لا تصدر الا من كافر... ولم يرعنا الا إنذار أمير غوبر نافتا بثلاثة أمور: أنه لم يرض لأحد أن يعظ الناس الا الشيخ وحده، ولم يرض لأحد بالإسلام الا وارثه من آبائه ، ومن لم يرث الاسلام فليعد الى ما وجد عليه آباءه وأجداده، وألا يتعمم أحد بعد اليوم، ولا تضرب امرأة بخمارها على جيبها. وهذا إنذاره فى الأسواق، كل ذلك سعى منه في مكيدتنا...»[٢٣].

لقد اعتنق الإسلام على يدى الشيخ عدد كبير من الوثنيين، وزاد الناس له أتباعا،

---

(٢٢) المصدر السابق.

(٢٣) محمد بللو: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص ٩٥ ـ ٩٧.

ورأى الملوك فيه خطرا ملحا ينتقص من سيادتهم ، ويحد من نزواتهم، ويؤلب عليهم رعيتهم.[٢٤]

ولما توفى الأمير نافتا، خلفه ابنه الأمير يونفا في حكم إمارة غوبر؛ وعلى الرغم من أنه كان تلميذا للشيخ عثمان، فقد كان لايقل عن أبيه انتصارا للوثنية. ورأى الأمير يونفا في ازدياد قوة الشيخ وكثرة أنصاره خطرا يهدد عرشه، فدبر مؤامرة لاغتياله، وأدى فشل الأمير في التخلص من الشيخ الى ازدياد عدد أنصاره وتلاميذه.

لقد أدرك الشيخ أنه لم يستطع أن يحقق هدفه بالفوز بمعاونة أمير من أمراء الحوصة، ومساندة القوة السياسية للدعوة : بل تعرضت دعوته للخطر بإصدار القرارات المساندة للوثنية من ناحية، ومحاولة القضاء عليه وعلى دعوته من ناحية أخرى.

وفي شتاء سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) خرج الشيخ صحبة فريق من أتباعه المخلصين مهاجرين الى بلدة جودو على أطراف الصحراء. ونادى الشيخ فى أنصاره معلنا الهجرة من دار الكفر الى دار الهجرة، غير أن أمراء الحوصة قابلوا عمل الشيخ وأنصاره بتعقبهم أينما ذهبوا، وقطع الطرق الموصلة اليهم، ونهب أموالهم والتهيؤ لحربهم. فلم يجد الشيخ بدا من إعلان الجهاد . واستجابت له عشائر الفلان من البلدين والرعاة ، وقدموا الى مهجره للانضمام الى جيشه، وتأييد دعوته، وبايعوه على الجهاد أو الموت، وطاعة الله ورسوله، كما بايعوه بإمرة المؤمنين (ساركيني مسلمي).[٢٥]

تزعم أمير غوبر المعارضين له، وسار لحربه ، وجاء اعلان الجهاد رسميا سنة ١٢١٩هـ (١٨٠٤م) بداية دور جديد في الحركة الإصلاحية ، هو دور الفتح والجهاد. فعقد الشيخ اللواء لأربعة عشر من أصحابه، وأحرزوا نصرا على أمير غوبر وحلفائه من الطوارق. وأثارت هزيمتهم الهلع والخوف في بلاد الحوصة، واستولى المجاهدون على إمارة زاريا سنة

(٢٤) حسن أحمد محمود: دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقية، المجلة التاريخية المصرية العدد ١٤، ١٩٦٨، ص ٩٤.

(25) Boville, E.A.: oP. cit. P. 225.

١٢١٩هـ (١٨٠٤م)، وإمارتي كانو وكتسنا سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م)، كما وقعت فى أيديهم عاصمة إمارة غوبر سنة ١٢٢٣هـ (١٨٠٨م).

لقد كانت الحماسة الدينية تدفع أولئك المجاهدين الى طلب الشهادة، فتمكنوا في سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) من إخضاع إمارات الحوصة جميعها لنفوذهم.

رأى الشيخ عثمان بن فودى أن تشمل حركته الإصلاحية بلاد برنو (السودان الأوسط) لموالاة سلطانها للوثنيين ومساعدتهم ضد المجاهدين من أنصار الشيخ، فاستولوا على كثير من أقاليم برنو لمتاخمتها لبلادهم من جهة الشرق.

وهكذا تمت آخر مرحلة من مراحل الجهاد ، فتأسست دولة اسلامية شملت جميع إمارات الحوصة القديمة . ورأى الشيخ عثمان أن يترك شئون الحكم والإدارة لابنه محمد بللو، وأخيه الوزير عبدالله بن فودى، فقسم البلاد بينهما، وجعل ابنه محمدا على القسم الشرقي وعاصمته سكت (سكوتو)، وجعل أخاه عبدالله على القسم الغربى من الدولة، وعاصمته جواندو في اقليم كبى، أما الشيخ عثمان فانه آثر التفرغ للدراسة ونشر الاسلام وتفقيه الناس في الدين متخذا سكت مقرا له. ولما توفى الشيخ عثمان سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٧م)، بويع ابنه محمد بللو أميرا للمؤمنين. وظلت الإدارة مزدوجة في عهده: القسم الشرقي: تابع لإدارة سكت، والقسم الغربى تابع لعبدالله فى عاصمته جواندو.

اختلف الباحثون في تقدير حركة الجهاد التي تزعمها عثمان بن فودى. فيرى البعض منهم : «ان الفلان اتخذوا الدين وسيلة لنيل عرض الدنيا، واستغلوه للتنكيل بأمراء الحوصة الذى كانوا يضطهدونهم وينكرون عليهم حقوقهم » ويزعمون: «أن الجهاد حركة قومية لقبائل الفلان ـ مسلمين ووثنيين ـ موجهة ضد قبائل الحوصة وكبيرهم الأمير يونفا أمير غوبر الذى كان قرر القضاء عليهم، وبعد انتهاء الجهاد عاد الفلان والوثنيون الى حياة المراعي، على حين أن العلماء وزعماء الفلان ـ وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودى ـ استغلوا الدين لطرد الحكام القدامى. واقتسام مناصبهم.[٢٦]».

---

(26) Hogbon, S. G.: Th Mohamedan Emirates of Nigeria P .110 .

غير أن هذا القول لا يتفق وما نعلمه عن طبيعة الجهاد وأهدافه. ذلك أنه كان محاولة صادقة للإصلاح وجهادا ضد الطغاة المستبدين، مهما كان جنسهم، بدليل أن الجهاد ضم بين الحوصة والفلان، وباستثناء القادة وأصحاب الألوية، فقد كان عدد المجاهدين من الحوصة لا يقل عن عدد المجاهدين من الفلان.(٢٧) وكان أحد أصحاب الألوية الأربعة عشر على الأقل من الحوصة(٢٨). ثم إن جميع الفلان في بلاد الحوصة لم يشتركوا في الجهاد مع الشيخ عثمان بن فودى، اذ حارب بعضهم في صفوف أمراء الحوصة، على حين وقف البعض الآخر موقفا محايدا. والكثيرون من سكان البلاد الذين رأوا في الجهاد إعلاء لشأن الدين ، انضموا لحركة الجهاد ضد بني جلدتهم، سواء أكانوا من الفلان أم من الحوصه.(٢٩).

لم تكن حركة الجهاد التي تزعمها الشيخ عثمان بن فودى موجهة ضد الوثنيين (الكفار) فحسب، ولكن ضد المرتدين والمستهترين من المسلمين الذين يخلطون أعمال الإسلام بأعمال الكفر.

ولقد واجهت حركة الاصلاح بزعامة الشيخ عثمان بن فودى مقاومة عنيفة من جانب أمراء الحوصة - كما رأينا - كما تعرضت لنقد بعض معاصريه من العلماء والفقهاء، وعلى رأسهم الشيخ محمد الأمين الكانمي من برنو ، والمعروف أن الشيخ الكانمي من أبرز علماء عصره ، وشخصية اسلامية فذة، ولكنه اتهم الشيخ عثمان باستغلال الدين لنيل عرض الدنيا. واذا كان الشيخ الكانمى قد سلم بوجهة نظر الجماعة الإسلامية من أنصار الشيخ عثمان، وضيقهم بخصومهم، فإنه لم يجد - فى رأيه - في هذا الضيق مايبرر قتالهم، على حين أن الشيخ عثمان اتهم الكانمي ومن لف لفه من العلماء والفقهاء بالنفاق لتحيزهم لملوك الحوصة ضد جماعة المسلمين.

ولقد أوضح محمد بللو - بتكليف من والده الشيخ عثمان بن فودى - في رسالة بعث

(27) Smith, M.G.: The Jihad, P. 409.

(28) Ibid .

(29) Allan Burns: History of Nigeria, P. 46.

بها الى الشيخ أمين الكانمي للرد على تشنيعاته ضد جماعة المسلمين من أنصاره، فيقول : «... وأما ادعاؤك أن هذا الأمر والنهي أدانا الى ما يضر بديننا ، وهو الخروج على الامام بعد البيعة ، وقد ثبت عند كل حرمته، وإن طرأ عليه فسق، فإن كلامك هذا يتناول ملوك بلادنا هذه فلا عبرة به، كما ثبت عندنا من كفرهم بجهل الأصول ، والذبح للأحجار والأشجار وإنكار البعث والنشور. هذا ما نعرفه في بلادنا هذه ، وأما في بلادكم (برنو) . فليس لنا علم بأحوال أئمتها وسلاطينها إلا أنه إذا كان فيها قيام أميركم على إذابة المجاورين لكم من الفلانيين الذين هم الاقتداء بالشيخ (عثمان) حتى ألجأتموهم الى الهجرة تعصبا لملوك حوس (الحوصة) ونصرة لهم، ومعلوم أن الكافرين بعضهم أولياء بعض ـ كما أن المؤمنين كذلك ـ علمنا بالضرورة أنه حينئذ راض بدينهم ، حين قام يواليهم دون المؤمنين ويظاهرهم عليهم، ولا جرم أن الرضا بالكفر كفر...»(٣٠).

كما أوضح الشيخ عثمان بن فودى منهجه في الجهاد في وثيقة أذاعها على جماعة المسلمين في بلاد السودان. وقد شرح فيها طاعة الجماعة لأمير المؤمنين ونوابه، وقواعد وجوب الهجرة على المسلمين والتفريق بين دار الاسلام ودار الحرب، والتعريف بالكفار ومن يجب على المسلمين قتالهم(٣١).

وفيما يلي بعض ما ورد في «وثيقة أهل السودان ومن شاء الله من الإخوان».

---

(٣٠) محمد بللو: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣١) نشرت هذه الوثيقة مصورة بالزنكوغراف ومعها ترجمة انجليزية في:
Bivar, A.D.D.H.: The Wathigat Ahl Al -Sudan .A Manifests of the Fulani Jihad. Journal of African History, Vol. 11, no 2 , 1961. PP. 233 - 236.

بسم الله الرحمن الرحيم

«فاعلموا يا إخوانى أن الأمر بالمعروف واجب إجماعا، وأن النهى عن المنكر واجب إجماعا، وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة اجماعا، وأن موالاة المؤمنين واجبة اجماعا، وأن تأمير أمير المؤمنين واجب اجماعا، وأن طاعته وجميع نوابه واجبة اجماعا، وان الجهاد واجب اجماعا، وأن تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعا، وأن تأمير القضاة واجب اجماعا، وأن تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعا، وأن حكم البلد حكم سلطانه إجماعا، ان كان مسلما كان البلد بلد إسلام، وأن كان كافرا كان البلد بلد كفر، وجبت الهجرة منه، وأن قتال الملك الكافر الذى لا يقول: «لا إلهٰ إلا الله» أصلا واجب أجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وأن قتال الملك الكافر، الذى لا يقول «لا إلهٰ الا الله» أصلا واجب إجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وأن قتال الملك الكافر، الذى لا يقول «لا إلهٰ الا الله» بسبب عرف البلد، ولم يكن يدع (كذا) الإسلام واجب إجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وان قتل الملك المرتد الذى لم يخرج عن دين الإسلام لكونه يدعي الإسلام ويخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر كملوك حوس (الحوصة) غالبا واجب به إجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وأن قتال المهملين من المسلمين الذين لم يكونوا تحت بيعة أمير من أمراء المؤمنين واجب إجماعا اذا دعوا الى البيعة وأبوا حتى يدخلوا في البيعة... وأن قتال جماعة المرتدين واجب إجماعا، وأن أموالهم فيىء، وأن فى استرقاقهم قولين: المشهور المنع، ولا يعصى من فعله إن قلد من يقول بجوازه...»».

لقد ترك ظهور هذه الحركة الإصلاحية آثارا عميقة في أقاليم الحوصة، وفضلا عن نجاحها في ميدان الجهاد وتوحيد جميع إمارات الحوصة المتنازعة وتأسيس دولة اسلامية على أنقاضها، فقد نجحت كذلك في مجال الجهود السلمية في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية. فقد انتشر الدعاة من تلاميذ الشيخ عثمان بن فودى في بلاد بوربا، ونجحوا فى

اجتذاب قبائلها الى الاسلام ، وتم على أيديهم تأسيس إمارة الورن الاسلامية وخضوعها لأمير المؤمنين فى سكت[٣٢].

## علاقة حركة عثمان بن فودى الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

بعد هذا العرض الهادئ لمراحل حركة الشيخ عثمان بن فودى الاصلاحية في غرب افريقيا أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، ودراسة أهم المبادئ والأسس التي اعتمدت عليها هذه الحركة الاصلاحية ، يبدو مدى التقارب بينها وبين الدعوة السلفية التي نهض بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة.

والدعوة السلفية إن لم تكن تركت آثارا مباشرة على هذه الحركة وغيرها من الحركات الاصلاحية التي ظهرت بعدها ، فالواقع أنها قد مهدت لها وقوت من عزائم القائمين بها، اذ كانت بحق دعوة رائدة ، وجد فيها بعض أصحاب العزائم من المصلحين قدوة طيبة يقتدون بها، وأثرا صالحا ينهجون نهجه في جميع مراحل حركاتهم الإصلاحية ، كما كان للتقارب الزمنى بين الدعوة السلفية وبين حركة عثمان بن فودى الإصلاحية بصفة خاصة، فضلا عن وجود بعض أوجه التشابه بين ظروف كل من الإقليمين ـ الجزيرة العربية وغرب افريقيا ـ من حيث تدهور النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية قبل ظهور الحركتين، ووحدة الشعور بالحاجة الى الإصلاح، كان لهذا كله أكبر الأثر في التعجيل بميلاد حركة الشيخ عثمان بن فودى الإصلاحية . فقد كان نجاح الدعوة السلفية في تحقيق أهدافها من الحوافز التي شجعت ابن فودى وغيره من بعض زعماء الإصلاح على الأخذ ـ من قريب أو بعيد ـ بالمنهج الذى اتبعه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته.

وتكاد تجمع بعض المصادر على أن الشيخ عثمان بن فودى قد حج الى بيت الله الحرام، والتقى ببعض رجال الدعوة السلفية حين خضوع الحجاز للدولة السعودية الأولى

---

(٣٢) آدم عبدالله الألورى: الاسلام في نيجيريا ص ٤٦ ـ ٥٢.

خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى، وتشرب به مبادئ الدعوة السلفية ـ على ما سبقت الاشارة اليه ـ ولو أن البعض ينكر ذهاب الشيخ عثمان بن فودى الى مكة أصلا ، على حين يعترف أولئك المنكرون بأن أستاذ الشيخ عثمان بن فودى، وهو الشيخ جبريل بن عمر قد أدى فريضة الحج مرتين ، والتقى ببعض رجال الدعوة السلفية وتأثر بمبادئها.[٣٣]. وسواء صح خبر أداء الشيخ عثمان بن فودى فريضة الحج أم لم يصح، فالواضح أنه تلقى الدعوة السلفية سواء بالمباشرة من منبعها الأصلى على أيدى دعاتها في الحجاز ، أم بالواسطة على يد أستاذه جبريل بن عمر، ومما يقوى هذا الدليل التشابه الواضح بين ملامح الدعوة السلفية وحركة عثمان بن فودى الاصلاحية التي لم تشبها شوائب صوفية ، فكلا الدعوتين تلتقيان قي :

أولا : تحقيق التوحيد، وتطهير العقيدة مما شابها من أدران الشرك كالاعتقاد في قدسية بعض الأرواح أو الأشجار أو الكهوف أو الآبار ، وتقديم القرابين الى الجن لإبعاد أذاه، وزيارة قبور الأولياء والصالحين بقصد نيل شفاعتهم.

ثانيا : الدعوة الى الرجوع الى الكتاب والسنة ، وآثار السلف الصالح، ومحاربة البدع[٣٤]. وللشيخ عثمان بن فودى في هذا المجال أعمال كثيرة توضحها دعوته في دروسه وفي كتبه ومؤلفاته، وله في ذلك: كتاب «إحياء السنة».

ثالثا : اتخاذ الجهاد فى سبيل الله وسيلة لنشر الدعوة الاسلامية بين الوثنيين الذين يصدون عن سبيل الله، والمرتدين عن الاسلام، ومن حاد اسلامهم عن الطريق الصحيح، ويخلطون أعمال الاسلام بأعمال الكفر ويوالون الكفار دون جماعة المسلمين.[٣٥].

(33) Boville, E.A. The Golden Trade of the Moors.

Fage .D.G.D. op. c.t.

(٣٤) راجع ما سبق هنا، وانظر محمد بللو، نفس المصدر ص ٥٨ ـ ٦٠، آدم عبدالله الألورى، نفس المرجع، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٣٥) انظر : وثيقة أهل السودان فيا سبق هنا، ص ١٨ ومحمد بللو، نفس المصدر ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

وقد أدت حركة الجهاد هذه الى القضاء على الإمارات المتنازعة واتحادها في ظل دولة إسلامية واحدة تطبق الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة وتقيم شعائر الاسلام ، مما يذكر بالجهاد المسلح الذى نهض به الأئمة السعوديون في سبيل نشر الدوة السلفية ، فأقاموا الدولة السعودية الأولى التي استطاعت أن توحد معظم أقاليم الجزيرة العربية في ظل حكومة واحدة ، تطبق مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وقد ظلت هذه المبادئ متأصلة في نفوس أتباعها حتى الدولة السعودية الحالية التي أمكن لمؤسسها المرحوم الملك عبدالعزيز استعادة ملك آبائه وأجداده، وتأسيس المملكة العربية السعودية القائمة على أساس ديني سلفي؛ ومن ثم كان نجاح الدعوة السلفية فى إقامة دولة اسلامية مستقلة من أكبر الدوافع لقيام دول اسلامية متأثرة بالدعوة السلفية التي أصبحت أساسا لبناء كيانها الديني والسياسي والحضاري، ومن أبرزها دولة (سكت الاسلامية) فى غرب افريقيا.

رابعا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصل من أصول الاسلام ورد الحث عليه فى الكتاب والسنة، وكما قامت الدعوة السلفية بتحقيق هذا الهدف الاسلامى بتطبيق أحكام الاسلام وإقامة حدوده، وتعيين قضاة للفصل في الخصومات بين الناس، وإحياء نظام الحسبة، وتنظيم بيت مال المسلمين، نرى أن الدولة الاسلامية التي أقامها الشيخ عثمان بن فودى في غرب افريقيا تضع ـ أيضا ـ النظام الاسلامى للإدارة بإحياء نظام البيعة، وتعيين العمال لحكم الأقاليم، وإحياء نظام الوزارة والحسبة والقضاء الإسلامى.

خامسا: وكما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب سببا في إيقاظ الحياة الفكرية بعد جمودها فترة طويلة من الزمن، وإثارة الجدل بين أنصار الدعوة وخصومها واجتهادهم في البحث والتحصيل العلمي، مما أدي الى قيام يقظة اسلامية ، ونشاط علمي ظهرت آثاره فيما خلف الشيخ الامام من تراث إسلامى ضخم يتمثل في رسائله وبحوثه ومؤلفاته العديدة في مختلف العلوم الاسلامية، وذلك فضلا عما قام به أبناؤه وتلاميذه من انتاج علمى لا يزال يثرى المكتبة العربية الاسلامية بالعديد من المؤلفات . كذلك أشعلت حركة الاصلاح التي قادها الشيخ عثمان بن فودى في غرب افريقيا يقظة فكرية هائلة،

وكما لقيت الحركة الاصلاحية معاونة وتعضيدا، فقد واجهت كذلك معارضة شديدة في الداخل والخارج مما أثار الجدل حولها وأدى الى قيام نهضة فكرية تجلت آثارها فيما خلفته من تراث عربى إسلامي يتمثل في عدد ضخم من المؤلفات في شتى العلوم الإسلامية بأقلام بعض زعمائها وقادتها وتلاميذهم في شكل كتب أو رسائل ، وجميعها مكتوبة باللغة العربية، وعلى الرغم من أن الجانب الأكبر من هذا التراث الاسلامى الضخم لا يزال مبعثرا وحبيس كثير من مكتبات نيجيريا والغرب الأوربى، ينتظر جهودا مخلصة للدراسة والبحث، فمما لا شك فيه أن هذا التراث الإسلامى قد أدي دورا هاما في دعم الحركة الإسلامية واتساع رقعة الإسلام في هذا الجزء من افريقيا خلال القرن الثالث عشر وصدر القرن الرابع عشر للهجرة.

# دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
# وأصداؤها في فكر محمد إقبال

للدكتور محمد السعيد جمال الدين
الأستاذ المشارك بجامعة عين شمس بالقاهرة
وكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

يحظى الشاعر والمفكر الإسلامى محمد إقبال[1] بشهرة واسعة وتقدير كبير فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى ، ولا غرو فقد صرف إقبال كل همه فى إزالة الأوهام التى علقت بالفكرة الإسلامية ، ونذر حياته كلها فى سبيل إحياء روح الإسلام وإصلاح مسار الأمة الإسلامية على طريقها نحو الله سبحانه وتعالى..

وكان إقبال قد رأى أن معظم المفاسد التى تواترت على وجدان الفرد المسلم فأبعدته عن روح الإسلام وعن منهج الإسلام ـ إنما تواترت عليه من طريق الشعر، فقد اتخذ الصوفية الشعر وسيلة لبث أفكارهم وآرائهم الهدّامة في النفس المسلمة، فتدفق ينبوع الشعر الصوفي في انسياب حاملا معه ـ الى نفوس المسلمين ـ أفكار وحدة الوجود والاستسلام ونكران الذات، الأمر الذى أدى بهؤلاء الذين ورثوا حضارة متألقة على الدوام لا يعتريها القدم أبدا ـ أدى بهم الى التواكل وسقوط الهمم وازدراء العمل والقعود عن تسخير الكون. ولقد تطاول العمر على الأمة الإسلامية وهي على هذا الحال فتخلفت عن المهمة التى وكلها الله اليها ، وهي الأخذ بزمام العالم كله نحو الرقى والتقدم

(١) ولد في البنجاب سنة ١٨٧٧م، وتلقى منذ صغره تربية اسلامية، وان كان قد التحق بمدارس وكليات تسير على النهج التعليمى الغربى، وحصل على ليسانس الآداب من «كلية الحكومة» في لاهور ، ثم انتقل الى لندن سنة ١٩٠٥ ودرس بجامعتها نحو ثلاث سنوات، وفي سنة ١٩٠٧ حصل على الدكتوراه في الفلسفة من ألمانيا، وعاد الى الهند في سنة ١٩٠٨ حيث بدأ يؤسس دعوته الاصلاحية التى استمد عصارتها من الاسلام،واستخدم فى نشرها كلا من الشعر والنثر فنظم العديد من الدواوين باللغتين الفارسية والأردية ، كما نشر كتابين باللغة الانجليزية أحدهما كتاب «تجديد التفكير الدينى في الاسلام». وقد انخرط اقبال في خضم الحياة السياسية في الهند للدفاع عن الاسلام والمسلمين في شبه القارة،وانضم الى «الرابطة الاسلامية» وكان هو صاحب فكرة انشاء وطن مستقل للمسلمين فى شبه القارة الهندية، وهو الوطن الذى تحقق انشاؤه بعد وفاة اقبال. وبعد حياة حافلة بالعمل والفكر والابداع والجهاد صعدت روحه الى بارئها في ٢١ ابريل ١٩٣٨م.

الروحى والمادى، وأوقع الحظ العاثر هذا الزمام بيد أناس ليسوا مؤهلين روحيا لتلك المهمة السامية. فاضطربت أحوال العالم كله، اذ حققت البشرية تقدما هائلا في النواحى المادية ولكنها انهزمت هزيمة منكرة في الناحية الروحية، فتفشت المادية وأخلد الإنسان الى الأرض واتبع هواه.

كان المأمول أن يهبّ المسلم من نومه ويتقلّد الدور الذى هو مؤهل له فيعيد الأمور إلى نصابها، ويصحح وجهة الإنسان ويدفع بالانسانية نحو الطريق الصحيح... ولكن هيهات، كان الخمول قد ران على العالم الاسلامى، وكان معظم المسلمين بحاجة الى من يصحح وجهتهم هم، وفاقد الشئ لا يعطيه كما يقولون، ولم يكن ثمة سبيل الى اصلاح حال المسلمين إلا بإصلاح أنفسهم أولا عملا بقوله تعالى:

« إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ». (الرعد : آية ١١)

ولقد رأى إقبال أن تغيير النفس وتنويرها بحقائق الإسلام وتبديد الظلمات من جوانبها إنما يتم بسلوك نفس السبيل التى سلكها الصوفية من قبل فى تزيين أفكارهم للنفس المسلمة وحمل هذه الأفكار اليها على أجنحة الشعر، تلك الأداة السحرية الخلابة التى تفعل الأعاجيب بالإنسان من حيث كونها اللغة التى يفهمها الوجدان ويتأثر بها أيما تأثير. فاستخدام الشعر فى مخاطبة هذه النفس كان من شأنه فى رأى إقبال أن يفك العقدة بنفس الطريقة التى انعقدت بها من قبل..

لقد حاول عدد من كبار المصلحين والمجددين السابقين تحرير إرادة النفس المسلمة ونفى ما اعتراها من أوهام، واستخدموا فنون المنطق وأساليب الإقناع في هذا السبيل. وكان من بينهم شيخ الإسلام ابن تيمية.. يقول إقبال في مقدمته النثرية لمنظومة «أسرار خودى» أى أسرار الذات الإنسانية، التى نشرها سنة ١٩١٥م:

«خاطب فلاسفة الهند العقل في إثبات وحدة الوجود. وخاطب شعراء إيران القلب فكانوا أشد خطرا وأكثر تأثيرا، حتى أشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسألة بين العامة

فسلبوا الأمة الإسلامية الرغبة فى العمل ، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية من علماء المسلمين وواحد محمود من فلاسفتهم، أول من رفعوا الصوت باستنكار هذه النزعة، ولكن مصنفات واحد محمود لا تُلفَى اليوم، ولا ريب أن منطلق ابن تيمية القوى أثّر أثَرهَ ولكن جفاف المنطق لا يقوى على مقاومة نُضرة الشّعر وفتنته[٢].

ومن حسن إقبال وسعادة جدّه، بل ومن حسن حظ من خصهم بدعوته الإصلاحية من المسلمين في شبه القارة الهندية وأفغانستان وايران وآسيا الوسطى أن إقبال كان شاعرا، وأنه كان قد برع في نظم الشعر منذ شبابه. وعندما اكتملت ملامح دعوته ـ وهى التى استمد عصارتها من القرآن الكريم ومن السنة الشريفة ومن أقوال السلف واجتهادات الصالحين ورياضات الزهاد، عندما اكتملت ملامح الدعوة لديه خرج على الناس بأول دواوينه «اسرار الذات الإنسانية» سنة ١٩١٥م، فأحدثت ضجة كبرى في سائر الأوساط، ثم توالت منظوماته ودواوينه حتى بلغت أحد عشر ديوانا نظمها باللغتين الفارسية والأردية اللتين يعرفهما ويتكلم بهما عشرات الملايين من المسلمين في آسيا على اختلاف ثقافاتهم وطبقاتهم..

وقد استطاع إقبال أن يحقق بالفعل ذلك التغيير الذى كان يصبو الى تحقيقه فى نفوس بنى وطنه وغيرهم. فحدث ذلك التبدل والتغير المنشود، وأصبح المسلمون فى شبه القارة الهندية، وقبل استقلال الهند ، قوة يحسب لها حسابها ويخشى بأسها.

وسلّمت الطوائف غير الإسلامية في الهند بمطالب المسلمين، وكان أولها ذلك المطلب الأساسى الذى أُعلنه إقبال نفسه في سنة ١٩٣٠، حينما دعا إلى إقامة وطن خاص للمسلمين فى شبه القارة الهندية، وهو الوطن الذى يعتز به كل مسلم، والذى أُنشئ بعد وفاة إقبال وعقب تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ باسم باكستان.

---

(2) Iqbal, M,: Secrets of the self, Translated by R.A.Nicholson Lahore 1950, Introduction,

وانظر ايضا : عبدالوهاب عزام: محمد اقبال. سيرته وفلسفته وشعره، طبع مصر ١٣٧٣هـ ، ص ٥٢.

تجاوب شرق العالم الاسلامي مع صيحة إقبال. وعندما عرف العرب إقبالا أكبروا فيه روحه وحماسته للاسلام وتأثروا كل التأثير بشعره القوى الأخاذ الذى يحرك الشعور ويهز الوجدان(٣).

ووثق به وبآرائه من بعده المثقفون من المسلمين، ، بل ومن المستشرقين الذين اعتمدوا على كتبه ودواوينه في فهمهم لبعض الظواهر في تاريخ الاسلام وحضارته.(٤).

وما زال إقبال يحظى الى يومنا هذا بتقدير كبير في مختلف الأوساط الاسلامية وفى سائر أرجاء العالم الاسلامى بعد أن ترجمت الى اللغة العربية معظم دواوينه، كما ترجم كتابه الهام «تجديد التفكير الدينى في الاسلام»، وأصبحت أفكاره وآراؤه الأساسية واضحة أمام أنظار العرب.

يتعين علينا الآن أن نطرح سؤالا ثم نحاول الاجابة عليه: هل تأثر إقبال بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ؟ وما مظاهر هذا التأثير ؟ وقبل الاجابة على هذا التساؤل ينبغى أن نعرض لمصادر إقبال(٥) فى التعرف على هذه الدعوة، ثم نتناول بعد ذلك الملامح التى نعتقد أن فيها قدرا من التأثر بالدعوة.

لاشك أن إقبالا كان معجبا ـ الى حد بعيد ـ بشخصية الشيخ وجهوده الذاتية التى لم تعرف الكلل في سبيل إصلاح الدين وتطهيره من شوائب البدع والخرافات والوثنيات التى دخلت عليه. وقد عبر إقبال عن إعجابه بالشيخ وبدعوته عندما وصفه بقوله: «المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبدالوهاب»..

(٣) انظر فى ذلك ماكتبه المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام في مقدمة كتابه: محمد اقبال ص ٥، ٦ وكذا ما كتبه الاستاذ على الطنطاوى في مجلة «المسلمون» السورية ، والاستاذ ابوالحسن الندوى في كتاب روائع اقبال، طبع دمشق ١٩٦٠م ص ٩ ـ ١٠، ونجيب الكيلانى في كتابه محمد اقبال، طبع مصر ١٩٥٩م،وكاتب هذا المقال في كتابه رسالة الخلود لمحمد اقبال (دراسة تحليلية نقدية)، طبع مصر ١٩٧٤م.

(٤) منهم على سبيل المثال المستشرق البريطانى رينولد آلن نيكلسون في كتابه: فكرة الشخصية في التصوف ترجمة الدكتور أبوالعلا عفيفى ضمن كتاب «في التصوف الاسلامي وتاريخه» طبع مصر ١٩٥٦م.

(٥) أو ما نعتقد أنه استعان به فى التعرف على دعوة الشيخ.

لقد جاء هذا الوصف فى كتابه «تجديد التفكير الدينى فى الاسـلام ، وكان هذا الكتاب فى أصله عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها محمد إقبال باللغة الانجليزية فى ربوع الهند، فى كلكتا ومدراس وعليگرة، ثم جمعها في كتاب ونشرها بهذا العنوان في سنة ١٩٢٨م، فعد إقبال بذلك من بين من قدروا دعوة الشيخ قدرها وأعطوها حقها.

كانت هذه الدعوة قد لقيت في الهند حربا ضروسا لا هوادة فيها، حتى أن كل من رفع يديه في الصلاة أو جهر بآمين كان معرضا لأشد أنواع الأذى لأنه «وهابى»،وكان مصير من يتهم من مسلمى الهنود بأنه وهابى أن ينفى ويشرد ويقتل[٦]. ولكن برغم ذلك نهض جماعة من العلماء يبصرون الناس بحقيقة هذه الدعوة ويدعونهم الى التوحيد الحق والى نبذ البدع والضلال. وقد سبق هؤلاء العلماء إقبالا فى هذا السبيل فألفوا الكتب ودونوا الرسائل والمقالات للدفاع عن الدعوة والتبصير بها، وكان في مقدمتهم «النواب صديق حسن خان» (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ)، والسيد نذير حسين الدهلوى (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ). وكان النواب صديق حسن قد نشر كتابين أحدهما بالفارسية والآخر بالأردية عن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وقبل أن ينشر إقبال كتابه «تجديد التفكير الدينى» ببضع سنين، (ذلك الكتاب الذى أشاد فيه بالشيخ وبدعوته) كتب اثنان من كبار علماء المسلمين في الهند، ممن كانوا على صلة وثيقة بإقبال، موادا في التعريف بالشيخ وبدعوته، وبأحوال آل سعود، ونعنى بهما (السيد سليمان الندوى) الذى نشر عن هذا الموضوع مقالا ممتازا فى مجلة «معارف» الأردية الواسعة الانتشار سنة ١٩٢٤م، والحافظ أسلم جيراجبورى الذى نشر كتابا يتسم بالاختصار والوضوح بعنوان «تاريخ نجد»[٧].

ولا ريب إن إقبالا قد قرأ هذه الكتب التى كتبت كلها بلغته الوطنية، وألفها علماء

---

(٦) انظر تعليقات عبدالعظيم البستوى على كتاب محمد بن عبدالوهاب لمسعود الندوى طبع مكة المكرمة ، سنة ١٣٩٧هـ هامش ص ٢١١.

(٧) انظر التحليل القيم لمصادر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب: محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه، لمسعود الندوى، طبع مكة المكرمة ١٣٩٧ ص ٢٢٧ وما بعدها.

كان بعضهم على صلة وطيدة به، فتأثر بها، وبدأ هذا التأثر واضحا في كتاباته وأشعاره.

ولم يكن علماء المسلمين فى الهند وحدهم هم الذين لفتوا إقبالا الى حقيقة «حركة الإصلاح الدينى العربى التـى قامت على يد المصلـح والمتطهـر العـظيم محمـد بن عبدالوهاب » بل كان لأستاذه المستشرق التايه «توماس آرنولد»[٨] صاحـب كتـاب «الدعوة الى الإسلام» بعض الفضل فى توجيهه هذه الوجهة . فالقارئ لكتاب آرنولد يستشعر الاحترام والتقدير الذى كان يكنه ذلك الرجل لدعوة الشيخ الإصلاحية ، تلك الدعوة التى أخذ أرنولد يتتبع إنتشارها وتأثيراتها المباشرة على الحركات الإصلاحية فى كل من البنغال وسومطرة وافريقيا السوداء[٩].

وكانت هذه المصادر الأردية والفارسية والانجليزية هى المتاحة أمام محمد إقبال عندما أراد أن يتعرف على دعوة الشيخ ويكتب عنها..

كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة بسيطـة خالية من التعقيد، حجـر الزاوية فيها دعوة التوحيد وشعارها «لا إله الا الله»، وهو شعار ليس غريبا على المسلمين بل هو أساس اعتقاداتهم كلها وجوهر دينهم كله، وهو الفيصل بينهم وبين غيرهم من الكتابيين والملحدين. غير أن حبائل الشيطان واسعة جدا، وقد أوقعت هذه الحبائل بعض أولئك المسلمين الموحدين في أعمال وأقوال تنطوى على شبهات الشرك والبعد عن توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة والتقديس . وتتميز دعوة الشيخ بحساسيتها الشديدة تجاه ما يمس هذا الجوهر العقائدى، وهو التوحيد، فكل ما يصرف المرء عن الاتجاه إلى الله بالعبادة والدعاء والتقديس والاستغاثة والاستعاذة انما يعـد نوعـاً من الشرك يقتضى تحطيم أسبابه وهدم دواعيه ، وما تلك الأضرحة والقبور التى يتجه الناس فيها بالدعاء

(٨) تتلمذ محمد اقبال على السير توماس آرنولد «في الكلية الحكومية في لاهور، قبل حصوله على الليسانس فى الآداب. ثم كان آرنولد هو الذى شجعه على مواصلة دراسته العالية في لندن والحصـول على درجـة الدكتوراه بعد ذلك.

(٩) انظر: توماس آرنولد: الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ـ طبع مصر ١٩٤٧م، ص ٢٣٩ ومواضع أخرى متفرقة.

والاستغاثة والاستعاذة إلى غير الله سبحانه الا مواثن ومواطن للشرك. لذلك ينبغى أن تهدم وتقوض أركانها حتى يفيق قاصدوها الى التوحيد الحق، و ينصرفوا إلى الله وحده.

من هذا المحور الفكرى والعقائدى، ومن تلك الحساسية الشديدة تجاه كل ما يصرف الإنسان عن الله وحده، استمد إقبال في أشعاره الكثير من المواقف والمشاهد والتشبيهات، وتوسع في دعوة التوحيد، واستنبط مفاهيم جديدة من كلمة الشهادة «لا إله الا الله» . وهذه المواقف والمشاهد شائعة ومتناثرة فى دووانيه وأشعاره، طرقها إقبال وعرضها بأساليب مختلفة وتناولها من جوانب متعددة ، ولا يسعنا المجال هنا أن نأتى عليها جميعا، ومن ثم سنذكر بضعة نماذج منها توضح لنا كيف تناول فكرة التوحيد وتوسع فيها وأضاف أبعادا جديدة اليها:

في إحدى سياحاته الروحية التى أوردها فى منظومته «رسالة الخلود» تصور إقبال انه يمضى فى رفقه الشاعر الفارسى جلال الدين الرومى ليذهب الى واد تجتمع فيه الأصنام التى عبدتها الشعوب القديمة ، يقول إقبال «فى هذا الوادى تعيش الآلهة القديمة التى عبدتها أمم الجاهلية، فهذا إله المصر يين القدماء وهذا رب حمير، وهذان من اليمن، وهؤلاء آلهة عرب الجاهلية... كل منهم يرتعد خوفا من الذكر الجميل، فهم مشفقون من القرآن الكريم الذى وضع نهاية لهم، وأقام عالما جديدا على أساس التوحيد. كانت هذه الأصنام تتحدث فى فرح غامر عن فرار الإنسان المعاصر من الله، وعودته الى الجاهلية القديمة،وأخذ رئيسها بعل إله الفينيقيين والكنعانيين القدماء ينشد أنشودة في طرب ومرح،ويقول فيها «لقد مزق الإنسان هذه السماء الزرقاء ونظر فيما وراء الفلك فلم يشهد إلاها. يابشراى، ليس فى قلب الإنسان سوى أفكار وخواطر (تسنح له ثم تغيب) كالموج،هذه تعلو وتلك تتوارى، وروحه لا ترتاح وتطمئن الآن الا بالمحسوس، (ولم يعد لها شأن بالغيب).... فلعل عصر الجاهلية يعود من جديد ألا فليحيا المستشرقون الأوربيون... لقد عملوا على بعثنا من قبورنا (فلقد بذروا بذور الشك فأثمرت الإلحاد)... ها هى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمة».

«انظروا. لقد تحطمت حلقة الوحدة وفقد آل إبراهيم (المسلمون) لذة العهد والميثاق

الذى أخذه الله عليهم يوم سألهم «أُلست بربكم». ان وحدتهم مبعثرة ، فكأسهم تحولت الى شظايا تافهة. لقد وقع الرجل المؤمن فى أسر الجهات ـ وهو الذى لم يكن يعرف الحدود والجهات، ولم يكن يعبد غير الإله الذى خلق الأرض والسماوات ـ ارتبط هذا الرجل الحر بالوطن وانفصل عن الله.... ها هى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمه.

«لقد عادت لنا أيام الطرب في الدنيا وانهزم الدين بالملك والنسب (بالسيادة الوطنية والتعصب العنصرى)، ولا يحسن بنا الآن أن نخشى الاسلام... فما سبب الخوف من مصباح المصطفى ؟ ان هذا المصباح الذى أناره محمد تألب عليه مائة أبى لهب يطفئونه ، ولئن كان صوت «لا اله الا الله» ما زال يتردد. (فهو صوت يصدر عن الشفتين لا عن القلب» ، فكيف يمكن أن يبقى على الشفة ما محى من القلب ؟! ولا ريب فى أن الأجيال القادمة ستنسى كلمة التوحيد. إن سحر الغرب أحيا أهرمن ـ إله الشر والظلام في بلاد الإسلام من جديد، فأصبح يوم يزدان ـ اى دين الله ـ ممتقع الوجه خوفا من الليل والظلام... انه ليل الجاهلية الحديثة يوشك ان يطبق على العالم، هاهى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمة...

«يجب فك قيد الدين الذى يكبل رقبة الانسان، لقد كان عُبادنا أحرارا ـ لهم التصرف المطلق والحرية الكاملة في حياتهم، ولما كان أداء الصلاة ثقيلا فاننا لم نثقل عليهم بصلاة، وانما طلبنا ركعة لا سجود فيها، وجعلنا العواطف تستعر فيهم بالأنغام والألحان ... فأية لذة فى صلاة لا غناء فيها ولا موسيقى[١٠].

ولا ريب في أن طاغوتا يبدو للعيان أفضل من إله غائب لا تدركه الأبصار. ها هى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمة.[١١].

---

(١٠) قال تعالى عن المشركين: «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية». (الانفال: ٣٥)، والمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

(١١) محمد اقبال : رسالة الخلود (جاويد نامه)، الترجمة العربية لكاتب هذا المقال ١٧٨ ـ ١٧٩.

وبعد أن ينشد بعل أنشودته تلك، يقف جلال الدين الرومي الذى كان يصحب إقبالا فى جولته الخيالية هذه فيصيح صيحة تخر على أثرها تلك الأصنام سجدا. يقول في صيحته «قال شيخنا: إن هذه الدنيا ليست على أسلوب محكم (فهى متقلبة لا تستقر على نمط واحد). لذا ينبغى صرف النظر عن حلوها ومرها. فلو أنك أردت ترك الدنيا لتتجه اليه هو، فعليك إذن أن تتحول عن نفسك (الأمارة وتتخلى عن رغباتها ونوازعها). قلت للشيخ: إن في قلبى الكثير من الرغبات (لات ومناة)، فأشار على قائلا: ينبغى جعل هذا الوثن حطاما[12].

فإقبال يتحدث فى أنشودة بعل عن ظاهرة أقلقت بال كل المصلحين فى العالم الإسلامى وهى ظاهرة سيادة الحس وضعف الإيمان بالغيب وعبادة المحسوس، كالذهب والفضة والنساء والمتاع والتعصب للجنس والوطن، فاستحالت هذه الأمور كلها فى قلوب بعض الناس إلى آلهة جديدة، يعبدونها من دون الله ، فتحولت تلك القلوب إلى معابد لتلك الآلهة، وخلت من التوحيد وبعدت عن الله سبحانه، في حين أن القلب وقف على الله وحده، يتعين على المسلم الغيور على دينه ألا يجعل فى قلبه مكانا لأحد سوى الله. ولكن هذا لا يعنى أن يعتزل الإنسان العالم، ويقول إقبال : «أنا لا أقول لك اعتزل العالم. فهذه الدنيا الزاهرة بالألوان والروائح، بالمادة والحس هى مملكتك، فاجمع من تربتها الجواهر حبة حبة، وخذ الصيد من سمائها كالصقر، وأعمل فأسك فى سلاسلها الجبلية وأدرك بعقلك ما خفى من ثرواتها (واستخرج المعادن البراقة ومصادر الطاقة من باطنها). ولكن كن بعيدا عن طريق آذر»، فلا تعبد الأرض والمادة من دون الله، بل انحت عالما جديدا وفق مرادك. ولا تسلم قلبك للون أو لرائحة ، لقصر أو لدرب (لاتسلم قلبك لهذه الدنيا، فالقلب وقف على الله وحده، فلا تسلمه لغيره). فكل من يتلفظ من قلبه بكلمة «لا إله الا الله»، يمكن أن يُفْقِدَ عالما فى ذاته»[13].

فالتوحيد ـ فى رأى إقبال هو أساس الحياة،فمن عمل بالشهادة على وجهها ضاعت

---

(١٢) ايضا ، ص ١٨٠

(١٣) ايضا ص ١٦٠

الدنيا فيه ولا يضيع هو فيها، والا نسان لا يفوز بمكانته الا بالتوحيد، الا بالتطلع الى الله وحده، وعندئذ تدين له الدنيا بأسرها.

على أن إقبالا ـ كما شاهدنا في أنشودة بعل ـ يدخل في أنواع الشرك وضروب الإلحاد أمرا ابتلى به العالم الاسلامى كله مؤخرا، ونعنى به دعوى الوطنية ، تلك الدعوى التى حاول الأوربيون والمستعمرون أن يشتتوا بها شمل الوحدة الاسلامية ويبعدوا المسلمين عن روح الاسلام العالمية. والوطنية بمفهومها السياسى الغربى منافية في رأى إقبال للتوحيد الحق، فالأمة الاسلامية أساسها التوحيد لا الإنسان ولا الأوطان، التى أصبحت في عرف الغربيين صنما يعبد من دون الله يقول :

أمم قد عبدت أوطانها .. وبنت من نسب بنيانها
أترى الأوطان أصل الأمم .. تعبد الأرض بها كالصنم
هذه الأنساب فخر السفهاء .. حكمها فى الجسم والجسم هباء
ولنا فى الحق أس آخر .. هو في الألباب منا مضمر
قد خلصنا من حدود وقيود .. قلبنا فى الغيب اذ نحن شهود[١٤]

وحساسية إقبال تجاه كل ما يمس عقيدة التوحيد تمتد وتتسع لتشمل ضروبا أخرى وصنوفا شتى من صنوف الشرك، فتلك النظم المادية من شيوعية ورأسمالية إنما تدعو الانسان الى الشرك بالله سبحانه. فالشيوعية والرأسمالية تجمعهما سمات مشتركة،فكلاهما يدعو الى إحلال «عبادة البطون محل عبادة الله»، ومن ثم كانت النتائج المترتبة على كلتيهما واحدة لا فرق بينها، فكلاهما يعبد المادة. ويعبر عن الجانب الحسى وحده من الإنسان.[١٥]

(١٤) من ديوان «رموز بى خودى» (أى رموز نفى الذات)، ترجمة الدكتور عبدالوهاب عزام . انظر ديوان الاسرار والرموز، طبع مصر ١٩٥٦م.

(١٥) انظر تفصيل ذلك فى «رسالة الخلود» الترجمة العربية ، ص ١٤٥ وما بعدها وانظر ايضا : محمد اقبال: تجديد التفكير الدينى في الاسلام، الترجمة العربية لعباس محمود، طبع مصر، ١٩٥٥م، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

على أن التوحيد عند إقبال ـ ليس مجرد كلمة تقال أو شعار يعلن ، بل إن له معنى قدسيا لا يستطيع أن يتذوق معناه الا اذا عمل بمقتضاه وسلك طريق الحياة على هداه.[16]

والدور الذى تقوم به الأم والمرأة المسلمة فى بعث نور التوحيد في قلوب الأجيال الجديدة من الأمة دور لا يعدله دور، ففى أنفاسها التى تربى بها وليدها حياة الدين وهى حصن الشرع المبين. يقول مخاطبا المرأة المسلمة «خلقتك الطاهرة لنا رحمة وأنت قوة الدين وحصن الملة. يا من تفطمين فينا الوليد على كلمة التوحيد»[17].

ويوجه حديثه إلى الشباب المسلم قائلا. «لقنتك أمك الدرس الأول ـ درس التوحيد ـ لقد تفتحت زهرتك بفعل نسيمها... وادخرت بفضلها ملكا خالدا، فلقد تعلمت «لا إله الا الله من شفتيها. فإن قلت «لا إله الا الله» فقلها اذن بالروح كى تهب روائح الحبيب من كيانك. تدور الشمس والقمر من حرارة لا إله الا الله، لقد رأيت هذه الحرقة في الجبل والقشة[18]، ان كلمة التوحيد ليست مجرد قول، انها ليست سوى سيف لا يرحم، والحياة بحرقة التوحيد قَهْر، لا إله إلا الله ضرب وضرب فعال[19]، فحياة الموحّد كلها تحطيم للباطل كتحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام.

وللتوحيد دور في حياة الأمم لا يقل عن دوره في حياة الأفراد، فالفرد يصبح ربانيا بالتوحيد. والأمة تصبح جبروتا بالتوحيد، فإذا آمن الإنسان بوحدانية الله ولم يسلم قلبه لغيره أصبح متخلقا بأخلاق الله، واذا تخلق أفراد أمة بأخلاق الله تفوقت على أمم العالم جميعا ونالت العزة والهيبة.[20]

---

(١٦) انظر: الصاوى شعلان: إيوان اقبال ، مصر ١٩٧٧، ص ٢٣.

(١٧) انظر عبدالوهاب عزام : محمد اقبال ... ص ١١٠.

(١٨) فالكون مسلم، انظر: ابن تيمية: جامع الرسائل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم طبع مصر ١٩٧٠م، الرسالة الاولى بعنوان: رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى.

(١٩) رسالة الخلود، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٢٠) أيضـــا.

ويرى إقبال ان سر الحياة كلها كامن في قول «لا إله الا الله»،فكلمة التوحيد هذه تحتوى على أصلين ، هما : قوتا السلب والايجاب، ففى الأولى معنى الجلال وفي الثانية سمة الجمال، فاذا تلاقت القوتان تعادل ميزان الحياة واستقر كيانها، فبين «لا» و «إلا» تجرى الكائنات بحسبان، ان كلمة التوحيد هى كلمة القدر التى صنعت منها العناصر فمن «لا» تتولد الحركة وبفضل «إلا» تمضى إلى الثبات والسكون : ومنهما البداية والنهاية لقوله تعالى: «كن فيكون».(٢١)

وقد استخدم إقبال كلمة التوحيد فى نقده للحركة الماركسية فى ديوانه «رسالة الخلود» (نشر سنة ١٩٣٢)، فقد دعا الروس إلى الإسلام وذكرهم بأنهم قطعوا نصف الطريق اليه، وأن عليهم أن يوأصلوا السير الحثيث ليبلغوا درجة الإسلام فينتقلون من رفض كل شئ إلى إثبات الوجود لواجب الوجود سبحانه، يقول إقبال موجها حديثه لأمة الروس:

لقد فرغت الآن من السادة، سواء كانوا قياصرة أم رأسماليين أم إقطاعيين، فعليك أن تتركى «لا» وتغذى السير نحو «إلا» لقد قلت «لا إله» فقولى اذن «إلا الله» اتركى لا اذا كنت باحثة حقا، كى تأخذى طريق «الإثبات الحى»(٢٢).

ثم عاد إقبال وتناول نفس الفكرة في ديوان نشره بعد ذلك بعنوان «ما العمل اذن يا أمم الشرق ؟ قال فيه :

- وهكذا ترى أنه في عصر السيطرة الأوربية، نشبت الحرب بين العبيد والسادة.
- فتحول قلب روسيا الى دم، وخرجت من ضميرها كلمة «لا».
- لقد ألقيت نظرة على مقاماتها وملامحها، فوجدتها : لا قياصرة، لا كنيسة،لا إله.
- وبقى فكرها في مهب عاصفة «لا»، ولم تدفع بركبها نحو «إلا».
- غير ان الحياة لا تستريح فى مقام «لا» الكون يمضى قدما نحو «الا».

(٢١) انظر محمد اقبال: ديوان يس جه بايد كرداى أقوام الشرق (ما العمل يا أمم الشرق) لاهور ١٩٣٦م، الفصل الرابع. وانظر ايضا: الصاوى شعلان، ايوان اقبال ص ٢٣.

(٢٢) رسالة الخلود، الترجمة العربية ، ص ١٦٧.

فنظرة الانسان ـ في رأى إقبال لا تطمئن ولا ترتاح الى الرفض والنفى والإنـكار وحده، بل انها تتجه بطبيعتها الى الإثبات، فلا شئ يقوم على السلب أبدا، ولا يكون النظام راسخا مستقرا الا اذا قام على الإثبات..

قد لا نستطيع ـ برغم كل هذه الشواهد والأدلة التى سقناها للدلالة على وحدة الفكر والهدف بين دعوة الشيخ ومنهج إقبال ـ ان نقطع بأن إقبالا متأثر في شعره ـ تأثرا مباشرا بهذه الدعوة، لا نستطيع ان نقطع بتأثره المباشر لأن دعوة محمد بن عبدالوهاب لم تكن مذهبا جديدا بل كانت تجديدا لهذا الدين وإحياء لرسومه، وتنقية لصفحته من شوائب الشرك والإلحاد. فما هذه الدعوة إلا تجلية للاسلام في أصوله وفروعـه ومبادئـه، تلك الأصول التى وفاهـا علماء المسلمـين على مر العصـور حقهـا من الدراسـة والشرح والتوضيح.

وإقبال قد قرأ دعوة الشيخ . كما قرأ ما كتبه شيوخ الاسلام من المصلحين والمجددين السابقين . فعكف على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية،وبدا أنه يكن له ولتلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء السلفيين تقديرا كبيرا. ولذلك يصعب على الباحث أن يحدد مصادر هذه المؤثرات: أمن دعوة الشيخ جاءت أم ان هذه المؤثرات أتـت مبـاشرة من الأصول والفروع والمبادئ الإسلامية (التى هى أصل هذه الدعوة وفحواها) ؟

لكننا لا نستطيع ـ في نفس الوقت ـ أن نقول إنه لم يتأثر تأثرا مباشرا بدعوة الشيخ بعد أن قرأها واستوعبها. ذلك لأن لدينا على الأقل شاهدا بخلاف ما سبق ذكره ـ يؤكد هذا التأثر. فلقد كانت الترجمة العملية الواضحة لدعوة محمد بن عبدالوهاب هى تحطيم القباب المقامة على القبور لصرف الناس عنها كيا يفردوا عبادتهم وتقديسهم لله تعالى وحده..

ولقد ورد في شعر إقبال ما يفيد تأثره بهذا الجانب اللصيق بدعوة الشيخ. فإقبال ينعى على المشايخ القائمين على هذه الأضرحة والقبور، ويعزو اليهم السبب في تشجيع

عوام المسلمين على زيارة الأضرحة ودعاء أصحابها والاستشفاع بهم. ويقول إنهم يستغلون سذاجة هؤلاء العامة أسوأ استغلال،فينصبون لهم الفخاخ باقامة الموالد وصناديق النذور. يقول فى ديوانه «جناح جبريل» عن مشايخ هذه الأضرحة:

«انهم لو وجدوا حصير الزهراء،ودلق أويس القرنى،وكسرة أبى ذر الغفارى لأكلوا السحت من أثمانها»[٢٣].

واذا كان قد اتضح ان إقبالا قد تأثر بالملامح العملية لدعوة الشيخ، فإننا نلاحظ أنه أضاف أبعادا معنوية جديدة لمفهوم تلك الأصول الاسلامية التى أحياها وجلاها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فقد حاول إقبال تعميق مفهوم التوحيد وتوسيع دائرته في النفس وجعل القلب وقفا على الله وحده، ودعا الى تحطيم الأصنام التى صنعها الإنسان بنفسه ونحتها في قلبه ليعبدها من دون الله سبحانه. وبين أن المسلم ينبغى أن يكون يقظا دائما مراقبا لأحواله النفسية حتى لا تتسرب شبهات الشرك ووساوس الشيطان الى قلبه، وحتى لا يرتاح الى هذه الظواهر المادية الخادعة المحيطة به،وانما تكون راحته في عبادة الله وحده. وان التوحيد ليس مجرد كلمة تقال بل هى ذوق وتجربة روحية . وان قول لا إلٰه إلا الله هو أس الحياة بجميع مظاهرها، وهو يدل دلالة قاطعة على أن وجهة المسلم الموّحد ليست منصرفة نحو هذا الكون وإنما وجهته لله سبحانه.

ولئن كان محمد إقبال قد درس هذه الدعوة وأبدى إعجابه بها وبصاحبها ، وبدا وكأنه تأثر بها، الا أنه أخطأ حين ذكر في كتابه «تجديد التفكير الدينى » (نشر سنة ١٩٢٨م). أن الحركة البابية فى ايران ليست سوى صدى لحركة الإصلاح الدينى العربى التى قام بها المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبدالوهاب.[٢٤].

والواقع أن هذا الذى قاله إقبال بعد خطأ كبيرا لكونه صادرا عن مفكر كبير

(٢٣) انظر محمد حسن الأعظمى والصاوى شعلان: فلسفة اقبال. الطبعة الثانية. دمشق ١٣٩٥هـ ص ٣.

(٢٤) انظر : تجديد التفكير الدينى، الترجمة العربية ، ص ١٧٥.

موثوق به وحجة في تاريخ الفكر والثقافة الاسلامية .. ومن ثم يتعين علينا مناقشته ومحاولة إزالة ما قد يعلق بالأذهان في هذا الصدد.

وينبغي أن نتساءل ما الصلة بين حركة الإصلاح الدينى العربى التى دعت الى التوحيد والى نبذ الشرك والتى يقول صاحبها: ... انى والحمد لله متبع ولست بمبتدع عقيدتى ودينى الذى أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة، الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى يوم القيامة.(٢٥).

ما الصلة بين هذه الدعوة وبين حركة محمد على الباب (توفي سنة ١٢٦٦هـ) الذى زعم تارة انه المهدى المنتظر، ثم زعم بعد ذلك أن الوحى غير منقطع وأنه جاء ناسخا لشريعة القرآن وأحكامها، وادعى النبوة وانه أوحى اليه بكتاب أسماه: «البيان»، وأن معجزات الأنبياء وقصصهم، والملائكة، والجن، والوعد، والوعيد، والحشر، والنشور، واليوم الآخر ليست على مايعلمه الناس من مفاهيمها ومعانى كلماتها، ويؤول ذلك كله تأويلا يذهب مذاهب شتى من الكفر والضلال والزور والبهتان، فما البابية فى واقعها إلا عقيدة جديدة لا تمت الى الدين الحنيف بأية صلة.

واذا نحن عمدنا الى تلمس صلة بين الحركة البابية الكافرة المارقة وبين دعوة الشيخ الهادية المؤمنة من الناحية التاريخية فلن نجد صلة على الإطلاق، اذ لم يقدر لمحمد على الباب أن يتصل بدعوة الشيخ من أى طريق، بل لم يشأ الله للباب أن يطأ الأراضى المقدسة، بعد أن كان قد عزم على الذهاب الى مكة،فغرقت السفينة التى كان يستقلها، ولكنه نجا هو ونفر من دعاته وعادوا الى ميناء «بوشهر»(٢٦).

فليست هناك صلة ما بين الحركة البابية ودعوة محمد بن عبدالوهاب، بل ليس هناك مجال للمقارنة في شئ بينهما على الإطلاق.

---

(٢٥) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب الى أحد شيوخ بغداد، انظر: حسين خلف الشيخ خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٧٤، وانظر ايضا أحمد عبدالغفور عطار: محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الثالثة بيروت ١٣٩٢هـ ، ص ١٦٨ ومابعدها.

(٢٦) انظر: محمد فاضل : الحراب في صدر البهاء والباب، ط . مصر ١٣٢٩، ص ١٦٣ وما بعدها.

لكننا نفهم من كلام إقبال انه لم يكن يريد بإشارته الى أن البابية صدى لحركة الإصلاح الديني العربي أن يغض من شأن دعوة الشيخ أو يقلل من أهميتها ، بل على العكس من ذلك رأى أن هذه الدعوة لا تزال تحمل من عوامل القوة والتأثير ما يجعل أرجاء أخرى من العالم الإسلامى ـ غير الجزيرة العربية ـ تتجاوب مع أصدائها وتتأثر بها وتأخذ عنها. وأن تلك القبائل العربية في جزيرة العرب (تلك القبائل التى استجابت لدعوة الشيخ) ما تزال تتمتع بقوة الإيحاء والتأثير على جيرانها من الدول الإسلامية، لأن هذه القبائل لا زالت مستمسكة بمعنوياتها القوية، ولم تفقد ـ بفعل التمدين ـ بداوتها وفطرتها السليمة[٢٧]، وقدرتها على التأثير في غيرها..

فاقبال اذن لم يخطئ بقدر ما أخطأ في ثقته بالحركة البابية، فعدها حركة إصلاحية، وأشاد في ديوانه «رسالة الخلود» الذى نشره سنة ١٩٣٢ بالشاعرة البابية «قـرة العـين الطاهرة» التي كانت من كبار الدعاة للمذهب البابى.[٢٨]

ومما يبعث على الدهشة حقا أن البابية تتصادم مع أفكار إقبال نفسه، وتعلن عصيانها على نفس المبادئ التى يؤمن بها ويدعو اليها . ومن ينظر نظرة عابرة لدعوة محمد على الباب يدرك ـ منذ الوهلة الأولى ـ أنها تقول بأن الوحي غير منقطع،فهى بذلك تتعارض مع عقيدة من أهم العقائد الاسلامية هى «ختم النبوة» وهى عقيدة أفاض إقبال فى شرحها في نفس الكتاب الذى أشاد فيه بالحركة البابية[٢٩] وبين أنها عقيدة تنطوى على فكرة عظيمة لم تقدر قدرها ولم تعرف قيمتها في الثقافة الاسلامية،فختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم يحمل معه ـ في رأى إقبال أمرين: ان النبوة في الاسلام تبلغ كمالها الأخير فى إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوى على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدا الى الأبد على وقود يضاء منه ليعتمد فى النهاية على رسائله

(٢٧) انظر حديث اقبال الى السنيور موسلينى الايطالى، وقد ورد بعض هذا الحديث في كتاب فلسفة اقبال ص ٢١.

(٢٨) انظر رسالة الخلود، الترجمة العربية، ص ٢٠٨ وما بعدها . على أن اقبالا هاجم في نفس الديوان ـ اعنى رسالة الخلود البهائية التى تعد امتدادا للبابية ونتيجة طبيعية لها، انظر ص ٣٢٤.

(٢٩) انظر تجديد التفكير الدينى : مثلا ص ١٤٤، ١٧٧ من الترجمة العربية..

هو: الأمر الثانى هو الحيلولة دون ظهور الفكرة المجوسية والمسيحية فى المجتمع الإسلامى، وهى فكرة الترقب الدائم والتطلع لظهور ابناء زردشت الذين لم يولدوا بعد، أو ظهور المسيح المنتظر.... «لقد سار ابن خلدون على هدى من نظرته الى التاريخ فأفاض في نقده، وقضى فيا أعتقد قضاء نهائيا على الأساس المزعوم لفكرة ظهور مخلص فى الإسلام (يعنى فكرة المهدى المنتظر)، وهى فكرة شبيهة فى آثارها السيكولوجية بالفكرة المجوسية الأصلية التى كانت قد ظهرت فى الإسلام تحت تأثير الفكر المجوسى[٣٠].

إذن فهناك اختلاف أساسى بين أفكار إقبال وغيره من المصلحين الاسلامين وحركة محمد على الباب . ولا يقتصر هذا الخلاف على عقيدة ختم النبوة وحدها بل ينسحب الى سائر العقائد ، ولكنه مع ذلك اختلط عليه أمر هذه الحركة فأحسن الظن بها .

ويتبين لنا من تتبع آراء إقبال فى هذا الصدد أنه ظل ينظر الى البابية باعتبارها حركة إصلاحية حتى سنة ١٩٣٣، يتضح ذلك من الخطة التى وضعها في تلك السنة لتأليف كتاب جديد باللغة الانجليزية بعنوان:

''Introduction to the Study of Islam.''

أى مقدمة لدراسة الاسلام، وهو كتاب لم يقيض لإقبال ان يكتبه أصلا.[٣١].

ولكنه بدأ في المرحلة الأخيرة من حياته يغير نظرته الى أصول الحركة البابية ودوافعها فقد كتب في مقال بعث به الى صحيفة «ستيتان» البريطانية[٣٢] يقول: «يعمل الروس على نشر المذهب البابى ويسمحون للبابية بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم فى «عشق أباد»، فى الوقت الذى تعمل فيه بريطانيا على نشر «الأحمدية» (يعنى القاديانية) وتسمح لهم بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم فى «دوجنج» . إن الفصل بين هاتين الظاهرتين عندى

---

(٣٠) تجديد التفكير الدينى ص ١٧٧.

(٣١) انظر Letters and Writings of Iqbal, Lahore, 1967,p .78.

(٣٢) لم اعثر على هذا المقال في لغته الأصلية وهى الانجليزية، وانما عثرت على تلخيص له باللغة الأردية في كتاب «اقبال اورسياست ملي»، لرئيس أحمد جعفرى. طبع كراتشى سنة ١٩٥٧م، ص ٣٢٤ وما بعدها.

أمر جدّ صعب، فما السبب الذى يدعو الروس وبريطانيا - رغم اختلاف المشارب - الى الاتفاق فى هذا الاتجاه ؟ «وانتهى إقبال الى أن هذا العمل ينطوى على محاولة لتفتيت وحدة المسلمين.

كذلك نظم فى ديوان له نشر قبل وفاته بسنة واحدة (أى سنة ١٩٣٧) قطعة تتضمن معنى السخرية والتهكم بالباب عنوانها «محمد على الباب».(٣٣).

فدل إقبال بذلك على أنه قد غير رأيه في تلك الحركة بعد أن أدرك أغراضها وفهم حقيقتها، تلك الحقيقة التى كانت غائبة عنه يوم عد «البابية» صدى لحركة الإصلاح الدينى العربى الذى ظهر على يد المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبدالوهاب على حد تعبير إقبال نفسه.

وهكذا يتبين لنا أنه كانت هناك عوامل ايجابية بمنتهى الفعالية والقوة فى صلة إقبال بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب،تلك الدعوة التى أعجب إقبال بها وبصاحبها وبدا أنه تأثر فى شعره بها في أخص جوانبها الفكرية - وهو جانب التوحيد، كما تأثر بأخص جوانبها التطبيقية، من هدم للقباب المقامة على الأضرحة وتحطيم لكل أسباب الشرك ودواعيه.

كما يتبين أنه هناك قدر ضئيل من العوامل السلبية في هذه الصلة نجم عن حسن ظنه بالحركة البابية في ايران ، التى عدها في وقت من الأوقات صدى لدعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب فى الجزيرة العربية. ولكن إقبالا ما لبث أن عَدَل عن ثقته بتلك الحركة البابية حين أدرك حقيقتها،فانتقدها وهاجم مؤسسها ، وبذلك ظلت صلته إيجابية بدعوة الشيخ. تلك الدعوة التى رأى أنها ما تزال تحمل من عوامل القوة والتأثير ما يجعل أرجاء أخرى من العالم الاسلامى - غير الجزيرة العربية - تتجاوب مع أصدائها وتتأثر بها وتأخذ عنها ..

---

(٣٣) انظر: محمد اقبال: ديوان ضرب الكليم، الترجمة العربية لعبدالوهاب عزام، طبع بمصر ١٩٥٢م، ص ٣٠.

# أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر

للدكتور عبد الحليم عويس

أستاذ التاريخ المساعد بكلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

تـوطئـــة:

من الحقائق المقررة فى (قضايا الحضارة) أنها لا تخضع لذلك الوضوح الحاسم الذى تخضع له قضايا التاريخ .

فبينما يستطع المؤرخ ـ بأدوات البحث المعتمدة ـ أن يصل إلى تحديد قريب من الصحة لكل واقعة تاريخية يدور بحثه حولها .. فإن الباحث فى الحضارة لا يستطيع أن يصل إلى هذا التحديد الواضح، وهو يعالج القضايا الحضارية، ولا سيما إذا كان الأمر متعلقا بعلامة «التأثير والتأثر» التي تربط موجة فكرية سابقة بموجة أخرى لاحقة .

وحسب (عالم الحضارة) فى هذا المجال أن يرصد السمات التي تميزت بها كل موجة، ثم يبحث ـ مستعينا بالتاريخ ـ عن المعابر التى التقت عندها الموجتان، بحيث يقنع قارئه بخلو استنتاجاته من التكلف والتعسف ويضع يده على الخيوط المرئية والمستنتجة التى جعلته يقرر أن هناك تأثيرا وتأثرا بين السابق واللاحق .

حقائــق تاريخيـــة ثـلاث :

وفى مقدمة بحثنا هذا نستطيع أن نضع أيدينا على ثلاث حقائق تاريخية مؤكدة.

أولاها : تظهر على الطرف الأول «المؤثر» وهى أن مصلحا إسلاميا قد ظهر فى جزيرة العرب ـ على فترة من الجاهلية المستأنفة ـ ولد بالعيينة شمال غربى الرياض سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م) واسمه محمد، واسم أبيه عبدالوهاب، مجمع على مزاياه الموروثة والمكتسبة، وعلى خلائقه الفاضلة[١] ، وكان محمد هذا سباقا فى عقله وفى جسمه، حاد المزاج، فقد استظهر القرآن قبل بلوغه العشر، وبلغ الاحتلام قبل إتمام الاثنتى عشرة سنة[٢] !!

(١) أحمد عبدالغفور العطار: محمد بن عبدالوهاب ط٣ ـ مكتبة العرفان بيروت ص ٣١.

(٢) أحمد بن حجر أبو طامى: الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٥هـ ص ١٥.

وقد عاش محمد بن عبدالوهاب ـ موضوع الحقيقة التاريخية الأولى ـ حياة حافلة بالتعلم والارتحال فى طلب العلم، والجهاد فى سبيل ما اهتدى إليه من حقائق رأى فيها صلاح حال الأمة الإسلامية، وسبيل عودتها إلى مكانتها التاريخية .. حتى وافته منيته سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩٢م) بعد أن شهد آثار إصلاحه فى الجزيرة العربية، وبعد أن انتقل البدو ـ أمام عينيه ـ من حياة الجاهلية إلى حياة الحاضر، وأنارت نجد والجزيرة العربية بدعوته العظيمة[٣].

والحقيقة التاريخية الثانية.. حقيقة تظهر على الطرف الآخر «جانب التأثر»، ونحن نرى هذه الحقيقة فى تلك الموجات الإصلاحية الإسلامية التى بزغت فى أرض الجزائر، والتي بدأت تأخذ صفة تيار عام بعد أن كانت جهودا فردية. وقد ظل هذا التيار العام ينمو حتى أصبح يمثل أقوى تيار فى الجزائر، بحيث تمكن هذا التيار (السلفى) الذى كان مجرد جهود فردية من أن يتغلب على كل التيارات المنحرفة، ويتغلب على الاستعمار الفرنسى نفسه، ويعود بالجزائر إلى الإسلام عقيدة وإلى العروبة لغة ... وليس هذا التيار سوى (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) صاحبة الفضل الأكبر فى تحقيق استقلال الجزائر .

وتأتي الحقيقة التاريخية الثالثة: وهى حقيقة تتعلق بالظروف المتشابهة فى النواحى العقدية والاجتماعية والفكرية فى كلتا المنطقتين .. فبينما كانت الجزيرة العربية خلال القرن الذى ظهرت فيه حركة الإمام ابن عبدالوهاب، كما يحدثنا مؤرخوها الثقات كابن بشر وابن غنام والألوسي مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التى تتنافى مع أصول الدين الصحيحة .. ويحج فيها إلى القبور، ويطلب من الموتى الحاجات، ويستغاث بهم لدفع الكروب[٤].. بينما هذا... كانت الجزائر خلال العصر الذى بدأت تظهر فيه إشعاعات حركة الإمام ابن عبدالوهاب خارج الجزيرة، أي: خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر تعج بكثير من الخرافات وصور الوثنية وسيطرة الصوفية والمبتدعة على أرضها .

(٣) احمد عبدالغفور العطار،محمد بن عبدالوهاب ١٠١ .

(٤) انظر الشيخ محمد بن عبدالوهاب: أحمد أبو طامي ص ١٩ (نقلا عنه).

إنها ظروف متشابهة جمعت بين أرض الجزيرة فى آسيا، وأرض الجزائر فى أفريقيا ... وكما كانت صور الوثنية والتخلف والظلام سببا فى كثير من مراحل التاريخ.. لظهور دعوات التنوير والتوحيد؛ كذلك كانت هذه الظروف داعية لكى تتلقف الأرض العطشى فى الجزائر دعوة الإصلاح التى جاءتها من أرض الجزيرة العربية، لتردها إلى الكتاب والسنة مرة ثانية، كما حملتها إليها أول مرة .

أجل .. تلك حقائق تاريخية ثلاث لا يكاد المؤرخ يصل إلى درجة من الشك فيها، لكن هذه الحقائق ـ مع ذلك ـ لا تكفي (الباحث الحضارى) الذى يناط به بيان مدى إشعاعات الظاهرة (المؤثرة) فى الموجة (المتأثرة) لكى يصدر حكمه بوجود علاقة (التأثير والتأثر)، بل إنه يضطر أن ينهج منهج (عالم الاجتماع) الذى يجمع مفردات الظاهرة من حالات التوافق والتقارب المتناثرة هنا وهناك ليصدر ـ بعدها ـ رأيه.. راجيا فى النهاية أن تكون النتائج التى انتهى إليها أقرب إلى اليقين. وهذا ما نأمله بإذن الله .

## عصــر الإصــلاح فى الجزيـرة العربية :

كان القرن الثانى عشر الهجرى الموافق للقرن الثامن عشر المسيحى هو بداية عصر الدعوة الإصلاحية التى قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

وفى هذا القرن كان العالم الإسلامى يسير على النهج نفسه الذى سار عليه فى سابقه من انفصال عن الحقيقة الإسلامية، ومن سيطرة مفاهيم مغلوطة على العقل الإسلامى، ومن تمزق سياسى وفوضى اقتصادية وهبوط اجتماعى.. بحيث اصبح ـ كما يسميه المفكر الجزائرى مالك بن نبي ـ فى حالة (القابلية للاستعمار)(٥).. إنها الحالة التى يتوافر فيها مواد خام بشرية تمتاز (بالبطالة) و (بالجهل) و (بالانحطاط الخلقي) المتولد من انحطاطين: أحدهما: فكرى والآخر نفسي.

ويصور هذه الحالة أبلغ تصوير الكاتب الأمريكى (لثروب ستودارد) فيقول: «فى القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامى قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدنى

(٥) انظر شروط النهضة فصل (معامل القابلية للاستعمار) ص ٢٢٩ـ الطبعة الثالثة.

والانحطاط أعمق دركه، فاربد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى،واستغرقت الأمم الإسلامية فى اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة فى الناس، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال»[٦].

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم فى الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون فى كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس الذى فرضه الله على من استطاعه ضربا من المستهزءات. وعلى الجملة بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين، كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان »[٧].

ونتيجة لهذه الحالة سيطر الضعف الحضارى والتفكك السياسى، بحيث لم ينته القرن إلا وكان الاستعمار يبحر بسفنه فى طريقه إلى تلك المنطقة التى توافر لديها (معامل القابلية للاستعمار).

كانت روسيا تتقدم إلى العالم الإسلامى من أركان مختلفة ، فقد زحفت على بلاد

(٦) حاضر العالم الإسلامي جـ ١ ص ٢٥٩.

(٧) المرجع السابق ٢٥٩ ، ٢٦٠.

فارس التى كانت مقسمة إلى أحزاب هى (الأفشار، والزند، والقاجار)، كما زحفت روسيا - أيضا - على بعض أملاك الدولة العثمانية فى أوربا، ولم يقتصر زحفها على هذين الركنين، بل إنها أخضعت سهوب (القرغيز) فعزلت خانيات التركستان الإسلامية وما وراء النهر، وخراسان الأوزبكية، واحتلت بلاد الكرج (جورجيا) متقدمة إلى ما وراء القوقاز. واستولت على جميع أملاك الترك شرق الدنيستر[٨].

أما فرنسا وبريطانيا فقد بدأتا فى هذا القرن سباقهما لتقسيم العالم الإسلامى الذى أصبح يمثل (الرجل المريض) ...

وكانت الشرارة الأولى هى: الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، وهجوم نابليون بونابرت - قائد الحملة - على الشام سنة ١٧٩٩م واستيلائه على يافا.

## دعـوة الشيخ ابن عبدالوهاب وركائـزهـا :

فى هذه الظروف ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى الجزيرة العربية، فكان أول داعية خلال هذا العصر يضع يده على مواطن الداء الحقيقى، الذى يتمثل فى طبيعة ما آل إليه بناء الأمة الداخلى فكريا وعقديا ونفسيا .. فبينما كان العالم الإسلامى مستغرقا فى هجعته ومدلجا فى ظلمته على النحو الـذى صور «ستـودارد» .. إذا بصـوت ابـن عبدالوهاب يدوى موقظا للنائمين، داعيا المسلمين إلى الرجوع إلى سواء السبيل.. فلم تلبث دعوته أن اتقدت واشتعلت واندلعـت ألسنتهـا فى كل زاوية من زوايا العالـم الإسلامى، ثم أخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامى القديم والعز التليد، فتبدت تباشـير صبـح الإصـلاح، ثم بدأت اليقظـة الكبـرى فى عالـم الإسلام[٩]. ولم تكن دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب إلا دعوة إلى العودة الصادقة الواعية إلى الحقيقة الإسلامية فى مصدريها الثابتين الخالدين: الكتاب والسنة الشريفة، ودعوة - فى الوقت نفسه - إلى التخلص مما خلفته قرون التخلف من شوائب أصابت بناء

(٨) أطلس العالم الإسلامى ص ٢٨.

(٩) استودارد: المرجع السابق ص ٢٦٠.

الانسان المسلم الداخلي... فأصبح مسلما (مشركا) (يقرأ القرآن و يؤمن بالخرافات) (و يصلى لله، و يتقرب لعبيده) إلى غير ذلك من الشوائب التى كانت سببا فى انحطاط المسلمين.

وبالتـالى، وانطلاقـا من نواحـى هذا الخلل، ركز محمد بـن عبدالوهـاب اهتماماتـه الإصلاحية على النواحى التالية:

أولا: تصحيح العقيدة الإسلامية فى فكر المسلمين، وتطهيرها من مظاهر الشرك التى علقت بها، وبإيجاز: إعادة المسلمين إلى عقيدة (التوحيد) كما وردت فى الكتاب والسنة دون تشبيه أو تجسيم أو تعطيل، أو تأو يل. و (التوحيد) لا يكون كذلك ـ فى الإسلام ـ إلا بتوحيد الربوبية، فلا خالق ولا رازق إلا الله، وبتوحيد الألوهية، فلا دعاء ولا نذر ولا استعانة إلا بالله، وبتوحيد الأسماء والصفات، فيوصف الله بما وصف به نفسه، واعتقاد أن الله ( ليس كمثله شئ )، وقد بلغ من عناية الشيخ بالعقيدة حدا كبيرا لدرجة أنه قام بتتبع مجالات تصحيحها، ومقاومة صور الإشراك فى كل كتاباته وخطبه ورسائله. وكانت العقيدة هى المحور الذى تدور حوله كل اهتماماته، وذلك بالاضافة إلى الكتب والرسائل التى تكاد تفرد لقضية التوحيد ككتابه (التوحيد) الذى جاء فى ستة وستين بابا.. سد فيها الشيخ كل منافذ الشرك. ورسالة (كشف الشبهات) ورسالة (ثلاثة الأصول)، ورسالة (القواعد الأربع)، وكتاب (فضل الإسلام) وكتاب (أصول الايمان) ومجموعة رسائله فى التوحيد والإيمان التى بلغت ثلاث عشرة رسالة. وكتاب الكبائر، ورسائله الإحدى وخمسين التى وردت فى تاريخ الشيخ ابن غنام الأحسائى، وفى الدرر السنية فى الأجوبة النجدية .. والتى تناولت جوانب خمسة تتصل كلها بالعقيدة، كبيان أنواع التوحيد، وبيان معنى لا إله إلا الله، وما يناقضها من الشرك، والأشياء التى يكفر مرتكبها[١٠].

ثانيا : تصحيح عقيدة المسلمين ـ أيضا ـ فى مجالات التوسل والشفاعة والاستغاثة.

(١٠) انظر هذه الرسائل فى ( القسم الخاص للرسائل الشخصية) من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ طبع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. وتنظر كذلك بقية أعمال الشيخ فى هذه الطبعة.

ثالثا : رفض الانحرافات التى أقحمت على الإسلام بتأثير جماعة (الصوفية) التى كانت من أقوى أسباب تخلف العالم الإسلامى .

رابعا : إنكار زيارة القبور والبناء عليها أو اللجوء إلى الموتى - مهما كان قدرهم - فى تحقيق أمر ... لأن هذا وثنية تدخل فى باب الشرك بالله. أما زيارة القبور دون شد الرحال إلى مقبرة خاصة.. بهدف التذكر والاعتبار والدعاء للميت والترحم عليه فلا شئ فيه .

خامسا : مقاومة الخرافات والبدع بكل أشكالها ، وأغلبها مما انتشر أيام الفاطميين فى المغرب (٢٩٨ - ٣٦١هـ) ومصر (٣٦١ - ٥٦٧ هـ)، ومن رواسب عصور التخلف. ومن هذه البدع التى أنكرها الشيخ: بدعة الاحتفال بالمولد النبوى، وبدعة المحمل، وغيرهما من البدع التى روجها الطرقية والشيعة.

سادسا : فتح باب الاجتهاد - عند توافر وسائله - وعدم التعصب لمذهب معين، وضرورة أن يعود المسلمون إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة .

سابعا : ضرورة إحياء فريضة (الحسبة) أي : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحياء فريضة الجهاد التى خمدت فى نفوس المسلمين .

تلك هى أبرز الجوانب التى ركز الشيخ ابن عبدالوهاب عليها.. باعتبارها الأصول التى تحيا بحياتها بقية أركان الإسلام وآدابه وفروعه .

وقد حرصنا على ذكرها لتكون الأصل الذى نقارن به اتجاه الحركة الإسلامية الإصلاحية فى الجزائر .

## جذور دعوة الإصلاح الاسلامى فى الجزائر :

ذكرنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا تزيد عن كونها دعوة إلى الإسلام الصحيح الذى جاء فى القرآن والسنة النبوية الصحيحة، فهى بهذا الإطار ليست بدعا فى

كل حركات الإصلاح؛ بل هي تلميذة ومتبعة لحركات الإصلاح السابقة، كحركة الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ)،وحركة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)، ومحمد بن قيم الجوزيه (٦٩١ ـ ٧٥١هـ).

وبالتالى : فإن لنا أن نستتنتج أن كل مورثات الإسلام الصحيح الذى يطلق عليه - عادة - (الاتجاه السلفي) - والتى كان لها بالتأكيد - وجود كبير فى الجزائر منذ دخل جيش التابعين الذى فتحها بقيادة أبى المهاجر دينار (٥٥ - ٦٢ هـ).

... هذه الموروثات النبوية الصحيحة قامت بدور كبير فى التمهيد لانتشار دعوة الإصلاح الاسلامي فى الجزائر خلال القرن الرابع عشر للهجرة ، والتى كان رائدها الأول فى التاريخ الاسلامى الحديث هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

ويلخص أحد الكتاب الجزائريين المعاصرين - صادقا - حقيقة (الدعوة السلفية) فيقول: إنها لاتزيد عن كونها التطبيق الصحيح للحديث النبوى الشريف الذى ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام - فى خطبة الوداع حين قال: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[١١] ... ويرى هذا الكاتب الجزائرى: أن (السلفية) بهذا المعنى ذات امتداد أصيل فى الجزائر، وأنها ماكان لها أن تظهر كحركة مستقلة تبدو وكأنها ( مذهب اسلامى) الا لأن الناس ابتعدوا عن حقيقة الاسلام، بعد أن ظهرت مختلف المذاهب البدعية التى تنتمي إلى ملل ونحل بعيدة عن الاسلام، والتي كان من بينها مذهب التصوف، الذى أسرف بعض أئمته وتغالوا فى الدعوة إلى التحرر من التقاليد وإسقاط التكاليف، وزاد الأمر تعكرا عندما ظهرت لكثير من أئمة التصوف طرق أقبل عليها كثير من العوام .. فعندئذ ظهر رد فعل الفقهاء الذين ضاقوا ذرعا بهذه التعاليم، وانضم اليهم المحدثون ... فاتهموا المتصوفة بالمروق عن الدين، وبأن تعاليمهم مستمدة من مذاهب غير اسلامية[١٢] .

(١١) المهدى البوعبدلى مقال، (عبدالرحمن الأخضرى وأطوار السلفية فى الجزائر بمجلة الأصالة الجزائرية عدد صفر ١٣٩٨هـ (برقم ٥٣).

(١٢) المقال السابق.

ويرى الكاتب ( وهو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويشغل الآن منصب نائب رئيس المجلس الاسلامي الأعلى )أن تاريخ السلفية بالجزائر بعود - بعد الأجيال الأولى - إلى الفقية الجزائرى أبي الفضل النحوى، من علماء القرن الخامس الهجرى، ودفين قلعة بني حماد، العاصمة الأولى لدولة بني حماد الزيرية الصنهاجية الجزائرية التى حكمت الجزائر بين عامي ٤٠٥هـ ـ ٥٤٧هـ.

وفي القرنين السابع والثامن للجهرة ظهر مصلح سلفى آخر انتشرت آراؤه الإصلاحية فى الجزائر، وهو أبو الحسن علي بن عبد الحق الزويلي الشهير بالصغير.. ومع أن المغرب والأندلس بصفة عامة يغلب عليهم مذهب الإمام مالك.. إلا أن المصلح الصغير دعا إلى فتح باب الاجتهاد، متأثرا - فيما يبدو - بمعاصرة الإمام ابن تيمية الذى عمت شهرته العالم الاسلامي .. وقد توفى ابن الصغير سنة ٧١٩ هـ، أى : أنه عاصر ابن تيمية قرابة ستين سنة .

وكان من تلامذة المصلح الصغير تلميذ سار على دربه وحمل دعوته، وهو العالم الجزائرى الحافظ ابن مرزوق الحفيد - من علماء القرن الثامن - الذى كان يشيد بأستاذه، وقد رد على معاصر جزائرى له يدعى قاسم العقبانى التلمساني - كتب رسالة ينتصر فيها لمتصوفة زمانه ... وقد سمى ابن مرزوق رسالته: «النصح الخالص فى الرد على مدعى رتبة الكامل الناقص»... وعقب هذا دارت معركة بين الاتجاهين السلفي والصوفي أرخت لها كتب النوازل (الوقائع) ككتاب: «الدرر المكنونة في نوازل مازونة»، وفتاوى أحمد بن يحيى الونشريس المجموعة في ( المعيار ) . وقد شارك فى المعركة كثير من الجزائريين منهم ( عبد الرحمن الوغليس ) فقيه بجايه[١٣] المشهور، وسعيد العقباني التلمساني، وعيسى الغبرينى البجائى ابن أحمد الغبرينى صاحب كتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية»[١٤] .

(١٣) وبجاية: مدينة بالشرق الجزائرى كان لها من ماض حضارى مزدهر وفيها تعلم ليوناردافنشى وكانت عاصمة الجزائر ووريثة القيروان مدة قرن من الزمان .

(١٤) طبع هذا الكتاب طبعتين: احداهما: جزائرية والأخرى لبنانية ... وعندى نسخة من الطبعة الجزائرية.

وخلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة اتخذت الدعوة السلفية قاعدتها بنواحي بجاية فى الشرق الجزائرى، وكانت قرية (تامقرة) المنطلق الأساسي للدعوة، اذ كانت هذه القرية تضم منارة علمية جزائرية عالية المكانة، وهى: (معهد يحيى العبدلي)، وفى هذا المعهد نبغ العالم السلفي (أحمد زورق) بعد إقامته الطويلة بين تلمسان (بالمغرب الجزائرى) والعاصمة قسنطينة، وما شاهده من شيوع فوضى العقيدة التى أدخلها العوام وركب موجتها المشعوذون من محترفي المتصوفة، وقد ساعد (أحمد زورق) على النجاح استقامته ونزاهته وتضلعه فى علوم الحديث والتفسير والفقه، فضلا عن تأثيره فى مجموعة من الطلبة الذين حملوا رسالته، على رأسهم ابن على الخروبى ـ دفين الجزائر، وهو ممن أخذوا الدعوة السلفية عن الشيخ أحمد زورق .

وقد ترك «الخروبي» تأثيره على أسرة جزائرية اشتهر معظمها بالسلفية، وهي أسرة الأخضرى التى نبغ فيها عالم سلفي جليل هو (عبدالرحمن الأخضرى) المتوفى سنة ٩٥٣، والمولود (ببنطيوس الزاب ) بالشمال الغربي الجزائرى، وكانت له رسائل فى الفلك ككتابه (السراج فى الفلك) و (أزهار المطالب فى علم الاسطرلاب)،وتربو تآليفه في بقية الفروع على الثلاثين[١٥] .

ولكي نعرف قيمة الدعوة السلفية التى قام بأعبائها (عبد الرحمن الأخضرى) فإنه يجب أن نتصور حالة الجزائر فى ذلك العصر، أى : خلال القرن العاشر الهجرى، فإن بجاية (العاصمة الحضارية للجزائر) كانت قد سقطت بيد الأسبان، وبدأت مدن الساحل الشمالي الجزائرى كله تتداعى أمام أساطيلهم، كتنس، ووهران، ودلسي وغيرها، وللأسف فإن رجال الصوفية كانوا عونا للغزاة ولرؤساء الإقطاع الظلمة ، وتسببوا فى مزيد من الانهيار .

وقد قام (عبدالرحمن الأخضرى) بالتصدى لهم وكشف ضلالهم فى عدد من القصائد احداها تسمى (القدسية) وتحتوى على ٣٥٧ بيتا. وفيها يقول عن الصوفية :

(١٥) المهدى البوعبدلي : مرجع سابق ص ٢٥.

قد ادعـو مراتبا جليلـــــــــة　　والشرع قد تجنبـوا سبيلـــــــه
قد نبذوا شريعة الرســــــــول　　فالقوم قد حادوا عن السبيـــــــل
لم يدخلوا دائرة الطريقــــــــة　　فضلا عن دائرة الحقيقـــــــــة
لم يقتدوا بسيـد الأنـــــــــام　　فخرجوا عن ملـة الإســـــــلام
قد ملكت قلوبهم أوهـــــــــام　　فالقوم إبليس لهم إمـــــــــام
كفاك من جميعهم خيانــــــــة　　إذ ختلوا الدنيا بالديانـــــــــة

الى أن يقول :

من كان فى نيل الأماني راجيـــــا　　وعن شريعة الرسول نائيـــــــا
فإنه ملتبس مفتـــــــــــون　　وعقله مختبل مجنـــــــــــون

ثم يتعرض للمتصوف الحقيقى فيصفه بقوله:

واعلم بأن الولي الربانـــــــى　　لتابـع السنة والقــــــــرآن
والفرق بين الإفك والصـــــواب　　معرف بالسنة والكتـــــــاب
والشرع ميزان الأمور كلـــــها　　وشاهد لأصلها وفرعهـــــــا
والشرع نور الحـق منه قد بـــــدا　　فانفجرت منه ينابيع الهــــــدى

ثم ينتقل الى وصف حالة البلاد اذ ذاك فيقول :

هذا زمان كثرت فيه البـــــدع　　واضطربت عليه أمواج الخـــدع
وخسفت شمس الهدى وأفلـــت　　من بعدها قد بزغت وكملـــت

وقد حظيت هذه المنظومة بشروح قيمة، أهمها شرح الحسين الورتلاني صاحب الرحلة، لأنه ألقى فيه أضواء على حالة المجتمع الجزائرى وأحصى تأثير العادات السيئة التى ألصقت بالدين .

وعلى خطى (الأخضرى) ظهر أعلام آخرون عززوا الاتجاه السلفـي وذلك خلال القرنين الحادى عشر والثاني عشر للهجرة، ومنهم الشيخ عبد الكريم بن الفكون القسنطيني المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ ، وصاحب كتاب ( منشورات الهداية فى كشف حال

من ادعى العلم والولاية)،وهو كتاب من أحسن ما ألف فى بابه، بل فريد في بابه كما يقول الشيخ البوعبدلي .. وهو يبين هدفه من الكتاب فى مقدمته، فيقول: «أما بعد فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أظلت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيسا، والعالم في منزلة يدعي من أجلها خسيسا، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائمة .. وروائح السلب والطرد من المولى فائحة .

وقد ظهرت خلال العصر بعض (المنظومات) التي اقتفت أثر منظومة الأخضرى (القدسية) كمنظومة عبد الرحمن بن محمد علي المجاجي، وظهرت بمستغانم منظومة للشيخ محمد بن حواء من علماء القرن الثاني عشر، وقد سماها «سبيكة العقيان فيمن حل بمستغانم وأحوازها من الأعيان» تعرض فيها لتراجم علماء الجزائر، وتكلم عن البدع المنتشرة .

ثم ظهرت رسالة للشيخ / محمد بن عبدالله الجلالي.. كتبها إلى زميله فى الدراسة بفاس الشيخ/ أحمد التيجانى[16].. مؤسس الطريقة التيجانية عندما أبلغه أنه بصدد انشاء الطريقة التيجانية، فأرسل اليه ينهاه ويحذره من مغبة ذلك، وينصحه بالاقتداء بالسلف الصالح والبعد عن الطرقية.. ولكن ذلك لم يكن له تأثير فى الشيخ التيجاني، ومضى فى سبيله!!

ونحن نستطيع بعد هذا الذى أوردناه أن نقول: ان ثمة حقيقة مؤكدة هي أن كل هذه الجهود التي بذلت فى الجزائر لعودة المسلمين إلى الاسلام الصحيح .. حتى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة والتي ألمعنا إلى بعضها كانت أشبه بجهود فردية، ولم تصل إلى مستوى (التيار العام) المؤثر، بل ان العكس هو الصحيح، فالتيار العام المؤثر والشائع كان تيار الطرقية الصوفية، والخرافات والبدع، والاستغاثة والتوسل والشفاعة لغير الله، والتعصب المغالى فيه لمذهب الإمام مالك، لدرجة أن المغرب كله يكاد يخلو من المذاهب الأخرى ومن المجتهدين المتصلين اتصالا مباشرا بفقه القرآن والسنة .

(١٦) انظر المرجع السابق.

ونتيجة للسيطرة الطاغية التي يتمتع بها الصوفية وغيرهم من المبتدعة، كان أكثر المصلحين الذين ظهروا خلال القرون المنصرمة يميلون إلى لون من (الإصلاح) لايذهب بهم إلى درجة الصراع المباشر الواضح مع الصوفية، فكان بعضهم يعمد إلى القول بأنه إنما يريد تنقية الطرق الصوفية وتقويمها، وقد ألف (أحمد زورق)- الذى تحدثنا عنه- كتبا من هذا القبيل مثل (قواعد التصوف) و (أصول الطريقة) و (كتاب البدع) .. كما أن عبد الرحمن الأخضرى نفسه - صاحب المقطوعات الطويلة فى تصحيح العقيدة ومقاومة البدع يورد نظما نحس منه وكأنه يستميل الصوفية فيقول:

| | |
|---|---|
| وقال بعض السادة الصوفيـــــــة | مقالة جليلـة صفيــــــــــــة |
| اذا رأيت رجلا يطيـــــــــــــر | أو فوق ماء البحر قد يســـــــير |
| ولم يقف عند حدود الشـــــــرع | فإنه مستدرج وبدعـــــــــــى |

وفى إطار هذا المستوى من الفردية والإصلاح الجزئي المحدود، يجب أن نضع كل المحاولات التي سبقت تيار السلفية العام القوى الذى سيطر على الجزائر ممثلا فى جيل جمعية العلماء المسلمين الجزائرين، وفيمن سبقه من رواد مهدوا له بعد أن تأثروا بالدعوة الاصلاحية التى قامت فى جزيرة العرب .

## دخول حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الجزائر :

مع تلك التخوم التي تفصل بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، بدأت إشعاعات حركة الاصلاح فى الجزيرة تنفذ إلى الجزائر عبر منافذ متعددة سوف نتعرض لها بالبحث .

وكان أول من حمل الدعوة إلى الجزائر المؤرخ الجزائرى (أبو راس الناصرى)[١٧] الذى قدر له أن يجتمع بالامام محمد بن عبد الوهاب فى موسم الحج، ويذاكره فى أمور انتهى بعدها إلى الاقتناع باتجاه حركة الشيخ ابن عبد الوهاب، وكان ذلك بحضور وفد الحجيج المغربي الذى كان يرأسه ولي عهد المغرب آنذاك .

(١٧) الاصالة عدد(٥٣)الشيخ المهدى البوعبدلى.

وقد أشاد المؤرخ (أبوراس ) بآراء ابن عبد الوهاب عندما دون تفاصيل رحلته للحج بعد عودته إلى الجزائر .

والحق أنه بعد (أبى راس) كان من الممكن أن تنفذ حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الجزائر فى النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة من طرق أقوى وأفسح مجالا.. إلا أن تطور الظروف على النحو الذى أدى إلى وقوع الجزائر تحت قبضة الاحتلال الفرنسى سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) حال دون ذلك .

نقول... إنه كان من الممكن حدوث ذلك التأثير لولا هذا الحدث الكئيب، بل إننا لنعتقد أن ذلك كان أمراً توجبه طبيعة الأمور، ولاسيما أن تلك الحركة التجديدية الكبرى التى أصبحت تنتسب إلى ليبيا، وهى الحركة السنوسية، كانت حركة جزائرية الأصل، فإن إمام هذه الحركة السيد/ محمد بن على السنوسى الخطابى إنما هو جزائرى ولد فى بلدة مستغانم بالغرب الجزائرى سنة ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧م) ، ولولا أن العثمانيين ـ من جانب ـ قد تربصوا به، وراقبوه على امتداد الحواضر المغربية كلها، ثم ظهر الفرنسيون منذ ١٢٤٦ فتربصوا به وبكل حركة تجديد ـ من جانب آخر ـ لولا هذا المكان أمراً طبيعياً أن تكون الجزائر هى محضن الحركة السنوسية ولما اضطر السيد السنوسى إلى اللجوء إلى الصحراء وإلى واحة جغبوب من أرض ليبيا.

وان التشابه فى كثير من الأسس بين حركتى الشيخ محمد بن عبدالوهاب والسيد محمد السنوسى لا يحتاج إلى دليل، فالدعوتان ـ كما يقول الأستاذ العقاد « تتشابهان فى حماسة الدعوات وفى نبذ البدع والخرافات والرجوع بالإسلام إلى الكتاب والسنة، ولكنهما تختلفان بعد ذلك فى أمور كثيرة »[١٨].

أما تعرف السيد السنوسى على الدعوة الوهابية فقد تم له حين جاب بعض بلدان

(١٨) الاسلام فى القرن العشرين ص ٨١، طبع نهضة مصر.

العالم الإسلامى كالمغرب ومصر وتونس، وحين ذهب لأداء فريضة الحج[١٩]. « حيث بقى مدة يأخذ من أساتذتها الوهابيين »[٢٠].

ومع ذلك فنحن لم نعدم أن نجد فى الجزائر ـ خلال القرن الثالث عشر ـ بالرغم من كل الظروف التى وقعت تحتها إشعاعات سلفية نفذت إما عن طريق الاتصال بمدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى الجزيرة مباشرة، وإما عن طريق تأثير الدعوة السنوسية الجزائرية الأصل والقريبة من الحدود، وإما عن طريق الجامعة الزيتونية التى تعلم فيها كثير من الجزائريين،وقد ظهرت فى قسنطينة بالشرق الجزائرى ـ خلال هذا القرن ـ حملة ضد البدع والخرافات، وكان مركزها (نادى صالح باى) الذى ألقى فيه بعد تأسيسه مباشرة الشيخ (ابن الموهوب) سلسلة محاضرات ضد الخرافات والبدع.

كما ظهر بقسنطينة ـ أيضاً ـ العالم السلفى الشهير (صالح بن مهنا) الذى كان قد تخرج من الزيتونة بتونس والأزهر بالقاهرة.. وبعد رجوعه انتصب للتدريس بمدينة قسطنطينة وكتب رسالة يهاجم فيها شيوخ الطرق الذين يسميهم الناس (الأشراف) حينا بالغ فى تعظيمهم بعض المنحرفين، وسمى رسالته «تنبيه المغترين فى الرد على إخوان الشياطين».. ومما جاء فى رسالته عن هؤلاء الأشراف « أن من خالف السنة والشرع غير معتبر ولو كان مدعيا للصلاح أو الشرف أو العلم.

وان الشريف الفاسق لا يعتبر حتى ولو أنكر ذلك بعض الأرذال ممن قرأ مسألتين، وتعلم باب مسح الخفين »[٢١] !!

وقد أحدث صالح بن مهنا وكتابه ضجة كبيرة، وثارت عليه طائفة المتصوفة والدجالين، وألفوا فى الرد عليه الرسائل والكتب وسبوه بقصائد كثيرة.

(١٩) انظر المهدية مريم المجدلية: الاسلام بين النظرية والتطبيق ص ١٠٦ مكتبة الفلاح بالكويت ومحمد السلمان: رشيد رضا ٦٦ ( ماجستير ) بكلية العلوم الاجتماعية.

(٢٠) ستودارد: حاضر العالم الاسلامى ٢٥٩/١، وانظر كمال جمعة: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ٢١٦

(٢١) البوعبدلى مرجع سابق ٣١.

## طريق الجزائر إلى الإسلام الصحيح

وفى سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧م) استسلم الأمير عبدالقادر الجزائرى بعد مقاومة للاحتلال الفرنسى استمرت سبعة عشر عاما، ضرب فيها أروع أمثلة البطولة الإسلامية التى أعادت ذكرى بطولات المسلمين الأول من فاتحى افريقية والمغرب، وتحمل فيها من المشاق ما نوه به المؤرخون الفرنسيون أنفسهم.

وباستسلام الأمير عبدالقادر فرضت فرنسا أبشع إجراءات الاضطهاد وأقسى أنواع الملاحقة للإسلام الصحيح واللغة العربية، وبذلت جهوداً كبيرة فى سبيل طمس معالم الحضارة الإسلامية فى الجزائر، سواء بواسطة المبشرين النصارى أو بواسطة اجراءات (الفَرْنَسَة) التى ترمى إلى إزالة كل ما هو إسلامى وعربى.

وفى الوقت نفسه سلطت فرنسا على الجزائر المسلمة قوافل (المتصوفة) ينشرون البدع والخرافات ويحاربون كل بادرة وعى إسلامى صحيح !!

وقد زاد الطين بلة أنه خلال السنوات الأخيرة من هذا القرن احتلت فرنسا تونس سنة (١٢٩٩هـ) واحتلت إيطاليا ليبيا فى العقد الثالث من القرن التالى !!

ولقد بدأ من خلال هذه الأسوار العالية المحكمة أن إسلامية الجزائر وعروبتها فى محنة شديدة، وكان يخيل لبعض المؤرخين أن تاريخ الجزائر سيتجه الى الفرنسية والتغريب أكثر من اتجاهه إلى الاسلام والتعريب. أما الفرنسيون فكانوا يعتبرون الجزائر (ولاية) فرنسية إلى الأبد !!

لكن الحقيقة أن هناك منافذ مضادة، اذ لم يكن المؤرخ العجل قادرا على إبصارها، فان الباحث الحضارى كان باستطاعته أن يلمسها وأن يحس بآثارها الهادئة البطيئة والحاسمة فى الوقت نفسه!!

إنها منافذ تتصل بطبيعة الحضارة الاسلامية نفسها فى الدرجة الأولى.

فإن فرنسا على كثرة ما اتخذت من إجراءات ـ لم تستطع أن تلغى ـ كل الإلغاء ـ أداء المسلم الجزائرى لركن من أركان دينه وهو الركن الخامس من أركان الاسلام « الحج ».

ولما كانت حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوتها وريادتها ونقائها قد نشأت فى البلد الذى تؤدى فيه شعيرة الحج، فقد أدى هذا الارتباط دوراً كبيراً فى نشر الدعوة على امتداد العالم الاسلامى كله.

فعن طريق «الحج»[22] انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى الهند والبنجال بواسطة السيد أحمد شهيد بريلى وزميله الشهيد اسماعيل، والحاج شريعة الله البنجالى، ونزار علي.

وعن طريق الحج انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى جاوة وأندونيسيا بواسطة الزعيم (توانكونان رنتجة) و(الحاج مسكين) و (البدرى).

وعن طريق الحج انتشرت الدعوة فى افريقيا على يد الشيخ عثمان بن فودى.

وقد أوجز أحد الكتاب المعاصرين التأثير العام للحج فى نشر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاصلاحية، فقال:

« انتشرت دعوة الشيخ فى خارج نجد من أجل استيلاء الدولة السعودية على مكة المكرمة سنة ١٢١٨، وأصبح حجاج البلاد الاسلامية يفدون إلى مكة المكرمة ويشاهدون علماء هذه الدعوة الحقة، ويستمعون خطبهم ومواعظهم وإرشاداتهم السديدة وتوجيهاتهم القيمة.. فتأثر بعض الحجاج بدعوة الشيخ فأخذ ينشر فى بلاده التوحيد ويحارب

(٢٢) انظر محمد كمال جمعة: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة ٧٣، ٨٠، ٨٤، ٩٠، ٩٤، ٩٩، ١٠٦ وغيرها.

الخرافات الشائعة فى بلاده، فانتقلت ـ بهذا ـ مبادىء الدعوة الى السودان والهند وسومطرة والعراق والشام ومصر والجزائر وجاوة وعمان وفارس »[٢٣].

وهكذا فان طريق الحج كان واحدا من أهم الطرق التى عبرت من خلالها دعوة الشيخ إلى الجزائر، متخطبة تلك الأسوار القوية التى أقامها الاستعمار الفرنسى!

والطريق الثانى الذى اخترقت به الدعوة هذه الأسوار هو (طريق معنوى) لم يستطع الاستعمار الفرنسى أن يفهمه لأنه لا يستطيع بتركيبه المادى الغربى أن يفهم بناء الاسلام ولا طبيعته الروحية.

إننا نستطيع أن نطلق على هذا (الطريق المعنوى) مصطلحات متعددة، وكلها صالحة للتعبير عن حقيقته.. انه (الشعور الاسلامى الواحد) أو هو (الأخوة الاسلامية) أو هو (الروح الاسلامية).. فالمسلمون على العكس من كل أتباع الأديان الأخرى تنتظمهم مشاعر واحدة، حتى ولو فرقت بينهم أهواء الساسة، وأن المسلم ليتألم ويفرح لكل ما يصيب أخاه المسلم، مهما كان بعيدا عنه.. وهم يتبادلون التأثير والتأثر كما تنتشر الموجات الكهربائية.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة ـ بطريقة غير مباشرة ـ (السير توماس أرنولد) فيما يتعلق بتأثير حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى العالم الاسلامى كله فاعتبرها أول (عاملين) يؤثران فى انتعاش الحياة الاسلامية فى العصر الحديث « فان تأثيرها الدينى ملموس فى كافة أنحاء افريقيا والهند والملايو الى الوقت الحاضر، وان ما أثارته هذه الحركة من حماسة متقدة، وما سكبته فى النظم الدينية القائمة من حياة جديدة، وما بنته فى الدراسة الدينية النظرية وتنظيم الشعائر المنسكبة من روح دافعة.. إن ذلك كله قد عمل على إيقاظ روح الاسلام الفطرية »[٢٤].

أما ثانى العاملين الذين ذكرهما (أرنولد) فى مجال انبعاث النهضة الاسلامية

(٢٣) أحمد بن حجر أبو طامى والشيخ محمد بن عبدالوهاب ٧٩ .

(٢٤) الدعوة إلى الاسلام ٤٦٨ ص ٣١ طبع نهضة مصر.

الحديثة، فهو (عامل) يقول عنه إنه من نوع يختلف عن هذه الحركة جد الاختلاف، وهو (عامل حركة الوحدة الاسلامية التى تسعى الى ربط جميع شعوب العالم الاسلامى برباط مشترك من المودة والتعاطف)[٢٥].

وبالطبع فان (أرنولد) ـ كسائر الأوروبيين ـ لم يستطع أن يدرك أنه لا خلاف بين العاملين، بل إن العاملين يكمل أحدهما الآخر، فالشعور الإسلامى الواحد هو أقوى جسر تعبر عليه كل موجات الاصلاح الاسلامى الحقيقى، وعليه عبرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاصلاحية الى بلدان العالم الاسلامى واخترقت أسوار الاستعمار النصرانى!

أما الطريق الثالث فهو طريق يتصل بالطريق السابق، وإن كان أكثر مباشرة ووضوحاً.

فبينما كانت الجزائر محاطة بسور الاستعمار الفرنسى ارتفعت فى العالم الإسلامى دعوة أطلق عليها بعضهم اسم (الوهابية الجديدة) كما أطلق عليها ـ أيضا ـ دعوة «الجامعة الاسلامية».. مما يدل على الترابط بين الدعوتين،وكان قائد هذه الدعوة هو السيد جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ) أحد المتأثرين بالشيخ محمد بن عبدالوهاب عن طريق أدائه فريضة الحج سنة ١٢١٣ هـ وعن طريق مجيئه الى الهند وسماعه عن أثر الوهابيين، ولذلك اتهم من قبل أعدائه بأنه وهابى، بل روى أنه هم بالسفر الى نجد لقيادة الحركة الوهابية[٢٦] عن كثب. ويقول (جب): ان جهود جمال الدين كانت لها نتائج متينة راسخة.. إذ نشرت فى كافة أرجاء البلاد الإسلامية المبدأ الوهابى القائل بضرورة التعلق بالصفاء المذهبى وإعادة تأكيد المذهب السنى القرآنى[٢٧].

وكان لجمال الدين الأفغانى تلميذان، وضحت فيهما دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أكثر منه وكانا واسطتها الى الجزائر خاصة ـ على نحو لم يستطعه هو أو لم

(٢٥) المكان السابق.

(٢٦) العقاد. الاسلام فى القرن العشرين ٨٩.

(٢٧) نقلا عن: محمد السلمان: رشيد رضا (مخطوط) ١٤٣.

يسع اليه وهما: الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ)، والشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ) ـ وقد استطاعت هذه المدرسة (الأفغانية) أو مدرسة (العروة الوثقى) كما أطلق عليها بعضهم.. أن تحمل دعوة الإصلاح السلفى إلى الجزائر والعالم الاسلامى فى وقت خلت فيه الساحة من المصلحين الأقوياء.

وقد كانت مجلة العروة الوثقى.. ثم مجلة المنار ـ من أكبر المجلات المدافعة عن اتجاه العودة الى الاسلام الصحيح. وقد أتيح لهاتين المجلتين من الانتشار ما لم يتح لغيرهما، وكان الزود عن حياض دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب واضحاً فيهما، ولاسيما فى المنار[٢٨] التى استطاعت أن تدخل الى الجزائر والى بقية بلدان الشمال الأفريقى، منذ سنتها الأولى حتى أنه فى سنتها الخامسة ذكر أحد القراء فى تونس أن العدد الواحد من مجلة المنار يدار على عشرات الناس فى البيوت[٢٩].

ولعل أكبر دليل على حسن انتشار المنار فى بلاد شمال افريقية أن الشيخ محمد عبده حينما قام بزيارة الى تونس والجزائر عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣م) شاهد هناك الأثر الكبير الذى أحدثته مدرسة المنار ممثلة فى مجلتها، وتأثير ذلك فى نشر الأفكار الاصلاحية[٣٠].

وهكذا، فعن طريق هذه المعابر الحضارية الاسلامية، تحطمت أسوار الاستعمار الفرنسى الرهيبة، وظهرت حركة (إسلامية صحيحة) شقت طريقها وسط كل الظلمات والعقبات حتى أصبحت التيار العام المسيطر والمؤثر.

## بوادر النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر :

لم تنشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بهذه المبادئ الواضحة والقوية فى عام واحد. وهو العام الذى احتفل فيه الاستعمار الفرنسى بمرور قرن على احتلاله للجزائر سنة (١٩٣٠م) احتفالا أساء إلى الشعور الإسلامى، كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين !!

---

(٢٨) انظر السلمان: رشيد رضا (١٩٠) وما بعدها.

(٢٩) المرجع السابق ٣٦٧.

(٣٠) السابق ٣٦٨.

فالحق أن إساءات الفرنسيين للشعور الإسلامي كانت تتكرر فى كل يوم من أيام احتلالهم للجزائر، كما أنه ليس من طبيعة الأشياء أن بلدا يعيش فى ظروف الجزائر تظهر فيه الدعوات المنظمة الواضحة المبادئ والأهداف طفرة وبدون اعداد جيد لخمائر الوثبة المنشودة .

ومن هنا يبدو صدق ما ذهبنا إليه من أهمية تأثير المعابر القوية الثلاثة السابقة، كما يدل على ذلك ـ أيضا ـ بوادر النهضة الاصلاحية التى ظهرت بشكل فردى ـ خلال هذه الفترة الصعبة ـ قبل بروز جمعية العلماء الجزائريين .

كان الشيخ (عبدالقادر البجاوى) (١٨٤٨ـ١٩١٣م) ـ١٢٦٥ـ١٣٣٢هـ ـ فى طليعة هؤلاء الذين ظهروا خلال هذه الفترة متفاعلين مع قضية الاصلاح الاسلامى ـ كأساس لتحرير الجزائر من الاستعمار ـ ويطلق صديقنا الدكتور (تركى رابح)[٣١] على (البجاوى) عبارة (دائرة معارف) لكثرة تحصيله، وغزارة علمه، وتنوع معارفه، ومشاركته فى كل فن بطرف[٣٢].

وقد عاش البجاوى للعلم والتعليم، فتخرج عليه عدد هام من العلماء الجزائريين كان من بينهم الشيخ (حمدان الونيس) الأستاذ الأول للشيخ عبدالحميد بن باديس، ورئيس جمعية العلماء.

وقد ترك «البجاوى» عدة مؤلفات سلفية منها شرح «منظومة اللمع فى انكار البدع» نظمها تلميذه السلفى المولود بن الموهوب، وحمل فيها حملة شعواء على البدع والطرقية. ومن هؤلاء الشيخ أبو القاسم الحفناوى الشاعر والمؤرخ، وكان كاتبا بليغا وباحثا مدققا، مشتغلا بالتعليم والتأليف إلى أن مات .

---

(٣١) أخطأ الأستاذ محمد كمال جمعة صاحب انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فأطلق عليه اسم (تركى براع) ص ٢٤٤ والصحيح ما ذكرناه، وهو أستاذ بكلية الآداب جامعة الجزائر.

(٣٢) عبدالحميد بن باديس: فلسفته وجهوده فى التربية والتعليم ص ١٠٦ نشر الشركة الوطنية بالجزائر.

ومنهم الشيخ مصطفى بن الخوجة (١٨٦٥-١٩١٥م)١٢٨٢-١٣٣٤هـ - وهو من خيرة أتباع الشيخ محمد عبده، وعلى رأس مدرسته فى الجزائر، وقد ألف كتابا عن حقوق المرأة فى الإسلام أسماه «الاكتراث فى حقوق الإناث»[٣٣].

ومن أبرز هؤلاء «عمر بن قدور الجزائرى» الذى لقب برائد الدعوة إلى التضامن الاسلامى - على الرغم من أسوار الاستعمار الفرنسى - وتوفى سنة (١٩١٥م) (١٣٣٤هـ) بعد حياة طويلة حافلة بالجهاد والشجاعة. وكانت له مقالات كثيرة نشرها فى داخل البلاد وخارجها، ونشر بعضها فى الآستانة جريدة الحضارة، وبعضها فى اللواء والمؤيد بالقاهرة. وقد دعا إلى مشروع أطلق عليه اسم «جماعة التعارف الإسلامى» ليكون نواة لتحقيق تضامن الأمة الإسلامية. وكانت لعمر بن قدور نظرات سديدة تدور فى فلك المدرسة الإصلاحية، فقد كان يرى أن الجهل - أولا - وتسلط أجنبى - ثانيا - هما سبب ما أصاب الأمة الإسلامية من ويلات، وعنهما نشأ فريقان ابتليت بهما الأمة: فريق جامد متحجر وهم العلماء الجامدون الذين قيدوا الفكر الإسلامى عن الاجتهاد والانطلاق، وغلوا المسلمين فى سلاسل الخرافات والبدع، وألقوا بهم عند أعتاب الأولياء جثثا لا حراك بها يقعدهم عن العمل التوكل والزعم بالتسليم بالقضاء والقدر، أما الفريق الثانى: فهو فريق الشباب المتفرنج المؤمن بالحضارة الأوربية[٣٤].

ومن هؤلاء المصلحين الذين مهدوا لظهور تيار جمعية العلماء - الأستاذ محمد بن أبى شنب - ١٢٨٦- ١٣٤٨هـ(١٨٦٩ - ١٩٢٩م)، وهو من أهم الشخصيات المثقفة، المؤمنة بإسلامها الساعية إلى التمسك به، وبالحفاظ على اللغة العربية.. وقد ظل يعمل فى إطار بعث الثقافة الإسلامية الصحيحة ونشر اللغة العربية قرابة نصف قرن .

ومن أبرز زعماء هذه المرحلة الشيخ عبدالحليم بن سماية ١٢٨٣-١٣٥٣هـ (١٨٦٦-١٩٣٣م) ويقول عنه الدكتور (رابح) إنه من العلماء القلائل الذين نشروا الفكرة السلفية فى الجزائر، وكان يدرس (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده .

(٣٣) المرجع السابق ١٠٧، ١٠٨.

(٣٤) د. محمد نصر. عمر بن قدور: رائد الدعوة للتضامن الاسلامى: الأصالة ٥٨.

وقد ذكره الشيخ رشيد رضا فى كتابه «تاريخ الإمام محمد عبده» على أنه ممن اجتمع بهم الإمام محمد عبده عند زيارته للجزائر سنة ١٩٠٣م[٣٥]. كما يتحدث عنه المؤرخ الجزائرى المعاصر (عبدالرحمن الجيلالى) فيقول: إنه كان أول من أسرع إلى استقبال الشيخ محمد عبده، وملازمته ليلا ونهارا، ومدحه بقصيدة نشر بعضها فى مجلة المنار فى عددها الصادر يوم ٦ ذى القعدة ١٣٢١هـ وقدم لها صاحب المنار بقوله: «إنها قصيدة عالم جزائرى؛ بل أشهر علماء الجزائر مدح بها الأستاذ الامام وأرسلها إليه فى القاهرة .. فسرنا منها أنها آية من آيات صلة علماء الإسلام بعضهم ببعض فى الأقطار المتباعدة»[٣٦].

كذلك ينبغى أن نشير إلى المرحوم (عمر راسم) ونشاطه الإصلاحى فقد كان هو الآخر متأثرا بالشيخ محمد عبده والمدرسة السلفية»[٣٧].

ولا شك أن هناك كثيرين غير هؤلاء، قاموا بدور كبير خلال هذه الفترة، حتى إذا ما جاءت سنة ١٩٣٠م - التى مثلت حدثا غير عادى بالنسبة لشعب مسلم مقهور - محروم عن التعبير عن ذاته المسلمة ولسانه العربى منذ قرن كامل .. حتى إذا ما جاءت هذه السنة، ووقف الحاكم الفرنسى «ينعى الى الحضارة إسلام الجزائر إلى الأبد» دون اكتراث بمشاعر الجزائريين... قام المصلحون السلفيون يتحدونه ، ويقول امامهم ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم     وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله     أو قال مات فقد كذب

وظهرت فى ساحة الجهاد - جمعية العلماء الجزائريين، تحارب الخرافات والبدع وتجمع الجزائريين على الإسلام الصحيح... لأنه - وحده - الطريق الصحيح.

---

(٣٥) د. تركى رابح: مرجع سابق ١٠٨.

(٣٦) انظر: الجيلالى: جوانب من كفاح الشيخ عبدالحليم بن سماية- عدد ١٣ من الأصالة الجزائرية.

(٣٧) تركى رابح: الأصالة عدد ٢٤ ربيع الأول ١٣٩٥هـ.

## مؤسس جمعية العلماء والسلفية:

لكن السؤال الذى يفرض نفسه ـ عند هذه النقطة ـ على الرغم من كل التأثيرات العامة والأساسية التى ذكرناها ـ هو كيف وصلت السلفية الإصلاحية التى قامت حركتها الأخيرة على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى مؤسس جمعية العلماء الجزائريين. هؤلاء الذين قادوا الجمعية ووجهوها إلى ما آمنوا به. والحقيقة أن كثيرا من تلامذة جمعية العلماء الجزائريين يسجلون انتماء الشيخ ابن باديس إلى مدرسة الامام محمد بن عبدالوهاب بشئ من التلقائية، وكأنه أمر مقرر لا جدال فيه(٣٨). والأمر نفسه بالنسبة للمؤرخين الأوربيين(٣٩).

لكننا مع ذلك نؤثر تتبع وصول السلفية الى الجمعية وروادها عبر جداولها الخاصة إلى جانب الروافد العامة التى تحدثنا عنها .

والمعروف أن الشيخ عبدالحميد بن باديس قد تأثر أول ما تأثر بالفكرة السلفية عن طريق أساتذته فى جامع الزيتونة بتونس وذلك بعد سفره إلى تونس سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) لإتمام دراسته فى جامع الزيتونة .

وأبرز من أخذ عنهم الفكرة السلفية من أساتذة الزيتونة بتونس اثنان هما: الشيخ محمد النخلى القيروانى المتوفي سنة ١٩٢٤، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور. وقد أشار ابن باديس نفسه إلى تأثير هذين الشخصين عليه فى مقال كتبه فى جريدة البصائر فى عام ١٩٣٦ فقال:

«عرفت الأستاذ الطاهر بن عاشور فى جامع الزيتونة. وهو ثانى الرجلين اللذين يشار إليهما بالرسوخ فى العلم، والتحقيق فى النظر، والسمو والاتساع فى التفكير، أولهما:

(٣٨) انظر كتابات د. عمار طالبى (ابن باديس: حياته وتراثه)، وكتاب الدكتور/تركى رابح عن عبدالحميد ابن باديس، وغيرهما.

(٣٩) راجع نقولنا السابقة من ستودارد، وأرنولد.

العلاَّمة الأستاذ محمد النخلي القيرواني ـ رحمه الله ـ وثانيهما: الأستاذ شيخنا الطاهر بن عاشور، وكانا كما يشار إليهما بالصفات التى ذكرناها يشار إليهما بالضلال والبدعة، وما هو أكثر من ذلك لأنهما كانا يحبذان آراء الأستاذ محمد عبده فى الإصلاح، ويناضلان عنها ويبثانها فيمن يقرأ عليهما، وكان هذا مما استطاع به الوسط الزيتونى أن يصرفنى عنهما. وما تخلصت من تلك البيئة الجامدة، واتصلت بهما حتى حصلت على شهادة «العالمية»، ووجدت لنفسى الأختيار فاتصلت بهما عامين كاملين كان لهما فى حياتى العلمية أعظم الأثر. على أن الأستاذ ابن عاشور اتصلت به قبل نيل الشهادة بسنة فكان ذلك تمهيدا لاتصالي الوثيق بالأستاذ النخلى»[٤٠].

أما الرافد السلفى الثانى الذى أثر فى مؤسس جمعية العلماء فيتمثل فى تلك السفرة الطويلة إلى المشرق العربى، والتى أدى فيها «فريضة الحج»، واجتمع خلالها بعدد كبير من رجالات الفكر والإصلاح فى العالم العربى من بينهم الشيخ حمدان الونيس، شيخه السابق، والشيخ حسين الهندى العالم السلفي المجاور الذى نصحه بوجوب العودة إلى الجزائر لاحتياجها الشديد إلى علمه وفكره، والشيخ (البشير الابراهيمى) الذى تعرف عليه ابن باديس لأول مرة فى حياته فى المدينة المنورة حيث كان قد هاجر إليها فى حدود عام ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)، ومنذ ذلك الحين ارتبطا بصداقة متينة كانت خيرا وبركة على الجزائر والحركة الإصلاحية السلفية التى برزت فيما بعد فى حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[٤١]. أى أنه هنا فى قاعدة السلفية الأولى فى العصر الحديث ـ فى المدينة المنورة ـ ثم عقد النية والاتفاق على إقامة الحركة الإصلاحية السلفية فى الجزائر بين مؤسسيها البشير الابراهيمى، وابن باديس .

## مبادىء السلفية وركائز جمعية العلماء:

لعله من الحقائق المقررة أن التشابه ـ بل الاتفاق ـ فى الأسس والمبادىء بين حركتين من حركات البعث والإحياء ـ إنما يقوم دليلا قويا على تأثر اللاحقة بالسابقة.

(٤٠) البصائر عدد (١٦) السنة الأولى.

(٤١) د. تركى رابح: الأصالة ٢٤..

وقد ذكرنا فى صدر بحثنا خلاصة ركائز دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لهذا الغرض.

وفى هذا المقام نورد أهم الركائز التى قامت عليها الحركة الإصلاحية الجزائرية التى عرفت باسم جمعية العلماء، والتى كان لها الفضل فى تحرير الجزائر من الفرنسيين وعودتها إلى الاسلام واللغة العربية.

ومن دراستنا لجمعية العلماء فكراً وعملاً ـ كما تدل على ذلك مصادرها ـ نستطيع أن نلخص الركائز التى قامت عليها فى النقاط التالية:

## أولا: إصلاح عقيدة الجزائريين :

فقد كانت جمعية العلماء تركز عملها بصفة عامة على مقاومة الخرافات والبدع التى شوهت عقيدة المسلمين[٤٢]، وتطهير عقيدتهم من مظاهر الشرك، سواء العلنى منها أو الخفى.

وقد كان لإمام جمعية العلماء الشيخ ابن باديس دروس يمليها على تلامذته فى (جامع قسنطينة) تحت عنوان «العقائد الاسلامية»، وكان يتبع فى الاستدلال على وجود الله ووحدانيته وصفاته منهج القرآن الكريم فى الاستدلال لا منهج علماء الكلام المتأثرين بالأساليب الفلسفية والإغريقية العقلية، أو أساليب الفقهاء الذين يستدلون بكلام أئمتهم أو قدماء أتباعهم بدل الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[٤٣].

وقد نشرت أجزاء من تلك الدروس بعد وفاة ابن باديس تحت عنوان «العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية» وهى تعطينا صورة واضحة عن طريقة جمعية العلماء فى إصلاح العقيدة على النهج السلفى وابن باديس يصف طريقته تلك بأنها «الطريقة المثلى فى الاستدلال على وجود الله وصفاته». فما يرجع إلى الغيبيات لا يكون إلا بالقرآن لأن المؤمن إذا استند فى توحيد الله وإثبات ما يثبت له ونفى ما انتفى عنه لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة[٤٤].

(٤٢) انظر كتاب: الشيخ عبدالحميد بن باديس: فلسفته وجهوده فى التربية والتعليم ٢٧٣/٢٧٢. د. رابح تركى.

(٤٣) السابق ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٤٤) انظر مقدمة العقائد الاسلامية للشيخ ابن باديس جمع ونشر محمد صالح رمضان.

ويعلق أحد الكتاب الجزائريين على منهج ابن باديس فى إصلاح عقيدة الجزائريين فيكشف النقاب عن حقيقة تأثره فيها بطريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول :

« هناك ملاحظة ينبغى الإشارة إليها قبل المضى فى بيان ملامح فلسفة ابن باديس، وهي أن الإمام عبدالحميد بن باديس عالم مسلم يعمل فى الدائرة الاسلامية.. وهو كذلك مصلح سائر على نهج المصلحين السلفيين من أتباع المدرسة الاصلاحية السلفية التى ظهرت فى الشرق الاسلامى فى القرن الثامن عشر للميلاد (الثانى عشر للهجرة)، وكانت تنادى بضرورة العودة بالاسلام إلى منابعه الأولى، وهو الكتاب والسنة،بعيداً عن بدع المبتدعين، وخرافات المنحرفين»[٤٥].

وفى رأى ابن باديس - وهو رأى الامام بن عبدالوهاب - أن العقائد السليمة هى قاعدة الاصلاح فى المجتمع، وهو ينادى بأن حالة التدهور العام التى وصل اليها المسلمون فى القرون الأخيرة إنما تعود إلى تدهور العقيدة لدى الفرد المسلم وتطرق الشرك الخفى إليها، وهو يعتبر ذلك « قاعدة الإصلاح » ويقول: « فلنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات »[٤٦].

ثانيا : مقاومة الصوفية والمبتدعة :

ترتبط مقاومة الصوفية والمبتدعة بإصلاح العقيدة ارتباطا وثيقا ، هكذا كان المنهج بالنسبة لحركة الامام ابن عبدالوهاب أو بالنسبة لحركة جمعية العلماء الجزائريين.

فما نكب الأمة فى عقيدتها التى هى مبعث تميزها وفخرها على الملل الأخرى إلا هؤلاء المتصوفة وإخوانهم من سائر المبتدعة.

وكما كان لهؤلاء الصوفية والمبتدعة موقف مشين من دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب كان لهم - كذلك - الموقف نفسه من جمعية العلماء الجزائريين .. بل انهم ارتكبوا فى الجزائر خيانة عظمى أخرى - بعد خيانتهم لله - هى أنهم والوا فرنسا ووقفوا

---

(٤٥) د. تركى رابح: مرجع سابق ص ٢٠٠.

(٤٦) انظر المرجع السابق ص ١٢٣ (نقلا عنه) .

معها ضد المسلمين الجزائريين دعاة الاصلاح والتحرير. فلا بدع أن تأخذ مقاومة هؤلاء قدرا كبيرا من جهود جمعية العلماء، وأن تصبح المعركة معهم سافرة واضحة وضوح المعركة مع المستعمر الفرنسي - ويرى الشيخ (محمد البشير الإبراهيمى) الرائد الثانى لجمعية العلماء ورئيسها بعد ابن باديس - أن مقاومة البدعية والصوفية ورجال الدين الرسميين المنافقين هو « أول يد بيضاء أسدتها الجمعية للجزائر حين قامت بتحرير العقول من الأوهام والضلالات فى الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، فإن تحرير النفوس والعقول هو الأساس لتحرير الأبدان وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا.. وبذلك التحرير العقلى الذى أساسه - توحيد الله - تمكنت الجمعية من توحيد الميول المختلفة والمشارب المتنابذة والنزعات المتضاربة، وبذلك التحرير أيقظت الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال والصحيح من المبادئ، وبين الصالح والزائف منها، وبذلك التحرير أراحت الأمة من أصنام كانت تتعبدها باسم الدين أو باسم السياسة »(٤٧).

ويكشف « الإبراهيمى » حقيقة بعض المنافقين والمبتدعة الذين تستخدمهم فرنسا لأغراضها بأسلوب يذكرنا بأسلوب الامام محمد بن عبدالوهاب.. فيقول: «فى أيام الحملة الكبرى على الحكومة (الفرنسية) ظهر (هؤلاء) بمظهر مناقض للدين، فكشفوا الستر عن حقيقتهم المستورة، ووقفوا فى صف الحكومة مؤيدين لها، خاذلين لدينهم وللمدافعين عن حريته، مطالبين بتأييد استعباده، عاملين بكل جهدهم على بقائه بيد حكومة مسيحية تخربه بأيديهم، وتشوه حقائقه بألسنتهم، وتلوث محاريبه ومنابره بضلالتهم.

وقسم أحكامه بفتاويهم، وقد أخذوا فى الزمن الأخير ببعض مظاهر العصر، وتسلحوا ببعض أسلحتهم بإملاء من الحكومة للدفاع عن الباطل، فكونوا جمعية، وأنشأوا مجلة، وجهزوا كتيبة من الكتاب يقودها أعمى - خذلانا من الله ليشترك عاقلهم وسفيههم فى هذه المخزيات، وبحكم العضوية فى الجمعية، والاشتراك فى المجلة، بعد ما كانوا يعملون فرادى، فيمتاز البرئ منهم عن المجرم، ولو فى دائرته الضيقة ومن أهله وجيرانه..

(٤٧) البشير الابراهيمى: عيون البصائر جـ ١ ص ٢٦، ص ٢٧ نشر دار المعارف - القاهرة.

دافعناهم ـ عندما ظهروا بذلك المظهر ـ بالحق فركبوا رؤوسهم، فتسامحنا قليلا إبقاء على حرمة «المحراب والمنبر» التى انتهكوها، فشددوا إبقاء على حرمة الخبزة، فكشفنا عن بعض الحقائق المستورة فلجوا وخاضوا، وثاروا وخاروا، فلما عتوا عن أمر ربهم رميناهم بالآبدة.. وهى أن الصلاة خلفهم باطلة، لأن إمامتهم باطلة.. لأنهم جواسيس»[٤٨]!!

ولم يكن الإمام عبدالحميد بن باديس ـ رحمه الله ـ أقل حربا للصوفية والمبتدعة من الشيخ الابراهيمى، بل كان ـ رحمه الله ـ يتهمهم بإفساد الاسلام، وأنهم قد أخذوا أنفسهم بنسك الأعاجم، واخترعوا أعمالا وأوضاعا من عند أنفسهم، وظنوا أنهم يتقربون بها إلى الله زلفى على غرار المشركين قبل البعثة النبوية[٤٩].

يقول ابن باديس : « وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر والطواف حول القبور والنذر لها والذبح عندها ونداء أصحابها وتقبيل أحجارها، ونصب التوابيت عليها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها، فكل هذه الاختراعات فاسدة فى نفسها لأنها ليست من سعى الآخرة الذى كان محمد صلى الله عليه وسلم يسعاه وأصحابه من بعده، فساعيها موزور غير مشكور » كما يتهم رجال الطرق الصوفية بأنهم ادعوا لأنفسهم نوعا من الربوبية حينما زعموا للعامة الساذجة بأنهم قادرون على المنح والعطاء، كما أنهم قادرون على المنع والحرمان، وذلك بقصد استغلالهم وابتزاز أموالهم وصرفهم عن مكافحة الاستعمار الذى يحتل وطنهم الى التمسح بأعتاب رجال الطرق الصوفية[٥٠] الذين ابتليت بهم الجزائر فى هذه الحقبة من أحقابها الطويلة.

## ثالثا : الرجوع إلى القرآن والسنة :

يقول ابن باديس: إن دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ما كانت الا للقرآن وبالقرآن، وأن أئمة الهدى أنفسهم كانوا يدعون لاتباع الكتاب والسنة فهم دعاة اتباع لا

---

(٤٨) عيون البصائر ١٩٨/١.

(٤٩) د. تركى رابح: مرجع سابق ٢١٣.

(٥٠) المكان السابق، وانظر ص ١٨٥ وينظر تفسير الشيخ ابن باديس لآيات (ومن أراد الآخرة...) وآية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره.....) وآية (يأيها الرسل كلوا من الطيبات.... وغيرها.

ابتداع، وما دعوا إلى (التحزب) لأنفسهم.. كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعانا إلى اتباع سبيله فى القيام بالشرائع فى حياتنا العامة والخاصة، وتلك هى سنته التى كان عليها أهل القرن الأول والثانى والثالث، تلك القرون المشهود لها بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم عليه الصلاة والسلام(٥١).

رابعا : تحذير الناس من الأحاديث الموضوعة :

دأب مفكرو جمعية العلماء على تفنيد تلك الأحاديث، والآثار الشائعة المنكرة والموضوعة التى شوهت جمال الاسلام.

فإن الإمام ابن باديس ـ رحمه الله ـ يكاد لا يذكر عبارة السنة الا ويحددها بعبارة « الصحيحة الثابتة » وذلك تحذيرا من كل ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ويقول فى شرحه للآية:

( إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا )
(الأسراء : ٣٦)

**لا يجوز أن نعتمد فى إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنبى صلى الله عليه وسلم من الحديث الضعيف لأنه ليس لنا به علم، فإذا كان الحكم ثابتا بالحديث الصحيح مثل: قيام الليل ثم وجدنا حديثا فى فضل قيام الليل يذكر ثوابا عليه مما يرغب فيه جاز عند الأكثر أن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذى لم يكن شديدا على وجه الترغيب. ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه وهذا هو معنى قولهم الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال أى: فى ذكر فضائلها المرغبة فيها فقط لا فى أصل ثبوتها:**

فما لم يثبت بالدليل الصحيح فى نفسه لا يثبت بما جاء من الحديث الضعيف فى ذكر فضائله باتفاق من أهل العلم أجمعين»(٥٢).

---

(٥١) انظر تفسيره لآية (ويوم يعض الظالم على يديه).

(٥٢) الأستاذ محمد خليل: نبذة عن حياة الامام ابن باديس: الدعوة السعودية عدد ٦٨٣.

خامسا : محاربة الجمود الفكرى الذى نتج عن إقفال باب الاجتهاد وإحياء التفكير الإسلامى.

يقول ابن باديس ـ رحمه الله ـ ذاكرا فضل اثنين من أساتذته ومربيه له: «وإني لأذكر للأول ـ حمدان الونيس ـ وصية أوصانى بها وعهدا عهد به إليّ. وأذكر أثر ذلك العهد فى نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصانى وشدد على أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعله أمثالي فى ذلك الوقت، وأذكر للثانى ـ محمد النخلي ـ كلمة لا يقل أثرها فى ناحيته العلمية عن أثر تلك الوصية فى ناحيتي العملية، وذلك أني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية فى كلام الله ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن،وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله،فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده فى نفسي من التبرم والقلق فقال لي: ( اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة.يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح )،**فوالله** لقد فتح الله بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقا واسعة لا عهد له بها »(٥٣).

سادسا : رفض التوسل والاستغاثة، والاعتماد على النفس فى التقرب إلى الله..

فقد كان الشيخ يؤكد فى كل دروسه وكتاباته « أنه لا يجوز الاعتماد على غير ما يقوم به الانسان من عمل صالح، ينتفع به فى دنياه، ويتقرب به إلى الله فى أخراه.. أما ما يتوسل به الجهلة بحقائق الإسلام، أو يضلهم به بعض المشعوذين فلا عبرة به فى نظر الإسلام الصحيح »(٥٤).

---

(٥٣) المكان السابق.

(٥٤) الأستاذ على مرحوم: لمحات من حياة الشيخ ابن باديس: الأصالة ٢٤ والجدير بالذكر أن الأستاذ على مرحوم من تلامذة ابن باديس وأعضاء جمعية العلماء.

تلك هى أهم الركائز التي قامت عليها جمعية العلماء وقد تكون هناك مبادئ أخرى.. لكنها يمكن أن تندرج تحت هذه الركائز، كما أن طريقة عرض الأسس التى قامت عليها دعوة جمعية العلماء الجزائريين، قد تختلف من مفكر لآخر، وكذلك الأمر بالنسبة لدعوة الامام محمد بن عبدالوهاب .. لكن المضمون فى نهاية الأمر متفق - تمام الاتفاق - فى الحركتين .

وعلى سبيل المثال: فإن أحد المفكرين الجزائريين يذهب إلى أن دعوة الشيخ ابن باديس، التي هي دعوة الجمعية ركزت على ثلاثة أسس:

١ - إصلاح عقلية الجزائريين .
٢ - إصلاح عقيدة الجزائريين .
٣ - إصلاح أخلاق الجزائريين[٥٥].

لكننا عند التحليل العلمى للمضمون، بل عند قراءتنا لتفاصيل هذه الإصلاحات نجدها لا تخرج عما ذكرناه.. وليس الخلاف إلا فى أسلوب العرض.

كما أن من الجلي أن هذه الركائز هى - تماما - الركائز نفسها التي قامت عليها حركة الامام محمد بن عبدالوهاب، بل إننى لأرى أن التزام جمعية العلماء بهذه الركائز كان التزاما يقترب من التزام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبفضل التزام مدرسة العروة الوثقى، وربما بفضل مدرسة المنار ورشيد رضا أيضا، وليس هنا مجال تفصيل ذلك .

## تشابه فى الموضوع والمنهج والأسلوب:

وهناك جانب آخر - إلى جانب الاتفاق فى الركائز - يدلنا أيضا على مدى توافق الحركتين، وهو جانب الاتفاق فى الكتابة موضوعا ومنهجا وأسلوبا.

(٥٥) ابن باديس ونشأة الحركة الاصلاحية فى الجزائر. د. تركى رابح مجلة الأصالة عدد ٢٤.

ولأن هذا المقام قد لا يتسع لنقل نصوص وفقرات كاملة من كتابات الشيخ ابن عبدالوهاب وكتابات زعماء جمعية العلماء الجزائريين كالشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الابراهيمى فنحن - إلى جانب الركائز التى ذكرناها والتى توضح الاتفاق التام بين الدعوتين - نشير إلى أنه من دواعى التأكيد على تأثر جمعية العلماء الجزائريين بدعوة الشيخ ابن عبدالوهاب أن كثيرا من كتابات الشيخ ابن باديس والشيخ الابراهيمى تبدو للقارئ وكأنها ترجمة أمينة لبعض كتابات الشيخ ابن عبدالوهاب وتلامذته وعلى رأسهم مدرسة العروة الوثقى والمنار.

أما اتفاق الكتابات فى الخصائص والسمات، فهى حقيقة لا شك فيها :

فإن القوة والجرأة والروح الإيمانية الواثقة غير الهيابة التى تبدو فى كتابات الامام محمد بن عبدالوهاب، ولا سيما فى رسائله وخطبه نجدها - كذلك - فى كتابات مدرسة جمعية العلماء الجزائريين.

وإن الاعتماد على الدليل القوى المباشر الواضح المستقى من كتاب الله وسنة نبيه وسلوك الأئمة ، نجده خاصة تنتظم كتابات الامام ابن عبدالوهاب وجمعية العلماء الجزائريين، ممثلة فى رائديها: «عبدالحميد بن باديس» و «البشير الابراهيمى»، بل إن الموضوعات تبدو وكأنها تدور فى فلك واحد وتعالج أوضاعا واحدة مع أن الظروف الزمانية كانت مختلفة .

وقد يرد على الخاطر أن «الأعداء» كانوا مختلفين - أيضا - ولا سيما الاستعمار الفرنسى، كان مسيطرا على الجزائر والمتوقع أن تحتل مقاومته درجة الاهتمام الأولى.. لكن الحقيقة أن مدرسة جمعية العلماء لم تقع - إلى حد كبير - فى هذا الخطأ الحضارى، بل إنها أدركت أن الاستعمار إنما هو نتيجة وليس العلة أو السبب، وإنما السبب هو ما أصاب كيان المسلم فى عقيدته وفكره، والمنهج الصحيح هو علاج « العلة » أولا.. ومن هنا صرفت أكثر جهودها فى مقاومة «البدع والخرافات» وفى إحياء دين الأمة ولغتها، دون أن تغفل مقاومة الاستعمار كذلك.

ويضاف إلى هذه الخصائص ـ سمة أخرى واضحة فى كتابات الإمام محمد بن عبدالوهاب، ومدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.. هذه السمة: نستطيع أن نطلق عليها: عدم المداراة أو التكلف، بل المواجهة الصريحة بالألفاظ القوية التى لا تحتمل تأويلا ولا لبسا.. حتى وإن أغضب ذلك بعض الناس، الذين يريدون المداراة والتحايل منهجا للعمل الإسلامى.

ونورد فيما يلي بعض نصوص من كتابة الشيخ ابن عبدالوهاب، وكتابة مدرسة جمعية العلماء الجزائريين، لنستدل بمقارنتها على صدق ما استنتجناه من اتفاق بين الحركتين فى المنهج والموضوع والأسلوب .

يقول الامام محمد بن عبدالوهاب: « ولست ولله الحمد أذهب الى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم (...) وغير خاف ما أحدث الناس فى دينهم من الحوادث وما خالفوا فيه طريق سلفهم، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل[٥٦].

وفى رسالته إلى محمد بن فارس يقول: «اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة: الأول الشرك فى عبادة الله وحده لا شريك له، الثانى: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة. الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم. الرابع: من اعتقد أن غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه. الخامس: من أبغض شيئا مما جاء به رسول الله. السادس: من استهزأ بشئ من دين الله أو ثوابه أو عقابه. السابع: السحر ومنه الصرف والعطف. الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. التاسع: ومن اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه صلى الله عليه وسلم، وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى. العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به»[٥٧].

(٥٦) من رسالته السابعة والثلاثين: الرسائل الشخصية: القسم الخامس (طبع جامعة الامام) بتصرف.
(٥٧) بتصرف من المرجع السابق (رسالة) ٣٢.

ومن رسالته إلى أهل المغرب... بعد أن ذكر بعض آيات القرآن الآمرة بوجوب اتباع سبيل الله وما أنزل سبحانه...قال:

«إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التى أعظمها الاشراك بالله والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التى لايقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد وجلب الفوائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التى لا تصح إلا لله، وصرف شئ من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا»[٥٨].

ونكتفى بهذه النقول من تراث الامام محمد بن عبدالوهاب محيلين القارئ إلى تراثه الضخم، ونذهب لنقتبس بعض النقول ـ للمقارنة ـ من تراث الشيخ عبدالحميد بن باديس إمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

يقول الشيخ ابن باديس عند شرحه[٥٩] لقوله تعالى:

«وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا .. الآيات» (سورة الفرقان ...)

يقول : كما أن علينا أن نتبع سبيل الرسول عليه الصلاة والسلام التى جاء بها من عند الله تعالى وهى الإسلام ـ كذلك علينا أن نتبع سبيله فى القيام بشرائع الإسلام علما وعملا فى أبواب العبادات،وأحكام المعاملات،وفى تطبيق أصول الإسلام وفروعه على الحياة الخاصة والعامة،وهذه هى سنته التى كان عليها، وكان عليها أصحابه وأهل القرن الثانى من التابعين وأهل القرن الثالث من أتباع التابعين،تلك القرون المشهود لها

(٥٨) الرسالة رقم ٢٧ المرجع السابق.

(٥٩) يلاحظ أن تفسير ابن باديس للقرآن كان فى أصله دروسا ألقاها فى الجامع الأخضر بقسنطينة بالجزائر.

بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم. وكما أن من عدل عن الإسلام ولم يسلك سبيله وقع في ضلال الكفر - كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل الإسلام يندم أشد الندم ويتحسر أعظم الحسرة على ما كان عن تفريطه، كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل السنة إذ كل منهما قد ظلم نفسه وفرط في سبيل نجاته،فالآية وإن كانت في الكافر والمشرك فهي تتناول بطريق الاعتبار أهل الأهواء والبدع .

ويقول عند شرحه الآية:

« وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ». (الأسراء : ١٩)

يقول: من الناس من يخترع أعمالا من عند نفسه ويتقرب بها إلى الله مثلما اخترع المشركون عندها الأوثان بدعائها والذبح عبادة والخضوع لديها وانتظار قضاء الحوائج منها، وهم يعلمون أنها مخلوقة لله مملوكة له، وإنما يعبدونها كما قالوا لتقربهم إلى الله زلفى، وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر والطواف حول القبور والنذر لها والذبح عندها ونداء أصحابها وتقبيل أحجارها ونصب التوابيت عليها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها، فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها، لأنها ليست من سعي الآخرة الذي كان يسعاه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده - فساعيها موزور غير مشكور.

ويقول عند شرحه لقوله تعالى:

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ». (الاسراء : ٣٦)

يقول: إن أدلة العقائد مبسوطة كلها في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير وأدلة الأحكام وأصولها مذكورة كلها فيه، وبيانها وتفاصيلها في سنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسل ليبين للناس ما نزل إليهم،فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم. إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم. ولن يجد العامي الأدلة لعقائده سهلة قريبة إلا في كتاب الله فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد

المسلمين إليه. أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية فإنه من الهجر لكتاب الله وتصعيب طريق العلم إلى عباده وهم فى أشد الحاجة إليه. وقد كان من نتيجة هذا ما نراه فى عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه.

ومما ينبغى لأهل العلم أيضا - إذا أفتوا أو أرشدوا - أن يذكروا أدلة القرآن والسنة لفتاويهم ومواعظهم ليقربوا المسلمين إلى أصل دينهم،ويذيقوهم حلاوته ويعرفوهم منزلته، ويجعلوه منهم دائما على ذكر، وينيلوهم العلم والحكمة من قريب،ويكون لفتاواهم ومواعظهم (رسوخ فى القلوب وأثر فى النفوس، فإلى القرآن والسنة أيها العلماء إن كنتم للخير تريدون)[٦٠].

ومن الغريب - إلى جانب هذه النصوص التى تبين الاتفاق فى الموضوع والمنهج والأسلوب بين الحركتين - أن أول جريدة أنشأها ابن باديس كان اسمها (المنتقد).وكانت جريدة تكاد تكون متخصصة فى (انتقاد) الصوفية، وقد أوقفتها فرنسا عام ١٩٢٥م بعد ثمانية عشر عددا من صدورها، فجعلتها جريدة «الشهاب».. فلما قامت الجمعية رسميا سنة (١٩٣١م) (١٣٤٩هـ) كان أول جريدة أصدرتها هى «السنة المحمدية» سنة (١٩٣٣م) (١٣٥١هـ) ثم تلتها جريدة «الشريعة المطهرة» بعد أن أغلقت فرنسا الجريدة الأولى، ثم «الصراط السوى» ثم «البصائر».

أفلا تؤكد هذه الجرائد والمجلات - حتى من مجرد عناوينها - ذلك الاتفاق فى «الموضوع» على الأقل !!

أما من ناحية «المنهج والأسلوب» فنستطيع أن نلخصه فى جملة واحدة ... إنه «المنهج القرآنى».

فإن ابن باديس كان على منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب - يؤمن إيمانا لا حدود له بدور القرآن الكريم فى تكوين الجيل المنشود على غرار الجيل الذى كونه القرآن فى العصور الأولى للإسلام، يقول ابن باديس فى مجلة الشهاب: «فإننا نربى - والحمد لله

(٦٠) راجع: آثار ابن باديس لمؤلفه د/عمار الطالبى ١، ٢.

تلامذتنا على القرآن ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم، وفي كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها. وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها».

أما كيفية تثقيف هذا الجيل القائد فيشرحها الشيخ الابراهيمي بقوله: «كانت الطريقة التى اتفقنا عليها أنا وابن باديس فى اجتماعنا - بالمدينة المنورة - فى تربية النشء هي ألا نتوسع له فى العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة، ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة فى الجيش الذى أعددناه من تلامذتنا»(٦١).

وبعد:

فإني أعتقد أني قدمت بين يدى «قضية عادلة» أدلة كثيرة، قد تكون فى غنى عنها، لكنى قدمتها خضوعا للمنهج العلمي الذى نتعامل به مع الآخرين.

أما يقيني - الذى أومن به - فهو أن الحضارة الإسلامية - كل لا يتجزأ، حتى وان اختلفت ألوانها وظلالها. وبالتالى.. فإن موجاتها الموجبة والسالبة تتحرك وتتفاعل متبادلة التأثير والتأثر، متخطية - فى الوقت نفسه - كل حواجز السياسة وكل ضغوط الواقع، وكل الأسوار المصطنعة الطارئة .

إنها حضارة «واحدة» تستمد من عقيدة «التوحيد» كيانها الواحد المتعدد العطاء .. وهذا ما أومن به !!

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»(٦٢).

صدق الله العظيم.

(٦١) نقلا عن تركى رابح: الأصالة ٢٤.
(٦٢) سورة ابراهيم - ٢٤، ٢٥.

مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية